

رِسَالَةُ الْغُفْرَانِ  
لِلشَّاعِرِ الْفَيَّاسُوفِ أَبِي الْعَلَاءِ الْمَعْرِيِّ

شَرِّحَ وَاجْتَازَ  
كَامِلُ كَيْلَانِي

الجزء الاول



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)  
*Orthodoxia Alexandrina*

ملتمزم طبعه ونشره  
مطبعة المعارف ومكتبة بصر



# رسالة الغفران

للشاعر الفيلسوف أبي العلاء المعري

شَيْخُ الْإِسْلَامِ  
كامل كيلاني

الجزء الاول

ملتمن طبعه ونشره  
مطبعة المعارف وكتبت بها بصر







حضرة محمد بن عبد الله بن عبد الوهاب

## إهداء الكتاب

مَوْلَايَ :

مُنْذُ أَلْفِ عَامٍ - أَوْ قَرِيبٍ - تَفَنَّى صَاحِبُ الْمُفْرَانِ فِي مَشْغُورِهِ وَمَنْظُومِهِ  
بِالْمَثَلِ الْأَعْلَى لِلْمَلِكِ الصَّالِحِ ، وَرَاحَ يَنْشُدُهُ - حَيَاتُهُ - عَلَى غَيْرِ طَائِلٍ .  
وَالْيَوْمَ يَتَحَقَّقُ لِشَارِحِ الْمُفْرَانِ فِي عَهْدِكَ الزَّاهِرِ - ذَلِكَ الْحُلُمُ الذَّهَبِيُّ  
الْجَمِيلُ الَّذِي عَزَّ عَلَى مُؤَلِّفِ الْمُفْرَانِ أَنْ يَظْفَرَ بِهِ .

مَوْلَايَ :

وَلَقَدْ رَفَعْتُ بِالْأَمْسِ إِلَى سُدَّةِ أَمِيرِنَا الْمَحْجُوبِ - فِي أَوَّلِ نَشَأَتِهِ  
الطَّاهِرَةِ - أَوَّلَ لَبِنَةٍ سَوَّيْتُهَا فِي أُسَاسِ مَكْتَبَةِ الْأَطْفَالِ .  
وَالْيَوْمَ يُسَمِّدُنِي أَنْ أَرْفَعَ إِلَى سُدَّةِ مَلِكِنَا الْمُصْلِحِ - وَهُوَ فِي مُقْتَبِلِ  
شَبَابِهِ النَّاصِرَةِ - آخِرَ لَبِنَةٍ أَضَعُهَا فِي صَرْحِ مَكْتَبَةِ الشَّبَابِ .  
وَأَنَا فِي هَذِهِ وَتِلْكَ لَا أَتَوَخَّى - بَعْدَ رِضَا اللَّهِ (سُبْحَانَهُ) - غَيْرَ رِضَاكَ ،  
رَاجِيًا أَنْ تَظْفَرَ هَذِهِ - مِنْ رِعَايَةِ الْمَلِكِ - بِعِثَلٍ مَا ظَفَرْتُ بِهِ تِلْكَ  
مِنْ عِنَايَةِ الْأَمِيرِ .

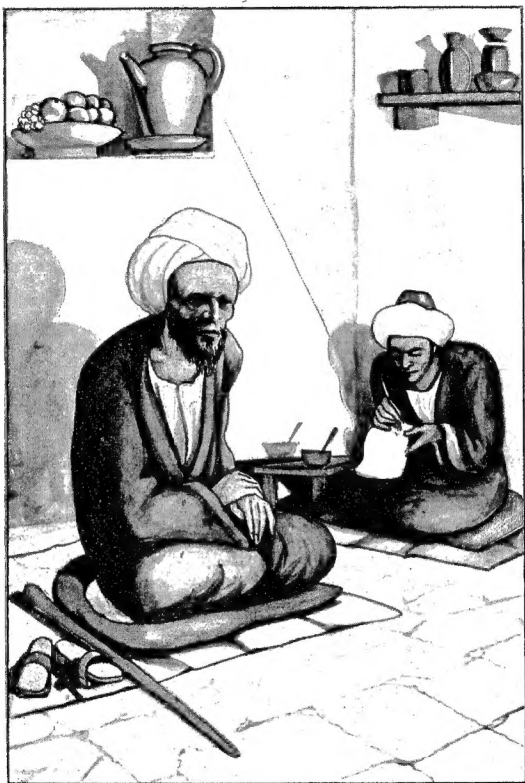
وَحَسْبِي أَنْ أُرَدِّدَ فِي هَذَا الْمَقَامِ مَا أَسْلَفْتُهُ فِي ذَلِكَ مِنْ مَوْفُورِ الْوَلَاءِ ،  
وَصَادِقِ الدَّهَاءِ :

« فَإِذَا قَبِلْتَ هَدِيَّتِي ، وَرَضَيْتَ عَنْ هَذَا الْكِتَابِ  
أَحْيَيْتَ فِي نَفْسِي الرَّجَا ، فَأَبْدَعْتَ فِي كُلِّ بَابٍ  
وَمَلَأْتَ قَلْبِي بِالْيَسِيرِ ، فَلَا أُبَالِي بِالصَّعَابِ »

كامل كيراني







أبو العلاء كما تخيله شارح الرسالة



## مقدمة

« أكتبُ هذا ، وبين يديّ طبعة لرسالة الغفران ، أذاعها « كامل كيلاني » — منذ حين — أكتبه ، وأنا أعلمُ أن هذه الطبعة قد ذاعت ، واستيق إليها الناس استيقاً لم يكن منتظراً ولا مرجوً ، فأغبط للطبعة نفسها ، وعناية « كامل » بها ، ثم أغبط لما ظفر به من التشجيع على هذا الجهد ، وهذه العناية ، ثم أغبط لأن روح أبي العلاء ، وفلسفته ، ومناهجه — في الفهم والتفكير — قد أخذت تتغلغل في طبقات المستنيرين من أهل الشرق العربي ، وليس هذا بالشئ القليل ، وما أشك في أنه سينتج آثاره الحسنة بعد حين .

تلك هي نبوءة الأستاذ العميد<sup>(١)</sup> منذ خمس عشرة سنة ، وقد صدق الزمن نبوءته التي أوحاها إليه رواج الطبعة الأولى من هذا السفر النفيس ، فقد نفذت الطبعة الثانية كما نفذت الطبعة الأولى في زمن يسير ، ومضت نسخها تطوف في الآفاق ، فأصبحت كل نسخة منها مدداً في مكتبة لأديب أو متأدب ، وحقق الشباب الفكر تأملنا فيه ، ورأى في هذا السفر الخالد مصداق ما حدثناه به : فنا من الأدب العالي يفخر به الفكر الإنساني ، ويزهى بروعته الخيال العالي<sup>(٢)</sup> ، فأقبل على هذه اللذائذ الفكرية المرتقيات — كما يقول شيخ

---

(١) انظر مقدمة الدكتور طه حسين بك عميد كلية الآداب بالجامعة المصرية التي صدرنا بها الطبعة الثانية من رسالة الغفران ، وقد أعدنا لصرها في هذه الطبعة الثالثة ( ص ٦٦٩ — ٦٧٨ ) وما كتبه الاستاذ العميد من الطبعة الثانية من التفران في مقدمة كتاب « صور جديدة من الادب العربي » قوله : وقد راجت رسالة الغفران هذه — في مصر والعراق العربي ، بل رأيت من المستشرقين — في أوروبا — من يرضى عنها ، ويسحب بها .

(٢) صدرنا الطبعين الأولى والثانية بما يلي :

الى الشباب للفكر ، الذي أدرك حقيقة الادب الحي ، وعرف قيمته وأثره في احياء النفوس ، وانهاض الشعوب . الى الشباب الفكر الذي اطلع على الآداب الغربية ، فمحرته أنماها الصديدة ، وهاله خضمها الزاخر ، الجياش يثقي احساسات الحياة وخوالجها ومثلها الرائمة ، وعصف على الآداب العربية فأخرج صدره ما فيها من الخلط وسوء الاختيار ، فعزف عنها مزدرباً ناقماً — وله بعض العذر — واندفع متهاقاً على الادب الغربي الذي وجد فيه لكل خالجة وتراء تشجبه أنماه ، وتغلا فراغ نفسه ، وتحلق بها في أممي ملكوت تطمح اليه . الى هذه الفئة من الشباب ، أقدم هذا الكتاب الذي أرى فيه فنا من الادب العالي ، أجزؤ فأزعم — لا متحمساً للفتنة ، ولا متمصبا لأدبانا ، ولا مجازفاً في زعمي — أنه لا يقل عن أجل أثر أخرجه أكبر رأس عربي مفكر ، وهنا تحك القول حنوا من الاسراف والشطط . . .

المرة - وفدت الطبعة الثانية منذ عشر سنوات - أو تزيد - ثم شغلتنى مكتبة الأطفال عن إظهار هذه الطبعة إثر نفاذ سابقتها حتى أتاح الله هذه الفرصة ، وقدر لها الظهور في هذا الثوب الأنيق .

ولا يدَّهشَنَّ القارئ إذا حدثته بأن إقبال الشباب العربي على هذه الرسالة ، قد أحيا في نفسى ميت الآمال ، وحفزنى ذلك النجاح إلى إنشاء مكتبة الأطفال . فقد تحقق لى أن الطفل العربي إذا تمهدهنا في أول نشأته بالتثقيف العربي ، ويسرنا له سبل البيان العربي ، حسن رأيه في أدبنا ، وصفا تفكيره ، واستقامت فطرته ، وقد أثبتت الأيام صدق ما رأيناه ، ثم بدت في هذه الأيام بشائر طيبة ، فوأيضا طائفة من كرام الربيين يقتفون أثرنا في هذه الطريق وينتهجون ما رسمناه من خطط ومناهج ، فحمدنا لهم تلك المحاولات المشكورة ، ودعونا لهم بالسداد والتوفيق ، وما زال أملنا معقوداً بنجاحهم القريب ، متى ضاعفوا من عزيماتهم وأخلصوا نياتهم ، وتصدى كل منهم لما يحسنه ، واقتصر الميكان على أهله .

ولئن كانت رسالة الغفران حافزة لنا إلى إظهار مكتبة الأطفال ، لقد كانت تلك المكتبة معوقة لنا عن المبادرة بإظهار هذه الرسالة إثر نفاذها .

ولقد آثرت الروية ، واخترت التريث ، ولم أدفع بالكتاب إلى المطبعة إلا بعد أن احتفلت له وحشدت - لتجويده - كل ما أملك ، حتى قربته - ما وسعنى الجهد - من الكمال الفنى للنشود ، رغبة في أن أجزى بالشكر لأبناء العروبة على ما بذلوه من تقدير وتشجيع . وإن إقبال شبابنا على الآثار العلائية المبدعة ، وتزودهم من هذا المنهل الفكرى الصافى ، للدليل أى دليل ، على أصالة النهضة الأدبية التى يرفع أعلامها أعلام هذا العصر ومفكره ، وإن في نفاذ الطبقات المتعاقبة من آثار المعرى لثألاً صادقاً - كما قلت في مقدمة الطبعة الثالثة من « اللزوميات » - يبشر بخير النتائج ، وينهى بأحمد الغايات .



ولقد جئنا هذه الطبعة الجديدة وقد أنست بالنص الكامل لرسالة ابن الفارح ، وهى الرسالة التى بعث بها صاحبها إلى أبى العلاء ، فأجابه عليها برسالة الغفران<sup>(١)</sup> .

---

(١) انظر ( الجزء الأول ص ٢١ و ٢٢ ) ترى السبب القى دما ابن الفارح الى تأليف هذه الرسالة التى حفزت المعرى الى انشاء رسالة الغفران .

وقد أضفنا إليها طائفة صالحة من رسائل المعرى ، فى فقه اللغة ، وفنون الأدب . وضروب شائقة من طريف الحكمة وجميل المودة ، ثم ذيلنا ذلك بترجمه وسيطة للجحيم « دانتى » إذ كان الباحثون قد أقاضوا — لهذا العهد — فى صلتها بفران « أبى العلاء » .

وقد أخذنا أنفسنا — فى إخراج هذه المجموعة من الرسائل المبدعة — بأن نقيّد نصوصها بالشكل الكامل ، وإن يان « أبى العلاء » لجدير أن يضبط كله ، إذ كان ذلك الكاتب المتفرد مغرباً فى لفظه وأسلوبه ، على حق أغراضه ومعانيه .

وما أحوج القارئ — لآثار هذا الفيلسوف الأديب — إلى أن يضاعف يقظته لتفهم معناه البعيد ، ويحبس انتباهه لتقصى مرماه الخفى ، ويجلو فطنته لاكتناه مغزاه المستسر ، ويحشد قواه الفكرية كلها فلا يتوزعها الصواب فى إعراب كلمة أو تصرفها أو وجه سياقها . وقد يكون ذلك أجمع سهل المقادة ، ميسور التأتى ، هين الدرك ، للأديب المتمكن ، ولكنه — على ذلك — شدة ما يكون حجر عثرة فى طريق الشداة من المتأدبين ، فسرطان ما يدر كهم الملل ، ويقعد بهم العجز ، ولا يلبثون أن يضجروا بمتابعة القراءة ، وبذلك يفوتهم — على الرغم منهم — أن يستمتوا بهذه الكنوز الأدبية الجديرة بالجد والمعاونة . واستتبع هذا العمل أن نشرح الألفاظ شرحاً دقيقاً ، ينكشف به المقصود من معانيها فى عرض الكلام . ويسير غاية اليسر هذا العمل ، لو أن الكاتب غير أبى العلاء من كتاب الغريب المنصوص عليه صراحة فى المعجمات ، فإن امتلاك أبى العلاء لخاصية اللغة ونواذرها ، وسعة محفوظاته من جزل النظم والنثر ، وغمسه بمختلف أساليبها ، وغوصه على فرائدها ، وتهذيبه لأبكار المعانى وعيون الكلام ، وتوقفه فى ابتداء الصورة الفنية الرائعة . وحشده أفانين مختلفة من مُعجب التصاوير وبارع الصيغ ، وتبحره فى التاريخ ، إلى حد أن قال — وصدق — :

« ما مرّ فى هذه الدنيا بنو زمن إلا وعندى — من أخبارهم — طرف »  
كل أولئك قد أجرى لسانه بالكثير الأكثر من صور ألفاظ تدل — بمقد الروية ، ومد البحث — على غير المعروف الظاهر من معانيها ، مما توسعت به اللغة ، وتشعب التصريف ، فصار واجباً أن نحد المراد من اللفظ فى سياق الجملة حداً دقيقاً ، وأن نفسره

بما يقتضيه ذلك السياق ، معتمدين - في ذلك - على ما يقع لأيدينا من أجلاذ اللغة ،  
وكتب الألفاظ ، باذلين الوسع في التحرز والتخير والتحقيق .



وقد توخينا - على ذلك - أن نترجم لمن وردت أسماؤهم - في هذه المجموعة -  
من الكتاب والشعراء وكلّ ذى فن .

وضاعف الجهد في هذا الصنيع ، أن أبا العلاء كان بعلمه مُدلاً ، ولوفرة معارفه مستخدماً ،  
فكان يشير إلى الكاتب أو الشاعر أو العالم باسمه ، وهو معروف بقلبه ، أو ينعته بكنته ،  
وهو معروف بنسبته ؛ مما أثبت له في صدور معاصريه عظيم المنزلة ، وشديد الإعجاب ؛  
فلقينا في كشف هذه المميّات - بالصدر الرحب - بعض العناية . وبما رسمناه لأنفسنا  
في الترجمة أن نكون شرحاً لما أشار إليه أبو العلاء حين عرض لأولئك الأعلام ، حتى يَفْقَ  
القارئ عن المراجعة والاستعانة بغير الكتاب الذي بين يديه ، فيجد كفايته من توضيح  
الاشارات بأدنى نظر ، وأيسر جهد . ورأينا ألا نخلى هذه المجموعة من دراسة لفلسفة  
أبي العلاء وتفصيل لآرائه في الحياة والناس وما وراء الكون ؛ فالزمنا أنفسنا ألا يعرض  
أبو العلاء لمعنى فلسفيّ ، أو يلع إلى فكرة من خواص فكره ، إلا ألحقنا بها ما يماثلها فيما نقل  
عنه ؛ ولا جرم أن شعر أبي العلاء ونثره يفسر بعضه بعضاً ، فهو يلج إلى الفكرة في بيت ،  
ويوضحها في بيت آخر ، ويزيدها إبانة وتوضيحاً في متائر أبيات أخرى . فلا منتدح لمن  
يتناول بالبحث إحدى نواحي أبي العلاء من أن يستقرى شعره ونثره ، ويتغفل إلى النظائر  
والأشباه ، وما يتداخل من أفكاره ، وما يرجع من بعضها على بعض ؛ حتى تنفسح أمامه  
سُبُل الموازنة والمقابلة والترجيح . وفي أضعاف هذه المجموعة حمل لبعض العبء عن  
الباحثين ، فقد فصلنا فيها أبواباً من فلسفة أبي العلاء ، وعمرناها بمختلف أقواله في كل منها ،  
وكشفنا الغطاء عن مستورها ، وجعلناها مواد مهيأة للفائدة والانتفاع ؛ آملين أن يكون  
الباحثون بها في أمنٍ من الخطأ في الحكم ، والخطل في الاستشهاد .

وثمة جانب من العمل في هذه المجموعة ما كان أحرانا أن نمسك عن القول فيه ، إذ كان القول أياً كان لا يصف على الحقيقة ما عايناه منه . ذلك هو جانب التصحيح لنصوص الرسائل التي حفلت هذه المجموعة بها . ويشهد الله لقد تشاها التحريف والتصحيح ، بل المسخ والتشويه ؛ فأحال الكثير من جملها أعقد من ذنب الضب ؛ سواء في ذلك الرسائل التي سبق طبعها ، والرسائل التي ظلت مخطوطة حتى إعداد هذه المجموعة للطبع . وقد آيينا على أنفسنا ألا ندخر في تصحيحها من جهد ولا كد ؛ فصبرنا للجامح حتى سلس ، وتأنينا للمستعصى حتى اتقاد . وتوسلنا إلى ذلك بما اتسع له الامكان من وسائل المراجعة للكتب ، والتقليب للرأى ، والإذكاء للفتنة ، والحدّ للذهن ، والتوطين للنفس — مهما بعدت الشقّة — على بلوغ الغاية .

وقد انقسمت هذه المجموعة من الرسائل لذلك الجانب من التصحيح إلى قسمين : قسم حوى مباحث من فقه اللغة ، ورواية الشعر ، وعلم الأدب ، فكان من ههنا في هذه المباحث أن تصيدها في مظانها ، ثم نعارض ما في المظان بما أترعن أبي العلاء ، مستأنسين بما نجد من هذه المباحث في استقامة الجمل ، وسلامة الألفاظ ، وصحة السياق . فأما القسم الثانى ، فهو نثر أبي العلاء الذى أملاه إنشاء ، لا مرجع عنه إلا إليه ، ولا بديل منه إلا مرآته . فكنا نقف منه موقف الأناة والتروى ، لا نقنع في تصويبه بفحو الخطر ، ولا نرضى فيما يظهر لنا من وجوه التصويب بأن يسير الكلام على وجه الصحة ، مؤدياً حقّ الإفهام . ولكننا كنا نستعين بما خبرنا من أساليب أبي العلاء ، وما استظهرنا من ألفاظه الدائرة ، وما عرفنا من ديباجته وطابعه في نسج العبارات . وما نزال في بحث وقصص ، ووزن وقضيل ؛ حتى تنشع سحائب التحريف عن لفظ لائق بالنسق ، جارٍ من ألفاظ أبي العلاء على عرق ؛ فيأخذ اللفظ مكانه بين ما قبله من الألفاظ وما بعد ، مأخذ الدرة من العقد ؛ لا اجتلاب ثم ولا تكلف ، ولا استكراه ولا تعسف .

وما نحب أن نفيض القول في تفصيل ما بذلنا من جهد في إخراج هذه المجموعة الحافظة ، فها هي ذى بين يدي القارئ تصف نفسها بنفسها ، وتدلل يومها على أمسها . وفي مكنة

المنصفين أن يمشلوا لأنفسهم وهم يقلبون من أوراقها المثين ، أننا وقفنا من كل كلمة في كل سطر في كل صفحة منها وقفة التحقيق والتفتيش والتحرى ، في غير ضئالة بالجهد ، ولا إثار للذة . مجتهدين ألا نخرج من فصل إلى فصل قبل إيفائه حقه من العناية والتعهد ؛ محاذرين في مباحث التاريخ وعلوم العربية المقتضية في مطاوى الرسائل أن ندعها متعبة للراغبين في البحث ، مضية لوقتهم في الرجوع إلى المصادر ؛ عامدين في أمثال هذه المباحث إلى إضافة ما حولها ، والافاضة في بيانها ، والاستطراد إلى لبابها ، تمكينا للدارس المستقصى من آرايه في دراسته واستقصائه . واضعين نصب أعيننا ألا يشر قارئ بحاجة إلى شرح غريب ، أو تفسير غامض ، أو تجلية إشارة ، أو تفصيل مجمل ، إلا وجد قضاءها على حبل الذراع .



« أما بعد » فهذا جهد — بل جهاد — بذلناه ، لا نريد به إلا وجه الأدب وحده ، وهو — كما قلنا في مقدمة ديوان ابن زيدون — زكاة الأديب ، وإنما امثلنا مثلال الأسلاف ، الذين بذلوا من ذات أنفسهم لتظل حياة الأدب موصولة على الزمن عصرا بعد عصر ، وجيلا بعد جيل . وما رأينا كالأدب : على صاحبه الغرم إذا أخذ ، وعليه مثل ذلك الغرم إذا أعطى . فالأديب يشقى تعلمها ، كما يشقى تعلما ، والأدب يضنى صاحبه في حاله ، فهو يبلى من يخدمه ، كما يبلى من يستخدمه .

على أننا قد رضينا — من قبل ومن بعد — بالشقاء والضنى ، فهل رضى الأدب عما أدينا ونؤدى ؟ ذلك غاية ما نأمل ، فلا والله ما يعيننا من شيء إلا أن نجيب تلك التزعة الغنية الصادقة التي نزلت منا منزل الشغاف — منذ نعمة الظفر — فحببت إلينا الأدب ، وحفزتنا إلى التفانى له وفيه .

فإن بلغنا — بهذا الصنيع — غاية من الرضا ، فهي حسبنا ، وعند الله ثواب المحسنين .

طامل كبيروتى



## المشاعر

حدث علي بن الجهم ، قال :

كان الشعراء يجتمعون — في كل جمعة — في القبة المعروفة بهم في جامع « بغداد »  
ينشدون الشعر ، ويعرض كل منهم على أصحابه ما يكون قد نظم به بعد مفارقتهم في الجمعة التي  
قبلها . فبينما أنا في جمعة من تلك الجمع ، ودعبل ، وابن أبي الشيص ، وابن أبي قنن ، والناس  
مجتمعون ، يسمعون إنشاد بعضهم ، أبصرت شابا في أخريات الناس جالسا في زى الأعرابي :  
فلما فرغ كل منهم وقطع إنشاده ، التفت الشاب إلينا وقال :

« قد سمعت إنشادكم — منذ اليوم — فاسمعوا إنشادي »

قلنا : « هات » فأشدد : « نحواك عين — على نحواك — يا مذل<sup>(١)</sup> »

ثم مر فيها منشدا ، حتى أتى قوله :

« نغابر الشعر فيه — إذ سهرت له — حتى حسبت قوافيه ستقتل »

فمقد « ابن أبي الشيص » — عند هذا البيت — خنصره ، ثم مر فيها الشاب إلى أن  
أتى على آخرها ، ثم أشدد أخرى . قلنا له : « لمن هذا الشعر ؟ »

فقال : « لمن أنشدكوه » .

قلنا له : « ناشدناك الله ! من تكون ؟ » قال : « أنا أبو تمام الطائي ! »

قال ابن أبي الشيص : « فرفعنا مجلسه — حينئذ — وعظمناه تعظيما كبيرا . »

(١) المذل : هو الذي يهين السر ، والعطر الثاني قوله : « حاتم لا يقضي قولك الخطل » ، والقصيدة  
في مدح المعتصم ، ومن أروع ما فيها قوله :

« له رياض ندى ، لم يكب زهرتها      خلف ، ولم تتجتر — بينها — الملل »  
وقوله : « يحبس لالأوه ، أو لودعيت      من أن يذال : بمن ، أو : ممن الرجل ؟ »

فهل عرف القارىء : ماذا كان من أثر هذا البيت الرائع<sup>(١)</sup> الذى عقد « ابن أبى الشيص »  
 خنصره عند سماعه ؟ وكيف أوحى إلى ذهن الممرى قصة هذه القوافى المثنوية إلى القتال ؟  
 لقد وعى أبو العلاء هذا المعنى ، كما وعاه « ابن أبى الشيص » وأصحابه ، وعقد خنصره  
 عند سماعه ، وأكبر من « أبى تمام » هذا الخيال البارع الذى مثل قوافيه كائنات حية ،  
 توشك أن تقتل لتظفر بشرف الخلود فى شعر أبى تمام ، واختزن الممرى هذه اللغنة البارعة ،  
 كما يختزن القاص الموهوب كل مشهد رائع من مشاهد الحياة ، وكل معنى مجود مبتكر ،  
 ليعرضه — أبهى عرض — فى مكانه الجدير به من قصصه المتخير البليغ .  
 فلما أتيت للممرى فرصة الكلام عن « أبى تمام » تمثل قوافيه كائنات حية ، توشك  
 — لو علمت نبأ مصابه — أن تولول عليه نادبات<sup>(٢)</sup> .

ولم يقف خيال الممرى عند تخيل هذه القوافى كائنات حية ، تأسف وتحزن وتسير فى  
 الجنائز ، فتخيل آيات لبيد قد نقلت فى الجنة قصوراً فخمة<sup>(٣)</sup> .  
 ومتى أعجب الممرى بآيات « لبيد » فتشلتها قصوراً فاخرة ، فلا عجب إذا دفعه تحميره  
 الرجز إلى تمثل آيات الرجاز قد تحولت بيوتاً حقيرة<sup>(٤)</sup> . ولا غرو أن يتمثل بيت الخنساء فى  
 أخيها صخر ، وقد أصبح — فى الدار الآخرة — حقيقة راهنة ، وبدا أخوها — فى الجحيم  
 كالجلبل الشامخ ، والنار تضطرم فى رأسه ، وهو يقول لأخته : « لقد صبح مرصعك فى » .  
 وإنما يعنى قولها :

« وإن صخرًا لتأتى الهداة به كأنه علم فى رأسه نار »<sup>(٥)</sup>

كما يتمثل معلقة امرئ القيس كلها مجوزاً فاجرة ، فيقول فى رسالة الإغريض<sup>(٦)</sup> :

(١) المعلوم من القصة أن هذا البيت كان بدء التعارف بين أبى تمام وابن الجهم ، ثم تمت الألفة بعد ذلك حتى قال فيه أبو تمام .

« إن مكره مطرف الاخاء ، فلو تانا لنسدى ، ونسرى فى إخوان تالده  
 أو يختلف ماء الوصال ، فإؤانا عذب ، تحدد من غمام واحد  
 أو يفترق نسب ، يؤلف بيننا أدب ، أقفاه مغمم الوالد . »

(٢) انظر (س ٢٦٨) . (٣) انظر (س ٨٦) . (٤) انظر (س ١٨٩) .

(٥) انظر (س ١٣٤) (٦) انظر (س ٥٨٩)

« وإنّ « قنابك » على حسنها وقدم سنّها — لتقر بما يبطل شهادة العدل الرضى، فكيف  
بالبنى الأئني؟ قاتلها الله مجوزاً لو كانت بشرية، كانت من أغوى البرية »  
ثم يتخيل أعمارنا ومنايانا، كأنهن الآيات في النثر، والمنايا فواصلهن، وكأنهن الآيات  
في الشعر، والمنايا قوافيهن، فيقول في الأولى :

« إن أعمارنا كآى أينت      والمنايا لهن مثل الفواصل »

ويقول في الثانية :

« وأعمارنا آيات شعر، كأننا      أوآخرها للشندين قوافى »

ولا يفوته حين يعرض لذكر أعلام النحو والصرف أن يقول :

« أنت علل المنون فما بكاهم      — من اللفظ — الصحيح، ولا العليل  
ولو أن الكلام يحس شيئاً      لكان له — وراءهم — أليل »

ولو شئنا أن نقصى هذا اللون — وحده — من خيال المعرى — وهو ضروب وأفانين  
لا تحصى، لضاق بنا المقام الرحيب، فكيف بهذه اللوحة المأجلة .

ولمّا عانا — في هذه الومضة الخاطفة — أن نعرض للقارئ مثلاً من سعة خيال المعرى،  
ولمّا من ألوان تقننه وابتداعه، وانفساح أفقه، وأصاله الروح القصصى في نفسه، وقد  
اخترنا هذا المثل من بين مئات من أشباهه ونظائره المبثوثة في نظمه ونثره لنرى القارئ  
كيف أصبح الخيال القصصى في نفس المعرى متين الأواصر، عميق الأغوار، تكاد كل  
كل ملاحظة تمن له تتحول قصة، أو مشهداً من قصة، أو منظرًا من مشهد قصصى، أو  
إيحاء بقصة، أو خلاصة لها، أو موجزاً لأقصوصه، أو إشارة — بعيدة أو قريبة — إليها .

وسيان — في عالم الفن الصادق — أن تطول القصة أو تقصر الأقصوصة، فإن في  
البذرة — على ضآلتها — كل عناصر الدوحة السامقة، ولن يضير المعرى أن يوجز بعد أن  
أصاب الهدف ولم يخطئ الصميم، كما لا ينفع غيره أن يسهب ويطنيل ما دام قد تنكب  
السبيل، ولم يصب الأهداف البعيدة .

ولم يقف خيال أبي العلاء القصصى عند تمثل القوافى كائنات حية ، فقد ظلما تمثل الممرى  
أشياء ذلك ، فتخيل الزمن كله وليداً لاهياً فقال :

« أظن زمانى : كونه وفساده وليداً يبطن الأرض يلهو ويلعب »  
كما تمثل الليل والنهار خيطى باطل ، فقال :

« نهار وليل عوقبا ، أنا فيهما — كأتى بجيطى باطل — أنشبت »  
وتخيل النجوم — كما تخيل القوافى — كائنات حية ، ثم أبعد فى خياله فراها كالأناسى  
متناثرة ، متخالفة فى أديانها ، بعد أن تمثلها مفعمة بالإحساس موفورة العواطف فقال :  
فهل الكواكب مثلنا — فى ديننا — لا يتفقه ، فهائد ، أو مسلم  
ولعل مكة فى السماء كمكة وبها نضار ، ويذبل ، ويللم  
ثم تعمق فى تصوره ، وأوغل فى تخيله ، فقال من قصيدة :

ولم يصح أن الثيرات محسة فإذ أنكرتم من وداد ، ومن صهر ؟  
لعل سهلاً ، وهو غل كواكب تزوج بنتاً للسمك ، على مهر  
يقولون : « تأتى فوقنا مثل ما أتى بنوا الأرض ، فى حال السرار ، وألجهر »  
فيا ليت شعرى ! هل ترع من الردى وترك نسكا ، بالعشاء وبالظهر  
وتكذب ؟ إن المين فى آل آدم غرائز جاءت بالنفاق وبالهمر  
ثم قال من قصيدة أخرى :

سبحان خالقهم لست أقو ل : الشهب كايبة مع الدهر  
لا ، بل أفكر : هل رزقن حجى نجساً يميز به من الطهر ؟  
أم هل لأشأها الحصان ، بذى الك ذكبر ، من قربى ومن صهر ؟  
أم يحطب العوى السماء ويه طيها الذى ترضاه من مهر ؟  
ألا يرى القارئ المنصف أن هذا التفكير الجبار قد اجتاز آفاقاً من الخيال قل أن  
يرتاذاها أحدث القصاصيين ؟ وكيف يرى القارئ قصة الشيخ أبى هدرش<sup>(١)</sup> وقصة

(١) النظر جنة المغاريت (ص ١٠٣)

الحرورية<sup>(١)</sup> وما إليهما من روائع القصص الملأى الخلاب . وثم لون من الأقاصيص تفيض به رسائل المعرى وأشعاره ، وقد نبهنا إليه في مواضعه ، نجتزئ منه بقوله<sup>(٢)</sup> :

« وابلت على طائر ، رماء فتى لاي ، فأوى بفهره<sup>(٣)</sup> انكتفا  
أو صادفته حباله نصبت ، فظل فيها كأنما كنفا  
بكر يبنى المعاش مجتهداً فقصّ - عند الشروق - أو نتفا  
كأنه - في الحياة - ما فرع النص ن ، ففتى عليه ، أو هتفا »

ومن يدري كم قصة رائعة من قصص المعرى لم تصل إلينا لضياعا فيا ضاع من كتبه الكثيرة الخالدة ؟ وثم أبيات لخص فيها المعرى قصصاً عالية - قبل أن يولد مؤلفوها - أبرع تلخيص ، كذلك الأبيات الثلاثة التي قدمنا بها ترجمة « جلفر » وقد لخص في البيتين الأولين قصة « جلفر في بلاد الأقزام والعمالقة » ثم لخص في البيت الثالث مغزى القصة وروحها ورمى مؤلفها البعيد ، حتى خيل إلينا أن « سويقت » - مؤلف هذه القصة - قد استوحى خيال المعرى حين كتبها ، واستلمه قوله :

« زعموا رجالا ، كالنخيل جسومهم ومعاشرأ ، قاماتهم أشبار  
إن يصغروا ، أو يعظموا ، فبقدره ، ولربنا الإعظام والإكبار  
يُستصغر الحى الحقير ، وتحتنه أم تَوَهَّمُ أنه جبار »  
ومن العجائب أننا حين ترجمنا قصة : « القول ببق<sup>(٤)</sup> » لبول إرفيه ، لم نجد مقدمة أجدر بتلخيصها من قول أبى العلاء :

« إن شئت إبليس أن تلقاه منصلتا بالسيف يضرب ، فاعيد للجباغات  
تجدهم في أقاويل مخالفة وجه الصواب ، وأسرار مذاعات  
يياكرون بألباب - وإن خلصت - معصية ، وبأهواء مطاعات  
قالوا ، وقلنا : دعاو ، ما تفيد لنا إلا الأذى ، واختصاما في المداعة »

. (١) انظر (س ١٠١) (٢) ومن أمثلة ذلك ما تراه في (س ٥٨٣ - ٥٨٦) وغيرها من صفحات الكتاب (٣) بحجرة (٤) ارجع إلى كتاب : « روائع من قصص الغرب »

ولو شاء « برنارد شو » أن يمد قصته : « الزنجية باحثة عن الله » لما رأى في تلخيصها أربع من الآيات المنسوبة إلى المعري<sup>(١)</sup> :

« عجبت لكسرى وأشياءه      وغسل الوجوه يبول البقر » الخ

\*  
\* \*

أما بعد ، فإن في أبي العلاء — من المزايا القصصية الباهرة — ما يكاد يفرد من بين شعراء العربية وكتابها ، وقد كدنا نقول : من بين شعراء الدنيا وكتابها قاطبة . ولا غرو في ذلك ، فإن أكبر ميزات القاص الموهوب موفورة عنده ، تزخر بها نفسه الحاشدة ، « ويتم بها باعه الرحيب » ، فهو — فيما يعرف قراؤه وناقده — مستوفز الحس ، واسع الخيال ، رحب الأفق ، شديد التنبيه ، وقد عاش في عصر ازدهرت فيه القصة ، وبلغت شأوا عظيما . وهو — إلى ذلك — دائم التقلب لوجوه الرأي المتباينة ، كثير المقابلة والموازنة بين فروضها المختلفة وخصائصها المنسجمة والمتفاوتة ، ساهر الأداء ، بارع السخرية ، خلاق معان ، ومستحدث أخيلة . وكل أن يجتمع هذه المزايا كلها في علم من أعلام القصة ، إلا سمت به إلى أرفع ذروة فنية .

وقد رأى القارئ — في هذه اللوحة العابرة — أمثلة من براعته القصصية ، وتطلعه الدائم إلى الرحلات الفكرية ، وعرف كيف سرى بفكره في مجازات معنوية شاسعة ، يتيه فيها جيابرة العقول . ولم يكن بين المعري وبين أن يملأ الدنيا قصصا مطولة خالدة ، إلا أن نهيأ له الفرص ، وتخلق لأدبه المناسبات الحافزة ، كناسبة رسالة الغفران التي أغلقت الأدب العربي منه بهذا الكنز الحافل بأروع النخائر الفنية العالية ، الباقية — على الدهر — ما بقي الفن وأهله .

طامل كبريتي

---

(١) ارجع إلى هذه الآيات في تاريخ : أبي الفداء ( ج ٢ ص ١٧٦ )

# الجزء الثاني

القسم الأول من الرسالة

الغفران كوميديا إلهية مسرحها الجنة والنار





الْغُفْرَانَ كَوْمُيَدَيَا إِلَهِيَّةٍ مَسْرُحُهَا الْجَنَّةُ وَالنَّارُ

## تَهْيِيد

وَصَلَتْ الرِّسَالَةُ<sup>(١)</sup> الَّتِي بَحَرُهَا بِالْحَكَمِ مَسْجُورٌ<sup>(٢)</sup> ، وَمَنْ قَرَأَهَا لَا شَكَّ  
مَأْجُورٌ<sup>(٣)</sup> ، إِذْ كَانَتْ تَأْمُرُ بِتَقْيِيلِ الشَّرْعِ<sup>(٤)</sup> ، وَتَعِيبُ مَنْ تَرَكَ أَصْلًا إِلَى فَرْعٍ ؛  
وَوَغَرِقَتْ فِي أَمْوَاجِ بَدْعِهَا الزَّائِرَةِ ، وَعَجِبْتُ مِنْ اتِّسَاقِ عَقُودِهَا الْفَاحِرَةِ ؛  
وَمِثْلُهَا مِنْ شَفَعٍ وَنَفَعٍ ، وَقُرْبَ عِنْدَ اللَّهِ . وَفِي قَدَرَةٍ رَبَّنَا — جَلَّتْ عَظَمَتُهُ —  
أَنْ يَحْمِلَ كُلَّ حَرْفٍ مِنْهَا شَيْخَ نَوْرٍ ، لَا يَمْتَزِجُ بِمَقَالِ الزُّورِ ؛ وَلَعَلَّهُ — سُبْحَانَهُ —  
قَدْ نَصَبَ لِسُطُورِهَا الْمُنْجِيَةَ مِنَ اللَّهَبِ ، مَعَارِيجَ<sup>(٥)</sup> مِنَ الْفِضَّةِ أَوْ الذَّهَبِ ،  
تَعْرِجُ بِهَا الْمَلَائِكَةُ مِنَ الْأَرْضِ الرَّائِدَةِ إِلَى السَّمَاءِ ، بِدَلِيلِ الْآيَةِ :

« لِإِيَّاهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ، وَانْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ »

وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ كَأَنَّهَا الْمُنْجِيَةُ بِقَوْلِهِ : « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ  
مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ، تُؤْتِي أُكْلَهَا  
كُلَّ حِينٍ إِذْنِ رَبِّهَا . »

وَفِي تِلْكَ السُّطُورِ كَلِمٌ كَثِيرٌ ، كُلُّهُ عِنْدَ الْبَارِئِ — تَقَدَّسَ — أَمِيرٌ<sup>(٦)</sup>

(١) يَعْنِي رِسَالَةَ ابْنِ الْقَارَحِ (٢) مَمْلُوءٌ (٣) مَثَابٌ (٤) تَقْيِيلُ الشَّرْعِ : اتِّبَاعُهُ

(٥) جَمْعُ مَرَاوِجَ وَهُوَ : السَّلْمُ وَالْمَصْعَدُ (٦) مَقْبُولٌ ، أَوْ مَفْضُلٌ

## الفصل الأول الفردوس

وقد عُرسَ لمولايَ الشيخ الجليل — إن شاء الله — بذلك الشاه ، شجرته في الجنة لذيذُ اجتناء ، كلُّ شجرة منه تأخذُ ما بين المشرق إلى المغرب بظلِّ غاطٍ<sup>(١)</sup>. والولدانُ المُخلَّدونَ في ظلال تلك الشجر قيامٌ وقعودٌ ؛ يقولون — والله القادرُ على كلِّ شيء عزيزٌ — : « نحنُ وهذه الشجر صلةٌ من الله لِعليٍّ بن منصور<sup>(٢)</sup> ، تُنبأُ له إلى نفيخ الصور » وتجري في أصول ذلك الشجر : أنهارٌ مُتخلِّجٌ<sup>(٣)</sup> من ماء الحيوان<sup>(٤)</sup> ، والكوثرُ يمدُّها في كلِّ أوانٍ ، مَنْ شَرَبَ مِنْهَا الثَّغْبَةَ<sup>(٥)</sup> فلا مَوْتَ ، قد أَمِنَ هنالك الْفَوْتَ ؛ وسُعْدٌ<sup>(٦)</sup> مِنَ اللَّبَنِ مُتَحَرِّقَاتٌ<sup>(٧)</sup> ، لا تَغْيَرُ بَأَن تَطُولَ الْأَوْقَاتُ ؛ وَجَعَا فِرْ<sup>(٨)</sup> مِنَ الرَّحِيقِ<sup>(٩)</sup> الْمُخْتَوِمِ ، كما قال علقمة<sup>(١٠)</sup> :

(١) ظليل (٢) هو ابن القارح (٣) تُنْتَزَعُ (٤) الحياة (٥) الجرعة (٦) جمع سعيد ، وهو النهر (٧) متفجرات ، ولعل المعنى تخرقت فيها الرياح : أي ليست برا كدة ، أولعله يعنى أنها متسعة ، من تخرق في الكرم : اتسع فيه (٨) أنهار صغيرة فوق الجداول (٩) أطيب الخمر

(١٠) علقمة الفحل

توفي سنة ٥٦١ م

هو علقمة بن عبدة بن النعمان بن ناشرة التميمي ، شاعر جاهلي لم يدرك الإسلام . وقد سمي : علقمة الفحل ، من أجل أن يتميز في الأخبار من شاعر آخر في قبيلته يسمى : « علقمة الخطمي ابن سهل » أدرك الإسلام وأسلم . وقيل : إنما سمي الفحل لأنه خلف أرا القيس على زوجه بعد أن طلقها لتفضيلها علقمة عليه ، حين حكماها في أيها أشعر ؛ وهي قصة تروى كثيراً في كتب الأدب ببعض الاختلاف ، ونحن نثبتها هنا محررة عن الأغاني ، وموشح الرزباني ، وفيها مثل من حرية النساء ومنزلتهن من الأدب في الجاهلية :

تَشْفِي الصَّدَاعَ وَلَا يُؤْذِيهِ صَالِبُهَا<sup>(١)</sup> وَلَا يُخَالِطُ<sup>(٢)</sup> مِنْهَا الرَّأْسَ تَدْوِيمُ<sup>(٣)</sup>

لما نزل امرؤ القيس في طيء ، تزوج امرأة منهم يقال لها أم جندب . وكان مفرّكاً : تبغضه النساء إذا وقع عليهن . فأتى أم جندب من الليل ، فأبغضته ، فجعلت تقول : « أصبح ليلٌ ، يا خير الفتيان أصبحت ، أصبحت ، قم » فقام ينظر ، فإذا الليل كهيئته ، فقال لها : ما حلك على ما صنعت ؟ قالت : لا شيء . ا قال : لتخبرني ، قالت : « كرهتك ، لأنك ثقيل الصدر ، خفيف العجز ، سريع المرافقة ، بطيء الإفاقة » فلم تزل عنده . فأتاه علقمة بن عبدة ، وكان صديقاً له . فقال أحدهما لصاحبه : أينما أشعر ؟ فقال هذا : أنا ، وقال هذا : أنا ؛ فتنازعا وتلاحيا . فقال علقمة : قد رضيت بامرأتك أم جندب حكماً بيني وبينك . فحكماها . فقالت أم جندب لها : قولوا شعراً تصفان فيه الصيد ، على قافية واحدة ، وروى واحد . فقال امرؤ القيس قصيدته التي مطلعها :

« خيلسلى مرّاً بي على أم جُندب نُقَضَّ لبانات الفؤاد المـذب »

فنتعت فيها فرسه والصيد ، حتى فرغ منها . وقال علقمة : ذهبت من المهرجان في كل مذهب ولم يك حقاً طول هذا التجنب فقالت أم جندب لامرؤ القيس : « فرس ابن عبدة أجود من فرسك . علقمة أشعر منك ! قال لها : وكيف ؟ قالت : لأنك قلت :

فللسوط ألحوب ، وللساق درّة وللزجر منها وقع أخرج يهذب  
( ألحوب : يعنى ألهب جريه حين زجره ، وللساق درة : أى إذا عُزِمَ در بالجرى . والخروج بياض في سواد ، وبه سمى الأخرج وهو ذكر النعام . وهذب : أى مسرع في عدوه )  
فزجرت فرسك بصوتك ، وجهدته بسوطك ، ومريته فأتعبت بساقتك .

وقال علقمة : « فأدر كهن ثانياً من عنانه يمر كمر الزامح المتحلب »  
فأدر ك فرسه الصيد ثانياً من عنانه ، لم يضربه بسوط ، ولم يتعبه .  
فغضب امرؤ القيس ، وقال : ليس كما قلت ، ولكنك هويته . ثم طلقها . فخلفه عليها علقمة . وقد غنى ابن سريج لعلقمة ألياً مطلعها :

« هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبلها — إذ نأنتك اليوم — مصروم »  
وسيمر بك حديثه الخيالي مع ابن القارح في هذا الجزء . وفيه طائفة من رائع شعره  
(١) صالباها : حُمياها (٢) لا يخامر (٣) التدويم : الثوار يعقب السكر .

وَيَمِيدُ إِلَيْهَا الْمَعْتَرِفُ بِكُوثُوسٍ مِنَ الْعَسَجِدِ<sup>(١)</sup> ، وَأَبَارِيقَ خُلِقَتْ مِنْ  
الزَّبْرِجَدِ ؛ لَوْ رَأَاهَا أَبُو زَيْدٍ<sup>(٢)</sup> لَعَلِمَ أَنَّهُ مَا تَشَبَّهَ بِخَيْرٍ ، وَهَزَى بِقَوْلِهِ :

(١) الذهب

(٢) أبو زيد

هو حرملة بن المنذر الطائي ، كان نصرانياً ، ومات على دينه ، وهو من أدرك الجاهلية  
والإسلام ، فعد في المخضرمين .

واسمه ( أبو زيد ) . وقد يسمى ( زَبْدًا ) للتمليح ، قال مخاطب أمه :  
نفسى فداء أبى وهب وقلّ له يا أم زيد ، غلى اليوم أو سبرى  
وقد جاء فى الأغاني : يا أم زيد ، وهو تحريف .  
ونظير هذا التلميح ( الزير ) فقد يسمى ( زبرا )

وكانت صفيّة بنت عبد المطلب أم الزبير بن العوام ترقص ولها الزبير ، وتندد :

« كيف رأيت زبرا

أأقطا أو تمرا ؟

أم قرشياً صقرا ؟ »

ويروى أن طول أبي زيد كان ثلاثة عشر شبراً ، وأنه كان ممن إذا دخل مكة دخلها  
مبتكراً لجماله . وكان من زوار الملوك ، وخاصة ملوك العجم ، عالماً بسيرهم .

وقد اشتهر بوصفه للأسد ، فإنه لقيه أثناء خروجه فى صُيَّابة من أشراف قبائل العرب .  
فأكثر من وصفه بعد ذلك فى شعره ، حتى لامه قومه ، وقالوا له : قد خفنا أن تسبنا العرب  
بوصفك له ، فلم يمرض له بعد ذلك حتى مات . وقد قص على عثمان بن عفان قصة لقائه  
للأسد ، وهى قطعة أدبية من رائع البيان .

وكان أبو زيد يشرب الخمر ، ونادم الوليد بن عقبة أيام ولايته الكوفة لعثمان بن عفان .  
فلما شهد الناس على الوليد بالسكر عند عثمان ، عزله عن الكوفة ، فخرج منها ، فقال أبو زيد  
من قصيدة طويّلة :

« وَأَبَارِيْقُ ، مِثْلُ أَعْنَاقِ طَيْرِ السَّمَاءِ ، قَدْ جِيبَ<sup>(١)</sup> فَوْقَهُنَّ خَنِيْفٌ<sup>(٢)</sup> .  
ولو نظر إليها عَلَقَمَةُ لَبْرِيقٍ<sup>(٣)</sup> وَفَرِقٍ<sup>(٤)</sup> ، وَعِلْمٌ أَنَّهُ قَدْ طَرِقَ<sup>(٥)</sup> .  
مَا ابْنُ عَبْدِةَ وَمَا فَرِيْقُهُ ؟ قَدْ خَسِرَ وَكَسَرَ إِبْرِيْقُهُ . نَظْرَةٌ إِلَى تِلْكَ الْأَبَارِيْقِ  
خَيْرٌ مِنْ بِنْتِ الْكُرْمَةِ الْمَاجِلِيَّةِ ، وَمِنْ كُلِّ رِيْقٍ ضَمِنَتْهُ هَذِهِ الدَّارُ الْخَادِعَةُ .  
وَلَوْ بَصُرَ بِهَا عِدَى بْنُ زَيْدٍ<sup>(٦)</sup> ، لَشَغِلَ عَنِ الْمُدَامِ وَالصَّيْدِ ، وَاعْتَرَفَ بِأَنَّ

من يخنك الصفاء أو يتبدل أو يزل مثل ما تزول الظلال  
فاعلمن أننى أخوك أخو الو د حياتى حتى تزول الجبال  
ليس بخلاك عليك عندى بجال أبداً ما أقبل نعلاك قبال  
ولك النصر باللسان والكف إذا كان لليدين مصال  
وله مع الوليد أفاصيص ، ويروى أنه أوصى بأن يدفن إلى جنبه .

وترجمته الوافية منشورة فى الجزأين الحادى عشر ، والثالث عشر من الأغاني .

- (١) شق أو قد (٢) ثوب غليظ أبيض من الكتان (٣) تحير ، دهش  
(٤) اشتد فزع (٥) ضعف عقله

(٦) عدى بن زيد العبادى

شاعر جاهلى نصرانى ، قبيلته تميم ، وموطنه الحيرة ؛ دخل الأرياف ، فثقل لسانه .  
ومن مختار شعره قوله :

« أَعَاذِلْ مَا يَدْرِيكَ أَنْ مَنِيْقٍ إِلَى سَاعَةٍ فِي الْيَوْمِ ، أَوْ فِي ضَحَى الْغَدِ  
ذَرِيْنِي ، فَإِنِّي إِنَّمَا لِي مَا مَضَى أُمَامِي مِنْ مَالٍ — إِذَا خَفْتُ عَوْدِي  
وَحَمَتِ لَمِيْقَاتِ الْيَمِيْقِ وَغَوْدَرْتُ — إِنْ وَسَدْتُ أَوْلَمَ أَوْسَدَ —  
وَلِلْوَارِثِ الْبَاقِي مِنَ الْمَالِ . فَاتْرَكِي عَتَابِي ، فَإِنِّي مُصْلِحٌ ، غَيْرُ مُفْسِدٍ »  
وقوله من قصيدة أخرى له :

« أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمَعِيرُ بِالْهَرَمِ ! أَنْتَ الْمُبْرَأُ لِلْمُفَوْرِ ؟ »

أَبَارِيقَ مُدَامِهِ أَمْرٌ هَيْنٌ لَا يُعَدُّلُ بِنَابِتٍ مِنْ سَمَصِيسٍ<sup>(١)</sup> ، أَوْ مَا حُقِرَ مِنْ  
خَرْبِصِيسٍ<sup>(٢)</sup> . فَأَمَّا الْأَقْيِشِرُ السَّعْدِيُّ<sup>(٣)</sup> ، فَإِنَّهُ قَالَ - وَلَعَلَّه سِينِدَم - :  
أَفْنَى تِلَادِي<sup>(٤)</sup> وَمَا جَمَعْتُ مِنْ نَسَبٍ<sup>(٥)</sup> قَرَعُ الْقَوَازِيرِ<sup>(٦)</sup> أَفْوَاهَ الْأَبَارِيقِ

الى أن يقول :

« وَتَبَيَّنَ رَبُّ الْخَوَرِ نَقِيبٌ إِذْ أَشْرَفَ يَوْمًا ، وَلِلْهَدَى تَفَكِيرُ  
سِرِّهِ حَالَهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمْلِكُ وَالْبَحْرُ مَعْرَضًا وَالسَّيْدُ  
فَارَعَوَى قَلْبَهُ ؛ فَقَالَ : « وَمَا غَبَطَةُ حَى - إِلَى الْمَات - يَصِيرُ »

\*\*\*

ثم بعد القلاع والملك والأمة وارتهم هناك قبور  
ثم صاروا كأنهم ورق فآلوت به الصبا والدبور .

(١) بقلة رملية حامضة (٢) هنة في الرمل لها بصيص كأنها عين الجراد ، أو نبات له  
حب يتخذ منه طعام ، والفرض هنا التحقير

(٣) الأقيشر

كنيته أبو معرض . موطنه الكوفة . كان أحمر الوجه فسمى الأقيشر ، وكان خليعاً ماجناً  
سكيراً ، وهجاءً مقذحاً . ينضب إذا قيل له « يا أقيشر » . ومن أحسن شعره قوله :  
« وَصَبَاءٌ جَرَجَانِيَّةٌ لَمْ يَطْفُ بِهَا خَنِيفٌ ، وَلَمْ تَنْفَرْ بِهَا سَاعَةٌ قَدَرُ  
أَتَانِي بِهَا يَحْيَى ، وَقَدْ نَمَتِ نَوْمَةٌ وَقَدْ غَابَتِ الشَّعْرَى ، وَقَدْ خَفَقَ النَّسْرُ  
فَقُلْتُ : اصْطَبَحَهَا ، أَوْ لَغَيْرِي فَاهْدَهَا فَمَا أَنَا بَعْدَ الشَّيْبِ - وَيَحْكُ - وَالْخَرُ  
إِذَا الْمَرْءُ وَفَى الْأَرْبَعِينَ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ دُونَ مَا يَأْتِي حَيَاءٌ وَلَا سِتْرٌ -  
فَدَعَهُ ، وَلَا تَنْفَسَ عَلَيْهِ الذَّنَى أُنَى وَإِنْ جَرَّ أَرْسَانَ الْحَيَاةِ لَهُ الدَّهْرُ . »

(٤) قديمى (٥) مال (٦) جمع قازوزة وهى قلع الشرب

ما هو وما شراؤه ؟ تَقَضَّتْ في الخائنة آرابُهُ ا لو عين تلك الأباريق  
لأيقن أنه مُقْتَنَ بالغرورِ ، وَسُرَّ بغير موجب للسرور . وكَمَ عَلَى تلك الأنهارِ  
مِنْ آنيةِ زَبْرَجِدٍ وَياقوتِ ، بين أَصْفَرٍ وَأَحْمَرٍ وَأَزْرَقٍ ، يُخَالُ - إِنْ لُسَ -  
أَحْرَقَ ، كما قال الصنوبري :

تَحْيَلُهُ سَاطِعًا وَهَجُهُ قَتَابِي الدُّنُو إِلَى وَهَجِهِ

وفي تلك الأنهارِ أوان على هيئة الطير السابحة<sup>(١)</sup> ، والغانية عن الماء<sup>(٢)</sup> السابحة ،  
فنها ما هو على صُورِ الْكَرَاكِ ، وَأُخْرُ تُشَاكِلُ الْمَكَاكِي ؛ وعلى خلقِ طواويسٍ  
وَبَطِّ ، فبعضٌ في الجاريةِ وبعضٌ في الشطِّ ؛ يَنبَعُ مِنْ أَفْوَها شَرَابٌ ، كَأَنَّهُ  
- مِنَ الرَّقَّةِ - سَرَابٌ ، لَوْ جَرَعَ مِنْهُ جَرْعَةُ الْحَكَمِيِّ<sup>(٣)</sup> لَحُكِمَ بِأَنَّهُ الْفَوْزُ ، وَشَهِدَ

(١) المائبة (٢) البرية

(٣) ترجمة الحكمي « أبي نواس »

سنة ١٤٥ - سنة ١٩٩ هـ

الحسن بن هاني « الحكمي » ويكنى أبا نواس ، مولده بالأهواز ، ونشأته في البصرة  
( انتقل إليها قبل أن يتجاوز الثانية من عمره )

أسلمته أمه الى عطار ، ولكن نفسه كانت لا تميل الى هذه الصناعة ، لميله الشديد  
الى الشعر ، فكان كثيراً ما ينفش أندية العلم والأدب - حتى مر به الشاعر الماجن الظريف  
« والبة بن الحباب » - وكان أبو نواس معجباً به على السماع - فصحبه ، وسار معه  
الى بغداد ، وسنه أكثر من ثلاثين سنة ، فلقى العلماء والشعراء ، حتى نبه اسمه وطار صيته ،  
وقد اتصل بالرشيد ثم بابنه الامين

ومن مختار شعره قوله في رثاء الأمين :

طوى الموت ما بيني وبين محمد وليس لما تطوى المنية ناشر  
فلا وصل إلا عبرة تستلبيها أحاديث نفس - ما لها الدهر - ذاكر



له كلٌّ وَصَافٍ لِلْخَمْرِ — مِنْ مُحَدَّثٍ وَعَتِيقٍ — أَنْ أَصْنَافَ الْأَشْرَبَةِ الْمُنْسُوبَةِ إِلَى  
الِدَارِ الْفَانِيَةِ ، كَخَمْرِ عَانَةٍ وَأَذْرَعَاتٍ وَغَزَّةٍ وَبَيْتِ رَاسٍ ، وَمَا جُلِبَ مِنْ بُصْرَى ،  
وَمَا اعْتَصِرَ بِصَرْخِيهِ أَوْ أَرْضِ شَامٍ ، وَمَا تَرَدَّدَ ذِكْرُهُ مِنْ كُنَيْتِ بَابِلَ وَصَرْفَيْنِ ،

لئن عمرت دور بمن لا أحبهم ، لقد عمرت ممن أحب المقابر  
وكننت عليه أحذر الموت وحده فلم يبق لي شيء عليه أحاذر  
ومن شعره الذي يمثل نفسه اللاهية الملاجئة قوله :

وداهريّ سما في فرع مكربة من معشر خلقوا — في الجود — غايات  
ناديته بعد ما مال النجوم ، وقد صاح الدجاج — يشرى الصبح — مرات  
فقلت — والليل يجلوه الصباح كما يجلو التبسم عن غر الثنيات — :  
« يا أحمد المرجي في كل نائبة ! قم سيدي انقص جبار السموات ! »

\*\*\*

وهاكها قهوة صفراء صافية منسوبة لقرى رهيت وعانات  
صدمته بحبيهاها لأبسله بالين طورا ، وبالتشديد تارات  
حتى تنفى — وما تم الثلاث له حلو الشائل محمود السجيات :  
« ياليت حظي من مال ومن ولد أني أجالس لبسني بالعشيات »  
ومن غزله في الأمين قوله (١) :

أصبحت صبا ، ولا أقول بمن من خوف من لا يخاف من أحد  
ان أنا فكرت في هواي له حسبت رأسي قد طار عن جسدي  
اني — على ما ذكرت من فرق — لا أمل أن أناله يدي

(١) روي أنه كان يعرب يوماً مع الأمين ، فنشط للباحة فلبس ثياب ملاح . ولبس كوتر (خادم الأمين) مثل ذلك . ووصفا في البركة . فنظر أبو نواس إلى بدن محمد . فرأى ما لم ير مثله ، فلما كان من غد ، جاء الحسين بن المنذر مسلماً عليه . فلما سأله الحسين عن خبره مع الأمين قال له أبو نواس : « ويلك ! رأيت الفتنة ! » ثم حدثه بخبره وأشدد تلك الايات ، فقال له : « وحك انتي الله في رأسك . فانه إن بلغه ذلك قتلك » فأمسك أبو نواس بعد ذلك .

وما هَمِلَ مِنْ أَجْناسِ الْمُسْكِرَاتِ وما وُلِدَ مِنَ النَّخِيلِ : إِذَا كَانَتْ تِلْكَ النُّظْفَةُ<sup>(١)</sup> مَلِكَةً ، لَا تَصْلُحُ أَنْ تَكُونَ بِرَعَايَاهَا مُشْتَبِكَةً<sup>(٢)</sup> . وَيُعَارِضُ تِلْكَ الْمُدَامَةَ أَنْهَارُ مِنْ عَسَلٍ مُصْقَى ؛ مَا كَسَبَتْهُ النَّحْلُ الْغَادِيَةُ إِلَى الْأَنْوَارِ ، وَلَا هُوَ فِي مُومٍ<sup>(٣)</sup> مُنَوَّارٍ ، وَلَكِنْ قَالَ لَهُ الْعَزِيزُ الْقَادِرُ : « كُنْ » فَكَانَ .

وَاهَا لَذَلِكَ عَسَلًا لَوْ جَعَلَهُ الشَّارِبُ الْمَحْرُورُ غِذَاءَهُ طُولَ الْأَبَدِ ، مَا قُدِّرَ لَهُ عَارِضُ مُومٍ<sup>(٤)</sup> ، وَلَا لَبَسَ ثَوْبَ الْمَحْمُومِ ، وَذَلِكَ كُلُّهُ بِدَلِيلِ الْآيَةِ : « مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ ، فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ<sup>(٥)</sup> وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصْقًى ، وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ » فَلَيْتَ شِعْرِي عَنِ النَّعْرِ بْنِ تَوَلَّبِ الْعُكْلِيِّ<sup>(٦)</sup> ، هَلْ يُقَدَّرُ لَهُ أَنْ يَذُوقَ ذَلِكَ الْأَرَى<sup>(٧)</sup> ، فَيَعْلَمَ أَنَّ شُهْدَ الْفَائِيَةِ إِذَا قَيْسَ إِلَيْهِ

(١) الماء القليل (٢) متصلة بها أو منسوبة إليها ، والمقصود أن هذه الخمر على جودتها واختلافها لا تمت بصلة إلى خمر الجنة (٣) شمع (٤) مرض شديد الوطأة (٥) آجن : متغير الطعم واللون

(٦) النمر بن تولب العكلى

شاعر جاهل أدرك الإسلام ، قبيلته عكل ، وقد وفد على النبي ومدحه بشعره ، وكان جواداً ، واسع العطاء ، وهو صاحب البيت للشهور :

أهمي بدعد ما حيت - فان أمت أوكل بدعد من يهيم بها بعدى  
وفى رواية أخرى : « فيا ليت شعري من يهيم بها بعدى ؟ » والبيت ينسب إلى سواء أيضاً وله مجموعة جميلة يرجع إليها من شاء في جهرة أشعار العرب « ص ٢١٦ »

(٧) العسل

وَجَدَ يُشَاكِهُ<sup>(١)</sup> الشَّرِيَّ<sup>(٢)</sup>، وَهُوَ مَا وَصَفَ أُمَّ حِصْنٍ<sup>(٣)</sup> ذَكَرَ حُورَارَى<sup>(٤)</sup>  
بِسَمْنٍ، وَعَسَلًا مُصَنًّى، قَالَ :

« أَلَمْ بِصُحْبَتِي وَهُمْ هُجُوعٌ خَيَالُ طَارِقٍ مِنْ أُمِّ حِصْنٍ  
لَهَا مَا تَشْتَهِي عَسَلًا مُصَنًّى - إِذَا شَأْنَتْ - وَحُورَارَى بِسَمْنٍ »

وَلَوْ خَالَطَ مَنْ<sup>(٥)</sup> مِنْ عَسَلِ الْجَنَانِ مَا خَلَقَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ الْخَادِعَةِ  
كَالْصَّابِ وَالْمَقْرِ<sup>(٦)</sup>، لَمَدُّ مِنَ اللَّذَائِذِ الْمُرْتَقِيَاتِ .

\* \*

وَإِذَا مَنْ اللَّهْ - تَبَارَكَ اسْمُهُ - يُوْرُوْدُ تِلْكَ الْأَنْهَارَ، صَادَ فِيهَا الْوَارِدُ  
سَمَكَ حَلَاوَةً - لَمْ يَزَ مِثْلُهُ - لَوْ بَصَرَ بِهِ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ<sup>(٧)</sup> لاحتقر الهدية التي

(١) يشابه (٢) الحفظل (٣) حبيته (٤) دقيق ينقى من لباب البر  
(٥) اللن : كل ظل ينزل من السماء على شجر أو حجر ويحلو وينمقد عسلا ويحجف جفاف  
الصمغ ، والمن كيل أو ميزان يبلغ رطلين وقيل المن شرعاً مائة وثمانون مثقالاً وعرفاً مائتان  
وثمانون . والمقصود مكيال صغير (٦) المر

(٧) أحمد بن الحسين « المتنبى »

٣٠٣ - ٣٥٤ هـ

اسمه أحمد بن الحسين ، لقبه المتنبى ، كنيته أبو الطيب ، ولادته بالكوفة ، وكان أبوه سقاء  
نشأ أبو الطيب محباً للعلم والأدب ، قوى الحافظة ، فلما ترعرع حمله أبوه الى الشام ينتقل به  
من باديته الى حاضرتها ، واستمر في تلقى العلم ، فأتقن اللغة وتمقى في معرفة حواشيا وحفظ  
الكثير من شعر الجاهلية وغيره

نشأ بعيد الهمة ، كبير النفس ، فلم يقنع بالشهرة الأدبية ، بل طمعت نفسه الى السيادة بالفتح !  
فدعا الى بيعته قوماً من مريديه من أبناء سنه فبايعوه ، وما كاد يتم له ذلك ، حتى وصل  
خبره الى والى البلدة ، فقبض عليه وحبسه ؛ ثم أطلقه الوالى بعد حين .

أَهْدَيْتَ إِلَيْهِ، فَقَالَ فِيهَا :

فيقال انه خرج الى بنى كلب ، وأقام فيهم وادعى أنه علوى ، ثم ادعى النبوة - وفي هذا كلام كثير ربما عدنا الى مناقشته

قالوا : « ولما شاع أمره بين الناس خرج عليه لؤلؤ ، أمير حصن من قبل الأخشيدي ، فقاتله وأسر من كان معه من بنى كلب وغيرهم من قبائل العرب ، وحبسه في السجن دهرًا طويلاً ، حتى كاد يتلف ، فسئل في أمره ، فاستتابه وكتب عليه وثيقة ، وأشهد فيها بطلان ما ادعاه ورجوعه الى الاسلام ؛ وأطلقه . فكان المتنبي كلما ذكر له قرأته بعد ذلك حاول التنصل من تبعته »

\*  
\* \*

ثم اشتهر بالشعر ، فتسابق الملوك الى استدعائه بالجوائز . ومنهم سيف الدولة بن حمدان فقدم عليه المتنبي سنة ٣٣٧ هـ ، ومدحه بكثير من غرر قصائده ، ثم وقع بين المتنبي وابن خالويه النحوى المشهور قول فى مجلس سيف الدولة ، فوثب على المتنبي ، فضرب وجهه بمفتاح كان معه فشجه ، ولم ينافع سيف الدولة عنه .

فغضب المتنبي ، ورحل الى مصر . وتقرب من عدو بنى حمدان كافور الإخشيدي سنة ٣٤٦ هـ وامتدحه انتقاماً من سيف الدولة ، فأكرمه كافور ، ثم ارتاب فيه لما رأى من كبره وتعاليه ، وقال : « يا قوم ! من ادعى النبوة بعد محمد ( صلم ) ، ألا يدعى الملك مع كافور ؟ »

فأم أبو الطيب بغداد ، ثم فارس ، حيث امتدح عضد الدولة ابن بويه الديلمي ، فأجزل عطاه ، وعاد من فارس قاصداً بغداد حيث قتل فى طريقه .

ومن أجل ما تختاره من شعره قوله :

لقد تصبرت حتى لات مصطبر	فالآن أقحم حتى لات مقتحم
لأتركن وجوه الخليل عابسة	والحرب أقوم من ساق على قدم
بكل منصلت ما زال منتظري	حتى أدلت له من دولة الخدم :

أَقْلُ مَا فِي أَقْلَهَا سَمَكٌ يَلْبَبُ فِي بَرَكَةٍ مِنَ الْمَسَلِ (١)

وقوله من قصيدة أخرى :

« قمرست بالآفات حتى تركتها  
وأقدمت لإقدام الأئيّ كأن لي  
ذر النفس تأخذ وسعها قبل بينها  
ولا تحسبن الجحد زقا. وقينة  
وتضريب أعناق الملوك ، وأن ترى  
وتركك في الدنيا دويا ، كأنما  
وفيها يقول :

« ومن ينفق الساعات في جمع ماله  
مخافة فقر ، فالذي فعل الفقر »

\*\*\*

وقوله من قصيدة طويلة :

« يا ساقى ! أخرفي كؤوسكما أم في كؤوسكما هم ونسبيد  
أصخرة أنا ؟ مالى لا تغيرنى هذى المدام ، ولا هذى الأغاريد  
ماذا لقيت من الدنيا ، وأعجبه أئى بما أنا بك منه محسود »

وقد ذكرنا نخبة مختارة من شعره الرائع في كتاب نظرات في تاريخ الأدب الأندلسي  
بمناسبة المقارنة التي عقدناها بينه وبين ابن هانيء الشاعر الأندلسي الذي كان يماصره ،  
وفي كتابنا « صور جديدة من الأدب العربي » إللامة معنى المستزيد فليرجع إليهما من شاء .  
(١) هذا البيت من قصيدة له ارتجلها في صباه حين أهدى إليه عبيد الله بن خلكان هدية  
فيها سمك من سكر ولوز من عسل ، وأولها :

« قد شغل الناس كثرة الأمل وأنت بالكرمات في شغل »

ومنها :

« هدية ما رأيت مهيها  
أقل ما في أقلها سمك  
الا رأيت العباد في رجل  
يسبح في بركة من العسل »

فَأَمَّا الْأَنْهَارُ الْخَمْرِيَّةُ ، فَمَلَبُ فِيهَا أَثْمَاكَ - هِيَ عَلَى صُورِ السَّمَكِ -  
بَحْرِيَّةٌ وَهَرِيَّةٌ ؛ فَإِذَا مَدَّ الْمُؤْمِنُ يَدَهُ إِلَى وَاحِدَةٍ مِنْ ذَلِكَ السَّمَكِ شَرِبَ مِنْ  
فِيهَا عَذْبًا لَوْ وَقَعَتِ الْجُرْعَةُ مِنْهُ فِي الْبَحْرِ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ مَاءُهُ الشَّارِبُ ،  
خَلَّتْ مِنْهُ أَسَافِلُ وَغَوَارِبُ<sup>(١)</sup> ،

### ندامى الفردوس

وَكَأَنِّي بِهِ - وَقَدْ اسْتَحَقَّ تِلْكَ الرُّثْبَةَ - وَقَدْ اصْطَفَى لَهُ نِدَائِي مِنْ أَدْيَاءِ  
الْفِرْدَوْسِ ، كَأَخِي مُثَمَّلَةٍ<sup>(٢)</sup> ، وَأَخِي دَوْسٍ<sup>(٣)</sup> . . . . .

(١) الغارب هو الكاهل ، أو ما بين السنام إلى العنق ، والمقصود به هنا سطح البحر

(٢) أخو مُثَمَّلَةٍ « المبرد »

اسمه محمد بن يزيد ، ويكنى أبا العباس ، وأخا مُثَمَّلَةٍ ؛ ويلقب بالمبرد ، صاحب كتاب الكامل  
الذائع الصيت ؛ وهو الذى يقول فيه الشاعر :

سَأَلْنَا عَنْ مُثَمَّلَةٍ كُلِّ حَى ، فَقَالَ الْقَائِلُونَ : « وَمَنْ مُثَمَّلَةٌ ؟ »

فَقُلْتُ : « مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدٍ مِنْهُمْ » فَقَالُوا : « الْآنَ زِدْتُمْ جِهَالَهُ ! »

(٣) أخو دَوْسٍ « ابن دريد »

٣٢٣ - ٣٢١

اسمه محمد بن الحسن ، كنيته أبو بكر ، وموطنه البصرة - ولد ونشأ بها ، وأخذ من علمائها  
كالرياشي والسجستاني - ثم غادرها إلى عمان أثناء فتنة الرنج التي حدثت بها « ارجع إلى  
ديوان ابن الرومي ( ج ٣ من ص ٤١٩ - ٤٢٧ ) » فأقام بها اثنتي عشرة سنة أخذًا للغة  
والشعر عن الأعراب ، ورجع إلى البصرة شاخصًا إلى فارس منتجعًا إلى شاه بن ميكال وولده ،  
وألف لها كتاب الجهرة - فى اللغة - قتلها الديوان ، وقد أبدع فى مدحها فى مقصورته  
الخلادة حين قال من كلام رائع :

هما اللذان أثبتا لى أملا      قد وقف اليأس به على شفا  
تلافيا العيش - الذى رقه      صرف الزمان - فاستساغ ، وصفا  
وأجريا ماء الحيا لى رغداً ،      فاهتز غصنى بمد ما كان ذوى  
هما اللذان سموا بناظرى      من بمد إغضائى على لذع القذى  
هما اللذان عمرا لى جانباً      من الرجاء ، كان قدما قد عفا  
إلى أن يقول :

إن ابن ميكال - الأمير - انتاشنى      من بمد ما قد كنت كالشئ اللقى  
ومد ضبجى أبو العباس ، من      بمد اقتباض الذرع والباع الوزى

ولما عزلا عن عمالة فارس ، وانتقلا إلى خراسان ، ذهب ابن دريد إلى بغداد سنة ٣٠٨ هـ  
فاحتفى به أهلها ، وأجرى عليه الخليفة « المتتدر » خمسين ديناراً فى كل شهر ، حتى أصيب  
بالفالج ، ومات سنة ٣٢١ .

ومن الملح التى يروىها عنه بعض من حضر مجالسه ، أنه كان يتضجر من يخطئ فى  
قراءته ، فحضر غلام وضئ ، فجعل يقرأ ويكثر الخطأ - وابن دريد صابر عليه - فتعجب  
أهل المجلس ، فقال رجل منهم : « لا تعجبوا ، إن فى وجهه غفران ذنوبه » فسمعها ابن  
دريد ، فلما أراد الرجل أن يقرأ قال ابن دريد : « هات يامن ليس فى وجهه غفران ذنوبه ! »  
قالوا : « فمعجبوا من صحة سمعه مع علوسه » .

وقال بعضهم فيه :

« من يكن للظباء صاحب صيد      فعليه بمجلس ابن دريد

إن فيه لأوجها قيدتى      عن طلاب الملا بأوثق قيد »

ويروون عنه أنه كان مولعاً بالآلات الطرب ، وقد بلغ من حبه الحر أن سائلاً سأله شيئاً ،  
فلم يجد ما يعطيه إلا دن نبيذ ، فأنكر عليه غلامه أن يتصدق به ، فقال : « ليس عندى  
سواه » وقرأ قوله تعالى : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تعبون »

قالوا : وأهدى إليه بمد ذلك عشرة دنان ، فقال لغلامه : أخرجتنا دناناً عشرة ! .

وأخبره طويلة وحياته حافلة وشعره رائع ؛ وهو جدير أن يعنى الأدباء بأدبه وتفهم شخصيته الجذابة ، عناية خاصة ؛ ومقصودته الطويلة من آيات الشعر العربى . وليس يتسع هذا المقام الضيق إلى التوسع فى ترجمته أو التمثل بشعره الجميل ، غير أننا نكتفى من ذلك بآيات قلائل تمد بمثابة إشارات إلى خطره العظيم وشاعريته الباهرة ، فمن ذلك قوله — وهو يمد فى رأينا انتباهاً إلى أحد الأسس الثلاثة التى بنى عليها النقادة الفرنسى تين ( Taine ) نظريته فى تفهم حياة الأدباء ، وهى : « الزمن والبيئة والجنس » — قال :

وكل قرن ناجم فى زمن فهو شبيه زمن فيه بدا

ومن أبدع معانيه قوله فى تلك المقصورة أيضاً :

لو كانت الأحلام ناجتني بما ألقاه يقظان ، لأصماني الردى  
منزلة ، ما خلتها يرضى بها لنفسه ، ذو أدب ولا حجا  
شيم سحاب خلب بارقه وموقف بين ارتجاء ومنى  
فى كل يوم منزل مستوبل يشتف ماء مهجتي ، أو مجتوى  
ما خلت أن الدهر يثني على ضراء — لا يرضى بها ضب الكدى  
أرقم العيش على برض ، فان رمت ارتشافاً ، رمت صعب المنثى

أراجع لي الدهر حولاً كاملاً إلى الذى عود ، أم لا يرتجى ؟  
يادهر ! إن لم تك عتبي ، فأتد ، فان إروداك والعتبي سوا  
رفه على طاللاً أنصبتنى واستبق بعض ماء غصن ملتحي

وهنا يقول ويبدع :

لا تمسبن يا دهر أنى ضارع لنكبة تعرقني عرق المدى  
مارست من لوهوت الأفلاك من جوانب الجو عليه ما شكا  
لكنها نفثة مصدور — إذا جاش لغام من نواحيها — غما  
رضيت قسراً ؛ وعلى القسر رضى من كان ذا مسخط على صرف القضا



وَابْنِ مَسْعَدَةَ الْمُجَاشِعِيِّ<sup>(١)</sup>، وَيُونُسَ بْنِ حَبِيبِ الصَّبِيِّ<sup>(٢)</sup>، فَمَهْمٌ - كَمَا جَاءَ فِي

إِنْ الْجَدِيدِينَ - إِذَا مَا اسْتَوْلَا  
مَا كُنْتُ أَدْرَى - وَالزَّمَانُ مَوْلَعٌ  
أَنْ الْقَضَاءُ قَازِفٌ فِي هَوَاةٍ  
وَنَقْتَمُ هَذِهِ اخْتِارَاتُ بَقُولِهِ مِنْ قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ، فَيَاخُذُ بِالشَّاعِرِيَّةِ الْعَالِيَةِ :

وَبِالشَّعْرِ يَبْدُو لِلرَّءِ صَفْحَةُ عَقْلِهِ  
وَسِيَانٍ مِنْ لَمْ يَتَطَّ لُبُّ شَعْرِهِ  
جَوَانِبُ أَرْجَاءِ الْبِلَادِ مَطْلَةٌ  
أَلَمْ تَرِ مَا أَدَّتِ الْيَنَابِ وَسِيرَتِ  
مِمَّ اقْتَضَبُوا الْأَمْثَالَ صَعْبًا قِيَادَهَا  
وَقَالُوا : الْهَوَى يَقْطَانُ ، وَالْعَقْلُ رَاقِدٌ  
وَمِمَّا جَرَى كَالْوَسْمِ فِي الدَّهْرِ قَوْلُهُمْ :  
وَكَاثِنَارٌ فِي يَسِّ الْمَشِيمِ مَقَالُهُمْ :  
قَدْ سَيَرُوا مَا لَا يَسِيرُ مِثْلُهُ

وَأَحَبُّ أَنْ يَرْجِعَ الْقَارِئُ إِلَى رِثَائِهِ فِي الْجُزْءِ الثَّلَاثِ مِنْ كِتَابِ الْأَمَالِيِّ لِأَبِي عَلَى الْقَالِي  
(ص ٢٢٩) لِيَتَبَيَّنَ مَكَانُهُ فِي قُلُوبِ مُعَاَصِرِهِ . وَلَقَدْ أَصَابَ أَبُو الْعَلَاءِ وَأَحْسَنُ كُلِّ الْإِحْسَانِ  
حِينَ لَقِبَهُ بِشَيْخِ الْأَزْدِ ، أَثْنَاءَ اسْتِشْهَادِهِ بِشَعْرِهِ فِي الْجُزْءِ الثَّلَاثِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ ؛ وَسَيَمُرُّ بِكَ  
ذَلِكَ فِي حِينِهِ

#### (١) الْأَخْضَشُ الْأَوْسَطُ

نَحْوِي ، عَالِمٌ بِاللُّغَةِ وَالْأَدَبِ ، أَخَذَ الْعَرَبِيَّةَ عَنْ سَيَدِيهِ ، وَصَنَّفَ كِتَابًا كَثِيرَةً ، مِنْهَا :  
كِتَابُ تَفْسِيرِ مَعَانِي الْقُرْآنِ

#### (٢) يُونُسُ بْنُ حَبِيبِ الصَّبِيِّ

أَخَذَ الْأَدَبَ عَنْ أَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ ، وَحَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ ؛ وَغَلَبَ عَلَيْهِ النَّحْوُ ، حَتَّى أَخَذَ  
عَنْهُ أَبُو زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ النَّحْوِي ، وَخَلَفَ الْأَحْمَرُ

الكتاب العزيز - : « وَتَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَيْلٍ ، إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ، لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا تُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ »  
 فَصَدْرُ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى <sup>(١)</sup> هُنَاكَ قَدْ غُسِلَ مِنَ الْحَقْدِ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ <sup>(٢)</sup> ،  
 فَصَارَا يَتَصَافِيَانِ وَيَتَوَافِيَانِ ، وَأَبُو بَشِيرٍ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ « سَيَبُويَه » <sup>(٣)</sup> قَدْ رُحِّصَتْ <sup>(٤)</sup>  
 سُودَاهُ قَلْبِهِ مِنَ الضُّغْنِ عَلَى عَلِيِّ بْنِ حَمْزَةَ الْكَسَائِيِّ <sup>(٥)</sup> وَأَصْحَابِهِ لَمَّا فَعَلُوا بِهِ فِي

وقد عرف عنه شدة التعصب لرؤية بن المعجاج ، حتى إنه كان لا يبالي أن يسىء الى  
 بعض ذوى الرفعة والجاه فى سبيل الذود عن أستاذه رؤية ، ومن أدلة تعصبه له ، أنه سئل  
 يوماً : « من أشعر الناس ؟ » قال : « المعجاج ورؤية » فقيل : « لم نمن الرجاز » فقال :  
 « هما أشعر أهل القصيد ، وإنما الشعر كلام ، وأجوده أشعره ! »  
 ومن مؤلفاته كتاب : « معانى القرآن » وكتاب : « اللغات » وكتاب : « الأمثال »

(١) هو المشهور بملعب النحوى اللغوى ، وكان بينه وبين المبرد منافاة

(٢) هو أبو العباس المبرد « وقد مرت ترجمته فى ص (١٦) »

(٣) سيبويه

توفى سنة ١٨٣ هـ

اسمه عمرو بن عثمان مولى الحارث بن كعب ، وكنته أبو بشر ، ولقبه سيبويه - وهى كلمة  
 فارسية معناها « رائحة التفاح » - ونشأته بالبصرة ، وقد أصبحت شهرته فى النحو مضرب الأمثال ،  
 وذاع صيته ونبه شأنه ، ولا سيما بعد كتابه الذى ألفه فى النحو واستبقي اليه الناس استباقاً ،  
 وبلغ من إجلال شأنه وإكبار خطره أن أبا عثمان المازنى قال فيه : « من أراد أن يعمل كتاباً  
 كبيراً فى النحو - بعد كتاب سيبويه - فليستح ! » وقول أبى العباس المبرد - لكل من  
 أراد دراسة هذا الكتاب - : « هل ركبت البحر ؟ » تعظيماً لشأنه  
 وسيبويه أشهر من أن يحتاج الى ترجمة أو تعريف (٤) غسلت

(٥) الكسائى (توفى سنة ١٨٩ هـ)

اسمه على بن حمزة ، ولقبه الكسائى ، وأصله فارسى . وهو أشهر نحاة الكوفة ، أخذ عن

مجلس البرامكة، وأبو عبيدة<sup>(١)</sup> صافي الطوية لعبد الملك بن قريب<sup>(٢)</sup>. «والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعم عقبي الدار» وهو معهم كما قال البكري<sup>(٣)</sup>:

الخليل بن احمد؛ واستقدمه خلفاء بني العباس والبرامكة إلى بغداد لتعليم أبنائهم. اشتهر بمداينة لسيبويه وكثرة التعريض به. وبما يذكر لها منازعتها في مسألة الزنبر والنحلة وتعصب الأمين للكسائي — مع أن الحق مع سيبويه — لأنه معلمه. وقد فصلنا هذه القصة في كتابنا «صور جديدة من الأدب العربي» فلا حاجة لذكرها هنا

(١) أبو عبيدة — توفي سنة ٢٠٩ هـ.

اسمه: معمر، اسم أبيه: المنجي التيمي، كنيته: أبو عبيدة  
انفرد عن بقية الرواة بسعة حفظه لأخبار العرب وأنسابهم وعلومهم وآدابهم، واشتهر بمناظراته مع الأصمعي في مجلس الرشيد  
وكان متمصباً على العرب؛ وكان يرى رأى الخوارج، وكان لحاناً سبياً، وقد أولع بالمثالب حتى إنه ألف فيها كتاباً، ولم ينبج من طمته شريف. وكان شديد الثقة بنفسه، وقد بلغ من مقالاته في الاعتداد بها، ما أثر عنه من قوله: «ما التقي فرسان في جاهلية أو إسلام إلا عرفتهما وعرفت فارسهما»

وهذا كلام يدل على القرو والخللاء، على أنه حفظ لنا كثيراً من أخبار العرب التي كانت تضيع: لولا ما تركه من المؤلفات العديدة، وإن كان لم يصلنا منها إلا النذر اليسير  
(٢) الأصمعي — توفي سنة ٢١٤ هـ

اسمه عبد الملك بن قريب، ولقبه الأصمعي، وقيلته قيس، وموطنه البصرة، وقد قدم إلى بغداد في أيام الرشيد. كان واسع الرواية، حاضر المحفوظ، متبحراً في اللغة؛ ولا أدل على ذلك من الكتب التي أفردا خاصة بأسماء الوحوش والإبل والخليل والنبات والشجر، إلى غير ذلك  
(٣) أعشى قيس — توفي سنة ٢٢٩ م

اسمه ميمون بن قيس، وكنيته أبو بصير، ولقبه الأعشى، وقيلته بكر بن وائل، ومسكنه الحيرة، ومن أكبر ما امتاز به شعره أن العرب كانوا يتغنون به — كما كان هو يتغنى بشعره أيضاً —

ومن ثم دَعَوهُ « صناجة العرب » وهو لقب كبير الخطر يدل على ما أحرزه من صيت ورفعة شأن ولعل أكبر عيوبه أنه كان — فيما يقول مؤرخو الآداب — أول من سن للشعر طريقاً غير محدودة لتكسبه به ، ونحن ننقم عليه هذه الخلة المفقوتة إذا صحت عنه .

أما شعره فرائع فياض بأسمى العواطف والإحساسات ، وهو يتميز بموسيقية خاصة وروح خفيفة ، وأسلوب مشرق بالحياة والقوة . وقد اشتهر بوصفه للخمر ، وكان يشتريها من نصارى الحيرة الذين كان يكثر التردد عليهم والاختلاط بهم ، ويحتمل أن يكون ذلك قد أثر في عقيدته ، فقد قالوا عنه : إنه كان قدرى المذهب ، واستدلوا على ذلك بقوله :

« استأثر الله بالوفاء وبالعد ل ، وولى الملامة الرجال »

وهذا بيت جامع دقيق يصح أن يكون خلاصة مذهب فلسفى — على إيجازه !

\*  
\* \*

أما خطره ، وأثر شعره في نفوس معاصريه الجاهليين ، فقد وصل إلى أبعد حد ، فقد كان لا يمدح أحداً إلا رفهه ، وأكبر دليل على ذلك حكايته المشهورة مع الخلق ، فقد كانت القافية التى امتدحه الأعشى بها سبباً في تزويج بناته الثماني

ولم يفعل أعداء النبي عن هذه لليلة الباهرة التى امتاز بها شعر الأعشى ، فخشوا أن يسلم فيمدح النبي فيذيع أمره ويقبل الناس على دينه ، وعرفوا من الأعشى حبه للمال وحرصه عليه ؛ فعزم أبو سفيان وقومه على إغرائه بالرجوع ورصدوه في طريقه ، فلما وصل إليهم قالوا له : « أين أردت يا أبا بصير ؟ » فقال : « أردت صاحبكم هذا لأسلم » فقالوا : « إنه ينمأك عن خلال ويحرمها عليك ، وكلها لك موافق » قال « وما هن ؟ » فقال أبو سفيان بن حرب : « القمار » قال : « لعل أن أصبت منه عوضاً عن القمار اثم ماذا ؟ » قالوا : « الربا » قال : « ما دنت ولا أدنت اثم ماذا ؟ » قالوا : « الخمر » قال : « أوه . أرجع إلى صباية قد بقيت لى في المهراس فأشربها ! » فقال له أبو سفيان : « وهل لك فى خير مما همت به ؟ » قال : « وما هو ؟ » قال : « نحن وهو الآن فى هدنة ، فتأخذ مائة من الإبل ، وترجع إلى بلدك — سنكتك هذه — وتنتظر ما يصير إليه أمرنا ، فإن ظهرنا عليه ، كنت قد أخذت خلفنا ،

نَارَ عَثَمَ قُضِبَ الرِّيحَانِ مُرْتَفَقًا<sup>(١)</sup> وَقَهْوَةً<sup>(٢)</sup> مُزَّةً<sup>(٣)</sup> رَاوُوقًا<sup>(٤)</sup> خَصِلَ<sup>(٥)</sup>  
لَا يَسْتَفِيقُونَ مِنْهَا وَهَى رَاهِنَةٌ<sup>(٦)</sup> إِلَّا «بَهَاتٍ» وَإِنْ عَلَوْا، وَإِنْ نَهَلُوا  
يَسْعَى بِهَا ذُو زُجَاجَاتٍ لَهُ نُطْفٌ مُقْلَصٌ أَسْفَلَ السَّرِيَالِ مُعْتَمِلٌ<sup>(٧)</sup>  
وَمُسْتَجِيبٌ<sup>(٨)</sup> تَخَالَ الصَّنَجِ<sup>(٩)</sup> يُسَمِّمُهُ<sup>(١٠)</sup> إِذَا تَرَجَّعَ<sup>(١١)</sup> فِيهِ الْقَيْنَةُ الْفُضْلُ<sup>(١٢)</sup>  
وَأَبُو عُيَيْدَةَ يَذْكُرُهُمْ بِوَقَائِعِ الْعَرَبِ، وَمَقَاتِلِ الْفَرَسَانِ، وَالْأَصْمَعِيِّ يُنْشِدُهُمْ  
مَا أَحْسَنَ قَائِلُهُ .

وَتَهَشُّ نَفُوسُهُمْ لِلْعَبِّ، فَيَقْدِفُونَ تِلْكَ الْآيَةَ فِي أَنْهَارِ الرَّحِيقِ، وَيُصَفِّقُهَا<sup>(١٣)</sup>  
الْمَآذِي<sup>(١٤)</sup> الْمَعْتَرِضُ أَيُّ تَصْفِيقٍ؛ وَتَقْتَرِعُ<sup>(١٥)</sup> تِلْكَ الْآيَةَ، فَيُسْمَعُ لَهَا أَصْوَاتٌ،  
تُبْعَثُ<sup>(١٦)</sup> بِمِثْلِهَا الْأَمْوَاتُ، فَيَقُولُ الشَّيْخُ: «آه لِمَصْرِعِ الْأَعْشَى مَيِّمُونَ! وَوددتُ أَنَّهُ

وإن ظهر علينا، أتيته» قال: «ما أكره ذلك» فقال أبو سفيان: «يا معشر قریش ا  
هذا الأعشى، لئن أتى محمد أو اتبعه، ليضرمن عليكم نيران العرب بشعره، فاجمعوا له مائة  
من الإبل» ففعلوا، فأخذها، وانطلق إلى بلده، فلما قرب من اليمامة سقط عن ناقته،  
فدقت عنقه، ودفن بها .

(١) متلفناً — مرتفقاً، وقيل المرتفق هو المتكىء على المرفق (٢) خمرآ (٣) لذیذة الطعم  
— فيها مزازة (٤) إناؤها، وقيل الراووق هو ما يخرج من ثقب اللسان (٥) مبتل — ند،  
فوق يترشف نداء (٦) معدة، دائمة لا تنقطع (٧) النطف واحدتها نطفٌ، وهو القرط؛  
أما المعتمل فالنائب الخفيف الحركة (٨) قيل هو العود، تظن أن الصنج أسممه صوته، فأجابه  
العود (٩) نوع معروف من آلات الطرب (١٠) تُصرفه من شدة إلى لين (١١) هي المنفضلة  
في ثوب واحد أي التوشحة به مخالفة بين أطرافه على عاتقها — وقيل هي التي عليها ثوب بلا  
درع أو التي تحت درعها إزار (١٢) يصفقها: يلطمها، ويمتزج بها . والمعنى أن المآذی الذي  
يعترض أنهار الرحیق يلطم الآیة ويمتزج بما فيها (١٣) العسل الأبيض (١٤) يصك  
بعضها بمضاً (١٥) تحيا بعد الموت

ما صدته قرشاً لما توجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup>، ولو أنه أسلم لجاز أن يكون بيننا في هذا المجلس فينشداً غريب الأوزان، مما نظم في دار الأحران، ويحدثنا حديثه مع هوزة بن علي<sup>(٢)</sup>، وعامر بن الطفيل<sup>(٣)</sup>، وزيد بن مسهر، وغيرهم ممن مدحه أو هجاه، وخافه في الزمن أو رجاه.

(١) ذكرنا قصة ذلك عند ترجمة الأعشى في الصفحتين ٢٢ و ٢٣ من هذا الجزء

### (٢) هوزة بن علي

كان ملكاً على البجامة، وكان نصرانياً فأسلم، ثم ارتد، وذلك أنه قال: «إن جعل لي محمد الأمر من بعده أسلمت ونصرته» فقال النبي (صلم): «لا، ولا كرامة، اللهم اكفنيه» فمات بعد قليل

### (٣) عامر بن الطفيل

فارس قيس، وابن عم لبید، كان أعور عقياً. أتى النبي — صلى الله عليه وسلم — فقال له: «أنجعل لي نصف ثمار المدينة وتجعلني ولي الأمر من بعدك وأسلم؟» فقال — صلى الله عليه وسلم —: «اللهم اكفني عامراً واهد بني عامر» فانصرف وهو يقول: «لأملأنها خيلاً جرداً ورجالاً مرداً، ولأربطن بكل نخلة فرساً» فطمعن في طريقه فمات. ومن مختار شعره قوله:

وإني وإن كنت ابن فارس عامر      وسيدها المشهور في كل موكب  
فما سودتني عامر عن وراثته      أبى الله أن أسمو بأب ولا أب  
ولكنني أحى حماتها، وأتقى      أذاها، وأرى من رماها بمنكب

ومن أجل شعره قوله:

قضى الله في بعض المكاره للفتى      برشد، وفي البعض الهوى، ما يحاذر  
ألم تعلمي أنني — إذا الإلف قادني      إلى الجور — لا أقتاد، والإلف جائر

## نزهة ابن القارح

ثم إنه - أدام الله تمكينه - يخطر له حديث شئ كان يُسَمَّى « النزهة »  
في الدار الفانية ، فيركبُ نجيباً<sup>(١)</sup> من ثُجُبِ الْجَنَّةِ ، خُلِقَ من ياقوتٍ ودُرٍّ ، في  
سَجَسِجٍ<sup>(٢)</sup> بَعْدَ عن الحرِّ والقرِّ ؛ فيسيرُ في الجنة على غير مَنَهِجٍ ، ومعه شئ من  
طعام الخلود ، فإذا رأى نجيبه يُملِّعُ<sup>(٣)</sup> بين كُثْبَانِ المَنَبَرِ ، رفع صوته مُتَمَثِّلاً  
بقول البكري<sup>(٤)</sup> :

لَيْتَ شِعْرِي مَتَى تَحْبُ<sup>(٥)</sup> بَنَا النَّاسُ قَةَ بَيْنَ المَذِيبِ فَالصَّيْبِ<sup>(٦)</sup>  
مُحِبِّ<sup>(٧)</sup> زُكْرَةٍ<sup>(٨)</sup> وَخُبْزِ رَقَاقٍ وَحِيقَا<sup>(٩)</sup> وَقِطْعَةٍ مِنْ نُونٍ<sup>(١٠)</sup>

## حديث الأعشى

فِيهِتَفُّ هَاتِفٌ : « أَتَشْعُرُ أَيُّهَا الْعَبْدُ الْمَغْفُورُ لَهُ ، لِمَنْ هَذَا الشَّعْرُ ؟ »  
فيقول الشيخ : « نعم ، حدثنا أهلُ ثِقَاتِنَا عن أَهْلِ ثِقَاتِهِمْ ، أَنَّ هَذَا الشَّعْرَ  
لِمَيْمُونِ بْنِ قَيْسِ بْنِ جَنْدَلٍ » فيقول الهاتِفُ : « أَنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ ، مَنْ اللَّهُ عَلَى »

(١) جلا كريماً (٢) جو معتدل (٣) يسير سيراً سريعاً وخفيفاً (٤) هو الأعشى  
وقد مرت ترجمته في ص ٢١ و ٢٢ و ٢٣ من هذا الجزء (٥) الخلب : نوع من سير الإبل  
(٦) المذيب والصييون مكانان ببلاد العرب (٧) واضعاً في الحقيقة (٨) زقا صغيراً للخمر  
(٩) الحباقي : الحزمة من القم . وقد شرحها أبو الملاء بقوله : « جرزة البقل » ، ومنه قول الشاعر :  
فَأَتُونَا بِلَرْمَقٍ وَحَبَاقٍ وَشَوَاءٍ مَرْعَبِلٍ وَصَنَابٍ

(١٠) النون : السمك ، ومعنى الأبيات أنه يبدى شوقه الشديد الى ركوب ناقته مسرعة به  
في رحلتها نحو المذيب والصييون ، وقد وضع في حقيقته زق خمر صغيراً وخبز رقاق وحزمة  
من القم وقطعة من السمك ، وهذا هو كل زاده الشهي في تلك الرحلة الجميلة التي يتوق اليها  
( ٤ )

بعد ما صرْتُ مِنْ جَهَنَّمَ عَلَى شَفِيرٍ ، وَيَسْتُ مِنْ الْمَغْفِرَةِ « فَيَلْتَفِتُ إِلَيْهِ  
 الشَّيْخُ هَشًّا بَشًّا مُرْتَحَكًا ، فَإِذَا هُوَ بِشَابِ غُرَانِقٍ <sup>(١)</sup> ، وَقَدْ صَارَ عِشَاءُ حَوْرًا ،  
 وَانْحِنَاءُ ظَهْرِهِ قَوَامًا ، فيقول : « سَحَبَنِي الزَّبَانِيَةُ إِلَى سَقَرٍ ، فَرَأَيْتُ رَجُلًا فِي  
 عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ يَتَلَأْلَأُ وَجْهَهُ تَلَأْلُؤَ الْقَمَرِ ، وَالنَّاسُ يَهْتَفُونَ بِهِ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ <sup>(٢)</sup> :  
 « يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ الشَّفَاعَةُ الشَّفَاعَةُ أَنْتَ بَكْدَا وَنَمْتُ بَكْدَا » فَصَرَخْتُ فِي  
 أَيْدِي الزَّبَانِيَةِ : « يَا مُحَمَّدُ ، أَغْنِنِي ، فَإِنَّ لِي بِكَ حُرْمَةً » فَقَالَ : « يَا عَلِيُّ ! بَادِرْهُ  
 فَاظْطُرْ مَا حُرْمَتُهُ » جَاءَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - وَأَنَا أُغْتَلِّ <sup>(٣)</sup>  
 كُنْتُ أَلْقَى فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ، فَزَجَرْتُمُ عَنِّي ، وَقَالَ : « مَا حُرْمَتُكَ ؟ »  
 فَقُلْتُ : « أَنَا الْقَائِلُ :

أَلَا أَيُّهَا السَّائِلِي أَيْنَ يَمُوتُ	فَإِنَّ لَهَا فِي أَهْلِ يَثْرِبَ مَوْعِدًا
فَكَأَيْتُ لَا أَرِنِي لَهَا مِنْ كَلَالَةٍ	وَلَا مِنْ حَقٍّ حَتَّى تُتْلَقَ مُحَمَّدًا
مَتَى مَا تُثَاخَى عِنْدَ بَابِ ابْنِ هَاشِمٍ	تُرِيحُنِي وَتَلْقَى مِنْ قَوَاضِي نَدَا
أَجِدُكَ <sup>(٤)</sup> لَمْ تَسْمَعْ وَصَاةَ مُحَمَّدٍ	نَبِيِّ الْأَلِيلَةِ حِينَ أَوْصَى وَأَشْهَدَا
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بَرَادٍ مِنَ الثَّقَى	وَأَبْصَرْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا
نَدِمْتُ عَلَى أَنْ لَا تَكُونَ كَمِثْلِهِ	وَأَنْتَ لَمْ تُرْصِدْ <sup>(٥)</sup> لِمَا كَانَ أَرْصَدَا <sup>(٦)</sup>

(١) جميل (٢) الأوب : الطريق ، ومن كل أوب أي من كل طريق أو من كل جهة  
 (٣) يُجَرَّبُ بِنَفْسٍ (٤) أجِدُكَ - بفتح الجيم وكسر ها - أي : أجد منك هذا ، وهو منصوب  
 على نزع الخافض (٥) أَرْصَدَ الرِّقِيبَ أي نصبه على الطريق (٦) معنى الآيات : أيها  
 السائلي أين تذهب بي ناقتي ، إنها ذاهبة إلى يثرب ، إلى محمد بن عبد الله ، وقد أقسمت  
 لا أريحها ولا أشفق عليها مما تعبد من الإعياء والتعب حتى تبلغ أعتاب هذا النبي الكريم ،



وقد كنتُ أومنُ بالله وبالْحَسَابِ ، وأُصدِّقُ بالبعثِ وأنا في الجاهلية الجُهلاءُ »  
 فذهب عليٌّ إلى النبي — صلى الله عليه وسلم — فقال : « يا رسولَ الله ، هذا  
 أعشى قيسٍ : قد روى مدحهُ فيكَ ، وشهدَ أنَّكَ نبيُّ مُرسَلٌ » فقال :  
 « هَلَّا جاءَ في الدارِ السَّابِقَةِ ؟ » فقال عليٌّ : « قد جاء ، ولكن صدقته قُرَيْشٌ  
 وَحُبُّهُ لِلْخَمْرِ » فشفع لي ، فَأَدْخِلْتُ الْجَنَّةَ على أن لا أشربَ فيها خمرًا ،  
 فقررتُ عيناى بذلك . وإنَّ لي منادِحَ<sup>(١)</sup> في العسلِ وماءِ الحيوانِ<sup>(٢)</sup> ، وكذلك  
 من لم يثب من الحمرِ في الدنيا لم يُسْقَها في الآخرةِ

### حديث زهير بن أبي سُلي

وينظرُ الشيخُ في رياضِ الجنة ، فيرى قصرينِ مُئيينِ<sup>(٣)</sup> فيقول في نفسه :  
 « لَأَبْلُغَنَّ هَذَيْنِ الْقَصْرَيْنِ ، فَأَسْأَلُ : لمن هُمَا ؟ » فإذا قُربَ منهما ، رأى على  
 أحدهما مكتوبًا : « هذا القصرُ لزهيرِ بنِ أبي سُلي المزني<sup>(٤)</sup> » وعلى الآخرِ :

فإذا انتهت إلى بابه رأت من كرمه وفواضله ما ينسبها كل ما لقيه من الجهد والنصب . وأنت ،  
 ألم يلفك بربك ما أوصى به هذا النبي لتدرك السبب الذي حفزني إلى لقائه ، لقد حث على  
 التزود من التقى والعمل بما أتى به من التشريع السامي ؛ وبين مآل المتهاونين في تنفيذ تلك  
 الوصايا الحكيمة ومقدار ما يلحق المفرطين من الندم الشديد حين يرون ما يزف من الخير — في  
 الدار الآخرة — إلى من أطاعه وعمل بنصائحه في الدار الأولى

(١) ارجع إلى ص ٢٢ و ٢٣ (٢) جمع مندوحة ، أى سعة أو غنية (٣) ماء الحياة (٤) عابدين

(٥) زهير بن أبي سلى

توفي سنة ٦٣١ م أى قبل البعثة بسنة

هو من مزينة — إحدى قبائل مضر — وقد اشتهرت أسرته بالشعر ، واشتهر بمدحه هرم  
 ابن سنان ، كما اشتهر بالفتوق في إجادة الحكم ، مع الصدق وعدم المباغة ، والبعد عن المعاطلة

« هذا القصرُ لِعَمِيدِ بْنِ الْأَبْرَصِ . . . . . »

في الكلام ، وتجنب حوشى اللفظ ، ومن خير شعره قوله من معلقته :

سأنا فأعطيت ، وعدنا فعدتم ، ومن أكثر التسأل - يوماً - سيحرم  
وكائن ترى من صامت لك معجب زيادة - أو نقصه - في التكلم  
• لسان الفتى نصف ، ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

ثمانين حولا - لا أبالك - يسأم  
ولكننى عن علم ما فى غد عم  
تنته ، ومن نخطئ يمر فيهم  
يفرس بأنياب ، ويوطأ بنسم  
يفره ، ومن لا يتق الشتم يشتم  
على قومه ، يستغن عنه ويذم  
إلى مطمئن البر لا يتجمجم  
وإن يرق أسباب السماء بسم  
يطيع الموالى ، ركبت كل لهدم  
يهدم ، ومن لا يظلم الناس يظلم  
ومن لا يكرم نفسه لا بكرم  
- وإن خالها تخفى على الناس - تعلم  
سملت تكاليف الحياة ، ومن يعيش  
وأعلم ما فى اليوم والأمس قبله  
رأيت المنايا خطب عشواء ، من نصب  
ومن لم يصانع فى أمور كثيرة  
ومن يحمل المروء من دون عرضه  
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله  
ومن يوف لا يذم ، ومن يهد قلبه  
ومن هاب أسباب المنايا ينلته  
ومن يعص أطراف الزجاج ، فإنه  
ومن لم يزد عن حوضه بسلاحه  
ومن يقترب يحسب عدواً صديقه  
ومهما تكن عند امرئ من خليفة  
وقوله من قصيدة أخرى :

أرونا خلة لا ضيم فيها  
فإن ترك السواء ، فليس بيني  
فإن الحق مقطعه ثلاث :

وقوله :

ألا ليت شعرى أهل يرى الناس ما أرى  
من الأمر ؟ أو يبدو لهم ما بدا ليا ؟

.....

بدا لى أن الناس تنفى نفوسهم  
وأنى متى أهبط من الأرض تلع  
أرانى - إذا أمسيت - أمسيت ذاهوى  
إلى حفرة أهوى إليها مصمة  
وأموالهم ، ولا أرى الدهر فانيا  
أجد أثراً قبلى جديداً وعافيا  
فَمَ - إذا أصبحت - أصبحت غاديا  
يبحث إليها سائق من وراثيا •

بدا لى أن الله حق فزادنى  
بدا لى أنى لست مدرك ما مضى  
وما إن أرى نفسى تقيها منيقى  
وقوله :  
إلى الحق تقوى الله ، ما كان باديا  
ولا سابق شيئاً إذا كان جاثيا  
وما إن تقي نفسى كرائم ماليا

ولا تكثر على ذى الضغن عتبا  
ولا تسأله عما سوف يبدى  
متى تك فى صديق أو عدو  
وقوله :  
ولا ذكر التجرم للذنوب  
ولا عن عيبه لك فى الغيب  
تخبرك الوجوه عن القلوب

وذى نسب ناء بعيد وصلته  
وذى نعمة تمتها وشكرتها  
دفعت بمرور من القول صائب  
وذى خلل فى القول ، يحسب أنه  
عبأت له حلماً وأكرمت غيره  
وقوله :  
بمال ، وما يدرى بأنك واصله  
وخصم يكاد يقلب الحق باطله  
إذا ما أضل الناطقين مفاصله  
مصيب ، فما يلزم به فهو قائله  
وأعرضت عنه وهو باد مقاتله

إن كنت لا ترهب ذى ، لما  
فاخش سكوتى - إذ أنا منصت  
السامع الهم شريك له  
مقالة السوء إلى أهلها  
تعرف من صفى عن الجاهل  
فيك لسموع خنا القائل  
ومطعم المأكول كالآكل  
أسرع من منحدر سائل

الأسدي<sup>(١)</sup> « فيعجب من ذلك ويقول : « هَذَانِ مَاتَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَلَكِنْ

ومن دعا الناس إلى ذمه ذموه بالحق وبالباطل  
فلا تهج - إن كنت ذا إربة - حرب أخى التجربة الماقل  
فإن ذا العقل - إذا هجته - هجت به ذا خبل خابل  
تبصر من عاجل شداته عليك غب الضرر الآجل  
وهذه القصيدة تنسب لزهير مرة ، ولمحمد بن حازم الباهلي أخرى

(١) عبيد بن الأبرص الأسدي

توفي سنة ٥٥٥ م

قبيلته مضر ، وهو من بنى أسد ، عمر طويلا حتى قتله المنذر بن ماء السماء حين ورد عليه  
في يوم بؤسه . وتفصيل ذلك أن المنذر غضب يوما ، فقتل نديين له من بنى أسد ؛ فلما أصبح  
ندم ، فبنى على قبريهما ضريحين أسماهما : الغريين ، وجعل لنفسه يومين في السنة يجلس فيهما  
هناك - أسمى أحدهما يوم النعم والآخر يوم البؤس ؛ فكان أول من يطلع عليه في يوم النعم  
يعطيه مائة من الإبل ، وأول من يطلع عليه في يوم البؤس يقتله ويطلى بدمه الغريين . وقد  
اتفق أن جاءه عبيد في يوم بؤسه فقتله

ومن مختار شعره قوله :

لكل ذى غيبة إياب وغائب الموت لا يؤوب

وقوله :

من يسأل الناس يحرموه ومسائل الله لا يخيب

وأكثر أبيات معلقته غير جار على الوزن العربي المعروف ، واختلال الوزن فيها  
واضطرابه ظاهرا . كقوله :

أفلح بما شئت قد يبلغ بالضغف وقد يخدع الأريب

وقد أشار أبو العلاء إلى ذلك فقال :

وقد يخطيء الرأي امرؤ - وهو حازم - كما اختل في وزن القريض عبيد

رَحْمَةُ رَبِّنَا وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَسَوْفَ اتَّخِذُ لِقَاءَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ، فَأَسْأَلُهُمَا :  
 « بِمِ غُفْرٍ لَّهُمَا ؟ » فَيَتَذَرُ بَرْهِيْرَ، فَيَجِدُهُ شَابًا كَأَنَّ هَرَّةَ الْجَنَّةِ، كَأَنَّهُ مَا لَبَسَ  
 جِلْبَابَ هَرَمٍ، وَلَا تَأْفَفَ مِنَ الْبَرَمِ<sup>(١)</sup>، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ فِي الْمِيْمَةِ :  
 « سَمِئْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ ثَمَانِينَ حَوْلًا - لَا أَبَالِكَ - يَسْأَلُ »  
 وَلَمْ يَقُلْ فِي الْآخَرِ :

« أَلَمْ تَرْنِي تُصْرِتُ تِسْعِينَ حِجَّةً وَعَشْرًا تَبَاعَا عِشْتَهَا وَثَمَانِيَا »  
 فيقول : « جَيْرٍ، جَيْرٍ<sup>(٢)</sup>، أَنْتَ أَبُو كَعْبٍ وَيُحْيِيْنَا » فيقول : « نَعَمْ »  
 فيقول : « بِمِ غُفْرٍ لَكَ، وَقَدْ كُنْتَ فِي زَمَانِ الْفَتْرِ وَالنَّاسُ هَمَلُ، لَا يَحْسُنُ مِنْهُمْ  
 الْعَمَلُ ؟ » فيقول : « كَانَتْ نَفْسِي مِنَ الْبَاطِلِ نَفُورًا، فَصَادَفْتُ مَلَكًا غُفُورًا؛ وَكُنْتُ  
 مُؤْمِنًا بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَرَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ جِبَلًا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ فَن تَعْلُقُ بِهِ مِنْ  
 سُكَّانِ الْأَرْضِ سَلَمٌ. فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَمْرٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، فَأَوْصَيْتُ بَنِيَّ وَقُلْتُ لَهُمْ عِنْدَ  
 الْمَوْتِ : « إِنْ قَامَ قَائِمٌ يَدْعُوكُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ فَأَطِيعُوهُ » وَلَوْ أُدْرِكْتُ « مُحَمَّدًا »  
 لَكُنْتُ أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ. وَقُلْتُ - فِي الْمِيْمَةِ - وَالسُّفَةُ ضَارِبُ الْجُرَانِ<sup>(٣)</sup> - :

وتعليل هذا الاختلال والاضطراب في نظرنا، أَنَّهُ كَانَ - فِيمَا نَظُنُّ - يَوْعُ الْقَصِيْدَةِ عَلَى  
 نَفْثَةٍ خَاصَةٍ بِهِ، غَيْرَ تِلْكَ الَّتِي كَانَ يَوْعُ عَلَيْهَا سِوَاهُ مِنَ الْعَرَبِ، فَلَوَاحْتِدْبَانِ إِلَى طَرِيقَةِ  
 إِنْشَادِهِ الْخَاصَةِ، وَالْأَسْلُوبِ الَّذِي كَانَ يَفْنَى بِهِ هَذَا الْوِزْنَ الْجَدِيدَ، لَمَا أَحْسَسْنَا فِي مَعْلَقَتِهِ شَيْءَ  
 مِنَ الشُّذُوذِ الَّذِي نَحْسُهُ فِيهَا الْيَوْمَ  
 وَمَا يُمَثِّلُ بِهِ مِنْ شَمَرِهِ بَيْتَهُ الرَّائِعَ قَوْلُهُ :

لَا أَعْرِفُكَ بَعْدَ الْمَوْتِ تَنْدَبِي . وَفِي حَيَاتِي مَا زَوَدْتَنِي زَادًا

(١) الضَّجْرُ (٢) نَعَمْ، نَعَمْ (٣) الْجُرَانُ : مُقَدِّمُ عُنُقِ النَّاقَةِ، وَالضَّرْبُ بِالْجُرَانِ  
 كُنَايَةٌ عَنِ الْإِقَامَةِ

فَلَا تَكْتُمُنَّ اللَّهَ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ لِيَعْلَمَ، وَمَنْهَا يُكْتَمُ : اللَّهُ يَعْلَمُ  
يُؤَخِّرْ فَيُوضِعْ فِي كِتَابٍ فَيُدْخِرْ لِيَوْمِ حِسَابٍ، أَوْ يُقَدِّمَ فَيُنْتِمِ (١)  
فيقول : أَلَسْتَ الْقَائِلَ :

وَقَدْ أَعْدُو عَلَى بُنَى كِرَامٍ نَشَاوَى (٢) وَاجِدِينَ لَنَا نَشَاءُ  
يَجْرُوثُ الْبُرُودَ وَقَدْ تَمَشَّتْ حُمَيَّا (٣) الْكَاسُ فِيهِمْ وَالْفَنَاءُ (٤)

أفأطلقت لك الحر كغيرك من أصحاب الخلود، أم حرمت عليك مثلما حرمت على أعشى قيس ؟ فيقول زهير : « إِنَّ أَخَا قَيْسٍ أَدْرَكَ مُحَمَّدًا ، فَوَجَبَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ ، لِأَنَّهُ بُعِثَ بِتَحْرِيمِ الْحَرِّ وَحَظَرِ مَا قُبِحَ ، وَهَلَكْتُ أَنَا وَالْحَرُّ كغیرها من الأشياء ، يشرّبها أتباع الأنبياء . فلا حجة على » ، فيدعوه الشيخ إلى المنادمة ، فيجده من ظراف الندماء ، فيسأله عن أخبار القدماء .

### حديث عبيد

ثم ينصرف إلى « عبيد » فاذا هو قد أعطى بقاء التأييد (١) ، فيقول : « السلام عليك يا أخا بنى أسد » فيقول : « وعليك السلام - (وأهل الجنة أذكيا) - لملك تريد أن تسألني بـم غفر لي ؟ » فيقول : « أجل . وإن في ذلك لعجبا ! »

(١) يقول : اتروا الرياء فلا فائدة منه ، ولا تخفوا ما تضربون ، فإن الله عليم بذات الصدور ، وهو مجاز كل إنسان بما يضمره عاجلاً أو آجلاً (٢) جماعة (٣) سكارى (٤) حميا الكأس : سورتها وشدتها ، أو إسكارها وأخذها بالرأس (٥) معنى البيتین : ويارب مجلس أس غدوت اليه فتعت فيه بمنامة إخوان كرام صفا بهم وقتنا ، واكتمل بجمعهم أنسنا ، ولم ينقصنا شيء من جالبات السرور ، وقد تمكنت سورة الحر من رموس هؤلاء الندماء ، فمشوا مترنحين يختالون في أبرادهم (٦) التأييد : الخلود

فيقول عبيدٌ: «إني دخلتُ الهاويةَ، وكنتُ قُلتُ في أيام الحياة:

من يَسْأَلِ الناسَ يَحْرُمُوهُ وسائلُ الله لا يَنْجِبُ

وسارَ هذا البيتُ في آفاقِ البلادِ، فلم يزلْ يُنشدُ ويخفُّ عني العذابُ،  
حتى أطلقتُ من القيودِ والأصفادِ؛ ثم كرَّرْتُ إلى أن شَمِلَتْنِي الرَّحْمَةُ بِرِكةِ هذا  
البيتِ. «وإنَّ رَبَّنَا لَنَفُورٌ رَحِيمٌ»

فإذا سَمِعَ الشيخُ ما قالَ ذاكِ الرِّجُلانِ، طَمِعَ في سلامةِ كثيرٍ من  
أصنافِ الشعراءِ.

حديثِ عدي بن زيد<sup>(١)</sup>

فيقولُ لَمَسِيدٍ: «ألكَ عِلْمٌ بِعَدِيِّ بْنِ زَيْدِ الْعِبَادِيِّ؟ فيقولُ: «هذا منزلهُ  
قريباً منك». «فيقفُ عليه، فيقولُ: «كيفَ كانتَ سلامتكَ عَلَى الصراطِ؟»  
فيقولُ: «إني كنتُ عَلَى دِينِ الْمَسِيحِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَ أَنْ  
يُيَعِّتَ «مُحَمَّدٌ» فَلَا بَأْسَ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا التَّبَعَةُ عَلَى مَنْ سَجَدَ لِلْأَصْنَامِ». .  
فيقولُ الشيخُ: «لقدَ هَمَمْتُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ بَيْتِكَ الَّذِي اسْتَشْهَدَ  
بِهِ سَيِّدِي وَهُوَ قَوْلُكَ:

أَرْوَاحٌ مُودَعٌ أَمْ مُبْكُورٌ أَنْتَ فَانْظُرْ لِأَيِّ حَالٍ تَصِيرُ  
فإنه يزعمُ أنَّ (أنتَ) يجوزُ أَنْ تُرْفَعَ بفعلٍ مُضْمِرٍ يفسره قَوْلُكَ: فانظرُ،  
وَأَنَا أَسْتَعْمِدُ هَذَا الْمَذْهَبَ وَلَا أَظُنُّكَ أَرَدْتَهُ» فيقولُ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ: «دَعْنِي مِنْ  
هَذِهِ الْأَبَاطِيلِ ا»

« ولكنى كنتُ فى الدار الفانية صاحبَ قنصٍ ، فهل لك أن تزكبَ فرسينِ من خيلِ الجنة ، فتبعنهما على صيراتها<sup>(١)</sup> ، وخطان<sup>(٢)</sup> نعامها ، وأسرابِ ظلماتها ، وعانات<sup>(٣)</sup> حمرها ، فإن للقنصينِ لذةً ! » فيقول الشيخ : « إنما أنا صاحبُ قلمٍ ، ولم أكن صاحبَ خيلٍ ! وما يؤمننى إذا زكبتُ طرفاً - وأنا كما قال القائلُ :

لَمْ يَزَكِبُوا الْخَيْلَ إِلَّا بَعْدَ مَا كَبَرُوا فَهُمْ يُقَالُ عَلَى أَكْتَفِهَا عُفُفٌ  
 أَنْ يَلْحَقْنِي مَا لِحَقَ صَاحِبَ الْمُتَجَرِّدَةِ لَمَّا هُلِ عَلَى الْيُخْمِومِ ؟ وَيُحْزَنُ أَنْ  
 يَقْدَفَنِي السَّابِجُ<sup>(٤)</sup> عَلَى صَخُورِ زُرْمِدٍ ، فَيَكْسِرُ لِي عَصْدًا أَوْ سَاقًا ، فَأَصِيرُ ضُحْكَةً  
 فِي أَهْلِ الْجَنَانِ ! » فَيَتَسَمَّ عَدِيٌّ ، ويقولُ : « وَيَنْحَكَ ! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْجَنَّةَ  
 لَا يُزْهَبُ لَدَيْهَا السَّقَمُ ، وَلَا تَنْزِلُ بِسُكْنِهَا النِّقَمُ ؟ » فَيَزَكِبَانِ سَابِجَيْنِ مِنْ  
 خَيْلِ الْجَنَّةِ ، مَرْكَبُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لَوْ عُذِلَ بِمَالِكِ الْعَاجِلَةِ مِنْ أَوْلَاهَا إِلَى  
 آخِرِهَا لَرَجَعَ بَهَا<sup>(٥)</sup> ، وَزَادَ فِي الْقَبِيَةِ عَلَيْهَا ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَى صُورِ<sup>(٦)</sup> تَرَنُّعٍ فِي رِيَاضِ  
 الْفِرْدَوْسِ ، صَوَّبَ الشَّيْخُ الرَّمْحَ لِأَخْنَسِ<sup>(٧)</sup> ذِيَالٍ<sup>(٨)</sup> ، فَإِذَا لَمْ يَبْقَ بَيْنَ السَّنَانِ  
 وَبَيْنَهُ إِلَّا قَيْدُ ظُفْرِ ، قَالَ : « أَمْسِكْ - رَحِمَكَ اللَّهُ - فَإِنِ لَسْتُ مِنْ وَحْشِ  
 الْجَنَّةِ الَّتِي أَنْشَأَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ ، وَلَمْ تَكُنْ فِي الدَّارِ الزَّائِلَةِ ، وَلَكِنِ كُنْتُ أَرُوضُ فِي

(١) الصيران جمع صيار وهى لغة فى صوار ، والصوار بالضم ( ويكسر ) : القطيع من بقر

الوحش (٢) جماعات النعام (٣) العانة : القطيع من حمر الوحش (٤) الحصان الذى إذا

جرى صار كأنه يسبح (٥) فى اللغة : رجح الشيء الشيء : زاد وزنه عليه . وفيها أيضاً :

راجحه فرجحه ، أى وازنه فكان أكبر منه وزناً . ولم نجد رجح به فيما بين أيدينا من كتب اللغة -

فلعله تجوز فى التعمدية (٦) جماعة من بقر الوحش (٧) ثور وحشى (٨) طويل الذيل



بعض الإفكار، فَرَبِّي رَكْبٌ مُؤْمِنُونَ قَدْ أَكْرَى<sup>(١)</sup> زَادُمْ، فَصَرَعُونِي، وَاسْتَمَانَا  
بِي عَلَى السَّفَرِ، فَمَوَّضَنِي اللَّهُ بِأَنْ أَسْكَنَنِي فِي الْخُلُودِ. فَيَكْفِ عَنْهُ الشَّيْخُ، وَيَعْمِدُ  
لِلْمَلِجِ<sup>(٢)</sup> وَخَشِي، مَا التَّلَفُ عِنْدَهُ بِمَخَشِي؛ فَإِذَا صَارَ الْخَرَصُ<sup>(٣)</sup> مِنْهُ بِقَدْرِ أَثْمَلَةٍ  
قَالَ: «أُمِسْتُ يَا عَبْدَ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ أَنَّمْ عَلَيَّ وَرَفَعَ عَنِّي الْبُؤْسَ؛ وَذَلِكَ أَنِّي  
صَادَقْتُ صَائِدًا يَخْلُبُ، وَكَانَ إِهَابِي<sup>(٤)</sup> لَهُ كَالسَّلَبِ<sup>(٥)</sup>؛ فَبَاعَهُ فِي بَعْضِ الْأَمْصَارِ،  
فَاتَّخَذَ مِنْهُ غَرَبًا<sup>(٦)</sup>، شَفِي بِمَاءِهِ الْكَرْبُ، وَتَطَهَّرَ بِتَرْيَمِهِ<sup>(٧)</sup> الصَّالِحُونَ،  
فَشِمِلْتَنِي بَرَكَةٌ مِنْ أَوْلَئِكَ، فَدَخَلْتُ الْجَنَّةَ ارْزُقُ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ» فيقول  
الشَّيْخُ: «فِيَنبَغِي أَنْ تَمَيِّزَنَ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُنْ دَخَلَ الْفَانِيَّةَ، فَيَجِبُ أَنْ يَخْتَلِطَ  
بِوَحُوشِ الْجَنَّةِ» فيقولُ ذَلِكَ الْوَحْشِيُّ: «لَقَدْ نَصَحْتُنَا نَصَحَ الشَّافِعِيِّ، وَسَوْفَ  
نَمْتَلِ مَا أَمَرْتَ».

### حَدِيثُ الْهُذَلِيِّ<sup>(٨)</sup>

وَيَنْصَرِفُ مَوْلَايَ الشَّيْخُ وَصَاحِبُهُ عِدِّي، فَإِذَا هُمَا بِرَجُلٍ يَحْتَلِبُ نَاقَةً فِي إِهَابِهَا  
مِنْ ذَهَبٍ، فَيَقُولَانِ: «مَنْ الرَّجُلُ؟» فيقولُ: «أَبُو ذُوَيْبٍ الْهُذَلِيُّ»،

(١) أَكْرَى: زَادَ وَقَصَّ - ضَدَّ - وَالرَّادُ هُنَا النِّقْصَانُ (٢) الْمَلِجُ: الْحَارُ

(٣) الْخَرَصُ - بِنَتِجِ الْخَاءِ وَكُسْرُهَا - : السَّنَانُ أَوْ الرِّمْحُ الْقَصِيرُ (٤) جَلْدِي

(٥) مَا يَسْلُبُهُ الرَّجُلُ مِنْ قَرْنِهِ (٦) الْغَرَبُ: الدَّلْوُ الْعَظِيمَةُ (٧) مَا يَنْتَزَعُ مِنَ الْمَاءِ

(٨) أَبُو ذُوَيْبٍ الْهُذَلِيُّ

اسمه خويلد بن خالد، وهو شاعر جاهلي إسلامي، خرج مع عبد الله بن الزبير في غزوة فُتات  
ومما يروونه عنه أنه كان يهوى امرأة من قومه؛ وكان قد وجه رسولاً إليها من قومه  
يقال له خالد بن زهير، فخافه، فقال:

فيقولان : « حَيِّتَ وَسَعِدْتَ ، اَتَحْتَلِبُ مع أنهارٍ من لبنٍ ا » فيقول :  
« لا بأس . إنما خَطَرَ لِي ذلك ، مِثْلَمَا خَطَرَ لَكِما التَّقْنَصُ ، وإني ذَكَرْتُ قَوْلِي  
في الدهر الأول :

تريدن كيا تجمعي وخالدا وهل يجمع السيفان - ويحك - في غمد  
أخالد ! ما رايت منى قرابة فتحفظني في الغيب أو بعض ما تبدى  
ومن غريب المصادفات أن أبا ذؤيب هذا كان قد خان في هذه المرأة ابن عمه « مالك بن  
عوير » فاتهمز خالد هذه المناسبة ليعيره بها ، ويتخذ منها تكةً يبرر بها خيائته ، فقال :  
فلا تمزعن من سنة - أنت سيرتها - وأول راض سنة من يسيرها  
وكنتم إماماً للعشيرة ، تنتهى إليك - اذا ضاقت بأمر صدورها  
ألم تنتفضها من ابن عوير وأنت صفي نفسها ووزيرها ؟  
وفي هذه الأبيات تهكم لاذع وسخرية قاتلة ؛ وفيها أيضاً هارة وافتنان في إظهار هذا  
التهكم ، وفيها حجة مفهومة لا تقبل النقض . وأتى يتنصل ، وبأى حق يجزع من معاملة الناس  
بمثل ما عاملهم به ؟ أليس من أصدق الصديق قوله : « وأول راض سنة من يسيرها » ! نعم  
ولا نحسب القارئ في حاجة إلى تنبيه إلى ما في البيتين الآخرين من الجمال والفن !  
ومن مختار شعر أبي ذؤيب قوله لخالد بن زهير هذا ، وهو من أجود الشعر :

فأجل البختي - عام غياريه - عليه الوسوق برها وشعرها  
بأكثر مما كنت حملت خالداً ، وشر أمانات الرجال غرورها !

إلى أن يقول :

فإن حراماً أن أخون أمانة وآمن نفساً ليس عندي ضميرها  
أحاذر - يوماً - أن تبين قرونتي ويسلمها إخوانها ونصيرها  
وما يحفظ المكتوم من سر أهله إذا عقد الأسرار ضاع كبيرها  
من الناس ، إلا ذو وفاء بعينه على ذاك منه صدق نفس وخيرها

رعى خالد سري ليالى نفسه \*  
توالى على قصد السبيل أمورها

وإِنْ حَدِيثًا مِنْكَ لَوْ تَعْلَمِيْنَهُ جَنَى النَّحْلِ فِي أَلْبَانِ عُودٍ<sup>(١)</sup> مَطَافِلِ  
مَطَافِلَ أَبْكَارِ حَدِيثٍ تَبَاجُهَا ، تُشَابُ بِمَاءٍ مِثْلِ مَاءِ الْمَفَاصِلِ<sup>(٢)</sup>  
فَقِيضَ اللَّهُ بِقُدْرَتِهِ لِي هَذِهِ النَّاقَةُ مُطْفِلًا ، فَقُمْتُ أَخْتَلِبُ عَلَى الْعَادَةِ .  
وَأُرِيدُ أَنْ أَشُوبَ ذَلِكَ بِضَرْبِ<sup>(٣)</sup> نَحْلِ . « فَإِذَا امْتَلَأَ إِيْنَاؤُهُ مِنَ الرَّسْلِ<sup>(٤)</sup> ، كَوْنًا  
الْبَارِي - جَلَّتْ عَظَمَتُهُ - خَلِيَّةً مِنَ الْجَوْهَرِ ، رَتَعَ ثَوْلَهَا<sup>(٥)</sup> فِي الزَّهْرِ ؛ فَاجْتَنَى  
ذَلِكَ أَبُو ذُوَيْبٍ وَمَنْجَ حَلِيْبُهُ ، فيقولُ : « أَلَا تَشْرَبَانِ ؟ » فيَجْرَعَانِ مِنْ ذَلِكَ  
الْمِحْلَبِ<sup>(٦)</sup> جُرْعًا لَوْ فُرِقَتْ عَلَى أَهْلِ « سَقَر » لَفَازُوا بِالنَّحْلِ ، فيقولُ عَدِيٌّ :  
« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ، لَقَدْ جَاءَتْ  
رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ . وَنُودُوا : أَنْ تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ »

### حديث النابغتين

ويعضى في نَزْهَتِهِ تِلْكَ بَشَابِيْنِ يَتَحَادَثَانِ ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى بَابِ قَصْرِ  
مِنْ دِرٍّ ، قَدْ أَغْنَى مِنَ الْبُؤْسِ وَالضَّرِّ ؛ فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِمَا وَيَقُولُ : « مَنْ أَنْتَا ؟ »

فلما تراماه الشباب وغيه	- وفي النفس منه غدره وفجوره -
لوى رأسه غنى ، ومال بوده	أغانيج خود كان قدما يزورها
تعلقه منها دلال ومقلة	تظل لأصحاب السقام تدبرها

(١) جمع عائذ، وهي القرية العهد بالنتاج (٢) ماء المفاصل: هو الماء بين جبليْن من رمل  
ورضراض ، وهو من أصنى أنواع المياه وأعذبها ، ومعنى البيتين : إن لأحاديثك الجميلة لذة  
عظيمة أجدها في نفسي ، وعذوبة لا يماثلها إلا عذوبة الشهد امتزج بأصنى ألبان الإبل  
(٣) الضرب : العسل (٤) اللبن (٥) الثول : جماعة النحل (٦) إِيْنَاء اللبن

— رَحِمَكُمُ اللَّهُ — وقد فَعَلَ<sup>(١)</sup> ، فيقولان : « نَحْنُ النَّابِغَتَانِ : نَابِغَةُ بَنِي جَعْدَةَ<sup>(٢)</sup> وَنَابِغَةُ بَنِي ذِيَّانَ »

(١) أى قد رحهما الله بإدخالهما الجنة

(٢) النابغة الجعدي — توفى سنة ٥٨ هـ بأصبهان

كنيته أبو ليلى ، ولقبه النابغة الجعدي ، وهو قيس بن عبد الله الجعدي ، شاعر مخضرم ، اشتهر بوصف الخليل وإنكار الحر في الجاهلية وهجر الأزلام والأوثان ، وقد عمر في الاسلام حتى شهد مع عليٍّ وقائع صفين ، وظهره بيده ولسانه وشخصية الجعدي من الشخصيات الجذابة ، وشعره جميل يزينه الصدق والدقة وعزة النفس . ومن أجل ما نختاره منه رائيته المشهورة التي مدح بها النبي ( ص ) حين وفد عليه ، وفيها يقول :

ولا خير في حلم ، إذا لم يكن له      بوادٍ ، تحصى صفوه أن يكدره  
ولا خير في جهل ؛ إذا لم يكن له      حلیم - إذا ما أورد الحلم أصدره  
وهذا أبرع وأشمل من بيت المتنبي الذي اقتبس فيه هذا المعنى فقال :

وضع الندي - في موضع السيف - بالعلی      مضر ، كوضع السيف في موضع الندي  
وما أروع ما قاله الجعدي في تلك القصيدة :

وإن جاء أمر لا تطيقان دفعه      فلا تجزعاً مما قضى الله ، واصبرا  
ألم تريا أن الملاماة نفعها      قليل ، إذا ما الشيء ولى وأدبرا  
تهيج البكاء والندامة ، ثم لا      تغير شيئاً غير ما كان قدرا  
إلى أن يقول :

وإنا لقوم ، ما تعود خيلنا - إذا ما التقينا - أن تحيد وتنفرا

\*

وعند ما تولى معاوية الخلافة ، كتب إلى مروان أن يأخذ أهل النابغة وماله ، فدخل النابغة على معاوية — وعنده مروان — وأنشد أبياتاً ؛ من أروعها وأدلها على إباءه وشجاعته ، وأدقها في تصوير نفسه العالية وشاعريته الفياضة — قوله :

فَقُولُ — ثَبَّتَ اللَّهُ وَطْأَتَهُ — :

« أُمَّا نَابِغَةُ بِنَى جَعْدَةَ ، فَقَدْ اسْتَوْجَبَ مَا هُوَ فِيهِ بِالْخُنْفِيَّةِ <sup>(١)</sup> ، وَأَمَّا أَنْتِ يَا أَبَا أُمَامَةَ <sup>(٢)</sup> فَمَا أَدْرِى مَا جَهَّتْكَ ؟ » فَيَقُولُ الذَّيْنَانِ <sup>(٣)</sup> : « إِنِّى كُنْتُ مُقِرًّا بِاللَّهِ ، وَحَجَجْتُ الْبَيْتَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَى :

وإِن تَأْخُذْنَا أَهْلَى وَمَالَى بِظُلْمَةٍ فَإِنِّى لِحَرَّابِ الرِّجَالِ مُحْرَبٌ  
صَبُورٌ عَلَى مَا يَكْرَهُ الْمَرْءُ كُلَّهُ سِوَى الظُّلْمِ، إِنِّى-إِنْ ظَلَمْتُ-سَأَغْضِبُ  
فَارْتَاعَ مُعَاوِيَةُ ، وَالتَفَتَ إِلَى مَرْوَانَ ؛ فَقَالَ : « مَا تَرَى ؟ » قَالَ . « أَرَى أَلَا تَرُدُّ عَلَيْهِ  
شَيْئًا » قَالَ : « مَا أَهْوَنُ وَاللَّهِ عَلَيْكَ أَنْ يَنْجَحِرَ هَذَا فِي غَارٍ ، ثُمَّ يَقَطَعَ عَرْضَى عَلَىَّ ، ثُمَّ تَأْخُذْهُ  
الْعَرَبُ فَتَرْوِيهِ ، أَرَدُّدُ عَلَيْهِ كُلَّ شَيْءٍ أَخَذْتَهُ ! »  
وَسَتَمَرُ بِكَ تِلْكَ الْمَشَاجِرَةُ « الْخُلَيْيَالَةُ » الَّتِى وَقَعَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَعَشَى فِي الْجَنَّةِ ، وَهِيَ  
تَمَثَّلُ شَجَارًا غَنِيغًا بَيْنَ شَخْصِيَّتَيْنِ مِنْ أَكْبَرِ شَخْصِيَّاتِ الْعَرَبِ إِذْ يَقُولُ الْأَعَشَى لِلْجَعْدَى :  
« .... وَإِنْ يَبِيتَا مِمَّا بَنَيْتَ لِيَعْدِلَ بِنَاءَةٌ مِنْ بَنَائِكَ ! وَإِنْ أَهْبَيْتَ فِى مَنْطِقِكَ . فَإِنَّ السَّهْبَ  
كَحَاطِبِ اللَّيْلِ ؛ وَإِنِّى لِنِى الْجُرُثُومَةِ مِنْ رِيْعَةِ الْفَرَسِ ، وَهَلْ جَعْدَةُ إِلَّا رَائِدَةٌ ظَلِيمٍ نَفُورٍ ! »  
« أَتُمِيرُنِى مَدْحَ الْمُلُوكِ يَا جَاهِلُ : وَلَوْ قَدَرْتُ عَلَى ذَلِكَ لَهَجَرْتُ إِلَيْهِ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ ؟  
وَلَكِنَّكَ خَلَقْتَ جَبَانًا لَا تَدْخُلُ فِي الظُّلْمَاءِ الْمَلْجَأِ ، وَلَا تَهْجُرُ فِي الْوَدِيقَةِ الصَّاحِدَةَ »  
فِيحْيِيهِ الْجَعْدَى — مَغْضَبًا — :

« اسْكُتْ يَا ضَلُّ بْنُ ضَلٍّ ، فَأَقْسِمُ إِنْ دَخَلَكَ الْجَنَّةُ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ ؛ وَلَكِنْ الْأَقْضِيَّةُ جَرَتْ  
كَأَشَاءَ اللَّهِ ! لِحَقِّكَ أَنْ تَكُونَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ! وَلَقَدْ صُلِّىَ بِهَا مِنْ هُوَ خَيْرُ مَنْكَ !  
وَلَوْ جَازَ الْفُلُطُ عَلَى رَبِّ الْعُرَّةِ ، لَقُلْتُ إِنَّكَ قَدْ غَلَطَ بِكَ .... الخ الخ »

(١) بِالْإِسْلَامِ (٢) بِمَعْنَى النَّابِغَةِ الذَّيْنَانِ

(٣) النَّابِغَةُ الذَّيْنَانِ (تُوفِى سَنَةَ ٦٠٤ م)

هُوَ زِيَادُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ ضُبَابٍ ، وَيَكْنَى : أَبَا أُمَامَةَ ، وَأَبَا عَقْرَبٍ ، وَأَبَا ثَمَامَةَ ، كَانَ يُضْرَبُ  
لَهُ قَبَّةٌ بِسُوقِ عَكَاظٍ يُحْكَمُ فِيهَا بَيْنَ الشُّعْرَاءِ ، وَكَانَ نَدِيمَ النِّعْمَانِ وَقَدْ مَدَحَهُ بِكَثِيرٍ مِنَ الْقَبَائِدِ الْجَمِيلَةِ

فَلَا لَعَمْرُ الَّذِي قَدْ زُرْتُهُ حَبَجًا<sup>(١)</sup> وَمَا هُرَيْقٌ<sup>٢</sup> عَلَى الْأَنْصَابِ<sup>٣</sup> مِنْ جَسَدٍ  
وَالْمُؤْمِنِ الْعَائِذَاتِ<sup>(٥)</sup> الطَّيْرِ تَمْسُحُهَا<sup>(٦)</sup> رُكْبَانُ مَكَّةَ يَنْنُ الْغَيْلِ وَالسَّعْدِ<sup>(٧)</sup>  
وَقَوْلِي :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيَّةً وَهَلْ يَا أَمْنَنْ ذُو إِمَّةٍ<sup>(٨)</sup> وَهُوَ طَائِعُ

ثم غضب عليه النعمان لوشاية المنخل الشاعر به في وصفه المتجردة امرأة النعمان ، فهرب  
النافعة الى بنى غسان ، ونزل بعمر بن الحارث الأصغر ، ملك الغساسنة ، فلدحه بقصيدته  
الشهيرة التي افتتحها بهذه الأبيات الثلاثة الرائعة :

كَلَيْنِي لَهْم يَا أَمِيْمَةَ نَاصِبٍ وَلَيْلِ أَقَاسِيَه بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ  
تَطَاوَلُ حَتَّى قُلْتُ : « لَيْسَ يَمْتَنُضُ وَلَيْسَ الَّذِي يَرَعَى النُّجُومَ بِأَنْبٍ »  
وَصَدَرَ أَرَاحُ اللَّيْلِ حَازِبٌ هَمُّهُ تَضَاعَفَ فِيهِ الْحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ  
ثُمَّ رَضِيَ عَنْهُ النَّعْمَانُ ، فَعَادَ إِلَيْهِ . وَمِنْ أَجْلِ شِعْرِهِ قَوْلُهُ :

قَامَتْ تَرَاوِي بَيْنَ سَحْجَى كُلَّةٍ كَالشَّمْسِ يَوْمَ طُلُوعِهَا بِالْأَسَدِ  
سَقَطَ النَّصِيفُ - وَلَمْ تَرُدْ إِسْقَاطَهُ - فَنَاقَلْتَهُ وَاتَّقَنَّا بِالْيَدِ  
وَقَوْلُهُ :

نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا نَظَرَ السَّقِيمِ إِلَى وَجْهِ الْعُودِ  
وَسَتَمَرُ بِكَ طَائِفَةٌ أُخْرَى مِنْ شِعْرِهِ وَأَخْبَارُهُ فِي مَوْضِعِهَا

- (١) الحَجَج : السنين . ويروى : « فَلَا لَعَمْرُ الَّذِي مَسَّحَتْ كَعْبَتَهُ » (٢) أَرَيْقُ وَصَب  
(٣) هِيَ الْحَجَارَةُ الَّتِي كَانُوا يَذْبَحُونَ عَلَيْهَا الْقَرَايِينَ حَوْلَ الْكَعْبَةِ ، وَمُفْرَدُهَا نُصْبٌ (٤) دَم  
(٥) اللَّائِذَاتُ . أَيْ الطَّيْرِ اللَّائِذَاتُ (٦) تَتَّبِعُهَا وَيَمْرَأُ يَدَيْهَا عَلَيْهَا بِلُطْفٍ (٧) الْغَيْلِ  
وَالسَّعْدِ هُنَا مَوْضِعَان ؛ وَخِلَاصَةُ مَعْنَى الْبَيْتَيْنِ أَنَّهُ يَقْسَمُ بِاللَّهِ الَّذِي حَجَّ إِلَى بَيْتِهِ مَرَارًا ، وَيَقْسَمُ  
بِمَا أَرَيْقُ عَلَى حَجَارَةِ الْكَعْبَةِ الْمُقَدَّسَةِ مِنْ دِمَاءِ الْقَرَايِينَ ، وَبِمَنْ أَمَّنْ طُيُورَ تِلْكَ النَّاحِيَةِ الَّتِي  
يَلِاطِفُهَا رُكْبَانُ مَكَّةَ بَيْنَ الْغَيْلِ وَالسَّعْدِ ؛ لِيُثَبِّتَ لِلنَّعْمَانِ أَنَّهُ صَادِقٌ فِيمَا يَقُولُ . (٨) الشَّرْعَةُ وَالَّذِينَ

بِمُصْطَحِبَاتٍ مِنْ لَصَافٍ وَثَبْرَةٍ<sup>(١)</sup> يَزُرْنَ أَلَا<sup>(٢)</sup> سَيُزْنُنَّ تَدَافُعُ<sup>(٣)</sup>  
ولم أذكرِ النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - فتقوم الحجة على مخالفته، وإن الله  
- تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ - يَغْفِرُ مَا عَظُمَ وَقَلَّ

فيقول: « يا أبا سَوَادَةَ ويا أبا أَمَامَةَ ويا أبا لَيْثَى ! اجعلوها ساعة مُنَادِمَةٍ ،  
فإن من قولِ شَيْخِنَا الْعَبَادِيِّ :

أَيُّهَا الْقَلْبُ تَعَلَّلْ بِدَدَنْ إِنْ هَمَّى فِي سَمَاعٍ وَأَذَنْ<sup>(٤)</sup>  
وَشَرَابٍ خُسْرُوَانِي إِذَا ذَاقَهُ الشَّيْخُ تَغْنَى وَارْجَحَنْ<sup>(٥)</sup>

فَكَيْفَ لَنَا بِأَبِي بَصِيرٍ<sup>(٦)</sup> ؟ » فَلَا تَتِمُّ الْكَلِمَةُ إِلَّا وَأَبُو بَصِيرٍ قَدْ حَسَنَهُمْ<sup>(٧)</sup> ،  
فَيَسْبَحُونَ اللَّهَ وَيُقَدِّسُونَهُ وَيَحْمَدُونَهُ عَلَى أَنْ جَمَعَ بَيْنَهُمْ ، وَيَتْلُو<sup>(٨)</sup> هَذِهِ الْآيَةَ :  
« وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ » فَإِذَا أَكَلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ الْجَنَّةِ ، وَشَرَبُوا مِنْ  
شَرَابِهَا الَّذِي خَزَنَهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ الْمُتَّقِينَ ، قَالَ الشَّيْخُ : « يَا أبا أَمَامَةَ إِنَّكَ لَخَصِيفُ<sup>(٩)</sup>  
الرَّأْيِ لَبِيبٌ ، فَكَيْفَ حَسَنْ لَكَ لُبُّكَ أَنْ تَقُولَ لِلنَّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ :

(١) لَصَافٍ وَثَبْرَةٌ مَادَانٍ بِنَاحِيَةِ الشَّوَّاحِنِ فِي دِيَارِ ضَبَّةَ بْنِ أَدَ (٢) جَبَلُ بَعْرَفَاتِ  
(٣) الْمَعْنَى أَنَّهُ يَقْسِمُ لِلنَّعْمَانِ لِيُزِيلَ مَا عُلِقَ بِنَفْسِهِ مِنَ الرِّيْبَةِ وَيَمْحُو مِنْهَا الْأَثَرَ الْمَيِّءَ الَّذِي  
خَلَفْتَهُ وَشَايَاتِ أَعْدَائِهِ وَيُؤَكِّدُ لَهُ أَنَّهُ بَارٌّ فِي قَسَمِهِ وَأَنَّهُ غَيْرُ حَاسِثٍ فِي يَمِينِهِ (٤) الْإِدْنُ  
أَوِ الْإِدْ : اللَّهُ أَوِ اللَّعْبُ . وَالْأَذَنْ : الْإِسْتِمَاعُ فِي إِحْبَابِ (٥) اهْتَزَّ وَتَمَائِلَ ، وَالْمَعْنَى : أَنَّهُ أَيُّهَا  
الْقَلْبُ وَأَنْتَ هُمُوكَ فَإِنِّي مُوَلِّعٌ بِسَمَاعِ الْغَنَاءِ وَمَعَارِفَةِ ذَلِكَ الشَّرَابِ الْخُسْرُوَانِي الَّذِي  
يَنْسِي الشَّيْخُ - حِينَ يَشْرَبُهُ - وَقَارِ شَيْخُوخَتِهِ فَيَتَمَائِلُ مِنَ النُّشُوءِ رَاقِصًا مَغْنِيًا . وَقَدْ مَرَّتْ  
تَرْجُمَةُ الْعَبَادِيِّ هُنَا فِي ص ٨ (٦) الْأَعْشَى ، وَقَدْ مَرَّتْ تَرْجُمَتُهُ فِي ص ٢١ (٧) صَارَ  
خَامِسَهُمْ (٨) أَيُّ الشَّيْخِ ابْنِ الْقَارِحِ (٩) سَدِيدٌ أَوْ مُحْكَمٌ

زَعَمَ الْهُمَامُ بِأَنِّ فَاهَا بَارِدٌ عَذِبٌ، إِذَا مَا ذُقَّتْهُ قُلْتُ: ازْدَدِ  
زَعَمَ الْهُمَامُ - وَلَمْ أَذُقْهُ - بِأَنَّهُ يُشْنَى يَبْرِدُ لِنَاقَتِهَا الْعَطَشُ الصِّدْيُ<sup>(١)</sup>

ثم استمر بك القول حتى أنكره عليك خاصة وعامة<sup>(٢)</sup> فيقول النابغة  
- بِذِكَاهِ وَفَهْمٍ -: «لقد ظلمني من عاب عليّ، ولو أنصفتني لعلّ أني احتزرتُ  
أشدَّ احترازٍ، وذلك أن الثّمان كان مُسْتَهْتَرًا<sup>(٣)</sup> بتلك المرأة، فأمرني أن  
أذكرها في شعري، فأدرتُ ذلك في خلدي، فقلتُ: «إِنْ وَصَفْتُهَا وَصَفًا  
مُطْلَقًا، جازَ أن يكون بغيرها مُمْلَقًا» وَخَشِيتُ أَنْ أَذْكَرَ امْتِمًا فِي النِّظْمِ  
فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ مُوَافِقًا لِلْمَلِكِ، لِأَنَّ الْمُلُوكَ يَأْتُونَ مِنْ تَسْمِيَةِ نِسَائِهِمْ؛ فَرَأَيْتُ  
أَنْ أُسْنِدَ الصِّفَةَ إِلَيْهِ، فَأَقُولُ: (زَعَمَ الْهُمَامُ) إِذْ كُنْتُ لَوْ تَرَكْتُ ذِكْرَهُ لظَنَّ  
السَّامِعُ أَنَّ صِفَتِي عَلَى الْمَشَاهِدَةِ؛ وَالْأَيَّاتُ الَّتِي جَاءَتْ بَعْدُ دَاخِلَةٌ فِي وَصْفِ  
الْهُمَامِ، فَمَنْ تَأَمَّلَ الْمَعْنَى وَجَدَهُ غَيْرَ مُخْتَلٍ. وَكَيْفَ يُنْشِدُونَ: «وَإِذَا نَظَرْتُ  
رَأَيْتُ أَقَرَّ مُشْرِقًا» وَمَا بَعْدَهُ؟ فيقول الشيخ: «يُنْشَدُ: «وَإِذَا نَظَرْتُ،  
وَإِذَا لَمَسْتُ، وَإِذَا طَعَنْتُ، وَإِذَا تَرَعْتُ، عَلَى الْخُطَابِ» فيقول النابغة:  
«قَدْ يَسُوعُ هَذَا، وَلَكِنَّ الْأَجُودَ أَنْ تَجْمُلُوهُ إِخْبَارًا عَنِ الْمُتَكَلِّمِ، لِأَنَّ قَوْلِي:  
«زَعَمَ الْهُمَامُ» يُوَدِّي مَعْنَى قَوْلِنَا: «قَالَ الْهُمَامُ» فَهَذَا أَسْلَمٌ، إِذْ كَانَ الْمَلِكُ إِنَّمَا يَحْكِي

(١) الشديد الظما؛ والمعنى أن الملك الثمان حكى لنا أن رضاب زوجه المتجردة لذيد  
حلو الطعم، كلما ارتشفته ازدادت هيأماً به واندفاعاً إلى رشفه، فإذا تذوقته وقد أجهدك  
العطش أزال ظمأك وأثلج صدرك، ذلك هو ما يحكيه لنا الملك أرويه عنه، وإن كنت  
لم أذقه (٢) متفانياً في حبها.



عن نفسه . وإذا جعلتموه على الخطاب قبح ؛ إن نسبتموه إلى فهو مُندية<sup>(١)</sup> ، وإن نسبتموه إلى الثمان فهو إزرال وتنفص<sup>(٢)</sup> .

فيقول : « لِّلّهِ دَرَكٌ يَا كَوَكَبَ بْنِي مُرَّةً ١ ولقد صَفَّ عليك أهلُ العلمِ مِنْ الرِّوَاةِ ، وكيف لي بِأَبَوَيْ صَمْرُو المَازِنِيِّ والشَّيْبَانِيِّ ، وَأَبِي عُيَيْدَةَ ، وَعَبْدِ المَلِكِ وغيرِهِمْ مِنَ الثَّقَلَةِ ، لَأَسْأَلَهُمْ كَيْفَ يَرَوْنَ ، وَأَنْتَ شَاهِدٌ ؛ لَتَعْلَمَ أَنِّي غَيْرُ المُنْتَحَرِصِ<sup>(٣)</sup> وَلَا الوَلَّاعِ<sup>(٤)</sup> » فلا يَقْرَ هذا القولُ فِي حُدُوثِهِ<sup>(٥)</sup> .  
أَبِي أَمَامَةَ<sup>(٦)</sup> : إِلَّا والرِّوَاةُ أَجْمَعُونَ قَدْ أَخْضَرَّمُ اللهَ القَادِرُ مِنْ غيرِ مُشَقَّةٍ نَالَهُمْ ، وَلَا كُفْلَةٍ فِي ذَلِكَ أَصَابَتُهُمْ ؛ فَيُسْأَلُونَ بِلطيفٍ وَرَفِيٍّ ، فيقولُ :

« مَنْ هَذِهِ الشُّخُوصُ الْفِرْدَوْسِيَّةُ ؟ »

فيقولون : « نحن الرِّوَاةُ الَّذِينَ شَتَّتَ لِخَضْرَاءِهمُ آفَقًا » فيقولُ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ! كَيْفَ تَرَوْنَ قولَ النَّابِغَةِ فِي الدَّالِيَّةِ : وَإِذَا نَظَرْتُ . وَإِذَا لَمَسْتُ ، وَإِذَا طَعَنْتُ ، وَإِذَا نَزَعْتُ : أَيْفَئِشَجِ التَّاءِ أَمْ بِضَمِّهَا ؟ » فيقولون : « بفتحها » فيقولُ : « هذا شَيْخُنَا أَبُو أَمَامَةَ يَخْتَارُ الضَّمَّ ، وَيُخْبِرُ أَنَّهُ حَكَاهُ عَنِ الثَّمَانِ » فيقولون : « هو كما جَاءَ فِي الكِتَابِ الكَرِيمِ : « وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ ، فَانظِرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ؟ »

فيقولُ الشَّيْخُ : « مَضَى الكلامُ فِي هَذَا يَا أَبَا أَمَامَةَ ، فَأَنْشِدْنَا كَلِمَتَكَ الَّتِي أَوَّلُهَا :

(١) المندية : الكلمة يعرق منها الجبين (٢) الكاذب (٣) الذي لا يبالي بالذمام

(٤) أَذُنُ (٥) النابغة الذبياني وقد مرت ترجمته في ص ٣٩

أَيُّهَا عَلَى الْمَطُورَةِ <sup>(١)</sup> الْمُنْتَابِدَةِ <sup>(٢)</sup> أَقَامَتْ بِهَا فِي الْمَرْبَعِ <sup>(٣)</sup> الْمُتَجَرِّدَةِ <sup>(٤)</sup>  
 مُضْمِنَةً بِالْمِسْكِ مَخْضُوبَةً الشَّوَى <sup>(٥)</sup> بِدُرٍّ وَيَاقُوتٍ لَهَا مُتَقَلِّدَةٌ  
 كَأَنَّ ثَنِيَاكَهَا - وَمَا ذُقْتُ طَعْمَهَا - مُجَاجَةً <sup>(٦)</sup> نَحْلٍ فِي كُمَيْتٍ <sup>(٧)</sup> مُبَرَّرَةٍ  
 لِيَقْرِزَ بِهَا الثَّمَانُ عَيْنًا ، فَإِنَّهَا لَهُ نِعْمَةٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ مُجَدَّدَةٍ <sup>(٨)</sup>

فيقول أبو أمانة: « ما أذكرُ أني سلكْتُ هذا القرى <sup>(٩)</sup> قطُّ » فيقول مولاي  
 الشيخ: « إنَّ ذلكَ لَمَجَبٌّ ! فمن الذي تطوَّعَ فَنَسَبَهَا إِلَيْكَ ؟ » فيقول: « إنها  
 لم تُنسَبْ إِلَيَّ على سبيل التطوع ، ولكن على معنى الغلط والثوم؛ ولعلها لرجُلٍ  
 من بني ثعلبة بن سعد » فيقول نابغة بنى جعدة: « صحبني شابٌ في الجاهلية  
 ونحن نريدُ الحيرةَ ، فَأَنشَدَنِي هذه القصيدةَ لنفسه ، وذكرَ أنه ابنُ ثعلبة ،  
 وصادف قُدُومُهُ شَكَاةً <sup>(١٠)</sup> من الثمان ، فلم يصل بها إليه » فيقول نابغة بنى ذبيان:  
 « ما أجدرَ ذلك أن يكونَ ! »

- 
- (١) الأرض التي أصابها مطر (٢) التي سكنها الوحوش (٣) محل الإقامة في الربيع  
 (٤) اسم امرأة الثمان (٥) الأطراف ، ومخضوبة الشوى أى ملونة أطرافها بالخناء (٦) ريق  
 (٧) خمر (٨) المعنى: عرجا على تلك الأرض التي جادها الغيث بسقياء ، حيث تقيم المتجردة  
 زوج الثمان التي ينعم بحسنها الدائم التجدد كل يوم والتي تضمخت بالمسك ، وخضبت أطرافها  
 بالخناء ، وتقلبت بالدر ، ومائل طعم ريقها - وإن كنت لم أذقه - شهداً ممزوجاً بخمر بارد .  
 وهذه أبيات تبدو عليها مسحة التكلف والبعد عن الأسلوب الجاهلي لمن ينظر إليها بأدنى  
 تأمل ، ونرجح أنها من مختلقات الرواة - وما أكثرها - وهى عندنا تقليد غير متقن للمالية  
 النابغة التي وصف فيها المتجردة زوج الثمان ، وقد ورد ذكرها في ص (٤٢) من هذا الجزء  
 (٩) قرى الماء: مسيله . والمراد هنا: الطريق أو المذهب (١٠) الشكاة: المرض ، أو أهونه

## مجلس غناء

ويُثَرُّ رُفٌّ<sup>(١)</sup> من إَوْرُ الْجَنَّةِ، فلا يَلْبَثُ أَنْ يَنْزِلَ عَلَى تِلْكَ الرُّوضَةِ، وَيَقِفَ وَقُوفَ مُنْتَظِرٍ لِأَمْرِ، وَمِنْ شَأْنِ طَيْرِ الْجَنَّةِ أَنْ يَتَكَلَّمَ.

فَيَقُولُ: « مَا شَأْنُكُمْ؟ » فَيَقُلْنَ: « أَهْمُنَا أَنْ نَسْقُطَ فِي هَذِهِ الرُّوضَةِ فَتُنْفَى لِمَنْ فِيهَا مِنْ شَرَبٍ » فَيَقُولُ: « عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ الْقَدِيرِ » فَيَنْتَفِضْنَ فَيَصِرْنَ جَوَارِي كَوَاعِبَ، يَرْفُلْنَ<sup>(٢)</sup> فِي وَشْيِ<sup>(٣)</sup> الْجَنَّةِ، وَبِأَيْدِيهِنَّ الْمَزَاهِرُ<sup>(٤)</sup> وَأَنْوَاعُ مَا يُمِلَّتَسُّ بِهِ الْمَلَاهِي؛ فَيَعَجَبُ - وَحَقٌّ لَهُ الْعَجَبُ - وَلَيْسَ ذَلِكَ بِبَدِيعٍ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ. فَيَقُولُ لِإِخْدَاهُنَّ عَلَى سَبِيلِ الْإِمْتِحَانِ: « أَفْعَلِي قَوْلَ أَبِي أَمَامَةَ - وَهُوَ هَذَا الْقَاعِدُ - :

أَمِنْ الِ مِئَةِ رَائِحٍ<sup>(٥)</sup> أَوْ مُعْتَدٍ<sup>(٦)</sup> عَجَلَانَ ذَا زَادٍ وَغَيْرَ مُزَوَّدٍ  
تَقِيلاً أَوَّلَ » فَتَصْنَعُهُ، فَتَجِيءُ بِهِ مُطْرِباً، وَفِي أَعْضَاءِ السَّامِعِ مُتَسَرِّباً؛  
وَلَوْ نُحِتَ صَمٌّ مِنْ أَحْجَارٍ، ثُمَّ سَمِعَ ذَلِكَ الصَّوْتَ لَرَقَصَ، فَيَقُولُ: « هَلُمَّ خَفِيفَ  
التَّقْيِيلِ الْأَوَّلِ » فَتَلْبِثُ فِيهِ بِنَعْمٍ لَوْ سَمِعَهُ الْفَرِيسُ<sup>(٧)</sup>، لَأَقْرَأَ أَنْ مَا تَرَسَّمُ بِهِ  
مَرِيضٌ؛ فَإِذَا أَجَادَتْهُ، قَالَ: « عَلَيْكَ بِالتَّقْيِيلِ الثَّانِي » فَتَأْتِي بِهِ، فَإِذَا رَأَى ذَلِكَ قَالَ:  
« سُبْحَانَ اللَّهِ! كَلِمَا كُشِفَتِ الْقُدْرَةُ بِدَتْ لَهَا عَجَائِبُ، فَصِيرِي إِلَى خَفِيفِ  
التَّقْيِيلِ الثَّانِي، فَإِنَّكَ لَمُحِبَّةٌ مُحْسِنَةٌ » ثُمَّ يَقْتَرِحُ عَلَيْهَا الرَّمْلَ وَخَفِيفَهُ، وَأَخَاهُ الْهَزَجَ،

(١) سرب (٢) يتخايلن أو يتبخترن (٣) حرير (٤) جمع مزهر، وهو نوع من آلات الطرب (٥) عائد وقت المساء (٦) ذاهب وقت الغداة أى الضحى (٧) الغنى الحاذق. وهو هنا اسم مغن معروف

فإذا تيقن لها حذافةً ، وعرف منها بالعود لباقه ، هلَّلَ وَكَبَّرَ ، وأطالَ حمدَ ربه واعتَبَرَ ، وقال : « وَيَحْكُ ! أَلَمْ تَكُنْ السَّاعَةَ إِوزَةً طَائِرَةً ، فَنَ أَيْنَ لَكَ هَذَا الْعِلْمُ ؟ لَوْ نَشَأْتَ بَيْنَ مَعْبِدٍ وَابْنِ سُرْنَجٍ ، لَمَّا هَجَبْتَ السَّامِعَ بِهَذَا الْهَيْجِ ! فَكَيْفَ تَقْضُ عَنْكَ بَلَهَ الْإِوزِ ؟ » فتقولُ : « وما الذي رَأَيْتَ مِنْ قُدْرَةِ بَارِئِكَ ؟ إِنَّكَ عَلَى سَيْفٍ <sup>(١)</sup> بَحْرٍ ، لَا يُدْرِكُ لَهُ عِزٌّ <sup>(٢)</sup> ، سُبْحَانَ مَنْ يُحْيِي الْمَظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ <sup>(٣)</sup> ! »

### حديث لبيد <sup>(٣)</sup>

فِينَا مَ كَذَلِكَ ، إِذْ مَرَّ شَابٌ . . . . .

(١) السَّيْفُ : الشَّاطِئُ (٢) العَبْرُ : السَّاحِلُ الْآخَرُ

(٣) لَبِيد

توفي سنة ٦٨٠ م .

هو من بني عامر بن صعصعة ، وأمه عيسية .

عاش نحو ١٤٥ سنة ، أكثرها في الجاهلية ، وأسلم وهو في التسعين من عمره ، وصحب النبي ( ص ) في هجرته إلى المدينة ، ومات - في أواخر خلافة معاوية - بالكوفة . كان بين قبيلته وبنو عبس أخواله عداوة شديدة ، فاجتمع وفداهما عند النعمان ابن المنذر ، وكان على العباسيين الربيع بن زياد ، وعلى العامريين ملاعب الأُسنة ، عم لبيد ؛ وكان الربيع مقرباً عند النعمان يؤاكله ويناديه ؛ فأوغر صدره على العامريين ، فلما دخل وفدهم على النعمان ، أهمله ؛ فخرجوا غضاباً ، فسألهم لبيد عن أمرهم - وكان يومئذ صغيراً يرعى إبلهم ويسرحها - فاحتقروه لصغره ، فلما أُلح عليهم أشركوه معهم ، فوعدهم بالانتقام لهم ثم هجا الربيع بأبيات مشهورة كرهت فيه النعمان .

\*  
\*  
\*

وقد هجر الشعر في الإسلام ، واستعاض عنه بقراءة القرآن ، ومن مختار شعره قوله في رثاء أخيه لأمه ، وكان اسمه أربد - وقد بكى الممتص حين سمع هذه القصيدة - :

في يده . . . . .

بليتنا ، وما تبلى النجوم الطوالع  
وقد كنت في أكتاف دارِ مَضْنَة  
فلا جزع — إن فرق الدهر بيننا —  
وما المرء إلا كالشهاب وضوئه ،  
وما المرء إلا مضمرات من التقى  
وما الناس إلا عاملان ، فعامل  
فهم سيد أخذ بنصيبه  
أليس ورأى — إن تراخت منيقى —  
أخبر أخبار القرون التي مضت  
فأصبحت مثل السيف — أخلق جفنه  
فلا تبعدن ، إن النية موعد  
أعاذل ! ما يدريك — إلا تظنينا —  
أنجز مما أحدث الدهر بالفتى ؟  
لعمرك ، ما تدرى الضوارب بالخصى  
وقوله :

الا تسألان المرء ، ماذا يحاول ؟  
جباله مبثوثة في سبيله  
إذا المرء أسرى ليله ، خال أنه  
فتولا له — إن كان يقسم أمره —  
فعلم أن لا أنت مدرك ما مضى  
فإن أنت لم تصدقك نفسك فانتسب  
فإن لم تجد من دون عدنان باقيا  
أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم :

أنحب فيقضى ؟ أم ضلال وباطل ؟  
ويبقى إذا ما أخطأته الجبال  
قضى عملا ، والمرء — ما عاش — حامل  
ألا يظلك الدهر ؟ أمك هابل !  
ولا أنت مما تحذر النفس وائل  
لعلك تهديك القرون الأوائل  
وحيون معد ، فلتزعك العوائل  
بلى كل ذي رأى إلى الله واسل

ألا كل شيء ما خلا الله — باطل  
وكل أناس سوف تدخل بينهم  
وكل امرئ يومئذ يعلم سعيه  
وقوله من معلقته الرائعة :

أو لم تكن تدري « نوار » بأننى  
تراك أمكنة إذا لم أرضها  
بل أنت لا تدريين كم من ليلة  
قد بت سامرهما ، وغاية تاجر

إننا — إذا التقت الجماع — لم يزل  
ومقسم يعطى العشرة حقها  
من معشر سنت لهم آياؤهم  
لا يطبعون ولا يبور فعالمهم  
فاقنع بما قسم للبيك فإنما  
فضلا وذوكرم يعين على الندى  
وإذا الأمانة قسمت فى معشر  
فبى لنا بيتاً رفيعاً سمكه  
وهم السعاة إذا العشرة أفضلت  
وهم ريسع للمجاور فيهم  
وقوله :

تمنى ابتئائى أن يمش أبوهما  
إذا حان يوماً أن يموت أبوكما  
وقولا : « هو المرء الذى ليس جاره  
وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر ؟  
فلا تخشأ وجهاً ، ولا تحلقا شعر  
مضاعاً ، ولا خان الصديق ولا غدر »

يَحْجَنُ<sup>(١)</sup> ياقوت، فيسلم عليهم، فيقولون: « مَنْ أَنْتَ ؟ » فيقول: « أنا لبيدُ ابنِ ربيعة بنِ مالك بنِ جعفر بنِ كليب » فيقول: « أَكْرَمْتَ، أَكْرَمْتَ، لو قلتَ لبيدٌ وسَكْتَ، لَشَهَرْتَ بِاسْمِكَ، فما بالكَ في مغفرة ربِّكَ ا » فيقول: « أنا بحمدِ الله في عيشٍ قَصَرَ أن يصفهُ الواصفونَ، لا هَرَمَ ولا بَرَمَ ا » فيقول الشيخُ: « تَبَارَكَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ، ومن لا تدركُ يقينَهُ الخُدُوسُ<sup>(٢)</sup>، كَأَنَّكَ لم تَقُلْ في الدارِ الْفَانِيَةِ:

« وَلَقَدْ سَتِمْتُ مِنْ الْحَيَاةِ وَطُولِهَا      وَسُؤَالِ هَذَا النَّاسِ: كَيْفَ لَبِيدُ؟ »  
ولم تَفْهَمْ بقولك:

« فَتَى أَهْلِكَ فَلَا أُحْفَلُهُ<sup>(٣)</sup>      يَجَلِي<sup>(٤)</sup> الْآنَ مِنَ الْعَيْشِ يَجَلُ  
مِنْ حَيَاةٍ قَدْ مَلْنَا طُولَهَا      وَجَدِيرٌ طُولُ عَيْشٍ أَنْ يُمَلَّ<sup>(٥)</sup> »  
فَأَنْشِدْنَا مِيمِيَّتَكَ الْمُحْلَقَةَ، فيقول: « هيهاتَ، إِنِّي تركتَ الشَّعْرَ في الدارِ الْخَادِعَةِ، ولن أعودُ إليه في الدارِ الْآخِرَةِ، وقد غَوَّضْتُ ما هو خَيْرٌ وَأَبْرُّ » فيقول: « أَخْبِرْنِي عن قولِكَ:

تَرَاكَ أَمَكْنِيَّةً إِذَا لَمْ أَرْضَهَا      أَوْ يَرْتَبِطُ بَعْضُ الثُّمُوسِ حِمَامُهَا

---

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن ييك حولا كاملا فقد اعتذر  
وسيمر بك طرف من أخباره وأشعاره في الرسالة.

(١) المصا المنقطعة الرأس كالصولجان

(٢) الظنون (٣) أى فلا أبالي (٤) يَجَلِي: حسبي وكفاني

(٥) خلاصة معنى البيتين هو: « متى وافاني أجلي لم أكرث له، فقد طالت

حياتي، فقلت العيش ».

هل أردتَ بعضٍ معنى كلِّ ؟ » فيقولُ لبيدٌ : « كلا . إنما أردتُ نفسي ، وهذا كما تقولُ للرَّجُلِ : إذا ذهبَ مالكُ ، أعطاكَ بعضُ الناسِ مالا . وأنتَ تمنى نفسك في الحقيقة . وظاهرُ الكلامِ واقعٌ على كلِّ إنسانٍ ، وعلى كلِّ فرقةٍ تكونُ بعضاً للناسِ »

فيقولُ : « أخبرني عن قولك : « أَوْ يَرْتَبِطُ » هل مقصِدُك : إذا لم أرضها أو لم يرتبط ؟ أم غرضك أتركُ المنازلَ أو يرتبط ، فيكونُ « يرتبط » كالحمولِ على قولك تراكُ أمكنةً ؟ » فيقولُ لبيدٌ : « الوجهُ الأولُ أردتُ »

### غناء الحور

ويخطرُ له غناه أليكان بالفسطاطِ ومدينة السلامِ ، ويذكرُ ترجيمهنَّ بميميةِ المخبلِ السعدى ، فتندفعُ تلك الجوارى التى تَقْلُتْنَهُنَّ القدرةُ من خلقِ الطيرِ إلى خلقِ الحورِ ، ثلَّحْنُ قولَ المخبلِ السعدى :

« ذَكَرَ الرَّبَّابَ ، وَذَكَرُهَا سَقْمُ وَصَبَا ، وَلَيْسَ لِمَنْ صَبَا عَزْمُ

وَإِذَا أَلَمَ خَيْالُهَا طَرَفَتْ عَيْنِي فَأَوْ شُتُونِهَا <sup>(١)</sup> سَجَمُ <sup>(٢)</sup>

كَالْأُلُوءِ الْمَسْجُورِ <sup>(٣)</sup> تُوبِعَ فِي سِلْكِ النَّظَامِ غَنَاهُ النَّظْمُ <sup>(٤)</sup> »

فلا يمرُّ حرفٌ ولا حركةٌ إلَّا ويوقعُ مسرةً لو عُدلتْ بمسراتِ أهلِ العاجلةِ — منذ خلقَ اللهُ آدمَ إلى أن طوى ذريته — كانت الزائدة على ذلك زيادةً

(١) الشئون : مجازى الدموع (٢) مسكوب (٣) المنظوم (٤) تذكرُ الرباب

فَشَجَاهُ ذَكَرُهَا ، وَحَنَ إِلَيْهَا فَخَارَتْ قَوَاهُ وَوَهَنَ عَزْمُهُ ، وَأَلَمَ بِهِ خَيْالُهَا فَسَحَتْ عَيْنَاهُ بِالْمَوْعِ كَمَا انْفَرَطَ عَقْدُ مِنَ الْأُلُوءِ الْمَنْظُومِ فَتَسَاقَطَ مُتَابِعاً



الْحُجَّ الْمَتَمَوِّج عَلَى دِمْعَةِ الطِّفْلِ ، وَالْهَضْبُ <sup>(١)</sup> الشَّامِخ عَلَى الْهَبَاءِ <sup>(٢)</sup> الْمُنْتَفِضَةِ .  
وَيَقُولُ لِتَذَمَائِهِ : « أَلَا تَسْمَعُونَ قَوْلَ السَّعْدِيِّ <sup>(٣)</sup> :

« وَتَقُولُ عَازِلَتِي - وَلَيْسَ لَهَا بَعْدِي وَلَا مَا بَعْدُهُ عِلْمٌ :

(١) الهضب : المرتفع من الأرض ، أو الجبل للنبسط ، أو كل جبل خلق من صخرة واحدة .  
(٢) الهباء : القطعة من الهباء ، وهو القبار يشبه اللخان ويرى منبثاً في ضوء الشمس .  
وقد وهم بعض الكتاب فظن أن المراد بالهباء هنا : الأرض ، ومنها هباءة غطنان .  
والصواب ما ذكرنا ، ويؤيده قول المعري : المنتفضة ، فهذا يقطع الشك

(٣) الخجل السعدي

اسمه ربيعة بن مالك ، وقبيلته بنو شماس من ولد أنف الناقة ، ومما رواه صاحب كتاب  
« الشعر والشعراء » عن الخجل هذا أنه هجا الزبرقان بن بدر ، وذكر أخته خليدة ، ثم مر بها  
- بعد حين - وقد أصابه كسر ، وهو لا يعرفها ، فأوته وجبرت كسره ، فلما عرفها قال :  
« لقد ضل حلبي في خليدة ضلة سأعتب نفسي - بعدها - وأتوب  
وأشهد - والمستغفر الله - أنني كذبت عليها ، والهجاء كذوب »

وهذا ندم حار يدل على توبة صادقة وضمير شريف يتأثر بالصنيع ويعترف بالجمل ،  
وقل من الناس من يخلص في ندمه ، ويعترف بخطئه

ومن خير ما اختاره له « ابن قتيبة » صاحب ذلك الكتاب النفيس « الشعر والشعراء » قوله :

« فَإِنْ يَكْ غَضَنِي أَصْبَحَ الْيَوْمَ ذَاوِيَا وَغَضَنَكَ مِنْ مَاءِ الشَّبَابِ رَطِيبٌ  
فَإِنِّي حَتَّى ظَهَرِي حَوَانُ تَرَكْنَاهُ عَرِيشًا ، فَهَشَى فِي الرِّجَالِ دَيْبٌ  
وَمَا لِلْعِظَامِ الرَّاجِفَاتِ مِنَ الْبَلَى دَوَاءٌ ، وَمَا لِلرَّكَبَتَيْنِ طَلِيبٌ  
إِذَا قَالَ أَحْسَابِي : « رَيْعٌ أَلَا تَرَى ؟ » أَرَى الشَّخْصَ كَالشَّخْصَيْنِ وَهُوَ قَرِيبٌ <sup>(١)</sup>  
فَلَا يَجِبُكَ الْمَرءُ ، إِنْ كَانَ ذَا غَنًى سَتَتَرَكُهُ الْأَيَّامُ - وَهُوَ حَرِيبٌ  
وَكَاثِنٌ تَرَى - فِي النَّاسِ مِنْ ذِي بَشَاشَةٍ وَمِنْ شَأْنِهِ الْإِقْتَارُ - وَهُوَ نَحِيبٌ

(١) انظر الى افتتان ابن الرومي في أداء هذا المعنى في داليتيه الرائعة التي رثي بها شبابه ، فقال :

وبورك طرقي ، فالشخص حياله فرائي ، من أدنى مدى ، وهي فرد

« أرجع الى ديوان ابن الرومي ج ٣ من ٣٩٠ - ٣٩٤ » وانظر ص ٦٤ من هذا الجزء

« إِنَّ الثَّرَاءَ <sup>(١)</sup> هُوَ الْخُلُودُ وَإِنَّ الْمَرْءَ يَكْرُبُ <sup>(٢)</sup> يَوْمَهُ الْمُدْمُ ،  
وَلَتَنْ بَنِيَتْ لِي الْمُسْقَرُ <sup>(٣)</sup> فِي عَنَقَاءِ <sup>(٤)</sup> تَقْصُرُ دُونَهَا الْعَصَمُ <sup>(٥)</sup> ،  
لَتَتَّقَنَّ عَنِّي الْمَتِيَّةُ ، إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَحُكْمِهِ حُكْمُ <sup>(٦)</sup> »

فيقول : « إِنَّهُ الْمِسْكِينُ قَالَ هَذِهِ الْآيَاتِ وَبُنُو آدَمَ فِي دَارِ الْمَحْنِ وَالْبَلَاءِ ،  
وَالْوَالِدَةُ تَخَافُ الْمَنِيَّةَ عَلَى الْوَلَدِ ، وَالْفَقْرُ يُزْهَبُ وَيُتَّقَى ، وَالْمَالُ يُطْلَبُ وَيُسْتَنْبَقُ .  
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ، إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ، الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ  
الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ ، لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ <sup>(٧)</sup> . فَتَبَارَكَ اللَّهُ  
الْقُدُّوسُ ، نَقَلَ هَؤُلَاءِ الْمُسْمِعَاتِ <sup>(٨)</sup> ، مِنْ زَيْ رَبَّاتِ الْأَجْنَحَةِ <sup>(٩)</sup> ، إِلَى زَيْ رَبَّاتِ  
الْأَكْفَالِ الْمَتَرِجَةِ <sup>(١٠)</sup> ، ثُمَّ أَلْهَمَهُنَّ بِالْحِكْمَةِ حِفْظَ أَشْعَارٍ لَمْ تَمُرَّ قَبْلُ بِسَامِعِهِنَّ ،  
فَجِئْنَ بِهَا مُتَقَنَّةً ، مَحْمُولَةً عَلَى الطَّرَاقِ مُلَحَّنَةً أ . وَلَقَدْ كَانَتْ الْجَارِيَةُ فِي الدَّارِ  
الْعَاجِلَةِ إِذَا تُفَرِّسَتْ فِيهَا النَّجَابَةُ ، وَأَحْضَرَتْ لَهَا الْمُلَحَّنَةُ لِتُلْقَى إِلَيْهَا مَا تَعْرِفُ

(١) فِي نَسْخَةِ الْيَازْجِي : « إِنَّ الثَّوَاءَ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ ظَاهِرٌ (٢) يَدْنِي أَجَلَهُ  
وَيَقْرُبُ يَوْمَهُ (٣) هُوَ مَكَانٌ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ (٤) سَامِقَةٌ شَدِيدَةُ الْعُلُوِّ ، وَهِيَ صَفْعَةٌ  
لِمُوصُوفٍ مَحْذُوفٍ هُوَ كَلِمَةُ « قَنَّة » (٥) جَمْعُ أَعْصَمَ ، وَهُوَ الْوَعْلُ (٦) مَعْنَى الْآيَاتِ :  
تَلْحَاقِي عَازِلَتِي عَلَى كَرَمِي ، لِأَنَّهُ تَرَى فِي الْفَنَى كُلَّ مَعَانِي الرَّاحَةِ وَالْخُلُودِ ، وَتَرَى الْإِنْسَانَ إِذَا  
صَفَرَتْ يَدَهُ مِنَ الْمَالِ أَسْوَدَ عَيْشِهِ وَارْتَبَكَ أَمْرَهُ ، وَهَذَا لِمَعْرِى رَأَى مَأْفُونٌ دَفَعَهَا إِلَيْهِ قَصْرَ  
نَظَرِهَا وَجْهَهَا بِالْفَدَى ، وَلَوْ أَنَّهَا ارْشَدَتْ لَعَلَّتْ أَنْ كُلَّ مَا فِي الدُّنْيَا مِنْ زَخَرٍ وَزِينَةٍ عِثَتْ  
وَضَلَالٌ ، وَأَنَّ الْمَوْتَ سَيَحْتَمُ هَذِهِ الْحَيَاةَ الْخَادِعَةَ ، فَلَا تَصْدهُ عَنَّا قَنَّةٌ سَامِقَةٌ نَلُودُ بِهَا فِي كَنْفِ  
جَبَلٍ شَاهِقٍ ، وَلَا تَفْلِتُنَا مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ حِيلَةً ، وَإِذْنٌ فَمَا قِيَمَةُ الْمَالِ نَدْخَرُهُ وَنَبْخُلُ بِهِ ؟ ؟ وَمَنْ  
لَعَاذَلْتِي بَأَن تَدْرِكُ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ فَتَعْذِرْنِي وَتَكْفِ عَنْ لَوْحِي أ (٧) الْغُوبُ : شِدَّةُ التَّعَبِ  
وَالْإِعْيَاءِ (٨) الْمَغْنِيَاتِ (٩) الطَّيُورِ (١٠) النِّسَاءِ

من ثَقِيلٍ وَخَفِيفٍ ، تُقِيمُ مَعَهَا الشَّهْرَ وَالشَّهْرَيْنِ قَبْلَ أَنْ تُلْقَنَ بَيْتًا مِنَ الْغَزَلِ  
أَوْ بَيْتَيْنِ ، ثُمَّ تُعْطَى الْمِائَةَ أَوْ الْمِائَتَيْنِ ، فَسَبْحَانِ الْقَادِرِ ! » .

### مَشَاجِرُ الْجَعْدِيِّ وَالْأَعَشَى

وَيَقُولُ نَابِغَةُ بَنِي جَعْدَةَ — وَهُوَ جَالِسٌ يَسْتَمَعُ — : « يَا أَبَا بَصِيرٍ ! أَهَذِهِ  
الرَّبَّابُ الَّتِي ذَكَرَهَا السَّعْدِيُّ هِيَ رَبَّابُكَ الَّتِي ذَكَرْتَهَا فِي قَوْلِكَ :

« بِعَاصِيِ الْعَوَازِلِ طَلَّقِ الْيَدَيْنِ      يُعْطَى الْجَزِيلَ وَيُرْخَى الْإِزَارَا  
فَتَا نَطَقَ الدَّيْكَ حَتَّى مَلَا      تَكُوبَ الرَّبَّابِ لَهُ ، فَاسْتَدَارَا  
إِذَا انْكَبَّ ازْهَرُ<sup>(١)</sup> يَنْ السَّقَا      ، تَرَامُوا بِهِ غَرْبًا أَوْ نُضَارًا<sup>(٢)</sup> »

فَيَقُولُ أَبُو بَصِيرٍ<sup>(٣)</sup> : « قَدْ طَالَ ثَمْرُكَ يَا أَبَا كَيْلَى ، وَأَحْسَبُكَ أَصَابَكَ  
الْفَنَدُ<sup>(٤)</sup> ، فَبَقِيتَ عَلَى فَنَدِكَ إِلَى الْيَوْمِ ! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللُّوَاتِي يُسَمَّيْنَ بِالرَّبَّابِ  
أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُحْصَيْنَ ؟ أَفَتُظَنُّ أَنَّ الرَّبَّابَ هَذِهِ الَّتِي ذَكَرَهَا الْقَائِلُ :

(١) الأزهر : إبريق الخمر ، قال عنتره :

ولقد شربت من اللدامة بعدما      ركد الهواجر بالمشوف المعلم  
بزجاجة صفراء ذات أسرة      قرنت بأزهر في الشمال المغدوم

أَي شَرَبْتُ الْخَمْرَ بَعْدَ أَنْ سَكَنَ قَيْظُ الْهَوَاجِرِ الشَّدِيدِ ، بِالْقَدَحِ الْمَجْلُو الْمَنْقُوشِ بِزَجَاجَةِ صَفْرَاءَ  
مُخَطَّطَةً قَرَّتْهَا بِإِبْرِيقِ مَسْدُودِ الرَّأْسِ بِالْقِدَامِ (٢) الْغَرْبِ : الْفَضَّةُ ، أَوِ الْقَدَحُ أَوِ الْجَامُ الْفَضِيُّ  
أَوِ الذَّهَبُ . وَمَعْنَى الْأَبْيَاتِ أَنَّهُ حُلَّ بِسَاحَةِ كَرِيمٍ يَنْفَقُ الْمَالَ غَيْرَ مُصْبِيخٍ لَعْدَلِ اللَّامَاتِ وَيَمْشِي  
مُتَبَخَّرًا ، وَأَنَّهُ نَادَاهُ وَقْتُ السَّحَرِ فَمَا أَذِنَ دَيْكَ الصَّبَاحِ حَتَّى دَارَتْ الْكُؤُوسُ ، وَكَانَ النَّدَاهُ  
لِفِرَاطِ سُرُورِهِ بِالْخَمْرِ لَا يَكَادُ يَوْضَعُ إِبْرِيقَ مِلْدَامَةٍ حَتَّى يَتَرَامُوا بِهِ مُتَهَافِّينَ عَلَى الشَّرَابِ .

(٣) كُنْيَةُ الْأَعَشَى وَتَقَدَّمَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي ص ٢١ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ (٤) انْطَرَفَ : أَفْنُ الرَّأْيِ وَالضَّلَالِ

مَا بَالُ قَوْمِكَ يَا رَبَّابُ خُزْرًا<sup>(١)</sup> كَانَتْهُمْ غِضَابُ  
غَارُوا عَلَيْكَ ، وَكَيْفَ ذَا لَكَ وَدُونِكَ الْخَرْقُ<sup>(٢)</sup> الْيَبَابُ<sup>(٣)</sup>  
أَوِ الَّتِي ذَكَرَهَا امْرُؤُ الْقَيْسِ فِي قَوْلِهِ :  
دار لهندي والربابِ وقرنتي ولَمَيْسَ ، قبل حوادث الأيام ،

فَيَقُولُ نَابِغَةُ بَنِي جَعْدَةَ : « أَتَكَلَّمُنِي بِمِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ يَا خَلِيعَ بَنِي ضُبَيْعَةَ ،  
وَقَدْ مِتَّ كَافِرًا وَأَقْرَزْتَ عَلَى نَفْسِكَ بِالْفَاحِشَةِ ، وَأَنَا لَقِيتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَنْشَدْتُهُ كَلِمَتِي الَّتِي أَقُولُ فِيهَا :

« بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَسَنَّاوْنَا<sup>(٤)</sup> وَإِنَّا لَنَبْنِي فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا<sup>(٥)</sup> »

فَقَالَ لِي : « إِلَى أَيْنَ يَا أَبَا لَيْلَى ؟ » فَقُلْتُ : « إِلَى الْجَنَّةِ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! »  
فَقَالَ : « لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَالَكَ ! »

أَعْرَكَ أَنْ عَدَّكَ بَعْضُ الْجُهَّالِ رَابِعَ الشُّعْرَاءِ الْأَرْبَعَةِ — وَكَذَبَ مُفَضِّلُكَ —  
وَإِنِّي لَأَطُولُ مِنْكَ نَفْسًا ، وَأَكْثَرُ تَصَرُّفًا ، وَلَقَدْ بَلَّغْتُ — بَعْدَ الْبَيوتِ —  
مَا لَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ قَبْلِي ، وَأَنْتَ لَا إِلَهَ بِعَفَاكَ<sup>(٦)</sup> تَفْتَرِي عَلَى كِرَائِمِ  
قَوْمِكَ ، وَإِنْ صَدَقْتَ غِزْيَا لَكَ وَلِمُقَارَاكَ<sup>(٧)</sup> »

(١) الخرز: ضيق العين (٢) الأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح (٣) اليباب: الخراب  
حيث لا يقيم أحد ، ومعنى اليبتين : « مَا الَّذِي أَسْخَطَ قَوْمَكَ فَضَاقَتْ أَعْيُنُهُمْ مِنَ الْغَضَبِ  
وَالنَّظَرِ الشَّرِّ ، أَيَارُونَ عَلَيْكَ مِنَ الْأَعْدَاءِ وَالْمَغِيرِينَ وَيَبْنِيكَ وَيَبْنِي النَّاسُ تِلْكَ الصُّحْرَاءِ  
الْوَاسِعَةِ الَّتِي لَا يَسْكُنُهَا إِنْسَانٌ وَهِيَ وَحْدَهَا كَفِيلَةٌ بِمَجَانَّتِكَ مِنْهُمْ ؟ » (٤) رفعتنا (٥) مكاناً  
نصعد إليه (٦) العقارة: الخبث والنكر ، وَهِيَ أَيْضًا تَلْقِيحُ النَّخْلِ وَإِصْلَاحُهُ ، وَالْمَقْصُودُ هُنَا  
الْمَعْنَى الْأَوَّلُ ، أَيْ أَنَّكَ كُنْتَ لَا هِيََا بِأَضَالِكَ وَأَعْمَالِكَ الْخَبِيثَةِ (٧) مُخَالِطُكَ

فيفضُّ أبو بصير، فيقول: « أَتَقُولُ هَذَا، وَإِنْ يَتَا مَا بَلَيْتُ لِيُعْدَلُ بِمَايَةِ مِنْ بَنَائِكَ؟ وَإِنْ أَسْهَيْتَ فِي مَنْطِقِكَ، فَإِنَّ الْمُسْهَبَ كَحَاطِبِ اللَّيْلِ. وَإِنِّي لَفِي الْجُرْثُومَةِ<sup>(١)</sup> مِنْ رِيْعَةِ الْفَرَسِ، وَهَلْ جَعَدْتُ إِلَّا رَائِدَةً ظَلِيمًا<sup>(٢)</sup> تَقُورُ؟ أَتُمَيِّرُنِي مَدَحَ الْمُلُوكِ يَا جَاهِلُ؟ وَلَوْ قَدَّرْتَ عَلَى ذَلِكَ لَهَجَرْتُ إِلَيْهِ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ. وَلَكِنَّكَ خُلِقْتَ جَبَانًا، لَا تُذَلِّجُ<sup>(٣)</sup> فِي الظُّلْمَاءِ الدَّاجِيَةِ، وَلَا تُهَجِّرُ<sup>(٤)</sup> فِي الْوَدِيقَةِ<sup>(٥)</sup> الصَّاحِدَةِ<sup>(٦)</sup> »

فيقولُ الْجَمْعِيُّ: « اسْكُتْ يَا ضَلَّ بْنَ ضَلٍّ، فَأَقْسِمُ إِنْ دَخَوْلَكَ الْجَنَّةَ مِنَ الْمُتَنَكِّرَاتِ، وَلَكِنْ الْأَقْضِيَّةَ جَرَتْ كَمَا شَاءَ اللَّهُ لِحَقِّكَ أَنْ تَكُونَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلَ مِنَ النَّارِ، وَلَقَدْ صَلَّى بِهَا مِنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ. وَلَوْ جَازَ الْفَلَكُ عَلَى رَبِّ الْعِزَّةِ، لَقُلْتُ: إِنَّكَ غُلِطَ بِكَ، أَلَسْتَ الْقَائِلَ:

« فَدَخَلْتُ - إِذَا نَامَ الرَّقِيبُ - قَبْتُ دُونَ ثِيَابِهَا  
حَتَّى إِذَا مَا اسْتَرْسَلَتْ لِلنَّوْمِ بَعْدَ لِعَابِهَا<sup>(٧)</sup>  
فَسَمَّيْتُهَا نِصْفَيْنِ كُلُّ مُسَوِّدٍ<sup>(٨)</sup> يُرْمَى بِهَا<sup>(٩)</sup>  
فَتَلَيَّيْتُ جِدَّ غَرِيرَةٍ<sup>(١٠)</sup> وَلَسْتُ بِطَنٍ حِقَاقِهَا<sup>(١١)</sup>  
كَالْحَقِّقَةِ<sup>(١٢)</sup> الصَّفْرَاءِ صَا لَهَا<sup>(١٣)</sup> عَيْرُهَا<sup>(١٤)</sup> بِمَلَابِهَا<sup>(١٥)</sup>

(١) الصبم (٢) ذكر النعام (٣) لا تسير ليلاً (٤) لا تسير في الهاجرة

(٥) الوديقة: شدة الحر، وللراد هنا وقت الهاجرة والحر الشديد (٦) الشديدة القيظ

(٧) ملاعبتها (٨) سيد (٩) يحرزها، أو يظن به الظنون من أجلها (١٠) الجميلة،

أو التي لا تجربة لها (١١) وسطها (١٢) الحققة وعاء من خشب أو عاج (١٣) امتزج

- اختلط - لصق (١٤) العبير: أخلاط من الطيب (١٥) الللاب: نوع من المطر

أو الطيب قيل هو الزعفران

وإذا لها تأمورة<sup>(١)</sup> مرفوعة لشرابها<sup>(٢)</sup> »

واستقلت<sup>(٣)</sup> بنى جمدة ، وليؤم من أيامهم يرجع بمساعي قومك أ وزعمتي  
جباناً وكذبت ، لأننا أشجع منك ومن أيك ، وأصبر على إدلاج المظلمة ذات  
الاريز<sup>(٤)</sup> ، وأشد إدلاجاً في الهاجرة أم الصخذان<sup>(٥)</sup> ؟

ويشب نأبنة بنى جمدة على أبي بصير ، فيضربه بكوز من ذهب  
فيقول الشيخ - أصلح الله به - : « لا عريدة<sup>(٦)</sup> في الجنان ، إنما يعرف ذلك  
بين السفلة والهجاج<sup>(٧)</sup> ، وإنك يا أبا نئلي لمسترع<sup>(٨)</sup> . ولولا أن في الكتاب الكريم :  
« لا يصدعون عنها ولا ينزفون » لظننا أنك أصابك نزف في عقلك » . ويريد  
أن يصلح بين الندماء . فيقول : « يجب أن يُحذر من ملكٍ يَمُبرُ ، فبرى هذا  
المجلس ، فيرفع حديثه إلى الجبار الأعظم ، فلا يحرث ذلك إلا إلى ما تكرهان .

(١) التأمورة : الوعاء فيه الخمر أو الإبريق أو الدن (٢) معنى الأبيات : تمحنت غفلة  
الريب فدخلت عليها ، وما زلت بها حتى استسلمت للنوم بعد أن أخذت حظها من اللعب ،  
فطويتها تحتي كما يفعل كل سيد جليل القدر بخليته التي حامت حوله الظنون من أجلها ،  
ونعمت بضمها وعناقها ؛ وتمتعت نفسي بلس بطنها وخصرتها ، فكأنما لمست حقاً من العلاج  
امتزج بطييه زعفرانه ، ثم حضر إبريق الخمر ورفع متهيباً للشراب (٣) رأيتم قلة ،  
فاستخففت بهم . وما أبدع قول السموول في مثل هذا المعنى من لاميته المشهورة :

« تعبرنا أنا قليل عديدا فقلت لها : « إن الكرام قليل !

وما قل من كانت بقايا مثلنا شباب تسامى للعلا وكهول

وما ضرنا أنا قليل ، وجارنا عزيز ، وجار الأكثرين ذليل !

(٤) الصقيع أو البرد الشديد (٥) الصخذان : اليوم الشديد الحر (٦) العريدة :  
الأيذاء وسوء الخلق (٧) الهجج (٨) نزاع إلى الشر ، أو مسرع إلى ما لا ينبغي .

وَاسْتَعْنَى رَبُّنَا أَنْ تُرْفَعَ الْأَخْبَارُ إِلَيْهِ ، وَلَكِنْ جَرَى ذَلِكَ بِمَجْرِىِ الْحَفْظَةِ فِي الدَّارِ الْعَاجِلَةِ . أَمَّا عَلِمْتُ أَنَّ « آدَمَ » خَرَجَ مِنَ الْجَنَّةِ بِذَنْبِ حَقِيرٍ <sup>(١)</sup> ! فَغَيْرُ آمِنٍ مَنْ وُلِدَ أَنْ يُقَدَّرَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ ! فَسَأَلْتُكَ يَا اللَّهُ يَا أَبَا بَصِيرٍ : هَلْ يَهْجُسُ لَكَ تَمَنَّى الْمُدَامِ ؟ فَيَقُولُ : « كَلَّا وَاللَّهِ ، إِنَّهَا عِنْدِي كَمِثْلِ الْمُتَقَرِّ ، لَا يَخْطُرُ ذِكْرُهَا بِالتَّخَلُّدِ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَقَانِي عَنْهَا <sup>(٢)</sup> السَّلْوَانَةَ <sup>(٣)</sup> »

❖ ❖

فيقول :

« يَا أَبَا لَيْلَى ! إِنْ اللَّهَ — جَلَّتْ قُدْرَتُهُ — مَنَّ عَلَيْنَا بِهَؤُلَاءِ الْخَوَرِ الْعَيْنِ اللَّوَاتِي حَوَاهُنَّ عَنْ خَلْقِ <sup>(٤)</sup> الْإِوَزِّ ، فَاخْتَرْنَا لِنَفْسِكَ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ ، فَلْتَذْهَبْ مَعَكَ إِلَى مَنْزِلِكَ ثَلَاثِينَ أَرْقَ اللَّحَانَ ، وَتُسْمِعَكَ صُرُوبَ الْأَلْحَانِ . »  
فيقولُ لَيِّدُ بْنُ رَيْبَعَةَ <sup>(٥)</sup> : « إِنْ أَخَذَ أَبُو لَيْلَى قَيْنَةً ، وَأَخَذَ غَيْرُهُ مِثْلَهَا ، أَلَيْسَ يَنْتَشِرُ خَبَرُهَا فِي الْجَنَّةِ ؟ فَلَا يُؤْمِنُ أَنْ يُسَمَّى فَأَعْلَوْ ذَلِكَ : أَزْوَاجَ الْإِوَزِّ ؟ »

فَتُضْرَبُ الْجَمَاعَةُ عَنْ اِقْتِسَامِ أَوْلَئِكَ الْفَيَاقِ <sup>(٦)</sup> .

(١) ومن أجل هذا الذنب أنمى عليه « المتنبى » بقوله — مخاطباً أبناء آدم :

« أَبُوكُمْ آدَمُ سَنَّ لِلْعَاصِي وَعَلِمَكُمْ مَقَارِقَ الْجَنَانِ »

(٢) بدلنى منها (٣) العسل (٤) فطرة (٥) مرت ترجمته فى ص ٤٦ من هذا الجزء

(٦) انظر إلى ما فى هذه الجملة الرشيقية من العناية الحلوة والفن الدقيق ، فعلى تمثل سذاجة

القوم وطيبة قلوبهم أبدع تمثيل

## حسان بن ثابت<sup>(١)</sup>

وَيَمُرُّ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ ، فيقولون : « أَهْلًا أَبَا عَيْدٍ الرَّحْمَنِ ! أَلَا تَحَدِّثُ مَعَنَا

(١) حسان بن ثابت

توفي سنة ٥٤ هجرية

هو حسان بن ثابت الأنصاري ، وكنيته أبو الوليد ، ولد بالمدينة ، وعاش في الجاهلية والإسلام ، وتكسب بالشعر ، فقد مدح المناذرة والفساسنة ، وازدحت عنده صلات آل جفنة (من ملوك غسان) الذين غالى في مدحهم ، وقد بلغ من جهم إياه أنهم لم ينكروه بعد إسلامه ، بالرغم من نصرانيتهم

أسلم حسان مع الأنصار — حين هاجر الرسول إلى المدينة — فلما اشتد إيداء قريش للنبي بالهجاء وقال لأصحابه : « ما يمنع الذين نصرؤا لله ورسوله بأسلحتهم أن ينصروه بألسنتهم ؟ — لباه حسان قائلاً : « أنا لها ! » وضرب بلسانه أرنبة أنفه وقال : « والله ما يسرفى به مقول ما بين بصرى وصنعاء ! والله لو وضعته على صخر لفلقه ، أو على شعر لحقه ! » فقال له النبي : « كيف تهجوم ؟ وأنا منهم ! » فقال : « أسلك منهم كما تسلك الشجرة من المعجين ! » فقال : « اهجم وروح القدس مذك ! » ثم وقف شعره على مناصرته ، وانقطع إلى مدحه والنضج عنه .

وقد اشتهر حسان بأنه كان جباناً ، مخلوع القلب ؛ وسترى في هذه المناقشة «الخيالية» التي دارت بينه وبين ابن القارح ما يؤيد ذلك :

ومن أروع ما قال ، بينه الفذ :

وإبـاً امرأ أسمى وأصبح سالماً من الناس — إلا ما جنى — لسعيد

وقد حكى أحدهم أنه سمعه — في جوف الليل — وهو ينوه بأسمائه ، ويقول : « أنا حسان ابن ثابت ! أنا ابن الفريرة ! أنا الحسام ! » فلما أصبح سأله عن السبب في ذلك وعما أحجبه ، فقال له حسان : « علجت بيتاً من الشعر فلما أحكته ، نوهت بأسمائي ؛ وذكر له ذلك البيت :



سَاعَةً ؟ » فَإِذَا جَلَسَ إِلَيْهِمْ قَالُوا : « أَيْنَ هَذِهِ الْمَشْرُوبَةُ مِنْ سَبِيلَتِكَ <sup>(١)</sup> » الَّتِي ذَكَرْتَهَا فِي قَوْلِكَ :

كَأَنَّ سَبِيلَةً مِنْ يَنْتِ رَأْسِ <sup>(٢)</sup> يَكُونُ مِزَاجَهَا عَسَلٌ وَمَاءٌ  
عَلَى أُنْيَابِهَا . أَوْ طَعْمٌ غَضِيٍّ مِنْ الثَّفَاجِ هَصْرُهُ اجْتِنَاءُ  
عَلَى فِيهَا ؛ إِذَا مَا اللَّيْلُ قَلَّتْ كَوَاكِبُهُ ، وَمَالَ بِهَا الْفِطَاءُ  
إِذَا مَا الْأَشْرِبَاتُ ذُكِرْنَ - يَوْمًا - فَهِنَّ لَطِيبَ الرِّيحِ الْفِدَاءُ <sup>(٣)</sup>

وسواء أحمّحت هذه الرواية أم لم تصح ، فإن للبيت روعة وجلالاً لا يقفان عند حد ، وهو إلى ذلك يحوى حكمة أصيلة لا يتردد مفكر في إكبارها وإكبار الذهن الذي أخرجها !

ومثل حسان ، جدير أن يفخر بهذا البيت الخالد !

وستمر بك في هذا الحديث بضع أبيات جميلة من شعره .

(١) خمر (٢) اسم قرية بالشام مشهورة بجودة الخمر ، وهي إحدى الأماكن التي أحرزت شهرة كبيرة في ذلك ، وهو يصف في هذه الأبيات ريق امرأة <sup>(٣)</sup> هذه الأبيات الأربعة من قصيدة طويلة لحسان قالها في مدح النبي - قبل فتح مكة - وهجا فيها أبا سفيان - قبل أن يسلم - لأنه هجا النبي ، وقد ورد قبل هذه الأبيات قوله :

دِيار من بنى الحساس قفر تغميها الرواسُ والسماء  
وكانت لا يزال بها أنيس خلالاً مروجها - نَمَ وشاء  
فَدَعَ هذا ، ولكن من لطيف يؤرقني - إذا ذهب العشاء  
لشعواء التي قد تيمته فليس لقلبه منها شفاء

كأن سبيشة من بيت رأس الخ .

وقد ورد بعدها قوله :

نوليها اللامة إن ألما إذا ما كان مَعْتُ أو رلما  
ونشرها فتركنا ملوكاً وأسدّاً ، ما ينهنها اللقاء

وَيَحْكُ : مَا اسْتَحْيَيْتَ أَنْ تَذْكُرَ هَذَا فِي مِدْحَتِكَ رَسُولَ اللَّهِ ؟  
 فيقول : « لَإِنَّهُ كَانَ أَسْجَحَ خُلُقًا مِمَّا تَظُنُّونَ . وَلَمْ أَقُلْ إِلَّا خَيْرًا ، لَمْ أَذْكُرْ أَنِّي  
 شَرِبْتُ خَمْرًا ، وَلَا رَكِبْتُ - مِمَّا حُظِرَ - أَمْرًا ، وَلِأَنَّمَا وَصَفْتُ رَيْقَ امْرَأَةٍ : يَحْجُزُ  
 أَنْ تَكُونَ حِلَالِي ، وَيُمْكِنُ أَنْ أَقُولَهُ عَلَى الظَّنِّ ! وَقَدْ شَفَعَ فِي أَبِي بِصِيرٍ بَعْدَ  
 مَا تَهَسَّكُمُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ، وَمَا سَمِعَ بِأَكْرَمٍ مِنْهُ . لَقَدْ أَفَكْتُ لِحِلْدَانِي مَعَ مِسْطِجٍ ،  
 ثُمَّ وَهَبْتُ لِي أُخْتًا مَارِيَّةً ، فَوَلَدَتْ لِي عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، وَهِيَ خَالَةُ وَلَدِهِ « إِبْرَاهِيمَ »  
 وَهُوَ <sup>(١)</sup> - زَيْنَ اللَّهِ الْآدَابِ بَيْقَاتِهِ - يَحْطَرُّ فِي ضَمِيرِهِ أَشْيَاءَ يَرِيدُ أَنْ  
 يَذْكُرَهَا لِحَسَنَانٍ وَغَيْرِهِ ، ثُمَّ يَخَافُ أَنْ يَكُونُوا لِمَا طَلَبَ غَيْرَ مُحْسِنِينَ ، فَيَضْرِبُ  
 عَنْهَا إِكْرَامًا لِلْجَلِيسِ .

ويقول قائل من القوم : « كَيْفَ جُبْنُكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ؟ »  
 فيقول : « أَلَيْ يَقَالُ هَذَا - وَقَوِي أَشْجَعُ الْعَرَبِ - أَرَادَ سِتَّةَ مِنْهُمْ أَنْ  
 يَمِيلُوا عَلَى أَهْلِ الْمَوْسِمِ بِأَسْيَافِهِمْ ، وَأَجَارُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَلَى أَنْ  
 يُحَارِبُوا مَعَهُ كُلَّ عَنُودٍ <sup>(٢)</sup> ، فَرَمْتَهُمْ رَيْعَةً وَمُضَرَّ وَجِيعُ الْعَرَبِ عَنْ قَوْسِ  
 الْعَدَاوَةِ ، وَأَضْمَرُوا لَهُمْ ضِعْفَ الشَّنَّانِ .

وفي هذه القصيدة يقول بعد أبيات :

« أَلَا أَبْلُغُ أَبَا سَفِيَانَ عَنِي فَأَنْتَ مَجُوفٌ نَخْبٌ هَوَاءُ  
 بَأَنْ سَيُوفُنَا تَرَكَّتْكَ عَبْدًا وَعَبْدُ الدَّارِ سَادَتَهَا الْإِمَاءُ .  
 هَجَوْتُ مُحَمَّدًا ، فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْجَزَاءُ  
 أَتَهْجُوهُ وَلَسْتُ لَهُ بِكَفٍّ فَشَرَكَا لَخِيرِكَا الْفِدَاءُ . » الخ الخ

والقصيدة طويلة مشهورة وهي في أول ديوانه ، فليرجع إليها من شاء .

(١) أي ابن القارح (٢) جائر عن القصد

وإن ظهر مني تحرُّزٌ في بعض المواطن ، فإنما ذلك على طريقة الحزم ، كما جاء في الكتاب الكريم : « وَمَنْ يُؤْمَرْ بِذُرِّهِ إِلَّا أَنْ يَنْقَرِفَ لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ، وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبُئْسَ الْمَصِيرُ »  
 ويفترق أهل ذلك المجلس ، بعد أن أقاموا فيه كُمر الدنيا أضغاثاً كثيرة .

### عُورانُ قيس

فبينما هو<sup>(١)</sup> يطوف في رياض الجنة ، لقيه خمسة نفر على خمسة أئنيق ، فيقول :  
 « ما رأيت أحسن من عيونكم في أهل الجنان ، فمن أتمَّ خلد الله عليكم النعيم ؟ »  
 فيقولون : « نحن عُورانُ<sup>(٢)</sup> قيس : نعيم بن مُقبل العجلاني<sup>(٣)</sup> ، وعمرؤ بن أتمر<sup>(٤)</sup> ،  
 الباهلي ، والشماخ معقل بن ضرار ، وراعي الإيل عبيد بن الحصين التميمي ،  
 ومحمد بن ثور الهلالي »

فيقول للشماخ بن ضرار<sup>(٥)</sup> : « لقد كان في نفسي أشياء من قصيدتك التي  
 على الزأى ، وكلت التي على الجيم ، فأنشدنيها لا زلت مُخلداً كريماً »

(١) أي ابن القارح (٢) جمع أعور (٣) ستمر بك ترجمته بعد صفحات

(٤) ترجمته في صفحة ٦٣

### (٥) الشماخ معقل بن ضرار

شاعر مخضرم ، رجاز على البديهة ، ميل إلى المهجاء ، ذاع صيته في وصف القوس والحر ،  
 وقد بلغ من إعجاب الخطيئة ( الشاعر المشهور وسمي بك ترجمته ) به ، أنه قال : « أبلغوا الشماخ  
 أنه أشعر غطفان كلها ! » ولعل السر في إعجاب الخطيئة به هو اشتراكه معه في النزوع إلى الشرا  
 والشماخ هذا هو صاحب البيتين المشهورين في مدح عرابة الأنصاري . وهما قوله :  
 « رأيت عرابة الأوسى يسمو إلى الخيليات منقطع القرن  
 إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليين »

فيقول : « لقد شغلني عنهما التَّعِيمُ الدائمُ ، فما أذكرُ مِنْهُمَا يَتَا وَاحِدًا » فيقول  
لِفَرَطٍ حُبُّهُ بِالْأَدَبِ : « لقد غفلتَ أيها المؤمنُ وأضعتَ ! أما عَلِمْتَ أن كلمتيك  
أَفْعَمُ لك من ابْنَتَيْكَ ؟ ذُكِرَتْ بهما في المواطنِ ، وشُهِرَتْ عند رَاكِبِ السَّفَرِ  
وَالْقَاطِنِ . وإن القصيدةَ من قَصَائِدِ النَّابِغَةِ لَأَنْفَعُ له من ابْنَتَيْهِ « عَقْرَبَ »  
ولعل تلك شَاتَتُهُ وما زَاتَتُهُ ، وأصابها في الجاهلية سِيَاءٌ<sup>(١)</sup> ، وما وَفَّرَ لِأَجْلِهَا  
الْجَبَاءُ<sup>(٢)</sup> . وإن شِئْتَ أن أَنشِدَكَ قَصِيدَتَيْكَ ، فإن ذلك ليس بِمُتَعَذِّرٍ عَلَيَّ »  
فيقول : « أَنشِدْنِي - صَفَتْ عَلَيْكَ نِعْمَةُ اللَّهِ - » فَيُنشِدُهُ :

« عَفَا مِنْ سُلَيْمَى بَطْنُ قَوْ ، فَعَا زُ ، فَذَاتُ النُّضَى ، فَأَلْمَشْرِفَاتُ النُّوَاشِرُ<sup>(٣)</sup> »  
فَيَجِدُّهُ بِهَا غَيْرَ عَلِيمٍ ، وَيَسْأَلُهُ عَنْ أَشْيَاءٍ مِنْهَا فَيُصَادِفُهُ بِهَا غَيْرَ بَصِيرٍ .  
فيقول : « شَغَلَتْنِي لِذَائِدُ الْخُلُودِ عَنْ تَعَهُدِ هَذِهِ الْمُنْكَرَاتِ ، إِنَّ الْمُسْتَقِينَ فِي ظِلَالِ  
وَعْيُونٍ ، وَقَوَارِكِهِمَا يَشْهَوْنَ . كُلُّوْا وَاشْرَبُوا هَينَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ .  
إِنَّمَا كُنْتُ أَسِيقُ<sup>(٤)</sup> هَذِهِ الْأُمُورَ وَأَنَا آمِلٌ أَنْ أَفْقَرَ<sup>(٥)</sup> بِهَا نَاقَةً ، أَوْ أُعْطَى

(١) أسر (٢) المطاء (٣) « بطن قو » و « عاز » و « ذات النضى » أسماء  
أما كن ببلاد العرب - والمشرفات النواشر الجبال الشديدة الارتفاع ؛ ومعنى البيت :  
أن كل تلك الأماكن - التي ذكرها - قد أقفرت من سليمان  
وهذا البيت مطلع قصيدة له . قالها في وصف القوس ومنها قوله :

« وذاق فأعطته من اللين جانباً كفى ! ولها - أن يفرق السهم - حاجز  
إذا أنبض الرامون عنها ترنمت ترنم ثكلى أوجعتها الجنائز »  
وما أبدع قول ابن الرومي في تشبيهه برنين القوس :

« نصبي الحب ، وتلقى - الدهر - شاكية كالقوس ؛ نصبي المنايا ، وهي مرنان »  
(٤) أجمع (٥) أعطى وأمنح

كَيْلَ عِيَالِي سَنَةً، وَأَنَا الْآنَ فِي تَفَضُّلِ اللَّهِ، أَغْتَرِفُ فِي مَرَاوِدِ الْعَسْجَدِ مِنْ أَنْهَارِ  
اللَّبَنِ، فَتَارَةً أَلْبَانُ الْإِبِلِ، وَتَارَةً أَلْبَانُ الْبَقَرِ، وَإِنْ شِئْتُ لَبَنَ الصَّائِنِ فَإِنَّهُ كَثِيرٌ  
جَمٌّ، وَكَذَلِكَ لَبَنُ الْمَيْعِنِ؛ وَإِنْ أُحْبِيتُ وَرَدًا مِنْ رِسْلِ الْأَرَاوِيِّ<sup>(١)</sup>، قَرُبَ نَهْرٍ  
مِنْهُ كَأَنَّهُ دِجْلَةُ أَوْ الْفُرَاتُ ! وَلَقَدْ أَرَانِي فِي دَارِ الشَّقْوَةِ أَجْهَدَ أَخْلَافَ شَيْكَا  
لِجَبَاتٍ<sup>(٢)</sup> لَا يَمْتَلِي مِنْهُنَّ الْقَمَبُ<sup>(٣)</sup> ! « فَيَقُولُ الشَّيْخُ: « فَأَيْنَ عَمْرُو بْنُ أَحْمَرَ »<sup>(٤)</sup> »  
فَيَقُولُ عَمْرُو: « هَا نَذَا » فَيَقُولُ: أَنْشِدْنِي قَوْلَكَ:

« بَانَ الشَّبَابُ، وَأَخْلَفَ الْعَمْرُ وَتَغَيَّرَ الْإِخْوَانُ وَاللَّهُ هُمُ »

فَقَدْ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي تَفْسِيرِ الْعَمْرِ - بِالْفَتْحِ - قَقِيلَ: إِنَّكَ أَرَدْتَ الْبَقَاءَ،

(١) لَبَنُ الْوَعُولِ (٢) قَلِيلَةُ اللَّبَنِ (٣) الْقَدَحُ الْغَلِيظُ الضَّخْمُ

(٤) عَمْرُو بْنُ أَحْمَرَ

فِي الْمَوْشَحِ وَغَيْرِهِ مِنْ كُتُبِ الْأَدَبِ: عَمْرُو بْنُ أَحْمَرَ.

وَقَالَ الْمَسْقَلَانِيُّ فِي الْإِصَابَةِ: عَمْرُو بْنُ الْأَحْمَرِ الْبَاهِلِي.

وَقَالَ الْمُرْزُبَانِيُّ: مَخْضَرُمُ أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ، فَاسْلَمَ وَغَزَا مَغَازِي فِي الرُّومِ، وَأَصِيبَ  
يُحْدَى عَيْنِهِ هُنَاكَ، وَنَزَلَ الشَّامَ، وَتَوَفَّى عَلَى عَهْدِ عُثْمَانَ بِمَدَنَ أَنْ بَلَغَ سِنًا عَالِيَةً. وَهُوَ صَحِيحُ  
الْكَلَامِ، كَثِيرُ الْفَرِيدِ.

وَقَالَ أَبُو الْفَرَجِ: قَالَ عَمْرُو بْنُ أَحْمَرَ فِي الْإِسْلَامِ شِعْرًا كَثِيرًا، وَمَدَحَ الْخُلَفَاءَ الَّذِينَ أَدْرَكَهُمْ  
وَخَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ. وَكَانَ فِي حَبْسَةِ الشَّامِ. وَلَمْ يَلْقَ أَبَا بَكْرٍ، وَمَدَحَ عَمْرُ بْنُ دُونِهِ.

\* \*

قَالَ صَاحِبُ الْمَوْشَحِ صَفْحَةَ ٨٠:

أَقْوَى عَمْرُو فِي يَتِيمَيْنِ مَتَارِيَيْنِ مِنْ أَيْاتِ أَوْلَاهَا:

مَا لِلْكُوَاكِبِ يَا عِيسَاءَ قَدْ جَعَلْتَ تَزُورُ عَنِي وَتَطْلُو دُونِي الْحَجَرِ

فَقَالَ فِيهَا:

وَكُنْتُ أَمْشِي عَلَى رَجْلَيْنِ مَتَدًّا فَصُرْتُ أَمْشِي عَلَى أُخْرَى مِنَ الشَّجَرِ

وقيلَ : إنك أردتَ الواحدَ من مُهورِ الأَسنانِ ، وهوَ اللحمُ الذي بينَها »  
فيقولُ صَمْرُو مُتَعَمِّلًا :

ثم قال بعده :  
فقد جعلت أرى الشخصين أربعة والواحد اثنين مما بورك البصر<sup>(١)</sup>  
وأتبعه بقوله :  
وقد جعلت إذا ما قت يتقلنى ردفى فأنهض نهض الشارب السكر  
وقال صاحب الموشح أيضاً فى صفحة ٨٨ :  
قال ابن أحر :

غادرنى سهمه أعشى وغادره سيف ابن أحر يشكو الرأس والكبد  
أراد غادرنى سهمه أعور ، فلم يمكنه ، فقال : أعشى .

قلنا : ولعل ابن أحر لم يرد التصريح بما أصابه ، ورغب فى تهوينه ، فعدل عن العور إلى  
العشاء ، لأنه أخف ضرراً ، وأنجح فى الموازنة بين ما فعل به خصمه ، وما فعل هو بخصمه .  
فإذا حسنَ هذا التوجيه ، بطلت تقدة الرزبانى . ولكلِّ وجهة .



ويستشهد اللغويون كثيراً على الألفاظ بشعر عمرو هذا ، وكثيراً ما تمجد هناك قولهم :  
« قال ابن أحر » وذلك لفصاحة عمرو ، وإكثاره من الغريب فى شعره ؛ فن ذلك ما فى اللسان  
فى استشهاده على أن العمور منابت الأسنان ، واحداً صَمْرُ ؛ بهذا البيت الذى أورد المرى .  
ومن ذلك ما فى الكتاب للصوى ، قال : العرب تسمى أول ليلة من الشهر : النخيرة ،  
لأن الهلال نحرها ، أى رؤى فى نحرها ومطلعها ، قال ابن أحر :  
ثم استمر عليها واكف مع فى ليلة نحرت شعبان أو رجبا

---

(١) أخذ ابن الرومى هذا المعنى كما نبهنا على ذلك فى هامش صفحة ٥١ تعليقاً على قول الخبيل السعدي :  
« أرى الشخص كالشخصين وهو قريب »

خُذَا وَجْهَ هَرثَى<sup>(١)</sup> أَوْفَقَاهَا، فَإِنَّهُ كَلَّا جَانِبِي هَرثَى هُنَّ صَرِيْقُ  
ولم تترك في أهوال القيامة غُبراً<sup>(٢)</sup> لِلْإِنْشَادِ، أَمَا سمعتَ آيَةَ :  
« يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ  
حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى، وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ »  
وقد شهدت الموقفَ، فآلَمَجِبُّ لَكَ إِذْ بَقِيَ مَعَكَ شَيْءٌ مِنْ رَوَايَتِكَ .

\*  
\* \*

فيقولُ الشيخُ : « إِنِّي كُنْتُ أُخْلِصُ الدُّعَاءَ فِي أَعْقَابِ الصَّلَوَاتِ - قَبْلَ أَنْ  
أَتَقَلَ مِنْ تِلْكَ الدَّارِ - أَنْ يُتِمَّنِيَ اللَّهُ بِأَدْبِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . فَأَجَابَنِي إِلَى  
مَا سَأَلْتُ ، وَهُوَ الْحَيْدُ الْمَجِيدُ . »

ثم يذكرُ له أشياء من شعره ، فَيَجِدُهُ ، عَنِ الْجَوَابِ مُسْتَعْجِلاً .

ومن شعراين أحمر ما أثبتته صاحب الإصابة :

« متى تطلب المعروف في غير أهله تجد مطلب المعروف غير يسير  
وإن أنت لم تجل لمرضك جنة من الدم سار الدم كل مسير »

(١) هَرثَى : ثنية في طريق مكة قريبة منها ، والمراد من التمثيل بهذا البيت أن كلا  
التأويلين صحيح ، فليأخذ من يأخذ بأيهما شاء (٢) غير كل شيء : بقيته

## حكاية تميم بن أبي

فيقول « أَيُّكُمْ تَمِيمُ بْنُ أَبِي؟ »<sup>(١)</sup> فيقول رَجُلٌ مِنْهُمْ : « هَإِنِّذَا ! » فيقول :  
« أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِكَ :

يَا ذَارَ سَلَمَى خَلَاءَ لَا أَكَلَّفُهَا إِلَّا الْمِرْنَانَةَ حَتَّى تَسْنَمَ الدِّيْنَا  
مَا أَرَدْتَ بِالْمِرْنَانَةِ ؟ فَقَدْ قِيلَ إِنَّكَ أَرَدْتَ اسْمَ امْرَأَةٍ وَقِيلَ هِيَ اسْمُ

### (١) تميم بن أبي

في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة : « تميم بن أبي مقل » . وفي بلوغ الأرب  
للأوسى : « تميم بن مقل » . وفي خزنة الأدب : « تميم بن أبي بن مقل » . وقال :  
« وأبي — بالتصغير وتشديد الياء — » . وهو يوافق ما بين أيدينا من نسخ رسالة الغفران .

\*  
\*

وتميم هذا شاعر مخضرم ، معدود في الفحول ، لما أدرك الإسلام كان يبكي أهل الجاهلية .  
وقد عاش نحو مائة وعشرين سنة .

قال البغدادي : كان تميم يهاجى النجاشي الشاعر ، فهجاه النجاشي ؛ فاستعدى عليه تميم  
عمرَ رضى الله عنه . فقال : يا أمير المؤمنين ، هجاني ! فقال عمر : يا نجاشي ، ما قلت ؟  
قال : يا أمير المؤمنين ، قلت ما لا أرى فيه عليه بأساً .

وأنشده :

إذا الله جازى أهل لؤم بذمة فجازى بنى المجلان رهط بن مقل  
فقال عمر : إن كان مظلوماً استجيب له ، وإن لم يكن مظلوماً لم يستجب له .  
قالوا : وقد قال أيضاً :

قبيلته لا يندرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل  
فقال عمر : ليت آل الخطاب كذلك !  
قالوا : فإنه قال :

ولا يردون الماء إلا عشية إذا صدر الورد عن كل منهل



أُمِّيَّة ، وَرَقِيلَ الْعَادَّةُ » فيقول : تَمِيمُ « وَاللَّهِ مَا دَخَلْتُ مِنْ بَابِ الْفِرْدَوْسِ وَمَعِيَ

فقال عمر : ذلك أقل للزحام .

قالوا : فإنه قال :

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم وتأكل من كعب بن عوف ونهشل  
فقال عمر : يكنى ضياعاً من تأكل الكلاب لحمه !

قالوا : فإنه قال :

وما سمي المجلان إلا لقوله خذ الثعب واحلب أيها العبد واجمل  
فقال عمر : كلنا عبد ، وخير القوم خادمهم !

قال تميم : فسله يا أمير المؤمنين عن قوله :

أولئك إخوان اللعين وأسوة الـ هجين ورهط الواهن المتذلل  
فقال عمر : « أما هذا فلا أعزرك عليه » . فخبسه ، وقيل جلده .

قال الحصري القيرواني في زهر الآداب :

كان بنو المجلان يفخرون بهذا الاسم ، إذ كان عبد الله بن كعب جدهم إنما سمي المجلان  
لتمجيده القرى للضيغان ، وذلك أن حيا من طيء نزلوا به ، فبعث إليهم بقرام عبداً له ،  
وقال له : أمجل عليهم . ففعل العبد ، فأعتقه لمجلته .

فقال القوم : ما ينبغي أن يسمى إلا المجلان ، فسمى بذلك . فكان شرفاً لهم ، حتى  
قال النجاشي هذا الشعر ، فصار الرجل ( من رهط بن مقبل ) إذا سئل عن نفسه . قال :  
كعبي . ويرغب عن العجلان .

❦

ومن غرر شعر تميم ما أنشد له دحبل :

« فأخلف وأتلف إنما المال عارة وكله مع الدهر الذي هو آكله  
وأيسر مفقود ، وأهون هالك على الحى من لا يبلغ الحى نائله »

ومن شعره :

« خليل لا تستمجلا وانظرا غدا عسى أن يكون الرفق في الأمر أرشدا »

كَلِمَةٍ مِنَ الشَّعْرِ وَلَا الرَّجَزِ ، وَذَلِكَ أَنِّي حُسَيْبْتُ حِسَابًا شَدِيدًا . وَقِيلَ لِي :  
 « كُنْتَ فِي مَنْ قَاتَلَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ » وَابْتَرَى إِلَى النَّجَاشِيِّ الْحَارِثِيَّ ، فَكَأَفَلْتُ مِنَ اللَّهَبِ حَتَّى سَفَعَنِي <sup>(١)</sup> سَفَعَاتٍ . وَإِنْ حِفْظُكَ لِمَتَّبِعِي عَلَيْكَ ، كَأَنَّكَ  
 لَمْ تَشْهَدْ أَهْوَالَ الْحِسَابِ ، وَمُنَادَى الْحَشْرِ يَقُولُ : « أَيْنَ فَلَانُ ابْنِ فَلَانٍ »  
 وَالشُّوسُ <sup>(٢)</sup> الْجَبَابِرَةُ مِنَ الْمُلُوكِ تَجْذِبُهُمُ الزَّبَابِيَّةُ إِلَى الْجَحِيمِ ، وَالنِّسْوَةُ ذَوَاتُ  
 التَّيْجَانِ يَصِرْنَ بِالسِّنَةِ مِنَ الْوُقُودِ ، فَتَأْخُذُ فِي فُرُوعِهِمْ وَأَجْسَادِهِمْ ، فَيَصِخُنَ :  
 « هَلْ مِنْ فِدَاءٍ ؟ هَلْ مِنْ عُذْرٍ يَقَامُ ؟ » وَالشَّبَابُ مِنْ أَوْلَادِ الْأَكْسَرَةِ يَتَضَاغُونَ <sup>(٣)</sup>  
 فِي سَلْسِلِ النَّارِ ، وَيَقُولُونَ : « نَحْنُ أَصْحَابُ الْكُنُوزِ ، نَحْنُ أَرْبَابُ الْفَانِيَةِ ،  
 وَلَقَدْ كَانَتْ لَنَا إِلَى النَّاسِ صَنَائِعُ وَأَيَادٍ ، فَلَا فَادِيَ وَلَا مُعِينٍ ! »

فَهَتَفَ دَاجٌ مِنَ قَبْلِ الْعَرْشِ : « أَوْلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ ،  
 وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ ، فَذُقُوا فِتْنًا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ » لَقَدْ جَاءَتْكُمْ الرُّسُلُ فِي  
 زَمَانٍ بَعْدَ زَمَانٍ ، وَبَذَلَتْ لَكُمْ مَا وَكَّدَ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَقِيلَ لَكُمْ فِي الْكِتَابِ :  
 « وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ »  
 فَكُنْتُمْ فِي لَذَاتِ السَّائِغَةِ <sup>(٤)</sup> وَاعْغِلِينَ <sup>(٥)</sup> ، وَعَنِ الْأَعْمَالِ الْآخِرَةِ مُتَشَاغِلِينَ .  
 فَالآنَ ظَهَرَ النَّبَأُ « لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ »

وقد استشهد الرضى فى شرح الكافية على أن سراويل غير منصرف عند الأكثرين  
 بقول تميم يصف الثور الوحشى :

أَتَى دُونَهَا ذَبَّ الرِّيَادِ كَأَنَّهُ فَتَى فَارِسِيٌّ فِي سِرَاوِيلٍ رَامِحٍ

(١) لطمنى (٢) الشجنان الجريثون على القتال (٣) يتضورون ، أو يصيحون  
 صياح الضعفاء للمستخذين (٤) الدنيا (٥) ممتعين ومُسرفين ، أى منغمسين فى لذائذها

## لفصل الثاني

يوم الموقف

### حكاية ابن القارح

فيقول <sup>(١)</sup> : « أَنَا أَقْصُ عَلَيْكَ قِصَّتِي :

لَمَّا نَهَضْتُ أَتَفِضُ مِنَ الرَّيِّمِ <sup>(٢)</sup> ، وَحَضَرْتُ حَرَصَاتِ <sup>(٣)</sup> الْقِيَامَةِ ، ذَكَرْتُ  
الْآيَةَ : « تَمْرُجُ الثَّلَاثُكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ،  
فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا » فَطَالَ عَلَى الْأَمَدُ ، وَاشْتَدَّ الظَّمْأُ ، وَأَنَا رَجُلٌ مَهْيَافٌ <sup>(٤)</sup> ،  
فَاثْبَكْرْتُ <sup>(٥)</sup> فَرَأَيْتُ أَمْرًا لَا قَوَامَ لِي فِيهِ ، وَلَقِينِي الْمَلَكُ الْخَفِيفُ بِمَا ذُرِبَ <sup>(٦)</sup>  
لِي مِنْ فِعْلِ الْخَيْرِ ، فَوَجَدْتُ حَسَنَاتِي قَلِيلَةً كَأَلْتَقَى فِي الْعَامِ الْأَرْمَلِ <sup>(٧)</sup> ، إِلَّا أَنْ  
التَّوْبَةُ فِي آخِرِهَا كَأَنَّهُمَا مِصْبَاحُ أُبَيْلٍ <sup>(٨)</sup> ، رُفِعَ لِسَالِكِ السَّبِيلِ .

(١) أى ابن القارح (٢) القبر (٣) ساحات (٤) الرجل المهياف : السريع  
العطش ، كما شرحها المعري نفسه ، وزاد غيره : أو شديده . ومثله : المهتاف

(٥) فى نسخ الرسالة : افكرت ، وكذلك يقول أبو العلاء فى لزومياته :

قال افكار فى الحوادث صادق جعل الصعاب من الحذار مثله :  
« هفت الخفيفة ، والنصارى ما احدثت ويهود حارت ، والجوس مظهر  
اثنا أهل الأرض : ذو عقل بلا دين ، وآخر دين لا عقل له »  
أما ما فى المعاجم المعتمدة ، فهو : فكر فى الشيء وأفكر وفكر وتفكر ، وليس فيها افكر .  
على أن المعاجم ذكرت أن الفكرة اسم من « الافكار » كالرحلة من الارتحال .

(٦) كُتِبَ (٧) النفا : الرياض ، والعام الأرملة : قليل المطر (٨) الأبل  
— كأمير — كلمة معربة ، ومعناها رئيس النصارى ، أو الراهب .

## حديثه مع رضوان

فَلَمَّا أَقَمْتُ فِي الْمَوْقِفِ زُهَاءَ شَهْرٍ أَوْ شَهْرَيْنِ ، وَخِفْتُ مِنَ الْفَرَقِ ، فِي  
الْمَرْقِ ، زَيْتُ لِي النَّفْسُ الْكَاذِبَةُ أَنْ أَنْظِمَ أَيْيَاتًا فِي رِضْوَانٍ ، خَازِنِ الْجَنَانِ ،  
حَمَلْتُهَا فِي وَزْنِ : « فَمَا نَبِّكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَعِرْفَانٍ » وَوَسَمْتُهَا بِرِضْوَانٍ ،  
ثُمَّ صَانَكْتُ<sup>(١)</sup> النَّاسَ حَتَّى وَقَفْتُ مِنْهُ بِحَيْثُ يَسْمَعُ وَيَرَى ، فَتَا حَقْلِي فِي ،  
وَلَا أَظُنُّهُ أَبَةً لِمَا أَقُولُ ، فَتَبَرَّتْ<sup>(٢)</sup> بَرْهَةً نَحْوَ عَشْرَةِ أَيَّامٍ مِنْ أَيَّامِ الْفَانِيَةِ ، ثُمَّ  
صَلَّيْتُ أَيْيَاتًا فِي وَزْنِ :

بَانَ الْخَلِيطُ وَلَوْ طُوعَتْ مَا بَانَا وَقَطَعُوا مِنْ جِبَالِ الْوَصْلِ أَقْرَانًا<sup>(٣)</sup>

(١) ضايقت . زاحت (٢) مكثت (٣) الخليط : الركب ، والأقران ، جمع : قرن :  
ومعناه في الأصل : الحبل يجمع به البعيران . والمراد في هذا البيت أنهم قطعوا ما كان يجمع  
بينه وبين حبيبه من أسباب اللقاء

وهذا البيت مطلع قصيدة لجرير الخطي ، يهجو بها الأختل ، ومن رقيق أيتها الغزلية :  
قالت : أَلَيْمٌ بِنَا إِنْ كُنْتَ مَنْطَلِقًا      وَلَا إِخْلَاكَ بَعْدَ الْيَوْمِ تَلْقَانَا  
يَا طِيبَ هَلْ مِنْ مَتَاعٍ تَتَمَعِينَ بِهِ      ضَيْفًا لَكُمْ بِأَكْرَأَ يَا طِيبَ مَجْلَانَا  
مَا كُنْتُ أَوَّلَ مُشْتَاقٍ أَخَى طَرْبٍ      هَاجَتْ لَهُ غَدَوَاتُ الْبَيْنِ أَحْرَانَا  
يَا أُمَّ عَمْرُو جَزَاكَ اللَّهُ مَغْفَرَةً      رَدَى عَلَى فَوَادِي كَالَّذِي كَانَا  
قَدْ خُنْتُ مِنْ لَمْ يَكُنْ يَخْشَى خِيَاتَكُمْ      مَا كُنْتُ أَوَّلَ مَوْثُوقٍ بِهِ خَانَا  
لَقَدْ كُنْتُ الْمَسْوِي حَتَّى تَهَيَّنِي      لَا أَسْتَطِيعُ لِهَذَا الْحُبِّ كِتْمَانَا  
لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا إِذَا انْقَطَعَتْ      أَسْبَابُ دُنْيَاكَ مِنْ أَسْبَابِ دُنْيَانَا  
إِنْ الْعَبْوَنَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا مَرَضٌ      قَتَلْتُنَا ثُمَّ لَمْ يَحْيَيْنِ قَتْلَانَا  
يَصْرَعَنَّ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ      وَهَنْ أَضْعَفَ خَلْقَ اللَّهِ أَرْكَانَا

وَوَسَّمَتْهَا بِرِضْوَانٍ ، ثُمَّ دَنَوْتُ مِنْهُ ، فَقَمَلْتُ كَفْعِي الْأَوَّلَ ، فَكَأَنِّي أَحْرَكُ

وهو جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي ، وكنيته أبو حزره .  
وقد ولد باليمامة في خلافة عثمان ، ونشأ بدويًا يرعى غنمه ، وكان هو وأهله فقراء يطلب عليهم الشعر يهجون به أعداءهم ، وقد هجا جرير البعيث ، وهو من قوم الفرزدق ، فانتصر الفرزدق لقومه ، فاشتبك جرير والفرزدق في مهاجة دامت عشر سنين  
وقد رحل جرير إلى البصرة وظل يهاجى الفرزدق ومن يتدخل في شأنه كالأخطل ، فاتصل بولادة العراق ، كبشر بن مروان ، والحجاج بن يوسف ، ثم اتصل ببعد الملك بن مروان ، ومن بعده من خلفاء بني أمية ، وزاحم الفرزدق على أبوابهم فرجه .  
ويمتاز شعر جرير بمتانة القافية ، والبعد عن التعميد ، والسلامة من التكلف . وامتاز نسيبه بالبرقة والعدوبة ، على أنه لم يشق قط ، وقد قال : « لو عشت لنسبت نسيباً تسمعه المعجوز فتبكي على شبابها »

وقد قيل : أمدح بيت قول جرير :  
أَلَسَّمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الطَّايَا وَأُنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونِ رَاحٍ  
وَأَهْجَى بَيْتِ قَوْلِهِ :  
فَفَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نَمِيرٍ فَلَا كَمْبَا بَلَفْتَ وَلَا كَلَابَا  
وَأَغْزَلَ بَيْتِ قَوْلِهِ :  
إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حُورٌ قَتَلْنَاهَا ثُمَّ لَمْ يَحْيَيْنَا قَتْلَانَا  
وَأَخْفَرِيتَ قَوْلَهُ :  
إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَيْمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمْ غَضَابَا  
وَأَبْلَغَ بَيْتِ فِي التَّهْكِيمِ قَوْلَهُ :  
زَعَمَ الْفَرَزْدَقُ أَنَّ سَيَقْتُلُ مَرْبَعًا أَبْشَرَ بِطُولِ سَلَامَةٍ يَا مَرْيَعٍ  
وَأَخْبَارُ جَرِيرٍ لَا يَتَسَعُّ لَهَا هَذَا الْمَقَامُ ، وَحَسْبُكَ مِنَ الْقِلَادَةِ مَا أَحَاطَ بِالْعَنُقِ .

ثَبِيرًا<sup>(١)</sup> وَالْتَمِسُ مِنَ الْعِضْرِ<sup>(٢)</sup> عَيْرًا<sup>(٣)</sup>، فَلَمْ أَزَلْ أَتَّبِعُ الْأَوْزَانَ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ يُوسِّمَ بِهَا رِضْوَانُ حَتَّى أَفْنَيْتَهَا، وَأَنَا لَا أَجِدُ عِنْدَهُ مَعْوَةً، وَلَا ظَنَنْتُهُ فَعِمَ مَا أَقُولُ، فَلَمَّا اسْتَقْصَيْتُ الْغَرَضَ فَتَا أَنْجَحْتُ، دَعَوْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: «يَا رِضْوَانُ! يَا أَمِينَ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ الْأَعْظَمِ عَلَى الْفَرَادِيسِ! أَلَمْ تَسْمَعْ نِدَائِي بِكَ، وَاسْتِغَاثَتِي إِلَيْكَ؟» فَقَالَ: «لَقَدْ سَمِعْتُكَ تَذَكَّرُ رِضْوَانُ وَمَا عَلِمْتُ مَقْصِدَكَ، فَا الَّذِي تَطْلُبُهُ أَيُّهَا الْمَسْكِينُ؟ فَأَقُولُ: «أَنَا رَجُلٌ لَا صَبْرَ لِي عَلَى اللُّوَابِ<sup>(٤)</sup>»، وَقَدْ اسْتَطَلْتُ مُدَّةَ الْحِسَابِ، وَمَعِيَ صَكَ<sup>(٥)</sup> بِالْثَوْبَةِ، وَرَمَى لِلذُّنُوبِ كُلِّهَا مَاحِيَةً، وَقَدْ مَدَحْتُكَ بِأَشْعَارٍ كَثِيرَةٍ وَوَسَمْتَهَا بِأَمِيمِكَ» فَقَالَ: «وَمَا الْأَشْعَارُ؟» فَقُلْتُ: «الْأَشْعَارُ جَمْعُ شَعِيرٍ، وَالشَّعْرُ كَلَامٌ مُوزُونٌ تَقْبَلُهُ الْغَرِيزَةُ عَلَى شَرَائِطٍ إِنْ زَادَ أَوْ نَقَصَ أَبَاكَ الْإِحْسُ، وَكَانَ أَهْلُ الْمَاجِلَةِ يَتَقَرَّبُونَ بِهِ إِلَى الْمُلُوكِ وَالسَّادَاتِ جَفَّتْ بِشَيْءٍ مِنْهُ إِلَيْكَ، لَمَّا أَذَنْ لِي بِالْدُخُولِ فِي هَذَا الْبَابِ، فَقَدْ اسْتَطَلْتُ مَا النَّاسُ فِيهِ، وَأَنَا ضَعِيفٌ مَنِيعٌ<sup>(٦)</sup> وَلَا رَيْبَ أَنَّي يَمُنُّ بِرِجْوِ الْمَغْفِرَةِ، وَتَصِيحُ لَهُ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى» فَقَالَ: «إِنَّكَ لَمَبِينُ الرَّأْيِ، أُنَاطِلُ أَنْ أَذَنْ لَكَ بِغَيْرِ إِذْنٍ مِنْ رَبِّ الْغَرِيزَةِ؟ هِيَاتَ هِيَاتَ! وَأَتَّبِي لَهُمُ الشَّاوِشَ<sup>(٧)</sup> مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ!»

حديثه مع زُفَرٍ

فَرَكْنُهُ وَانْصَرَفْتُ بِأَمَلِي إِلَى خَازِنٍ آخَرَ يُقَالُ لَهُ زُفْرٌ ، فَعَمِلْتُ كَلِمَةً  
وَوَسَّيْتُهَا بِاسْمِهِ ، فِي وَزْنِ قَوْلِي لَبِيد :

(١) اسم جبل (٢) قال أبو العلاء: المضم: تراب يشبه الجلس (٣) العطش قالوا: «إذا طافت الإبل على الحوض، ولم تقدر على الماء لكثرة الزحام، فذلك اللواب». (٤) إذن أو وثيقة (٥) المنين: الضعيف (والقوى) - ضد - والمراد هنا أنه ضعيف (٦) التناول أو الاختلاط

تَحْنِي ابْنَتَايَ أَنْ يَبِيشَ أَبُوهُمَا وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رَيْعَةٍ أَوْ مُضَرَةٍ<sup>(١)</sup>  
وَقَرُبْتُ مِنْهُ، فَأَلْشَدُّهُمَا، فَكَأَنِّي إِنَّمَا أَخَاطِبُ رُكُودًا صَمًّا، لِأَسْتَنْزِلَ<sup>(٢)</sup> أَبُودًا  
عَصَمًا<sup>(٣)</sup>، وَلَمْ أَتْرُكْ وَزَنًا مُقِيدًا وَلَا مُطْلَقًا يَحُوزُ أَنْ يُوسَمَ بِزُفَرٍ أَلَا وَسَمْتُهُ بِهِ،  
فَمَا نَجَعَ، فَقُلْتُ: «رَحِمَكَ اللَّهُ أَكُنَّا فِي الدَّارِ الدَّاهِيَةِ نَتَقَرَّبُ إِلَى الرَّئِيسِ  
وَالْمَلِكِ بِالْبَيْتَيْنِ وَالثَّلَاثَةِ فَجَدُّ عِنْدَهُ مَا نُحِبُّ، وَقَدْ نَظَّمْتُ فِيكَ مَا لَوْ جُمِعَ  
لَكَانَ دِيوانًا وَكَأَنَّكَ مَا سَمِعْتَ لِي! » فَقَالَ: «لَا أَشْعُرُ بِالَّذِي سَمِعْتُ»<sup>(٤)</sup>،  
وَأَحْسَبُ هَذَا الَّذِي تَجِئُنِي بِهِ قُرْآنَ إبْلِيسَ الْمَارِدِ، وَلَا يَنْفُقُ<sup>(٥)</sup> عَلَى الْمَلَائِكَةِ،  
إِنَّمَا هُوَ لِلْجَنِّ، وَعَلَمُوهُ وَلَدَ آدَمَ. فَمَا بُفَيْتُكَ؟ فَذَكَرْتُ لَهُ مَا أُرِيدُ، فَقَالَ:  
«وَاللَّهِ مَا أَقْدِرُ لَكَ عَلَى نَفْعٍ، وَلَا أَمْلِكُ لِخَلْقٍ مِنْ شَفِيعٍ، فَمِنْ أَى الْأُمِّ أَنْتَ؟»  
فَقُلْتُ: «مِنْ أُمِّ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ» فَقَالَ «صَدَقْتَ. ذَلِكَ  
نَبِيُّ الْعَرَبِ، وَمِنْ تِلْكَ الْجَهَةِ أَتَيْتَنِي بِالْقَرِيضِ، لِأَنَّ إبْلِيسَ اللَّعِينَ نَفَثَهُ فِي  
إِقْلِيمِ الْعَرَبِ فَتَعَلَّمَهُ نِسَاءُ وَرِجَالُ، وَقَدْ وَجَبَ عَلَى نُصْحِكَ، فَعَلَيْكَ بِصَاحِبِكَ.  
لَعَلَّهُ يَتَوَصَّلُ إِلَى مَا ابْتَغَيْتَ»  
فِيئِسْتُ مِمَّا عِنْدَهُ.

(١) مر ذكر هذا البيت في أبيات في ترجمة لبید (صحيفة ٤٦ من هذا الجزء)  
(٢) في نسخ الرسالة: لأستنزل، ويصح به الكلام، على أنه قد يكون تحريفاً،  
صوابه: لأستزل. واستزله: حمله على أن يزل، فيتصيده، وبذلك تتساوق الجملة، إذ تتحقق  
المقابلة بين الزلل والاعتصام (٣) المراد بالركود الصماء، الأرض الغليظة، أو الجبل.  
والمراد بالأبود العصماء: البهيمة المتوحشة المستعصمة بالجبل (٤) حمت: قصدت  
(٥) ينفق

### حديثه مع حمزة بن عبد المطلب<sup>(١)</sup>

فَعَمِلْتُ أَنْ أَخْلُلَ الْعَالَمَ ، فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ عَلَيْهِ نُورٌ يَتَلَأَلُ ، فَقُلْتُ : « مَنْ هَذَا الرَّجُلُ ؟ » فَقِيلَ : « هَذَا حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ صَرِيحٌ وَخَشِيٌّ ، وَهُوَ لِأَهْلِ الدِّينِ حَوَالُهُ مَنْ اسْتَشْهَدُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي أُحُدٍ » فَقُلْتُ لِنَفْسِي الْكَذُوبِ : « الشَّعْرُ عِنْدَ هَذَا أَفْقٌ<sup>(٢)</sup> مِنْهُ عِنْدَ حَازِنِ الْجَنَانِ ، لِأَنَّهُ شَاعِرٌ وَإِخْوَتُهُ شُعْرَاءُ ، وَكَذَلِكَ أَبُوهُ وَجَدُهُ ، وَلَعَلَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَعْدِنِ عَدْنَانَ إِلَّا مَنْ نَظَّمَ شَيْئًا مِنْ مَوْزُونٍ ، فَعَمِلْتُ أَيْبَاتًا عَلَى مَنْهَجِ آيَاتِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ<sup>(٣)</sup> الَّتِي رَأَيْتُ بِهَا حَمْزَةً ، وَأَوَّلُهَا :

صَفِيَّةٌ قَوْمِي وَلَا تَعْجِزِي      وَبَكِيُّ النِّسَاءِ عَلَى حَمْزَةٍ

وَجِئْتُ حَتَّى وَلَيْتُ<sup>(٤)</sup> مِنْهُ ، فَتَنَادَيْتُ : « يَا سَيِّدَ الشُّهَدَاءِ ، يَا عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ

(١) حمزة بن عبد المطلب هو عم النبي ، وكان أسن منه بأربع سنوات أو أقل ، وقد أسلم فاعتز به الإسلام ، وشهد غزوتي بدر وأحد ، وقتله في الثانية وحشي بن حرب (٢) أروج - أجلى

(٣) كعب بن مالك

هو كعب بن مالك بن عمرو بن القين البدوي الأنصاري الخزرجي ، وهو أحد رجال الصحابة ، وكان من كبار الشعراء ، مشهوراً في الجاهلية . فلما جاء الإسلام كان من شعراء النبي صلوات الله عليه ، وشهد الغزوات . ثم كان من شيعة عثمان ، وأغاثه يوم الثورة . وكف بصره في أخريات أيامه . وعاش سبعاً وسبعين سنة

قال روح بن زنباع : أشجع بيت وصف به رجل قومه ، قول كعب بن مالك :

نَصِيلُ السِّیُوفِ - إِذَا قَصْرُنَ - يَخْطُلُونَا      يَوْمًا وَلَنَحْتَهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقْ

(٤) أى دنوت وقربت . وليس فيما بين أيدينا من كتب اللغة إلا ، وَلِيَّ فُلَانٍ فُلَانًا ، أى دنا منه ، فعمل أبا العلاء ضَمَّنَ وَلِيَّ معنى دنا . فقال : وَلِيَّ مِنْهُ ، كما يقال : دنا منه . وهو سائغ .



صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ! يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ! « فَلَمَّا أَقْبَلَ عَلَى وَجْهِهِ ، أُنْشِدَتْهُ  
الْأَيَّاتُ ، فَقَالَ : وَيَحْتَك ! أَفِي مِثْلِ هَذَا الْمُتَوَطِّنِ تَجِيئُنِي بِالْمَدِيحِ ؟ أَمَا سَمِعْتَ  
الْآيَةَ ؟ » لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ »

فَقُلْتُ : « بَلَى ، قَدْ سَمِعْتُهَا وَسَمِعْتُ مَا بَعْدَهَا » وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ،  
صَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ، وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ، تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ <sup>(١)</sup> أُولَئِكَ هُمُ  
الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ ،

فَقَالَ : « إِنِّي لَا أَقْدِرُ عَلَى مَا تَطْلُبُ ، وَلَكِنْ أَفِيدُ مَعَكَ تَوْرًا <sup>(٢)</sup> إِلَى ابْنِ  
أَخِي عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، لِيُخَاطِبَ النَّبِيَّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فِي أَمْرِكَ »  
فَبَعَثَ مَعِيَ رَجُلًا ، فَلَمَّا قَصَّ قِصَّتِي عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : « أَيْنَ يَسْتَبْكُ ؟ <sup>(٣)</sup> »

### مقابلة أبي علي الفارسي <sup>(٤)</sup>

وَكُنْتُ قَدْ رَأَيْتُ فِي الْمَخْشَرِ شَيْخًا لَنَا كَانَ يَدْرُسُ النُّحُو فِي الدَّارِ الْعَاجِلَةِ ،  
يُعرفُ بِأَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ ، وَقَدْ امْتَرَسَ <sup>(٥)</sup> بِهِ قَوْمٌ بَطَالِبُونَهُ وَيَقُولُونَ : « تَأَوَّلْتُ

(١) غبرة (٢) التور : الرسول (٣) صحيفة حسناتك

(٤) أبو علي الفارسي : ٢٨٨ — ٣٧٧ هـ

اسمه : الحسن ، وكنته : أبو علي الفارسي : واسم أبيه أحمد بن عبد الغفار ، اشتهر في  
علم النحو ، وأقام بجلب عند سيف الدولة بن حمدان مدة ، وجرت محاضرات بينه وبين  
أبي الطيب المتني ، وانتقل إلى فارس وحسب عضد الدولة بن بويه ، وعلت منزلته هناك  
ومات في بغداد سنة ٣٧٧ هـ . وقد مر في ترجمة ابن القارح — في الجزء الأول — أنه كان  
تلميذاً لأبي علي الفارسي ، وأنه درس عليه النحو ، ومن ثم ترى حسن المناسبة في هذا  
الحديث ، إلى روعة الخيال وجمال التمثيل (٥) تمرّضوا له ، ولجّوا معه

عَلَيْنَا وَظَلَمْتَنَا « فَلَمَّا رَأَى أَشَارَ إِلَى يَدِهِ ، فَجِثَّهُ ، فَإِذَا عِنْدَهُ طَبَقَةٌ ، مِنْهَا  
يَزِيدُ بْنُ الْحَكَمِ الْكِلَابِيُّ <sup>(١)</sup> وَهُوَ يَقُولُ : « وَيَحْكُ ، أَنْشَدْتَ عَنِّي هَذَا  
الْبَيْتَ بَرَفِجِ الْمَاءِ ، يَفْنَى قَوْلُهُ :

« فَلَيْتَ كَفَافًا كَانَ شَرُّكَ شُكْلُهُ وَخَيْرُكَ عَنِّي مَا ارْتَوَى الْمَاءُ مَرَّتَوَى <sup>(٢)</sup>  
وَلَمْ أَقُلْ إِلَّا الْمَاءِ ، وَكَذَلِكَ زَمَمْتُ أُنَى فَتَحْتُ الْمَيْمَ فِي قَوْلِي :  
« تَبَدَّلَ خَلِيلًا بِي ، كَشُكْلِكَ شُكْلُهُ ، فَإِنِّي خَلِيلًا صَالِحًا بِكَ مَقْتَوَى <sup>(٣)</sup> »

### (١) يزيد بن الحكم الكلابي

هو يزيد بن الحكم الثقفى ، شاعر جاهلى من بنى كلاب بن ربيعة بن صعصعة . ومن  
مختار شعره قوله :

دفعناكم بالقول ، حتى بطرتم وبالراح ، حتى كان دفع الأصابع  
فلما رأينا جهلكم غير مثته وما كان من أحلامكم غير راجع  
مسننا من الآباء شيئا ، وكلنا إلى حسب فى قومه غير واضح  
فلما بلغنا الأمهات ، وجدتم بنى عمكم كانوا كرام المضاجع <sup>(١)</sup>

\* \*  
بنى عمنا لا تشتمونا ، ودافعوا على حسب - ما فات قيد الأكارع  
وكنا بنى عم - نزا الجهل بيننا - فكل يوفى حقه غير وادع  
وستمر بك - بعد أسطر قلائل - قصيدته الرائعة التى تعد من غرر الشعر العربى  
(٢) ما ارتوى الماء مروتى ، أى دائما أبداً ، ومعنى البيت : « ليت خيرك يعادل شرك  
فيكف هذا عني ذاك ، وأصبح آمناً منك أبداً »

(٣) مقتو أى متبدل به ، ومعنى البيت : « اختر لنفسك صديقاً آخر يشبهك وتشبهه ؛  
فانى متبدل بك خليلاً صالحاً وهو يخاطب ابن عمه ويقرعه على سوء سلوكه معه ، ويعلن  
إليه ضيق ذرعه بما تعلمه منه من الإساءة المتكررة ، ونفور طبعه من خطئه الجائرة .

## وَلَمَّا قُلْتُ : « مُقْتَوَى » بِضَمِّ الْمِيمِ ١

وهذا البيت والذي يليه من قصيدة رائعة له - هي من أجل الشعر العربي وأجوده وأدقه في شرح النفوس وتحليلها مع براعة الأداء وقوة الشاعرية - وهي :

تكاشرني كُرْهاً كأنك ناصح	وعينك تبدى أن صدرك لى دوى
لسانك ماذى <sup>(١)</sup> ، وغيبك علقم	وشرك مبسوط ، وخبرك منطوى
فليت كفافاً كان خيرك كله	وشرك عفى ، ما ارتوى الماء مرتوى
عدوك يخشى صوتي - إن لقيته -	وأنت عدوى ، ليس ذاك بمستوى
نصافح من لا قيت لى ذا عداوة	صفاحاً ، وغى بين عينك منزوى
أراك إذا لم أهو أمراً هويته	ولست لما أهوى من الأمر ياهوى
أراك اجتويت الخبير منى ، وأجوى <sup>(٢)</sup>	أذاك ، فكل يجتوى قرب مجتوى <sup>(٣)</sup>
وكم موطن - لولاي - طمعت كاهوى	بأجرامه من قلة النيق <sup>(٤)</sup> منهوى
إذا ما ابتنى الجسد ابن عنك لم تمن	وقلت : « ألا ياليت بنيانه خوى »
فإنك - إن قيل ابن عنك غانم -	شجر أو عميد أو أخو مغلة لوى
تملأت من غيظ على ؛ فلم يزل	بك القيظ حتى كدت بالغيظ تنشوى
وما برحت نفس حبود حسبها	تذيك ، حتى قيل : هل أنت مكتوى ؟
وقال النطاسيون : « إنك مُشْعَرٌ	سلالا » ألا بل أنت من حسد دوى
جمعت ، وفحشا ، غيبة ونميمة ،	خصالاً ثلاثاً لست عنها بمرعوى
أفحشا وجبناً ، واختناء <sup>(٥)</sup> عن الندى	كأنك أفى كدية فر محجوى <sup>(٦)</sup>
فيدحو بك الداحى إلى كل سواة	فيا شر من يدحو بأطيش مدحوى
بدا منك غش طال ما قد كتمته	كا كتمت داء ابنها أم مدوى <sup>(٧)</sup>

(١) عسل أيض (٢) أكره (٣) كاره (٤) أرفع موضع في الجبل ، ومعنى البيت « كم موقف آزرتك فيه لحبيبتك من التلف ، ولو لم أفل لهويت كما ينهى النوى من أعلى قمة في الجبل »  
(٥) الاختناء التخبى (٦) منطوى (٧) المدوى الذى يأخذ الدواة ، وهي جلد رقيقة تركب  
اللين ، يقال دوى اللين يدوى فهو مدو . وأقبل الصبيان على اللبن يدوونه ، أى يأخذون ما عليه من الجلدة .  
ولأم مدو قصة طريقة ، فانظرها في الأمالي .

وَإِذَا جَمَاعَةٌ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ ، كُلُّهُمْ يَلُومُونَهُ عَلَى تَأْوِيلِهِ .  
فَقُلْتُ : « يَا قَوْمُ إِنَّ هَذِهِ أُمُورٌ هَيِّنَةٌ ، فَلَا تُعْنِتُوا <sup>(١)</sup> هَذَا الشَّيْخَ ، فَإِنَّهُ  
مَا سَفَكَ لَكُمْ دَمًا ، وَلَا احْتَجَبَ <sup>(٢)</sup> عَنْكُمْ مَالًا .  
فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ . وَشِئْتُ بِخِطَابِهِمْ ، وَالنَّظَرُ فِي حَوِيرِهِمْ <sup>(٣)</sup> ، فَسَقَطَ مِنِّي  
الْكِتَابُ الَّذِي فِيهِ ذِكْرُ التَّوْبَةِ ، فَرَجَعْتُ أَطْلُبُهُ ، فَأَوْجَدْتُهُ

حديثه مع علي بن أبي طالب <sup>(٤)</sup>

فَأُظْهِرْتُ الْوَلَةَ وَالْجَرَخَ ، فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ : « لَا عَلَيْكَ <sup>(٥)</sup> أَلَّا شَاهِدُ  
بِالتَّوْبَةِ ؟ » فَقُلْتُ : « نَعَمْ قَاضِي حَلَبَ وَعُدُّوْهَا <sup>(٦)</sup> » فَقَالَ : « يَمَنْ يُعْرِفُ  
ذَلِكَ الرَّجُلَ ؟ » فَأَقُولُ : « بَعْدُ الْمُثَنِّمِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ ، قَاضِي حَلَبَ — حَرَسَهَا  
اللَّهُ — فِي أَيَّامِ شَيْبِلِ الدَّوْلَةِ ، فَأَقَامَ هُنَاكَ هَائِفًا يَهْتَفُ فِي الْمَوْقِفِ : « يَا عَبْدَ الْمُثَنِّمِ  
ابْنَ عَبْدِ الْكَرِيمِ قَاضِي حَلَبَ فِي زَمَانِ شَيْبِلِ الدَّوْلَةِ أَهْلَ مَعَكَ عِلْمٌ مِنْ تَوْبَةٍ  
عَلَى بْنِ مَنْصُورٍ بْنِ طَالِبِ الْحَلَبِيِّ ؟ » فَلَمْ يُجِبْنِي أَحَدٌ ، فَأَخَذَنِي الْهَلَعُ <sup>(٧)</sup> وَالرُّعْدَةُ ،  
ثُمَّ هَتَفَ النَّائِبَةُ ، فَلَمْ يُجِبْنِي مُجِيبٌ ، فَطَرَحْتُ إِلَى الْأَرْضِ ، ثُمَّ نَادَى الثَّالِثَةُ ، فَأَجَابَهُ  
قَائِلٌ يَقُولُ : « نَعَمْ قَدْ شَهِدْتُ تَوْبَةَ عَلِيِّ بْنِ مَنْصُورٍ ، وَذَلِكَ بِأَخْرَجِهِ <sup>(٨)</sup> مِنْ  
الْوَقْتِ ، وَحَضَرَتْ مَتَابَعُهُ عِنْدِي جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُدُولِ ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ قَاضِي حَلَبَ  
وَأَعْمَاهَا . »

(١) لا ترهقوه ، وترققوا به . (٢) ضم إلى نفسه (٣) محاورتهم (٤) ستم ربك ترجمته  
وطرف من أخباره في الجزء الثالث من هذا الكتاب (٥) لاضير عليك (٦) جمع عدل ،  
وهو العادل الذي ترضى شهادته (٧) شدة الجزع (٨) جاء أخرة ، وبأخرة : أى  
آخر كل شيء .

فَمَنْدَ ذَلِكَ نَهَضْتُ وَقَدْ أَخَذْتُ الرَّمَقَ<sup>(١)</sup> ، فَذَكَرْتُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ  
— عَلَيْهِ السَّلَامُ — مَا أَلْتَمِسُ ، فَأَعْرَضَ عَنِّي ، وَقَالَ : « إِنَّكَ لَتَرُومُ مُمْتَنِعًا ، وَلَكَ  
أُسْوَةٌ بَوْلِدِ أَيْكَ آدَمَ »

### وروده الحوض

وَمَهَّمْتُ بِالْحَوْضِ ، فِكِدْتُ لَا أَصِلُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ نَعَبْتُ مِنْهُ نَعَبَاتٍ<sup>(٢)</sup> لَا ظَمًا  
بَعْدَهَا ، وَإِذَا الْكَفَرَةُ يَحْمِلُونَ أَنْفُسَهُمْ عَلَى الْوُرُودِ ، فَتَذَوُّدُهُمْ<sup>(٣)</sup> الزَّبَانِيَةُ بِعِصْيَةٍ  
تَضْطَرُّمْ نَارًا ، فَيَرْجِعُ أَحَدُهُمْ وَقَدْ اخْتَرَقَ وَجْهَهُ أَوْ يَدُهُ ، وَهُوَ يَدْعُو بَوِيلٍ وَبُئُورٍ<sup>(٤)</sup>

### حديثه مع فاطمة

فَطُفْتُ عَلَى الْعِتْرَةِ الْمُتَخَيِّنِ ، فَقُلْتُ : « إِنِّي كُنْتُ فِي الدَّارِ النَّاهِبَةِ إِذَا  
كَتَبْتُ كِتَابًا وَفَرَعْتُ مِنْهُ قُلْتُ فِي آخِرِهِ : « وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ  
النَّبِيِّينَ ، وَحَلَّى عِثْرَتِهِ الْأَخْيَارِ الطَّيِّبِينَ ، وَهَذِهِ حُرْمَةٌ لِي وَوَسِيلَةٌ »

فَقَالُوا : « مَا نَصْنَعُ بِكَ ؟ » فَقُلْتُ : « إِنْ مَوْلَانَا فَاطِمَةُ<sup>(٥)</sup> — عَلَيْهَا السَّلَامُ —  
قَدْ دَخَلَتْ الْجَنَّةَ مِنْذُ دَهْرٍ . وَإِنَّهَا تَخْرُجُ فِي كُلِّ حِينٍ مِقْدَارُهُ أَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ  
سَاعَةً مِنْ سَاعَاتِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ . فَتُسَلَّمُ عَلَى أَيْهَا وَهُوَ قَائِمٌ لَشَهَادَةِ الْقَضَاءِ . ثُمَّ  
تَعُودُ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا فِي الْجَنَانِ ، فَإِذَا هِيَ خَرَجَتْ كَالْمَادَةِ فَاسْأَلُوهَا فِي أَمْرِي

(١) بقية الروح (٢) جرجا (٣) تطردم وتدفعهم (٤) هلاك

(٥) فاطمة الزهراء : توفيت سنة ١١ هـ

هي بنت رسول الله صلوات الله عليه ، وقد تزوجها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ،  
فولدت له الحسن والحسين وأم كلثوم وزينب ، وكانت فصيحة عاقلة . وقد توفيت بعد أبيها  
بسته أشهر ، ويروى عنها بعض الأحاديث النبوية .

بِاجْتِمَاعِكُمْ ، فَلَعَلَّهَا تَسْأَلُ آبَاهَا فِي « فَلَمَّا حَانَ خُرُوجُهَا ، وَتَادَى الْهَافُ أَنْ تُغْضُوا  
أَبْصَارَكُمْ يَا أَهْلَ التَّوَقُّفِ حَتَّى تَعْبُرَ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ -  
اجْتَمَعَ مِنْ آلِ أَبِي طَالِبٍ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ ذُكُورٍ وَإِنَاثٍ يَمِينٌ لَمْ يَشْرَبْ خَمْرًا ،  
وَلَا عَرَفَ قَطُّ مُنْكَرًا ، فَلَقَوْهَا فِي بَعْضِ السَّبِيلِ . فَلَمَّا رَأَتْهُمْ قَالَتْ : « مَا بَالُ  
هَذِهِ الزَّرَافَةِ ؟ »<sup>(١)</sup> أَلَكُمُ حَالٌ تُذَكِّرُ ؟ » فَقَالُوا : « نَحْنُ بِخَيْرٍ . إِنَّا نَلْتَذُّ بِشَحْفِ  
أَهْلِ الْجَنَّةِ . غَيْرَ أَنَّا نَحْبُوسُونَ لِلْكَلِمَةِ السَّابِقَةِ ، وَلَا نُرِيدُ أَنْ تَتَسَرَّعَ إِلَى الْجَنَّةِ  
قَبْلَ الْمِيقَاتِ ، إِذْ كُنَّا آمِنِينَ نَاعِمِينَ ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ « إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا  
الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا »<sup>(٢)</sup> وَمِمَّا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ  
خَالِدُونَ ، لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي  
كُنْتُمْ تُوعَدُونَ » . وَكَانَ فِيهِمْ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ<sup>(٣)</sup> ، وَابْنَاهُ مُحَمَّدٌ<sup>(٤)</sup>

(١) الجماعة (٢) صوتها الخفي

(٣) علي بن الحسين : ٣٨٨ هـ - ٩٤ هـ

هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، اللقب بزَيْنِ العَابِدِينَ . كَانَ يَضْرِبُ  
بِهِ الْمَثَلَ فِي الْحِلْمِ وَالْوَرَعِ ، وَلَدَ بِالْمَدِينَةِ وَتَوَفَّى بِهَا . وَمِنْ شَوَاهِدِ نُبُلِهِ أَنَّهُ أَحْصَى بَعْدَ مَوْتِهِ مِنْ  
كَانَ يَقُوتُهُمْ سِرًّا فَإِذَا هُمْ نَحْوُ مِائَةِ بَيْتٍ ، حَتَّى قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ : « مَا فَقَدْنَا صَدَقَةَ السِّرِّ  
إِلَّا بَعْدَ مَوْتِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ . »

(٤) محمد بن علي : توفي سنة ١١٤ هـ

هو محمد بن علي زين العابدين بن الحسين ، وَقَدْ مَرَّتْ تَرْجُمَةُ أَبِيهِ فِي هَذِهِ الصَّفْحَةِ وَيَلْقَبُ  
مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بِأَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ ، وَكَانَ نَاسِكًا عَابِدًا ، وَيُرْوَى لَهُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ ، آرَاءُ وَأَقْوَالُ ،  
وَلَدَ بِالْمَدِينَةِ ، وَتَوَفَّى خَارِجَهَا ، فَنَقِلَتْ جَسَدُهُ إِلَيْهَا ، وَوُفِنَ بِهَا .

وَزَيْدٌ<sup>(١)</sup>، وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْأَبْرَارِ الصَّالِحِينَ، وَمَعَ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ امْرَأَةً أُخْرَى تَجْرِي تَجْرَاهَا فِي الشَّرَفِ وَالْجَلَالَةِ، فَقِيلَ: «مَنْ هَذِهِ؟» فَقِيلَ: «خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزَى<sup>(٢)</sup>» وَمَعَهَا شَبَابٌ عَلَى أَفْرَاسٍ مِنْ نُورٍ، فَقِيلَ: «مَنْ هَؤُلَاءِ؟» فَقِيلَ: «عَبْدُ اللَّهِ، وَالْقَاسِمُ، وَالطَّيِّبُ، وَالطَّاهِرُ، وَإِبْرَاهِيمُ<sup>(٣)</sup>؛ بَنُو مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»

(١) زيد بن علي : توفي سنة ١٢٢ هـ

زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أقام بالكوفة، وقرأ على واصل بن عطاء رأس المعتزلة، واقتبس منه علم الاعتزال، وخرج على هشام بن عبد الملك سنة ١٢٠ هـ داعياً إلى العمل بالكتاب والسنة، ورد الظالم، والعدل في القسمة. وكان عامل العراق آنئذ يوسف بن عمر الثقفي، فكتب يوسف إلى الحكم بن أبي الصلت يأمره بقتل زيد، ففعل، ودارت معارك ختمت بقتل زيد، فحمل رأسه إلى الشام ونصب على باب دمشق. وإلى زيد بن علي تنسب الطوائف الزيدية الباقية إلى يومنا هذا في اليمن وغيرها.

(٢) خديجة بنت خويلد : توفيت قبل الهجرة بثلاث سنين

خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى، أول زوجة للرسول صلوات الله عليه، وكانت آمن منه بخمس عشرة سنة، ولدت بحمكة، ونشأت في بيت شرف ويسار، وتزوجت برجل مات عنها، وكانت ذات مال كثير وتجارة تبعث بها إلى الشام، فقتلها رجل من ذلك الرجال. وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في تجارة لها إلى الشام فربحت ربها عظيماً، فأرسلت إليه من يعرض عليه زواجه منها، فلما تزوجها ولدت له القاسم وعبد الله (وهو الطاهر والطيب) وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة، وكان بين كل ولدين سنة. ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاها إلى الإسلام، فأسلمت، ومكثتا يصليان سراً إلى أن ظهرت الدعوة الإسلامية. وتوفيت خديجة بحمكة.

(٣) هكذا في جميع النسخ. والذكر من أولاد النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة : عبد الله، والقاسم، وإبراهيم. أما الطيب والطاهر فلقبان، قيل إنهما لقباه عبد الله.

فَقَالَتْ تِلْكَ الْجَمَاعَةُ الَّتِي سَأَلْتُ: «هَذَا وَلِيِّي مِنْ أَوْلِيَانَا قَدْ صَحَّتْ تَوْبَتُهُ، وَلَا رَيْبَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. وَقَدْ تَوَسَّلَ بِنَا إِلَيْكَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ - فِي أَنْ يُرَاحَ مِنْ أَهْوَالِ الْمُتَوَقِّفِ، وَيَصِيرَ إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَتَجَلَّلَ الْفَوْزَ»  
فَقَالَتْ لِأَخِيهَا إِبْرَاهِيمَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ -: «دُونَكَ الرَّجُلَ» فَقَالَ لِي: «تَعْلَقُ بِرُكَايَ» وَجَعَلَتْ تِلْكَ الْخَيْلُ تُخَلِّلُ النَّاسَ؛ وَتَنْكَشِفُ لَهَا الْأُمُ وَالْأَجْيَالُ<sup>(١)</sup>. فَلَمَّا عَظُمَ الزَّحَامُ، طَارَتْ فِي الْمَوَاهِ، وَأَنَا مُتَعَلِّقٌ بِالرَّكَابِ

### حديثه مع النبي

فَوَقَفْتُ عِنْدَ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: «مَنْ هَذَا الْأَتَاوِيُّ<sup>(٢)</sup>؟»  
فَقَالَتْ: «هَذَا رَجُلٌ سَأَلَ فِيهِ فَلَانٌ وَفَلَانٌ» وَتَمَّتْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأُئِمَّةِ الطَّاهِرِينَ، فَقَالَ: «حَتَّى يُنْظَرَ فِي عَمَلِهِ» فَسَأَلَ فِي عَمَلِي، فَوَجَدَهُ فِي الدُّيُونِ الْأَعْظَمِ. وَقَدْ خُتِمَ بِالتَّوْبَةِ؛ فَشَفَعَنِي لِي، فَأُذِنَ لِي فِي الدُّخُولِ

### عبور الصراط

فَلَمَّا خَلَصْتُ مِنْ تِلْكَ الطُّمُوشِ<sup>(٣)</sup> قِيلَ لِي: «هَذَا الصَّرَاطُ، فَأَعْبُرْ عَلَيْهِ»  
فَوَجَدْتُهُ خَالِيًا لَا عَرِيبَ<sup>(٤)</sup> عِنْدَهُ، فَبَاوَتْ نَفْسِي فِي الْعُبُورِ، فَوَجَدْتُني لَا أَسْتَمْسِكُ، فَقَالَتْ الزَّهْرَاءُ<sup>(٥)</sup> - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهَا - لِجَارِيَةٍ مِنْ جَوَارِيهَا:

فلعله سهو من أبي الملاء، إذ اشتبهت عليه الأسماء بالألقاب، فعد الذكور خمسة. وجل من لا يسهو، فالمصصة لله وحده.

(١) الأجيال: أجناس الناس، كالترك، والروم، والزنج . . . . (٢) الغريب

(٣) جمع طمش، وهو الناس (٤) لا أحد (٥) هي السيدة فاطمة، وقد تقدمت ترجمتها



« يَا فُلَانَةُ ، أَجِيزِيهِ <sup>(١)</sup> » فَجَعَلَتْ تُنَمَّرِسْنِي <sup>(٢)</sup> وَأَنَا أُنَسَاقُطُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ فَقُلْتُ لَهَا : « يَا هَذِهِ ! إِنْ أَرَدْتَ سَلَامَتِي ، فَاسْتَعْمِلِي مَعِيَ قَوْلَ الْقَائِلِ فِي الدَّارِ الْعَاجِلَةِ :

« سِتُّ إِنْ أَغْيَاكَ أَمْرِي فَاحْمِلِي زَقْفُونَةَ »

فَقَالَتْ : « وَمَا زَقْفُونَةُ ؟ » قُلْتُ : « أَنْ يَطْرَحَ الْإِنْسَانُ يَدَيْهِ عَلَى كَتِفِي الْآخَرِ ، وَيُمْسِكَ يَدَيْهِ ، وَيَحْمِلُهُ وَبَطْنُهُ إِلَى ظَهْرِهِ . أَمَّا سَمِعْتَ قَوْلَ الْجَحْجُجُولِ مَنْ أَهْلُ كَفْرِ طَابِ :

صَلَحَتْ حَالَتِي إِلَى الْخُلْفِ حَتَّى صِرْتُ أُمْنِي إِلَى الْوَرَى زَقْفُونَةَ <sup>(٣)</sup> »

فَقَالَتْ : « مَا سَمِعْتُ بِزَقْفُونَةَ وَلَا الْجَحْجُجُولِ وَلَا كَفْرِ طَابِ إِلَّا السَّاعَةَ ! » فَتَحْمِلُنِي ، وَتَجُوزُ كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ . فَلَمَّا جُرْتُ ، قَالَتْ الزَّهْرَاءُ - عَلَيْهَا السَّلَامُ - : « قَدْ وَهَبْنَا لَكَ هَذِهِ الْجَارِيَةَ ، فَخُذْهَا كَيْ تَخْدُمَكَ فِي الْجَنَانِ . »

### حواره مع رضوان

فَلَمَّا صِرْتُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، قَالَ رِضْوَانُ : « هَلْ مَعَكَ مِنْ جَوَازٍ ؟ » فَقُلْتُ : « لَا » فَقَالَ : « لَا سَبِيلَ إِلَى الدُّخُولِ إِلَّا بِهِ »

(١) اجعليه يجوز ، أى يعبر (٢) تعالجنى (٣) كفر طاب قرية من قرى الشام ، وفيها يقول أبو العلاء فى لزومياته :

أرى كفر طاب أهجز الماء حفره وبالس أضناها الفرات عن الحفر  
كذلك مجرى الرزق ، واد به ندى ، وواد به فيض ، وآخر ذو جفر  
وبالس قرية بالشام

فَبِعِلْتِ<sup>(١)</sup> بِالْأَمْرِ ، وَعَلَى بَابِ الْجَنَّةِ - مِنْ دَاخِلٍ - شَجَرَةٌ صَفْصَافٌ ،  
فَقُلْتُ : « أُعْطِنِي وَرَقَةً مِنْ هَذِهِ الصَّفْصَافَةِ ، حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى الْمَوْقِفِ ،  
فَأَخْذُ عَلَيْهَا جَوَازًا » فَقَالَ : « لَا أَخْرِجُ شَيْئًا مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا بِإِذْنِ مَنْ أَعْلَى  
الْأَعْلَى - تَقْدَسُ وَتُبَارَكُ »

فَلَمَّا دَجَرْتُ<sup>(٢)</sup> بِالنَّازِلَةِ ، قُلْتُ : « إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، لَوْ أَنَّ لِلْمُغِيرِ  
أَبِي الْمُرْجَى خَازِنًا مِثْلَكَ ، لَمَا وَصَلْتُ أَنَا وَلَا غَيْرِي إِلَى دِرْهَمٍ مِنْ خَزَائِنِهِ ! »

### دخوله الجنة

وَالْتَفَتَ إِبْرَاهِيمُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ - فَرَأَى وَقَدْ تَخَلَّفَتْ عَنْهُ ، فَرَجَعَ  
إِلَى<sup>(٣)</sup> ، فَجَذَبَنِي جَذْبَةً حَصَلَنِي بِهَا فِي الْجَنَّةِ ، وَكَانَ مُقَامِي<sup>(٤)</sup> فِي الْمَوْقِفِ مُدَّةَ  
سِتَّةِ أَشْهُرٍ مِنْ شُهُورِ الْمَاجِلَةِ ، فَلِذَلِكَ بَقِيَ عَلَى حِفْظِي ، مَا تَرَفَّقَنِي<sup>(٥)</sup> الْأَهْوَالُ ،  
وَلَا نَهَكُهُ تَذْيِيقُ الْحَسَابِ .

(١) وصلت حيرتي وخوفي وسأمت إلى حد لم أدر معه ما أصنع

(٢) حيرت (٣) إقامتي (٤) ما أذهبتني

## الفصل الثالث

### نَعِيمُ الْفِرْدَوْسِ

حديثه مع حميد بن ثور<sup>(١)</sup>

وَيَنْصَرِفُ عَنْهُ رَشِيدًا إِلَى حُمَيْدِ بْنِ ثَوْرٍ ؟ فيقول :  
« لَيْلَهُ يَا حُمَيْدُ ! لَقَدْ أَحْسَنْتَ فِي قَوْلِكَ :

أَرَى بَصْرِي قَدْ رَأَيْتَنِي - بَعْدَ صِحَّةٍ - وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَ<sup>(٢)</sup>  
وَلَنْ يَلْبَثَ الْمَصْرَانِ<sup>(٣)</sup> يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ إِذَا طَلَبَا ، أَنْ يُدْرِكَ مَا تَيْمَمَا<sup>(٤)</sup>

فَكَيْفَ بَصْرُكَ الْيَوْمَ ؟ » فيقول : « إِنِّي لَا أَكُونُ فِي مَتَارِبِ الْجَنَّةِ ، فَأَلْمَحُ  
الصَّادِقَ مِنْ أَصْدِقَائِي وَهُوَ بِعِشَارِ قَهْطِي ، وَيَنِينِي مَسِيرَةُ أُلُوفِ أَعْوَامٍ .

(١) حميد بن ثور الهلالي .

شاعر إسلامي من طاهر بن صمصمة ، ينسبون إليه البيت المشهور الذي جرى مجرى  
المثل ، وهو قوله :

ينام بإحدى مقلتيه ، ويتيق بأخرى الأعادي ، فهو يفظان نائم

(٢) في هذا المعنى يقول أبو العلاء في لزومياته :

يُدَاوِي الْمَرِيضَ لِكَيْمَا يَصِحَّ وَهَلْ صَحَّةُ الْجَسْمِ إِلَّا مَرَضٌ ؟

(٣) الليل والنهار (٤) تَيْمَمَةٌ : قَصْدُهُ ، ومعنى البيتين : ضعف بصري بعد أن

كان صحيحاً ، وكفى بالصحة منقرا بالمرض ، فقد آلى الزمن ليسقم كل صحيح ، وليس  
يمعز الزمن الدائر بأيامه ولياليه أن يدرك غايته وشيكا .

لِلشَّمْسِ الَّتِي عَرَفْتَ سُرْعَةَ سَيْرِهَا فِي الْعَاجِلَةِ، فَتَعَالَى اللَّهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ بَدِيعٍ<sup>(١)</sup>  
 فَيَقُولُ الشَّيْخُ: «لَقَدْ أَحْسَنْتَ فِي الدَّالِيَةِ الَّتِي فِيهَا -  
 تَتَابَعَ أَعْوَامٌ عَلَيْهَا هَزَلَتَهَا وَأَقْبَلَ عَامٌ، يُنْعِشُ النَّاسَ، وَاحِدٌ»  
 فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ: «لَقَدْ شُغِلْتُ بِمَا وَهَبَ لِي رَبِّي الْكَرِيمُ، وَلَا خَوْفَ  
 عَلَيَّ وَلَا حَزَنَ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُعْمِلُ فِكْرَهُ السَّنَةَ وَالْأَشْهُرَ فِي الرَّجُلِ  
 قَدْ آتَاهُ اللَّهُ الشَّرَفَ وَالْمَالَ، فَرُبَّمَا رَجَعَ بِالْخَيْبَةِ، وَإِنْ أُعْطِيَ فَعَطَاهُ زَهِيدٌ،  
 وَلَكِنَّ النِّظْمَ فَضِيلَةُ الْعَرَبِ»

### حديثه مع لييد<sup>(٢)</sup>

وَيَعْرِضُ لَهُمْ لَيْدُ بْنُ رَيْبَعَةَ، فَيَدْعُوهُمْ إِلَى مَنْزِلِهِ، وَيُقْسِمُ عَلَيْهِمْ لَيْذَهَبَنَّ  
 مَعَهُمْ، فَيَمْشُونَ قَلِيلًا، فَإِذَا هُمْ بِأَيَّاتٍ ثَلَاثَةٍ لَيْسَ فِي الْجَنَّةِ نَظِيرُهَا بِهَاءَ  
 وَحُسْنًا. فَيَقُولُ لَيْدٌ: «أَتَعْرِفُ أَيُّهَا الْأَدِيبُ الْحَلِيبِيُّ هَذِهِ الْأَيَّاتُ؟ إِنَّهَا قَوْلِي:  
 إِنَّ تَقْوَى<sup>(٣)</sup> رَبِّنَا خَيْرٌ فَقَلَّ<sup>(٤)</sup>. وَيَا ذَنْبَ اللَّهِ رَيْبِي وَعَجَلَن  
 أَسْأَلُ اللَّهَ، فَلَا نِدَّ لَهُ يَبْدِيهِ اتَّخِرُ مَا شَاءَ فَعَلَن  
 مِنْ هَدَاهُ سُبُلَ الْخَيْرِ اهْتَدَى نَاعِمَ الْبَالِ، وَمَنْ شَاءَ أَصَلَّ<sup>(٥)</sup>

(١) البديع - هنا - ما اخترع على غير مثال سابق

(٢) تقدمت ترجمته في ص ٤٦ (٣) خشية (٤) غنيمة (٥) معنى  
 الآيات: أربح غنم يصيبها الإنسان هو خشية الله مصرف الأمور، فله الحمد، لا كقوله،  
 بيده الخير، يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وهو على ما يشاء قدير

صَيَّرَهَا رَبِّي أُنْيَاتًا فِي الْجَنَّةِ أَسْكُنَهَا أُخْرَى الْأَبَدِ «  
فَيَجْعَبُ هُوَ وَأَوْلَيْكَ الْقَوْمُ، وَيَقُولُونَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدِيرٌ عَلَى مَا أَرَادَ! »

## مأدبة في الجنة

وَيَبْدُو لَهُ<sup>(١)</sup> أَنْ يَصْنَعَ مَأْدَبَةً فِي الْجَنَانِ، يَجْتَمِعُ فِيهَا مَنْ أُمِكنَ مِنْ شُعْرَاءِ  
الْخُضْرَمَةِ وَالْإِسْلَامِ، وَالَّذِينَ أَصْلَوْا كَلَامَ الْعَرَبِ، وَجَعَلُوهُ مَحْفُوظًا فِي الْكُتُبِ،  
وَعَنِيهِمْ مَنْ يَتَأَلَّسُ بِقَلِيلِ الْأَدَبِ، وَيَخْطُرُ لَهُ أَنْ تَكُونَ كَمَا دَبِ الدَّارِ  
الْمَاجِلَةِ، إِذْ كَانَ الْبَارِي لَا يُعْجِزُهُ - جَلَّتْ عَظَمَتُهُ - أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِجَمِيعِ  
الْأَغْرَاضِ مِنْ غَيْرِ كُفَّةٍ وَلَا إِنْطَاءٍ، فَتُنشَأُ أَرْحَالُهُ<sup>(٢)</sup> عَلَى الْكَوْثَرِ، تُجْمَعُ  
لِطَحْنِ بُرِّ<sup>(٣)</sup> الْجَنَّةِ، وَإِنَّهُ لَأَفْضَلُ مِنْ بُرِّ الْهَدْلِيِّ<sup>(٤)</sup> الَّذِي قَالَ فِيهِ:  
«لَا دَرْدَرِي»<sup>(٥)</sup> إِنْ أَطْعَمْتُ رَاعِدَكُمْ قَرْفَ الْحَنِي<sup>(٦)</sup> وَعِنْدِي الْبُرُّ مَكْنُوزٌ<sup>(٧)</sup>،  
عِقْدَارٍ تَفْضُلُ بِهِ السَّمَوَاتُ الْأَرْضَيْنِ

\* \*

وَيَحْسُ<sup>(٨)</sup> فِي صَدْرِهِ أَرْحَالَهُ تَدُورُ فِيهَا الْبَهَائِمُ، فَيَمْتَلُ يَنْ يَدِيهِ مَا شَاءَ  
مِنَ الْبُيُوتِ فِيهَا أَحْجَارٌ مِنْ جَوَاهِرِ الْجَنَّةِ، تُدِيرُ بَعْضُهَا جِمَالَ تَسُومٍ فِي عِضَاهِ<sup>(٩)</sup>  
الْفِرْدَوْسِ، وَأَيْنُقُ، وَصُتُوفٌ مِنَ الْبَغَالِ وَالْبَقَرِ

(١) أي ابن القارح (٢) الأرحاء، جمع رحي، وهي اللعروفة (٣) قح (٤) هو أبو  
ذؤيب، وقد مرت ترجمته في ص ٣٥ (٥) لا دَرْدَرِي أي لاكثر خيرى، ولا زكا على.  
(٦) القرف: القشر، والحني: قشر الردىء من ثمار شجر اللوم (٧) معنى البيت:  
لا يبارك الله فى مالى إذا أطعمت نازلكم قشر اللوم، مع وفرة ما لدى من القمح الزائد عن  
حاجتى (٨) يحس: يقع فى ضيقه، أى يكون فى خاطره على وجه التمنى، ولعل اللفظ:  
يهجس، أى يمر بباله، والمعنى لا يتغير على كلا اللفظين (٩) شجر ذو شوك

فَإِذَا اجْتَمَعَ مِنَ الطَّعْنِ مَا يُظَنُّ أَنَّهُ كَافٍ لِمُتَأَدِّبَةٍ، تَفَرَّقَ خَدْمُهُ مِنْ  
الْوِلْدَانِ الْمُخَلَّدِينَ، فَجَاءُوا بِالْجِذَاءِ وَضُرُوبِ الطَّيْرِ الَّتِي جَرَتْ الْعَادَةُ بِأَكْلِهَا .  
وَسَيِّقَتِ الْبَقَرُ وَالْغَنَمُ، وَالْإِبِلُ، لِنُتْعَبِطَ؛ فَارْتَفَعَ يَمَارُ الْمَسِينِ وَثَوَاجُ الضَّانِ  
وَصِيَاخُ الدَّرَبِكَةِ لِمَيَانِ الْمُتْدِيَةِ، فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي ابْتَدَعَ خَلْقَهُ مِنْ غَيْرِ  
رَوِيَّةٍ<sup>(١)</sup>، وَصَوَّرَهُ بِلَا مِثَالٍ

فَإِذَا حَصَلَتِ النُّحُوضُ<sup>(٢)</sup> فَوْقَ الْأَوْفَاضِ<sup>(٣)</sup>، قَالَ: «أَخْضَرُوا مِنَ الْجَنَّةِ  
الطُّهَاءَ السَّائِكِينَ بِحَلَبٍ عَلَى مَرَمِ الْأَزْمَانِ» فَتَخَضَّرُ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ، فَيَأْمُرُهُمْ  
بِالتَّخَاذِ الْأَطْعِمَةِ، وَتِلْكَ لَذَّةٌ يَهْبِهَا اللَّهُ - عَزَّ سُلْطَانُهُ - بِدَلِيلِ قَوْلِهِ:  
«وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ»، وَتِلْكَ الْجَنَّةُ  
الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ؛ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ»  
فَإِذَا أَنْتِ الْأَطْعِمَةُ افْتَرَقَ غِلْمَانُهُ الَّذِينَ كَانَتْهُمْ الثَّلَاثَةُ الْمَسْكُونُونَ لِإِخْضَارِ  
الْمَدْعُوعِينَ، فَلَا يَتَرَكُونَ فِي الْجَنَّةِ شَاعِرًا إِلَّا سَلَامِيًّا وَلَا مُخَضَّرَمًا، وَلَا عَالِمًا بِشَيْءٍ  
مِنْ أَصْنَافِ الْعُلُومِ، وَلَا مُتَأَدِّبًا إِلَّا أَخْضَرُوهُ، فَيَجْتَمِعُ خَلْقٌ كَثِيرٌ، فَتَوْضَعُ  
الْخُلُونُ<sup>(٤)</sup> مِنَ الذَّهَبِ، وَالْفَوَاوِشِيرُ<sup>(٥)</sup> مِنَ اللَّعِينِ<sup>(٦)</sup>، وَيَجْلِسُ عَلَيْهَا الْأَكْلُونَ،  
وَتُنْقَلُ لِيَنِيهِمُ الصِّصَافُ<sup>(٧)</sup>

(١) الروية: النظر والتفكير، والمراد أن خَلَقَ اللَّهُ لم يحتاج منه سبحانه إلى جهد ومشقة  
(٢) النُّحُوض جمع نُحُض، وهو المكتنز من اللحم (٣) الْأَوْفَاض جمع وَفَض، وهو  
ما يُقَطَّعُ عليه اللحم مثل الوَضْم (٤) جمع خوان (بكسر الخاء أو ضمها) وهو ما يوضع  
عليه الطعام ليؤكل (٥) جمع فائور، وهي الأخونة أيضاً، أو الطسوت (٦) الفضة  
(٧) جمع صحنه، وهي قصبة أقل من الجفنة

## مجلس أنس و غناء

فَإِذَا قَضَوْا الْأَرْبَ مِنَ الطَّعَامِ ، جَاءَتِ السُّفَاةُ بِأَصْنَافِ الْأَشْرِيَةِ ،  
وَالْمُسِمَعَاتُ بِالْأَصْوَاتِ الْمُطْرِبَةِ ، وَيَقُولُ<sup>(١)</sup> : « عَلَى يَمَنٍ فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْمُتَنِّينَ  
وَالْمُغْنِيَّاتِ ، يَمَنُ كَانُوا فِي الدَّارِ الْعَاجِلَةِ ، فَقُضِيَتْ لَهُ التَّوْبَةُ » . فَتَحْضُرُ جَمَاعَةٌ  
كَثِيرَةٌ مِنْ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ ، فِيهِمُ الْفَرِيضُ ، وَمَعْبُدٌ ، وَابْنُ سُرَيْجٍ ، إِلَى أَنْ  
يَحْضُرَ إِبْرَاهِيمُ الْمُتَوَصِّلِيُّ ، وَابْنَةُ إِسْحَاقَ

### حديث الجرادتين<sup>(٢)</sup>

فَيَقُولُ قَائِلٌ مِنَ الْجَمَاعَةِ ، وَقَدْ رَأَى أَشْرَابَ<sup>(٣)</sup> يَمَانٍ قَدْ حَضَرَ :  
« مِنَ الْعَجَبِ أَنَّ الْجَرَادَتَيْنِ فِي أَقْصَى الْجَنَّةِ ! »

فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ<sup>(٤)</sup> قَالَ : « لَا بُدَّ مِنْ حُضُورِهِمَا » فَيَرْكَبُ بَعْضُ الْخَدَمِ نَاقَةً  
مِنْ نَوَى الْجَنَّةِ ، وَيَذْهَبُ إِلَيْهِمَا - عَلَى بُعْدِ مَكَانِهِمَا - فَتَقْبِلَانِ عَلَى تَجَمُّعَيْنِ  
أَسْرَعَ مِنَ الْبَرْقِ

فَإِذَا حَصَلَتَا عَلَى الْمَجْلِسِ ، حَيَّاهُمَا وَبَشَّ بِهِمَا ، وَقَالَ : « كَيْفَ خَلَصْتُمَا إِلَى  
دَارِ الرَّحْمَةِ بَعْدَ مَا خَبَطْتُمَا فِي الضَّلَالِ ! » فَتَقُولَانِ : « قُدِّرَتْ لَنَا التَّوْبَةُ ، وَمِثْنَا  
عَلَى دِينِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ »

(١) أى ابن القارح (٢) الجرادتان - فيما زعموا - مفضيتان غنتا لوفد عاد الجرمى بمكة ،

فشغوا عن الطواف بالبيت ، وسؤال الله فيما قصدوا له ، فهلك عاد وهم لاهون

(٣) جمع مرب ، أى قطيع من النساء

فَيَقُولُ : « أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْنِكُمْ ، أُنْعِمَانَا شَيْئًا مِنَ الْقَصِيدَةِ الْحَايَةِ الَّتِي  
تُرَوَّى لِعَبِيدِ مَرَّةً ، وَلِأَوْسٍ أُخْرَى ، وَمَا سَمِعْنَا قَطُّ بِعَبِيدٍ وَلَا أَوْسٍ <sup>(١)</sup> . فَتُلْهِمَانِ  
أَنْ تُنْعِيَا بِالْمَطْلُوبِ ، فَتُلْحَنَانِ :

هَبَّتْ تَلُومٌ وَلَيْسَتْ سَاعَةَ اللَّاحِ <sup>(٢)</sup>      هَلَّا انْتظَرْتَ بِهَذَا اللَّوْمِ لِصَبَاحِي  
قَاتَلَهَا اللَّهُ : تَلْحَانِي وَقَدْ عَلِمْتَ      أَنِّي لِنَفْسِي إِفْسَادِي وَإِصْلَاحِي  
إِنْ أَشْرَبِ الْخَمْرَ أَوْ أَرْزَأُهَا فَمَنَا      فَلَا مَحَالَةَ يَوْمًا أَنَّنِي صَاحِي  
وَلَا مَحَالَةَ مِنْ قَبْرِ بِمَخْنِيَةِ <sup>(٣)</sup>      أَوْ فِي مَلِيعٍ <sup>(٤)</sup> كَظْهَرِ التُّرْسِ وَضَاحِ  
فَطُطِرَ بَانَ مَنْ سَمِعَ ، وَتَسْتَفْزِ إِنْ الْإِفْتِدَاءَ بِالشُّرُورِ .

وَيَكْثُرُ حَمْدُ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - كَمَا أُنْعِمَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالتَّائِبِينَ ،  
وَوَلَّصَهُمْ مِنْ دَارِ الشَّقْوَةِ إِلَى مَحَلِّ النِّعَمِ .

(١) يعنى أن الجاريتين تغنيانهم بما يطلبون بالرغم من أنهما لم تسمعا بهذه القصيدة  
ولا بالذين تنسب إليهما من قبل (٢) اللائم (٣) محنة أو محنوة أو محناة ، جمعها محان ،  
وهى معاطف الأودية (٤) المليح : طريق ضيقة ذاهبة فى الأرض إلى مسافة قريبة ،  
قاعها أقل من قامة ، أو هو الأرض المستوية ، أو الأرض التى لا نبات فيها



## حديث جرّان العود النيمري

وَيَلْتَفِتُ، فَإِذَا هُوَ بِجِرَّانِ الْعُودِ<sup>(١)</sup> النَّيْمَرِيِّ، فَيَحْيِيهِ وَيُرْحَبُ بِهِ، وَيَقُولُ لِبَعْضِ الْقِيَّانِ: «أَسْمِعَانَا قَوْلَ هَذَا الْمُحْسِنِ: حَمَلَنَ جِرَّانُ الْعُودِ حَتَّى وَضَعْنَهُ بِمَلِكِيَا<sup>(٢)</sup> فِي أَرْجَائِهَا الْجُنَّ تَمْرُفَ<sup>(٣)</sup> وَقُلْنَ: «تَمْتَعْ لَيْلَةَ النَّأْيِ هَذِهِ فَإِنَّكَ مَرْجُومٌ<sup>(٤)</sup> غَدًا أَوْ مُسَيِّفٌ<sup>(٥)</sup>»

### (١) جِرَّانُ الْعُودِ

الجِرَّانُ : مقدم عنق البعير من مذبحه إلى منحره ، والعود : البعير المسن .  
وجرّان العود لقب هذا الشاعر ، وإنما لقب بذلك لقوله مخاطباً امرأته — وقد أغضبتهاء :  
خذنا حذرًا يا جارتِي ، فأنّي رأيت جرّان العود قد كان يصلح  
يعنى بذلك أنه كان قد اتخذ سوطاً من جرّان العود يضرب به نساءه فهو يخيفها به ،  
وكان قد لقي منها مكروها ، فقال في ذلك أياتاً جميلة منها :  
ألا لا تفرّجِ امرأً نوفليةً على الرأس بعدى أو ترائبٍ وضّح  
إلى أن قال :

خذنا نصف مالى ، واتركالى نصفه ، وبيننا بدم ، فالتغرّب أروح  
وأوجز ما يوصف به هذا الشاعر هو كلمة « محسن » التى وصفه بها أبو العلاء ، فإن أظهر  
ميزة لشعره — وهو مجموع فى ديوان صغير مخطوط بدار الكتب — هى الإحسان . وقد اقترحنا  
فى الطبعتين السابقتين من هذه الرسالة على دار الكتب أن تطبع هذا الديوان النفيس ، فلبت  
اقتراحنا متفضلة ، وأخرجته فى أبهى حلة وأجمل رواء (٢) العلياء : رأس الجبل ، أو المكان  
العالى ، والمعنى أنهم وضعنى موضعاً لا يوصل إليه (٣) تصوّت (٤) مرعى بالحجارة  
(٥) مقتول بالسيف . ومعنى البيت : قلن لى : « اتهم فرصة هذه الليلة وتمتع بنا ،  
فربما كانت آخر لياليك من الدنيا ، لأنك قد ترجم غدا بالحجارة ، أو تقتل بالسيف »

وَأَحْرَزَنَ مِنِّي<sup>(١)</sup> شُكْلَ حُجْرَةٍ<sup>(٢)</sup> مِثْرٍ<sup>(٣)</sup> لَهْنٍ، وَطَاحَ<sup>(٤)</sup> النَّوْفِلِي<sup>(٥)</sup> الْمُرْخَرَفُ

(١) منعن عني (٢) الحجرة معقد الإزار ، أو موضع التكة من السراويل .

(٣) سقط (٤) شيء من صوف تختمر به نساء العرب ، وقيل : هو ضرب من الحلى يدرنه على رؤوسهن تحت الحمار . والنوفلي أيضاً ضرب من الالمشاط ، وهو ما نذهب إليه هنا ، فيكون المعنى أن شعورهن المنسقة المرخوفة قد تهدلت

. و يروى هذا البيت قبل سابقه في النسختين الخطية والمطبوعة من رسالة الغفران ، ولكننا آثرنا رواية الأبيات كما هي في ديوان الشاعر ، لأن المعنى ينتظم على هذه الصورة ، فالفوانى يبعن له معايبهن ؛ ويشدد المزج والمغازلة ، حتى تهدل شعورهن ، فإذا أراد المزيد منعه ؛ فأحرزن منه حجب مأزهرن بالعفة .

أما تفسير الأبيات على الرواية الأخرى ، فيحتاج إلى تكلف

\*  
\* \*

وهذه الأبيات الثلاثة من قصيدة مطولة لهذا الشاعر باغت في الإجادة شأواً بعيداً ، وإذا استشهد بعض الأدباء بوضع أبيات قلائل لمعر بن أبي ربيعة أو جميل أو غيرها ، على وجود شيء من محاولة العرب للشعر القصصى ؛ فإن في هذه القصيدة وحدها مثلاً واضحاً لتلك المحاولة ، لعلنا لا نجد له شيئاً آخر في كل ما نقرأ من شعر العرب . وتنف أبيات هذه القصيدة على السبعين بيتاً .

ونحب أن نحيل القارئ إلى ديوان ذلك الشاعر الحسن ، ونكتفي هنا بإيراد بضعة أبيات متفرقة منها ؛ تعطى فكرة موجزة عن أغراض القصيدة وهي :

ذكرت الصبا فانهلت العين تذرِف      وراجحك الشوق الذي كنت تعرف  
وكان فؤادي قد صحا ، ثم هاجني      حاتم ورق ، بالمدينة هتف

\*  
\* \*

## فَتَصِيبُ الْقَيْنَةُ وَتُجِيدُ

وقالت لنا والعيس صُغر من البرى وأحجافها بالجندل الصم تقذف  
فوعذك الشط الذى بين أهلنا وأهلك ، حتى نسمع الديك يهتف  
فلما علانا الليل أقبلت خفية لموعدها ، أعلو الأكام وأظلف  
فأقبلن يمشين الهوينى تهاديا قصار الخطا ، منهن راب ومزحف  
فلما هبطن السهل واحتلن حيلة ومن حيلة الإنسان ما يتخوف  
حلن جِران العود حتى وضعنه بعلياء - فى أرجائها الجن تمزف  
ولما رأين الصبح ، بادرن ضوءه ديب قطا البطحاء ، أو هن أقطف  
وأدركن أمجaza من الليل بعد ما أقام الصلاة العابد المتخفف  
وما أبَنَ حتى قلن : « يا ليت أتنا تراب، وليت الأرض بالناس نخسف »  
فإن نتج من هذى ولم يشعروا بنا فقد كان بعض الخير يدنو فيصرف  
فأصبحن صرعى فى الحجال وبيننا رماح العدا والجانب المتخوف  
يلفهن الحاج كل مكاتب طويل العصا أو مقعد يتزحف  
ومكونة رمداء لا يحذرونها مكاتب ترمى الكلاب وتحذف  
ويقول فى ختامها  
فأصبحت غريد الضحى قد ومقنتى بشوق ، ولما ت الحبين تشف  
أى أصبحت فرحا طروبا قد شغفن بى ، واللقاء يحتاج الشف

فَإِذَا أُعْجِبَتِ الْجَمَاعَةُ مِنْ إِحْسَانِهَا وَإِصَابَتِهَا، قَالَتْ: «أَتَذَرُونَنَا؟»  
 فَيَقُولُونَ: «لَا وَاللَّهِ!»، فَتَقُولُ: «أَنَا أُمُّ حَمْرٍو أَلَيْ يَقُولُ فِيهَا الْقَائِلُ:  
 تَصُدُّ الْكَأْسَ عَنَّا أُمُّ حَمْرٍو وَكَانَ الْكَأْسُ نَجْرَاهَا الِئِمِينَا  
 وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ أُمُّ حَمْرٍو بِصَاحِبِكِ الَّذِي لَا تَصْبَحِينَا<sup>(١)</sup>»  
 فَيَزِدُّوْنَ بِهَا حُجْبًا، وَلَهَا إِكْرَامًا، وَيَقُولُونَ: «لِمَنْ هَذَا الشَّعْرُ؟ أَلَعَمْرٍو  
 ابْنُ عَدِيٍّ اللَّخْمِيُّ، أَمْ لَعَمْرٍو بَنِ كُثُومِ الثُّغَلْيِيِّ؟»  
 فَتَقُولُ: «أَنَا شَهِدْتُ نَدْمَانِي جَذِيمَةً: مَالِكًا وَعَقِيلًا، وَصَبَحْتُهُمَا الْخَمْرَ  
 الْمُسْمَعَةَ<sup>(٢)</sup>، لَمَّا وَجَدَا حَمْرٍو بَنَ عَدِيٍّ، فَكُنْتُ أَصْرِفُ الْكَأْسَ عَنْهُ، فَقَالَ  
 هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ، فَلَعَلَّ حَمْرٍو بَنِ كُثُومِ حَسَنَ بِهِمَا كَلَامَهُ، وَاسْتَزَادَهُمَا  
 فِي أَيْتَانِهِ<sup>(٣)</sup>»

## رقص الحور

وَيَذْكُرُ الْآيَاتُ الَّتِي تُنْسَبُ إِلَى أَخْلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ، وَأَخْلِيلُ يُؤَمِّدُ فِي  
 الْجَمَاعَةِ، وَأَنَّهَا تَصْلُحُ لِأَن يُرْقَصَ عَلَيْهَا، فَيَنْشِئُ اللَّهُ الْقَادِرُ بِلُطْفِ حِكْمَتِهِ  
 شَجَرَةً مِنَ الْجَوْزِ، فَتَوْنَعُ لَوْفَتِهَا، ثُمَّ تَنْفُضُ عَدَدًا لَا يُحْصِيهِ إِلَّا اللَّهُ  
 — سُبْحَانَهُ — وَتَنْشَقُّ شَكْلًا وَاحِدَةً مِنْهُ عَنْ أَرْبَعِ جَوَارٍ يَرْفُقْنَ الرَّاغِبِينَ، يَرْفُضْنَ

(١) صَبَحَتْهُ، كَعَنَهُ: سَقَاهُ صَبُوحًا، وَهُوَ مَا أَصْبَحَ عِنْدَ الْقَوْمِ مِنْ شَرَابٍ

(٢) الْمَرْجُوعَةُ بِالمَاءِ (٣) أَيْ فِي مَمْلَقَتِهِ الْمَرْفُوعَةِ الَّتِي مَطْلَمُهَا:

الْأَهْلِي بِصَحْنِكَ فَأَصْبَحِينَا وَلَا تَبْقِ خُورُ الْأَنْدَرِينَا

عَلَى الْأَيَّاتِ الْمُنْسُوبَةِ إِلَى الْخَلِيلِ ، وَأَوَّلُهَا :

« إِنَّ الْخَلِيلَ تَصَدَّعَ <sup>(١)</sup> فَطَرَزَ بِدَائِكَ أَوْ قَعَّ  
لَوْلَا جَوَارِ حِسَانٍ مِثْلُ الْجَاذِرِ <sup>(٢)</sup> أَرْبَعٌ  
لَقَلْتُ لِلظَّاعِنِ : « اظْمَنْ <sup>(٣)</sup> »  
فَهَبْتُهُ أَرْجَاهُ الْجَنَّةِ .

وَيَقُولُ : « لَيْسَ هَذِهِ الْأَيَّاتُ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّثَمَنِ ؟ » فَيَقُولُ الْخَلِيلُ :  
« لَا أَعْلَمُ ! » فَيَقُولُ : « إِنَّا كُنَّا فِي الدَّارِ الْمَاجِلَةِ نَرَوِي هَذِهِ الْأَيَّاتَ لَكَ ! »  
فَيَقُولُ الْخَلِيلُ : « لَا أَذْكَرُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَا قِيلَ حَقًّا »  
فَيَقُولُ : « أَتَسَيِّتُ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّثَمَنِ وَأَنْتَ أَذْكَى الْعَرَبِ فِي عَصْرِكَ ؟ »  
فَيَقُولُ الْخَلِيلُ : « إِنَّ عُبُورَ الصَّرَاطِ يَنْفُضُ الْخُلْدَ <sup>(٤)</sup> ، مِمَّا اسْتَوْدِعَ ! »

وَيَمُتُّ طَاوُسٌ مِنْ طَوَاوِسِ الْجَنَّةِ ، يَرُوقُ مِنْ رَأَاهُ حُسْنًا ، فَيَشْتَهِيهِ  
أَبُو عُبَيْدَةَ مَصُوصًا <sup>(٥)</sup> ، فَيَتَكَوَّنُ كَذَلِكَ فِي صَحْفَةٍ مِنَ الذَّهَبِ . فَإِذَا قَضَى  
مِنْهُ الْوَطَرَ ، انْضَمَّتْ عِظَامُهُ بِنَفْسِهَا إِلَى بَعْضِ ، ثُمَّ تَصِيرُ طَاوُسًا كَمَا بَدَأَ <sup>(٦)</sup> ،  
فَيَقُولُ الْجَمَاعَةُ : « سُبْحَانَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ » ، هَذَا كَمَا جَاءَ فِي

(١) تفرق (٢) جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية تشبه به الحسان لجمال عينييه  
(٣) ارحل أو سر ، والمعنى : قد تفرق الجمع فإذا أنا صانع بعد نأى من أحب ، ولو  
خلا الركب من هؤلاء الحسان الأربع لتساوى عندى إقامته ورجله (٤) القلب أو البال  
أو النفس ، والمعنى : أن عبور الصراط ينسى المرء ما علم ، من شدة الهول والفرع  
(٥) المصوص : طعام من لحم الطير ، يطبخ وينقع في الخل (٦) أى كما كان

الكتاب الكريم : وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُخَيِّمُ الْمَوْتَى . قَالَ : أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ ؟ قَالَ : بَلَى . وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي . قَالَ : فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ <sup>(١)</sup> إِلَيْكَ ، ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا . ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا . وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ .  
وَيَفْتَرِقُ أَهْلُ ذَلِكَ الْمَجْلِسِ ، وَهُمْ نَائِمُونَ .

### حديثه مع الحوريتين

وَيَخْلَوُ <sup>(٢)</sup> بِمُحُورَتَيْنِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ ، فإِذَا بَهَرَهُ مَا يَرَاهُ مِنَ الْجَمَالِ ،  
قَالَ : « أَغْرَزَ عَلَى يَهْلَاكِ الْكِنْدِيِّ <sup>(٣)</sup> :

(١) أَحْضَرَهُنَّ وَقَطَّعَهُنَّ (٢) أَى ابْنِ الْقَارِحِ

(٣) الْكِنْدِيُّ « اَمْرُو الْقَيْسِ » : تَوَفَّى سَنَةَ ٥٦٠ م

هو ابن حجر بن عمرو الكندى ، بلده نجد ، وأبوه أحد ملوك بنى أسد .  
كان امرؤ القيس ماجناً لاهياً ، فطرده أبوه ، فظل على لحوه وتبطله حتى قتل بنو أسد  
أباه لظلمه ، فصمم على الأخذ بثأر أبيه ، وحاربهم فقهروهم مراراً ، ولكنه أبى أن يكتفى  
بما أحرزه من الفوز على أعدائه ، ولم يقنع بما أدركه من الثأر ، وطلب المزيد ، فسم أصحابه  
وخذلوه ؛ فاستنجد بقبصر ملك الروم على أعدائه ، فاحتفى به ، ولكن وشاية دينيسة  
من أعداء امرؤ القيس غيرت عليه قلب القبصر ، فأهلكه .

ويمدح جمهور مؤرخى الآداب أغل شعراء الطبقة الأولى من الجاهليين ، ويقولون :  
إنه أول من وصف النساء وشبههم بالظباء والها ، وإنه أول من ابتكر للمعانى الجميلة الدقيقة ،  
وأجاد الاستمارة والتشبيه ، إلى آخر تلك الأوصاف التى أفاض فى سردها نقاد الأدب الأقدمون  
على أن لشعره روعة يشعر بها كل من تذوق الأدب ، وفيه سحر لا تراه إلا فى شعر  
القليل من فحول الشعراء ، كالأعشى والذبياني ، وقليل من أضرابهما .

إني لأذكركم بكمما . . . . .

انظر إلى دفته مثلاً في وصف الليل وتبرمه بطوله - إذ يقول في معلقته الخالدة :  
 فيا لك من ليل كأنَّ نجومه بكل مُفَارِ القَتْلِ شُدَّتْ يذبل  
 وانظر إلى ضيق ذرعه بذلك الليل الذي أمله طوله وأضرجه ، فأصبح يترقب طلوع  
 الصباح بفارغ الصبر ، لينقذه من سأمته التي سببها طوله . ثم التفاتته المملوءة بالفطنة ودقة  
 الملاحظة ، وانتباهه إلى أن ذلك الصباح الذي يترقبه بلهف وشوق ليس خيراً من ليله المضجر .  
 فإنك لتتمثل تلك الصورة جليلة شديدة الوضوح في البيت التالي - على إيجازه - :  
 ألا أيها الليل الطويل ! ألا انجل بصبح ، وما الإصباح منك بأمثل

\*  
\* \*

وانظر إلى ابتداعه وافتنانه ، وقدرته العظيمة على تحليل أدق خواجه في لاميته الساحرة  
 التي يقول فيها :

لقد زغمت « بسباسة » اليوم أننى	كبرت ، وأن لا يحسن اللهو أمثالى
ويا رُبَّ يوم قد هوت وليلة	بأنسة ، كأنها خط تمثال
تنورتها من أذرع ، وأهلها	يثرّب ، أدنى دارها نظر عال
نظرت إليها - والنجوم كأنها	مصاييح رهبان ، تُشَبُّ لَقُفَال
سموت إليها بعد ما نام أهلها	سمو حباب الماء ، حالاً على حال
فقلت : « سباك الله ! إنك فاضحى	ألست ترى السَّمَار والناس أحوالى ؟ »
فقلت : « يمين الله أبرح قاعدآ	ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى »
حلفت لها بالله حنفة فاجر :	« لنأموا ، فإن من حديث ، ولا صالى »
فأصبحت معشوقاً ، وأصبح بعلمها	عليه القتام - سوى الظن والبال
ولو أن ما أسى لأدنى معيشة	كفانى - ولم أطلب - قليل من المال
ولكنما أسى لجد مؤنل	وقد يدرك المجد للؤئل أمثالى
وما للره - ما دامت حُشاشة نفسه -	بمدرك أطراف الخطوب ولا آلى

قَوْلُهُ :

وما أجل قوله في معلقته :

كأني غداة البين ، يوم ترحلوا  
وقوفاً بها صبحي على مطيهم  
وإن شفاي عبرة مهراقة  
كدأبك من أم الحويزث قبلها  
إذا قامتا تصنع المسك منها  
ففاضت دموع العين من صبابة  
ألا رب يوم لك منهن صالح  
ويوم دخلت الخدر ، خدر عُنَيْزَة  
تقول - وقد مال الفيض بنا معاً - :  
قلت لها : « سيري - وأرخي زمامه  
أفاطم مهلاً ، بعض هذا التدل  
أغرك مني أن حبك قاتلي  
فثلك حبل قد طرقت ومرضع  
إذا ما بكى من خلفها انصرفت له  
وما ذرفت عينك إلا لتضربي

ويضه خدر لا يرام خباؤها  
تسلت حمايات الرجال عن الصبا  
تمتعت من لحو بها غير مُنْجَل  
وليس فؤادي عن هواك يُنْسَل

وليل كوج البحر أرخى سدوله  
قلت له - لما تطلّى بصلبه ،  
على بأنواع الهموم ليتلى  
وأردف أمجازاً ، وناء بكل كل : -



كَدَأُكَ<sup>(١)</sup> مِنْ أُمِّ الْحَوِيرِثِ قَبْلَهَا وَجَارَتْهَا أُمُّ الرَّبَابِ بِمَا سَلَّ<sup>(٢)</sup>  
إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ<sup>(٣)</sup> الْمِسْكُ مِنْهُمَا نَسِيمُ الصَّبَا جَاءَتْ بَرِيًّا<sup>(٤)</sup> الْقَرَنُفْلُ<sup>(٥)</sup>  
وَأَيْنَ صَاحِبَتَاهُ مِنْكُمَا ، لَا كَرَامَةَ لَهُمَا وَلَا نِعْمَةً ؟ لَجَسَتْ مَعَكُمْ بِمِقْدَارِ  
دَقِيقَةٍ مِنْ دَقَائِقِ الدُّنْيَا خَيْرٌ مِنْ مُلْكِ بَنِي آكَلِ الْمُرَارِ وَبَنِي النَّصْرِ بِالْخَيْرَةِ .  
وَأَلِ جَفْنَةِ مُلُوكِ الشَّامِ !

وَيُقْبَلُ عَلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا يَتَرَشَّفُ رُضَابُهَا ، وَيَقُولُ : « إِنَّ امْرَأَةَ الْقَيْسِ  
لَمِسْكِينَ مِسْكِينَ » ، تَحْتَرِقُ عِظَامُهُ فِي السَّعِيرِ ، وَأَنَا أَتَمَثَّلُ بِقَوْلِهِ :

« أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ ! أَلَا الْبُحْبُوحُ !  
فِيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ ! كَأَنَّ نَجُومَهُ  
كَأَنَّ الثَّرِيَا عُلِقَتْ فِي مَصَابِهَا  
وَقَدْ اغْتَدَى ، وَالطَّيْرُ فِي وَكَنَاتِهَا  
مَكْرَ مَفْرٍ مَقْبَلِ مَدِيرٍ مَعَا  
وَنَحْنُ هَذِهِ النَّجْمَةُ بِقَوْلِهِ :

إِذَا قُلْتُ : هَذَا صَاحِبُ قَدَرِضِيَّتِهِ وَفُوتَ بِهِ الْعَيْنَانِ ، بَدَلْتُ آخِرَا  
كَذَلِكَ جَدِي<sup>(١)</sup> مَا أَصَاحِبُ صَاحِبَا مِنْ النَّاسِ ، إِلَّا خَائِفِي وَتَقْنِيَا

وَسِيرَ بِكَ طَرَفٍ مِنْ أَخْبَارِهِ وَشَمَرِهِ فِي هَذَا الْجُزْءِ ، فَلَنَكْتَفِ بِهَذَا الْقَدْرِ الْيَسِيرِ الْآنَ :

(١) كَعَادَتِكَ (٢) اسمُ جَبَلٍ (٣) انْتَشَرَتْ فَبَجَتْهُ (٤) الرِّيَا : هِيَ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ  
(٥) الْمَعْنَى « عَادَتِكَ فِي حُبِّ هَذِهِ » ، كَعَادَتِكَ مِنْ قَبْلِ فِي حُبِّ أُمِّ الْحَوِيرِثِ وَأُمِّ الرَّبَابِ  
وَقَدْ كَانَتَا : يَبْقَى مِنْهُمَا الْمِسْكُ أَنَّى ذَهَبْنَا ، كَمَا انْتَشَرَ عَطَرُ الْقَرَنُفْلِ الدَّكِيِّ ، حَمَلَتْهُ رِيحُ الصَّبَا «  
وَيُوضَحُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ قَوْلُهُ فِي الْبَيْتِ الَّذِي قَبْلَهُمَا مِنْ مَعْلَقَتِهِ

وَأِنْ شَفَأْنِي عَصِيْرَةَ مِرَاقَةِ فَبَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مَعُولٍ ؟

كَأَنَّ الْمُدَامَ وَصَوَّبَ النِّعَامَ وَرِيحَ الْخُرَامِ وَنَشَرَ الْقَطْرَ  
يُمْلَأُ بِهِ بَرْدُ أَنْبِيَاهَا إِذَا غَرَدَ الطَّائِرُ الْمُسْتَجِرُ<sup>(١)</sup>

فَتَسْتَعْرِبُ<sup>(٢)</sup> إِحْدَاهُمَا ضَحِكًا؛ فَيَقُولُ: «يَا تَضْحِكِينَ؟» فَتَقُولُ: «فَرَحًا  
بِتَفَضُّلِ اللَّهِ أَتَدْرِي مَنْ أَنَا يَا عَلِيُّ بْنُ مَنْصُورٍ؟» فَيَقُولُ: «أَنْتِ مِنْ حُورِ  
الْجَنَّاتِ اللَّوَاتِي خَلَقَهُنَّ اللَّهُ جَزَاءَ الْمُتَّقِينَ، وَقَالَ فَيَكُنَّ: «كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ  
وَالْمَرْجَانُ» فَتَقُولُ: «أَنَا كَذَلِكَ بِإِنْعَامِ اللَّهِ الْعَظِيمِ عَلَى أَنِّي كُنْتُ فِي الدَّارِ  
الْعَاجِلَةِ أُعْرِفُ بِمَحْمُودَةٍ، وَأَسْكُنُ فِي بَابِ الْإِرَاقِ بِحَلَبَ، وَأَبِي صَاحِبُ  
رَحَى، وَتَزَوَّجَنِي رَجُلٌ يَبِيعُ السَّقَطَ<sup>(٣)</sup>، فَطَلَّقَنِي لِزَانِحَةٍ كَرِهَهَا مِنْ فِي؛ وَكُنْتُ  
مِنْ أَقْبَحِ نِسَاءِ حَلَبَ، فَلَمَّا عَرَفْتُ ذَلِكَ زَهَدْتُ فِي الدُّنْيَا، وَتَوَفَّرْتُ عَلَى  
الْعِبَادَةِ، وَأَكَلْتُ مِنْ مِغْزَلِي وَمِرْدَنِي<sup>(٤)</sup>، فَصَيَّرَنِي ذَلِكَ إِلَى مَا تَرَى أ

\*  
\* \*

وَتَقُولُ الْآخَرَى: «أَتَدْرِي مَنْ أَنَا يَا عَلِيُّ بْنُ مَنْصُورٍ؟ أَنَا تَوَفِّيقُ السَّوْدَاءِ  
الَّتِي كَانَتْ تُحْدِثُ فِي دَارِ الْعِلْمِ بِنِغْدَادَ، عَلَى زَمَانِ أَبِي مَنْصُورٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ  
الْخَازِنِ، وَكُنْتُ أُخْرِجُ الْكُتُبَ إِلَى النَّسَاجِ»

(١) استحر: أي صاح في السحر (٢) استعرب في الضحك، واستعرب - بالبناء  
للمجهول - بالغ وأغرق، وكذلك أغرب. وهذا هو المقصود، وليس المراد أنها تظهر  
الغربة في صورة الضحك، وإن كان الكلام يحتمله، ولكن الأول أدخل في باب الفصاحة،  
وأشبه بأسلوب أبي العلاء في هذه الرسالة (٣) ردئ للتأخر: والخسيس الرذل من كل شيء،  
وإنما السقطي (٤) المِرْدَن: المغزل

فَيَقُولُ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ! لَقَدْ كُنْتُ سَوْدَاءَ ، فَصِرْتُ أَصْصَعٌ مِنَ الْكَافُورِ » فَتَقُولُ : « أَلَمْ تَجِبْ مِنْ هَذَا ، وَالشَّاعِرُ يَقُولُ لِبَعْضِ الْمَخْلُوقِينَ : لَوْ أَنَّ مِنْ نُورِهِ مِنْقَالٌ خَرَدَلَةٌ فِي السُّودِ كُلِّهِمْ ، لَا يَبْيَضُّ السُّودُ »

### حَدَائِقُ الْحُورِ

وَيَمُرُّ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، فَيَقُولُ : « يَا عَبْدَ اللَّهِ ! أَخْبِرْنِي عَنْ الْحُورِ الْعِينِ ، أَلَيْسَ فِي الْكِتَابِ الْكَرِيمِ : إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ، جَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُربًا أَنْزَلْنَاهُنَّ ، لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ »

فَيَقُولُ الْمَلَكُ : « هُنَّ عَلَى ضَرْبَيْنِ ، ضَرْبٌ خَلَقَهُ اللَّهُ فِي الْجَنَّةِ لَمْ يَعْرِفْ غَيْرَهَا ، وَضَرْبٌ نَقَلَهُ اللَّهُ مِنَ الدَّارِ الْعَاجِلَةِ لِمَا عَمِلَ الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةَ »

فَيَقُولُ - وَقَدْ حُجِبَ بِمَا سَمِعَ - : « فَأَيْنَ اللَّوَاتِي لَمْ يَكُنَّ فِي الدَّارِ الْفَآئِئَةِ ؟ وَكَيْفَ يَتَمَيَّزْنَ مِنْ غَيْرِهِنَّ ؟ »

فَيَقُولُ الْمَلَكُ : « أَقْفُ أُتْرَى »

فَيَتْبَعُهُ ، فَيَجِيءُ بِهِ إِلَى حَدَائِقٍ لَا يَعْرِفُ كُنْهَهَا إِلَّا اللَّهُ .

فَيَقُولُ الْمَلَكُ : « خُذْ تَمْرَةً مِنْ هَذَا الشَّعْرِ ، فَاكْسِرْهَا ، فَإِنَّ هَذَا الشَّجَرَ يُعْرِفُ بِشَجَرِ الْحُورِ »

فَيَأْخُذُ سَفْرَجَةً أَوْ رُمَانَةً أَوْ تَفَاحَةً ، أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنَ الثَّمَرِ ، فَيَكْسِرُهَا ، فَتَخْرُجُ مِنْهَا جَارِيَةٌ حُورَاءٌ عَيْنَاهُ . تَبْرِقُ<sup>(١)</sup> لِحُسْنِهَا حُورِيَّاتُ الْجَنَانِ ، فَتَقُولُ :

« مَنْ أَنْتَ يَا عَبْدَ اللَّهِ ؟ » فَيَقُولُ : « أَنَا مُفْلَانُ ابْنِ مُفْلَانٍ » ، فَيَقُولُ :  
 « إِنِّي أُمِّي يَلْقَائِكَ ، قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ الدُّنْيَا بِأَرْبَعَةِ آلَافِ سَنَةٍ »  
 فَعِنْدَ ذَلِكَ يَسْجُدُ لِإِعْظَامِ اللَّهِ الْقَدِيرِ ، وَيَقُولُ : « هَذَا كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ :  
 أُعِدَّتْ لِعِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، بَلَهٗ<sup>(١)</sup> مَا أَطْلَعْتُمْ عَلَيْهِ »

\* \*

وَيَخْطُرُ فِي نَفْسِهِ ، وَهُوَ سَاجِدٌ ، أَنَّ تِلْكَ الْجَارِيَةَ — عَلَى حُسْنِهَا —  
 صَاوِيَةٌ<sup>(٢)</sup> ، فَيَرْفَعُ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ ، وَقَدْ صَارَ مِنْ وَرَائِهَا رَدْفٌ يُضَاهِي  
 كُتْبَانَ<sup>(٣)</sup> عَالِيَج . فَيُبْهَلُ<sup>(٤)</sup> مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ ، وَيَقُولُ : « يَا رَازِقَ الْمُسْرَقَةِ سَنَاهَا ،  
 وَمُؤْمِلِغَ السَّائِلَةِ مُنَاهَا ، وَالَّذِي فَعَلَ مَا أَعْجَزَ وَهَالَ ، وَدَعَا إِلَى الْحِلْمِ الْجُمَالِ !  
 أَسْأَلُكَ أَنْ تَقْصُرَ بَوْصَ<sup>(٥)</sup> هَذِهِ الْخَوْرِيَّةِ عَلَى مِيلٍ فِي مِيلٍ ، فَقَدْ جَازَ بِهَا قَدْرُكَ  
 حَذَّ التَّامِيلِ ! »

فَيُقَالُ لَهُ : « أَنْتَ مُخَيَّرٌ فِي تَكْوِينِ هَذِهِ الْجَارِيَةِ كَمَا تَشَاءُ »  
 فَيَقْتَصِرُ مِنْ ذَلِكَ عَلَى الْإِرَادَةِ .

---

(١) قال أبو العلاء : « وبه : في معنى دع ، وكيف » (٢) نحيمة (٣) جمع كتيب وهو التل من الرمل ، وعالج : موضع كثير الرمل ، يضرب به المثل في الكثرة (٤) يفرع ، ويعظم عليه الأمر (٥) ردف

## الفصل الرابع

### جنة العفاريات

وَيَدُّوهُ<sup>(١)</sup> أَنْ يَطَّلِعَ إِلَى أَهْلِ النَّارِ ، فَيَنْظُرَ إِلَى مَا فِيهِ ، لِيَعْظُمَ شُكْرَهُ عَلَى النِّعَمِ ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ - تَعَالَى - : « قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ : إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ يَقُولُ : أَأَتَيْنَاكَ مِنَ الْمُسَدِّقِينَ ؟ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنْتَا لَمَدِينُونَ<sup>(٢)</sup> ؟ قَالَ : هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ؟ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ، قَالَ : تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ ، وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ »

\* \*

فَيَرْكَبُ بَعْضُ دَوَابِّ الْجَنَّةِ وَيَسِيرُ ، فَإِذَا هُوَ بِمَدَائِنَ لَيْسَتْ كَمَدَائِنِ الْجَنَّةِ ، وَلَا عَلَيْهَا الثُّورُ الشَّعْشَعَانِي<sup>(٣)</sup> ، وَهِيَ ذَاتُ أَدْحَالٍ وَهَمَالِيلٍ<sup>(٤)</sup> . فَيَقُولُ لِبَعْضِ الْمَلَائِكَةِ : « مَا هَذِهِ يَا عَبْدَ اللَّهِ ؟ » فَيَقُولُ : « هَذِهِ جَنَّةُ الْعَفَارِياتِ الَّذِينَ آمَنُوا بِمُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَذُكِرُوا فِي الْأَحْقَافِ ، وَفِي سُورَةِ الْجَنِّ ، وَهُمْ عَدَدٌ كَثِيرٌ »

فَيَقُولُ : « لَا عُدْلَانَ إِلَى هَؤُلَاءِ ، فَلَنْ أَخْلُوَ لَهُمْ مِنْ أُعْجُوبَةٍ » فَيَعُوجُ

(١) أى ابن القارح (٢) مجازون (٣) التأتلى المنتشر (٤) الأدحال : المصانع

تجتمع فيها الماء ، والغاليل : جمع غلول ( بضم الغين ) وهو الوادى الضيق الكثير الشجر والنبات المتنفس ؛ أو الوادى ذو الشجر الطويل التليل المرض المتنفس ، أو هو كل مجتمع أعظم وتراكم من الشجر

عَلَيْهِمْ ، فَإِذَا هُوَ بِشَيْخٍ جَالِسٍ عَلَى بَابِ مَغَارَةٍ ، فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ ، فَيُحْسِنُ الرَّدَّ ، وَيَقُولُ : « مَا جَاءَ بِكَ يَا إِنْسِي ؟ » فَيَقُولُ : « سَمِعْتُ أَنَّكُمْ جِنُّ مُؤْمِنُونَ ، فَجِئْتُ أَلْتَمِسُ عِنْدَكُمْ أَخْبَارَ الْجِنَّانِ <sup>(١)</sup> ، وَمَا لَعَلَّهُ يُوجَدُ لَدَيْكُمْ مِنْ أَشْعَارِ الْمَرْدَةِ » فَيَقُولُ ذَلِكَ الشَّيْخُ : « لَقَدْ أَصَبْتَ الْعَالِمَ بِبَجْدَةٍ <sup>(٢)</sup> الْأَمْرِ ، فَسَلِّ عَمَّا بَدَأَ لَكَ »

فَيَقُولُ : « مَا اسْمُكَ أَيُّهَا الشَّيْخُ ؟ » فَيَقُولُ : « أَنَا أَتْلِيَعُورُ أَحَدُ بَنِي الشَّيْصَبَانِ ، وَلَسْنَا مِنْ وَلَدِ إِبْلِيسَ ، وَلَكِنَّا مِنَ الْجِنِّ الَّذِينَ كَانُوا يَسْكُنُونَ الْأَرْضَ قَبْلَ وَلَدِ آدَمَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ »

## أشعار الجن

فَيَقُولُ : « أَخْبِرْنِي عَنْ أَشْعَارِ الْجِنِّ ، فَقَدْ جَمَعَ الْمَعْرُوفُ بِالْمَرْزُبَانِيِّ <sup>(٣)</sup> قِطْعَةً صَالِحَةً » فَيَقُولُ ذَلِكَ الشَّيْخُ : « إِنَّمَا ذَلِكَ هَذَا يَكُنْ لَا مُعْتَمَدَ عَلَيْهِ ، وَهَلْ يَعْرِفُ الْبَشَرُ مِنَ النَّظِيمِ إِلَّا كَمَا تَعْرِفُ الْبَقْرُ مِنْ عِلْمِ الْهَيْئَةِ وَمِسَاحَةِ الْأَرْضِ ؟ وَإِنَّمَا لَهُمْ خَمْسَةَ عَشَرَ جِنْسًا مِنَ الْمَوْزُونِ ، قَلَّ مَا يَعُدُّهَا الْقَائِلُونَ ، وَإِنَّ لَنَا آلَافَ أَوْزَانٍ مَا سَمِعَ بِهَا الْإِنْسُ ، وَإِنَّمَا كَانَتْ تَخْطُرُ بِهِمْ أَطِفَالٌ مِنَّا عَارِفُونَ ، فَتَنَفَّتْ لِي بِهِمْ مِقْدَارَ الضَّوَارَةِ <sup>(٤)</sup> مِنْ أَرَاكِ <sup>(٥)</sup> نُعْمَانُ <sup>(٦)</sup> . وَلَقَدْ

(١) الجنَّان : جمع جان ؛ والجان : اسم جمع للجن (٢) أى العالم بدخلة الأمر و باطنه  
(٣) هو أبو عبد الله محمد بن عمران ، ولد ببغداد ، وتوفى بها سنة ٣٨٤ هـ وهو من أئمة الأدباء ، وله مؤلفات كثيرة ضاع أكثرها ، ومن أنفع مؤلفاته الموجودة : كتاب الموشح فى مأخذ العلماء على الشعراء . وفى فهرست ابن النديم وصف لمؤلفاته ، انظر الجزء الأول ص ١٣٢  
(٤) الشظية من السواك (٥) الاراك : شجر يستاك بقضبانته (٦) مكان معروف

نَظَمْتُ الرَّجَزَ وَالْقَصِيدَ قَبْلَ أَنْ يُخْلَقَ آدَمُ بِكُورٍ<sup>(١)</sup> أَوْ كُورِينَ ، وَقَدْ  
بَلَّغَنِي أَنْكُمُ مَعَشَرَ الْإِنْسِ تَلْهَجُونَ بِقَصِيدَةِ امْرِئِ الْقَيْسِ : ( قِفَا بَيْتِكَ مِنْ  
ذِكْرِي حَبِيبَ وَمَنْزِلِ ) وَتَحْفَظُونَهَا الْحَزَاوِرَةَ<sup>(٢)</sup> فِي الْمَكَايِبِ . وَإِنْ شِئْتَ  
أَمْلَيْتُكَ أَلْفَ كَلِمَةٍ عَلَى هَذَا الْوِزْنِ ، عَلَى مِثْلِ : « مَنْزِلِ وَحَوْمَلِ » وَأَلْفًا عَلَى ذَلِكَ  
الْفَرَى<sup>(٣)</sup> يَجِيءُ عَلَى : « مَنْزِلِ وَحَوْمَلِ » وَأَلْفًا عَلَى : « مَنْزِلًا وَحَوْمَلًا » وَأَلْفًا عَلَى :  
« مَنْزِلُهُ وَحَوْمَلُهُ » وَأَلْفًا عَلَى « مَنْزِلُهُ وَحَوْمَلُهُ » وَأَلْفًا عَلَى : « مَنْزِلِهِ وَحَوْمَلِهِ »  
وَكُلُّ ذَلِكَ لِشَاعِرٍ مِثْلَا هَلَاكَ وَهُوَ كَافِرٌ ، وَهُوَ الْآنَ يَشْتَعِلُ فِي أَطْبَاقِ الْجَحِيمِ »

\*  
\* \*

فَيَقُولُ : « أَيُّهَا الشَّيْخُ : لَقَدْ بَقِيَ عَلَيْكَ حِفْظُكَ أ »  
فَيَقُولُ : « لَسْنَا مِثْلَكُمْ يَا بَنِي آدَمَ . يَغْلِبُ عَلَيْنَا النَّسْيَانُ وَالرُّطُوبَةُ .  
لَا نَكُمُ خُلُقْتُمْ مِنْ حَمَاءٍ<sup>(٤)</sup> مَسْنُونٍ ، وَخُلِقْنَا مِنْ مَارِيجٍ<sup>(٥)</sup> مِنْ نَارٍ »  
فَتَحْمِلُهُ الرَّغْبَةُ فِي الْأَدَبِ أَنْ يَقُولَ لِذَلِكَ الشَّيْخِ : « أَفْتَمِلُ<sup>(٦)</sup> عَلَى شَيْئَانِ مِنْ  
تِلْكَ الْأَشْعَارِ ؟ »

فَيَقُولُ : فَإِذَا شِئْتَ أَمْلَيْتُكَ<sup>(٧)</sup> مَا لَا تَسِفُهُ<sup>(٨)</sup> الرُّكَابُ<sup>(٩)</sup> ، وَلَا تَسْمَعُهُ  
صُفُفُ دُنْيَاكَ أ »

---

(١) مائة وخمسون سنة ، أو مائتان ، أى نحو قرنين (٢) جمع حزور وهو الغلام  
(٣) فى النسخة المطبوعة : العرى بالعين . ورأينا أنها محرفة عما أثبتناه هنا ، والفرى :  
لأخذ وللنحى والطريقة ، يقال : هو يَفْرِى فِرْيَةً ، أى ينحو نحوه (٤) طين أسود (٥) شعلة  
ساطعة ذات لهب شديد ، أو نار بلا دخان (٦) أملت عليك (٧) ما لا تحمله (٨) الإبل  
(٩) (١٤)

فِيهِمْ بِأَنْ يَكْتَتَبَ مِنْهُ ، ثُمَّ يَقُولُ : « لَقَدْ شَقِيتُ فِي الدَّارِ الْعَاجِلَةِ يَجْمَعُ  
الْأَدَبَ ، وَلَمْ أَحْظَ مِنْهُ بِطَائِلٍ . وَلَسْتُ بِمُوقِفٍ إِنْ تَرَكَتُ لَذَاتِ الْجَنَّةِ  
وَأَقْبَلْتُ أَنْتَسِيخُ آدَابِ الْجَنِّ ، وَمَعِيَ مِنَ الْأَدَبِ مَا هُوَ كَافٍ . لَا سِيَّامًا وَقَدْ شَاعَ  
النُّسْيَانُ فِي أَهْلِ أَدَبِ الْجَنَّةِ . فَصِرْتُ مِنْ أَكْثَرِهِمْ رِوَايَةً ، وَأَوْسَمِهِمْ حِفْظًا .  
وَلِلَّهِ الْحَمْدُ »

وَيَقُولُ لِلذَّكَاءِ الشَّيْخِ : « مَا كُنَيْتُكَ لِأُكْرِمَكَ بِالتَّكْنِيَةِ » فَيَقُولُ :  
« أَبُو هَذَرَشَ ، أَوْلَدْتُ مِنَ الْأَوْلَادِ مَا شَاءَ اللَّهُ ، فَهُمْ قَبَائِلُ ، بَعْضُهُمْ فِي النَّارِ  
الْمُوقَدَةِ ، وَبَعْضُهُمْ فِي الْجَنَانِ »

فَيَقُولُ : « يَا أَبَا هَذَرَشَ : مَا لِي أَرَاكَ أَشْيَبَ ! وَأَهْلُ الْجَنَّةِ شَبَابٌ ؟ »

فَيَقُولُ : « إِنَّ الْإِنْسَانَ أُكْرِمُوا بِذَلِكَ وَحُرِّمْنَا ، لِأَنَّا أُعْطِينَا الْحَوْلَةَ <sup>(١)</sup> فِي  
الدَّارِ الْمَاضِيَةِ ، فَكَانَ أَحَدُنَا إِنْ شَاءَ صَارَ حَيَّةً رَقَشَاءً <sup>(٢)</sup> ، وَإِنْ شَاءَ صَارَ غُصْفُورًا ،  
وَإِنْ شَاءَ صَارَ حَمَامَةً ؛ فَمِنْهُنَا التَّصَوُّرُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ ، وَتُرِكْنَا عَلَى خَلْقِنَا  
لَا تَتَغَيَّرُ ، وَغَوْضُ بَنِي آدَمَ كَوْنُهُمْ فِيمَا حَسُنَ مِنَ الصُّورِ ، وَكَانَ قَائِلُ الْإِنْسَانِ  
يَقُولُ فِي الدَّارِ الذَّاهِبَةِ : « أُعْطِينَا الْحِيلَةَ ، وَأُعْطِيَ الْجِنُّ الْحَوْلَةَ <sup>(٣)</sup> » وَلَقَدْ لَقِيتُ  
مِنْ بَنِي آدَمَ شَرًّا ، وَلَقُوا مِنِّي كَذَلِكَ . »



## صرع فتاة

« دَخَلْتُ - مَرَّةً - دَارَ أَناسٍ أُرِيدُ أَنْ أَصْرَعَ فَتَاةً لَهُمْ ، فَتَصَوَّرْتُ فِي صُورَةِ عَصَلٍ <sup>(١)</sup> ، فَدَعَوَا لِي الصَّبَاوَنَ <sup>(٢)</sup> ، فَلَمَّا أَرَاهُمَنِي تَحَوَّلْتُ صِلًا أَرْقَمَ ، وَدَخَلْتُ فِي قَطِيلٍ <sup>(٣)</sup> هُنَاكَ . فَلَمَّا عَلِمُوا ذَلِكَ كَشَفُوهُ عَنِّي ، فَلَمَّا خِضْتُ الْقَتْلَ صِرْتُ رِيحًا هَفَافَةً ، فَلَحِقْتُ بِالرَّوَافِدِ <sup>(٤)</sup> ، وَنَفَضُوا تِلْكَ الْأَشْجُبَ وَالْأَجْدَالَ فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا ، فَجَعَلُوا يَتَفَكَّنُونَ <sup>(٥)</sup> ، وَيَقُولُونَ : « لَيْسَ هَاهُنَا مَكَانٌ يُمَكِّنُ أَنْ يَسْتَتِرَ فِيهِ ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَتَذَكَّرُونَ ذَلِكَ عَمَدْتُ لِكَعَابِهِمْ <sup>(٦)</sup> فِي

(١) جرد (٢) جمع ضيئون ، وهو السنور الذكر (٣) جذع شجرة مقطوع وملقى هناك (٤) خشب السقف (٥) التمكن : التعجب والتفكير والتندم ، والمراد أنهم جعلوا يتأسفون على ما فاتهم من الظفر به (٦) الكعاب : الجارية الناهد ، قال أبو العلاء :

كَمْ هَلَكْتَ غَاةَ كَعَابٍ      وَعُمِرْتَ أَمَهَا الْمَجْزُورِ  
أَحْرَزَهَا الْوَالِدَانِ خَوْفًا      وَالْقَبْرِ حَرَزَ لَهَا حَرِيرُ  
يَجْزُ أَنْ تَبْطِئَ لِلنَّايَا      وَالْخُلْدِ فِي الدَّهْرِ لَا يَجْزُ

وأول هذه الأبيات قوله :

يَمُوتُ قَوْمٌ وَرَاءَ قَوْمٍ      وَيُثَبِّتُ الْأَوَّلُ الْعَزِيزُ

ولا يسعنا التمثل بهذه الأبيات دون الإشارة إلى حكاية الذهبي التي أوردناها بمناسبة رواية أبي الفتح ، فقد حكى أبو الفتح أنه دخل على أبي العلاء بالمرّة ذات يوم في وقت خلوة بغير علم منه - وكان يتردد إليه ويقرأ عليه - فسمعه وهو ينشد من قلبه تلك الأبيات السابقة . ثم تأوّه مرات ، وتلا : « إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ، ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ ، وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ، وَمَا نُوْخِرُهُ إِلَّا لِأَجْلِ مَعْدُودٍ ، يَوْمَ يَأْتِي لَا تَكَلُمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، فَمَنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ »

النِكَلَةَ<sup>(١)</sup>، فَلَمَّا رَأَيْتُنِي أَصَابَهَا الصَّرَعُ، وَاجْتَمَعَ أَهْلُهَا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ، وَجَمَعُوا  
لَهَا الرِّقَاقَةَ، وَجَاهُوا بِالْأُطِيطَةِ، وَبَذَلُوا الْمُنْفِسَاتِ، فَمَا تَرَكَ رَاقٍ رُفِيَةً  
إِلَّا عَرَضَهَا عَلَى — وَأَنَا لَا أُجِيبُ !

وَعَبَّرَتِ الْأَسَاءَةُ تَسْقِيهَا الْأَشْفِيَةَ، وَأَنَا سَدِكُ<sup>(٢)</sup> يَهَا لَا أَزُولُ؛ فَلَمَّا أَصَابَهَا  
الْحِمَامُ<sup>(٣)</sup> طَلَبْتُ لِي سِوَاهَا صَاحِبَةً، ثُمَّ كَذَلِكَ، حَتَّى رَزَقَ اللَّهُ الْإِنَابَةَ، وَأَثَابَ  
الْجَزِيلَ، فَلَا أَفْتَأُ لَهُ مِنْ الْحَامِدِينَ !

ثم صاح وبكى بكاء شديداً، وطرح وجهه على الأرض زماناً، ثم رفع رأسه،  
ومسح وجهه، فقال : « سبحان من هذا كلامه ! »

قال أبو الفتح : فصبرت ساعة، ثم سلمت عليه فرد، وقال : متى أتيت ؟ فقلت : الساعة.  
ثم قلت : يا سيدى أرى فى وجهك أثر غيظ، فقال : لا يا أبا الفتح، بل أنشدت شيئاً من  
كلام المخلوق، وتلوت شيئاً من كلام المخلوق، فلحقنى ما ترى ! .

قال : « فتحققت صحة دينه وقوة يقينه . » ا هـ

ونحن نؤثر ألا نعلق على هذه الحكاية بشيء من عندنا الآن، فليس هنا موضع البحث  
فى عقيدة أبى الملاء

(١) الكلكة : سترقيق، هو ما يسمى « التاموسية » (٢) ملازم لها لا أفارها

(٣) الهلاك، ولا يدخلن فى روع القارئ أن أبا الملاء يدور فى خلد له لحظة واحدة

حدوث مثل هذه الحكاية، وانما هو خياله الممتع وتهكمه اللاذع، وسخريته الدقيقة، هى التى  
أملتها عليه، وحسب القارئ — ليعرف رأى أبى الملاء ومنزعه — أن يحفظ له قوله :

فأخش المليك ولا تقعد على رهب      إن أنت بالجن فى الظلماء حُشيتا

فإنما تلك أخبار ملفقة      لخدعة الغافل الحوشى، حوشيتا

## قصة الجنى

حَدَّثْتُ مَنْ حَطَّ أَوْزَارِي وَمَزَقَهَا  
وَكُنْتُ آلفٌ مِنْ أَتْرَابِ قُرْطَبَةِ  
أَزُورُ تِلْكَ وَهَذِي غَيْرُ مُكْتَرِثٍ  
وَلَا أُمِيرُ بَوْحِشِي وَلَا بَشِيرٍ  
وَأَرْكَبُ الْهَيْئِ فِي الظُّلُمَاءِ مُتَنَسِّقًا<sup>(١)</sup>  
وَأَحْضَرُ الشَّرْبِ<sup>(٢)</sup> أَغْرَوْمُ بِأَبْدِي  
فَلَا أَفَارِقُهُمْ حَتَّى يَكُونَ لَهُمْ  
وَأُصْرِفُ الْعَدْلَ<sup>(٣)</sup> خَتْلًا<sup>(٤)</sup> عَنْ أَمَانَتِهِ  
وَكَمْ صَرَعْتُ عَوَانًا<sup>(٥)</sup> فِي لَطَى لَهَبٍ  
عَنِّي ، فَأَصْبَحَ ذَنْبِي الْيَوْمَ مَغْفُورًا  
خُودًا<sup>(٦)</sup> وَبِالصَّيْنِ أُخْرَى بِنْتُ يَمْبُورًا<sup>(٧)</sup>  
فِي لَيْلَةٍ ، قَبْلَ أَنْ أُسْتَوْضِحَ النُّورَا  
إِلَّا وَقَادَرْتُهُ وَلَهَّانَ مَذْغُورَا  
أَوَّلَا ، فَذَبَّ رِيَادِي<sup>(٨)</sup> بَاتَ مَغْرُورَا  
يُرْجُونَ عُدَا وَمِزْمَارًا وَطَنْبُورًا<sup>(٩)</sup>  
فَعَلَّ يَطْلُ بِهِ إِبْلِيسُ مَسْرُورَا  
حَتَّى يَخُونَ وَحَتَّى يَشْهَدَ الزُّورَا  
قَامَتْ مُنَارِسُ لِلْأَطْفَالِ مَسْجُورًا<sup>(١٠)</sup>

(١) الخود: المرأة الشابة (٢) يَمْبُور اسم الملك الصين، كما يقال: كسرى ملك فارس، وقصر ملك الروم (٣) الظلم، أى ذكر النعام (٤) سائرًا على غير هداية (٥) ثورًا وحشيًا وهذا البيت يمثل للقارى صورة ممتعة يلذ له أن يتخيلها، وهى براعة فرفها فى أبى العلاء الذى لم يفته أن يلائم بين سمو الجنى وطول ذكر النعام فى الشطر الأول من البيت، وبين ضخامته وعظم الثور الوحشى فى الشطر الثانى، وليس أبداع من أن يتمثل الإنسان ذلك الجنى راكبًا تلك النعامة الموجهة ذات السوق الخفيفة، أو متمطياً ذلك الثور الوحشى مع ضخامة جرمه، وعنف جريه.

(٦) جمع شارب (٧) نوع من آلات الطرب له عنق طويل، وستة أوتار من النحاس (٨) العادل الذى ترضى شهادته (٩) مخادعًا آياه (١٠) العوان: المرأة النصف (١١) المسجور: اللبن الذى ماؤه أكثر من لبنه، والمعنى: قامت تماذج تنورا مسجورًا تطبخ عليه شيئًا لأطفالها، وفى هذا البيت صورة مفاجئة إذ تتمثل فيه تلك

وَدَادَنِي<sup>(١)</sup> الْمَرْءَ نُوحَ عَنْ سَفِينَتِهِ  
وَطَرْتُ فِي زَمَنِ الطُّوفَانِ مُعْتَلِيًا  
وَقَدْ عَرَضْتُ لِمُوسَى فِي تَفَرُّدِهِ  
لَمْ أَخْلِهِ مِنْ حَدِيثٍ مَا ، وَوَسْوَسِيَّةٍ  
أَصْلَلْتُ رَأْيَ أَبِي سَاسَانَ<sup>(٢)</sup> عَنْ رَشْدِهِ  
وَسِرْتُ مُسْتَخْفِيًا فِي جَيْشِ سَابُورَ<sup>(٣)</sup>  
ضَرَبَا إِلَى أَنْ غَدَا الطُّنْبُوبُ<sup>(٤)</sup> مَكْسُورًا  
فِي الْجَوِّ حَتَّى رَأَيْتُ الْمَاءَ مَحْسُورًا<sup>(٥)</sup>  
بِالشَّاهِ يُنْتِجُ<sup>(٦)</sup> مُمْرُوسًا وَفُرُورًا<sup>(٧)</sup>  
إِذْ ذَكَ رَبُّكَ فِي تَكْلِيمِهِ الطُّورَ<sup>(٨)</sup>  
وَسِرْتُ مُسْتَخْفِيًا فِي جَيْشِ سَابُورَ<sup>(٩)</sup>

الأم الرؤوم تصرع في وقت يكون فيه أطفالها في أشد حاجتهم إليها : فالجنى لا يرى أبلغ في الأذى من انتهاز تلك الساعة الحرجة !

(١) ردني (٢) عظم ساق من أمام ، أى أن نوحاً ظل يضربنى لأغادر سفينته ، حتى كسر عظم ساقى ، وفي هذا البيت دقة نعب ألا تفوت القارئ في كلمة المرء نوح ، مع ملاحظة أن المتكلم جنى يتكلم عن الأنس ، وإن كان أبو العلاء لم يتقيد بهذا في قوله في لزومياته :  
مضى المرء موسى ، وأضحت يهو د : تتلو مع الدهر أسفارها

(٣) حتى انحصر الماء عن الأرض ، أى انكشف (٤) جمع شاة (٥) ينتج : يلى تتاجها (٦) العمروس : الخروف (٧) الغرور : الحبل ، وهو يشير بذلك إلى حكاية رعيه الغنم لشعيب - عليه السلام - وهى معروفة ، وقد ورد ذكرها في القرآن ، في قوله تعالى : « قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثمانى حجج » وقد أشار موسى - عليه السلام - إلى ذلك حينما سأله الله عن عصاه فقال : « وأهش بها على غنمى » (٨) يشير بذلك إلى قوله : « ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال ربى أرنى أنظر إليك ، قال : لن ترانى ، ولكن انظر إلى الجبل ، فإن استقر مكانه ، فسوف ترانى ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ، وخر موسى صعقاً ، فلما أفاق ؛ قال : سبحانك ، تبت إليك ، وأنا أول المؤمنين » (٩) ساسان : جد دولة الطبقة الراضية من ملوك الفرس المعروفة بالساسانية (١٠) سابور هو ابن أردشير حفيد ساسان بن بابك ، ثانى ملوك الدولة الساسانية الفارسية

وَسَادَ بِهَرَامُ جُورٌ<sup>(١)</sup> ، وَهُوَ لِي تَبِعٌ أَيَّامَ يَنِي - عَلَى عِلَاتِهِ - جُورًا<sup>(٢)</sup>  
 فَسَارَةً أَنَا حِيلٌ<sup>(٣)</sup> ، فِي تَكَارَتِهِ ، وَرَبَّمَا أَبْصَرْتَنِي الْعَيْنُ عُصْفُورًا  
 تَلُوحُ لِلْإِنْسِ حَوْلًا أَوْ دَوَى عَوْرٍ وَلَمْ تَكُنْ قَطُّ لَاحُولًا وَلَا عُورًا<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

ثُمَّ أَلَمَطْتُ ، وَصَارَتْ تَوْبَتِي مَثَلًا مِنْ بَعْدِ مَا عِشْتُ بِالْعِصْيَانِ مَشْهُورًا  
 حَتَّى إِذَا انْقَضَتِ الدُّنْيَا وَتَوَدَّى إِسْرَافِيلُ : « وَيَحْكُ هَلَا تَنْفُخُ الصُّورَ ؟ »  
 أَمَاتَنِي اللَّهُ شَيْئًا ، ثُمَّ أَقْظَنِي لِمَبْنِي ، فَرَزِقْتُ الْخُلْدَ مَسْرُورًا

## لغة الجن

فَيَقُولُ<sup>(٥)</sup> : « لِلَّهِ ذَلِكَ يَا أَبَا هَذَرَشَ ، فَكَيْفَ أَلَسْتُكُمْ ؟ أَيْكُونُ فِيكُمْ  
 عَرَبٌ لَا يَفْهَمُونَ عَنِ الرُّومِ ، وَرُومٌ لَا يَفْهَمُونَ عَنِ الْعَرَبِ ، كَمَا تَجِدُ فِي  
 أَجْيَالِ الْإِنْسِ ؟ »

(١) بهرام جور هو ابن يزديجرد ملك الفرس ، وهو الذي بنى مدينة جور وتاريخه مضمم  
 بالبطولة والأعمال الجريئة (٢) جور مدينة بفارس بينها وبين شيراز عشرون فرسخا ، وهي  
 طيبة الزهة يسير فيها الراحل من كل باب نحو فرسخ في بساتين وقصور ، وإليها ينسب نوع  
 من الورد يعرف بالجورى ، وهو شديد الحمرة ويمد أجود أصنافه ، وشهرة هذه المدينة بالورد  
 كشهرة هجر بالتر ، ودارين بالسك ، وقطربل بالخر (٣) حية دقيقة صفراء لا تنفع  
 منها الرقية (٤) يقول : إننى كنت أبدو مرة في صورة صل كرية المنظر ، وأخرى في صورة  
 عصفور يزدهى الناظر حسنه ؛ وكثيراً ما كنا نظهر للإنس في صورة الحول والعور ، على حين  
 أننا أحماء البصر ، ولكننا نختار لأنفسنا الصورة التي يحول لنا أن نبدا فيها (٥) أى ابن القارج

فَيَقُولُ : « هَيْهَاتَ أَيُّهَا الْمَرْحُومُ ، إِنَّا أَهْلُ ذَكَاءٍ وَفَطَنَ ، وَلَا بُدَّ لِأَحَدِنَا أَنْ يَكُونَ عَارِفًا بِجَمِيعِ الْأَلْسُنِ الْإِنْسِيَّةِ ، وَلَنَّا بَعْدَ ذَلِكَ لِسَانَ لَا يَعْرِفُهُ الْإِنْسِ »

### حديث الرجم

وَأَنَا الَّذِي أُنْذَرْتُ الْجَنِّ بِالْكِتَابِ الْمُنْزَلِ ، أَذْلَجْتُ فِي رُفْقَةِ نُزَيْدِ الْيَمَنِ ، فَمَرَرْنَا بِبَثْرَبَ ، فَسَمِعْنَا قُرْآنًا حَبِيبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ، فَأَمْنًا بِهِ ، وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا . وَعُدْتُ إِلَى قَوْمِي ، فَذَكَرْتُ لَهُمْ ذَلِكَ ، فَتَسَرَّعَتْ مِنْهُمْ طَوَائِفُ إِلَى الْإِيمَانِ ، وَحَمَّهُمْ عَلَى مَا فَعَلُوهُ أَنَّهُمْ رُجُّوا عَنْ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ بِكُؤَاكِبِ مُحَرِّقَاتٍ <sup>(١)</sup> »

فَيَقُولُ : « يَا أَبَا هَذَرِشٍ ! أَخْبِرْنِي - وَأَنْتَ الْحَبِيرُ - هَلْ كَانَ رَجَمَ الثُّجُومِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَقُولُ : إِنَّهُ حَدَّثَ فِي الْإِسْلَامِ ! »  
فَيَقُولُ : « هَيْهَاتَ ! أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الْأَوْدِيِّ :

كَيْشَابِ الْقَذْفِ يَرْمِيكُمْ بِهِ فَارِسٌ فِي كَفِّهِ لِلْحَرْبِ نَارٌ وَقَوْلُ ابْنِ حُجْرٍ :

فَالنَّصَاعَ <sup>(٢)</sup> كَالدَّرِيِّ <sup>(٣)</sup> يَتَّبَعُهُ <sup>(٤)</sup> تَقَعُّ <sup>(٥)</sup> يَثُورُ مَحَالُهُ طُنْبًا <sup>(٥)</sup>

(١) يشير إلى قوله تعالى في سورة الجن : « وَأَنَا لِمُسْنَا السَّمَاءِ فوجدناها ملئت حرسا شديداً وشهباً ، وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ، فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَهَاباً رَصِداً » .  
(٢) انفتل راجعاً مسرعاً ومر (٣) كالنكوكب الذي (٤) غبار (٥) الطنب  
جبل طويل يشد به سراق البيت ، والمعنى أنه انفتل بسرعة الشهاب الساقط من السماء ، وقد خلف وراءه غباراً مستطيلاً يشبه الجبل الطويل

وَلَكِنَّ الرَّجْمَ زَادَ فِي أَوَانِ الْمُبْعَثِ <sup>(١)</sup>؛ وَإِنَّ التَّخَرُّصَ لَكَثِيرٌ فِي الْإِنْسِ  
وَالْجِنِّ، وَإِنَّ الصَّدْقَ لَمُعَوِّزٌ قَلِيلٌ، وَهَنَيْثَا فِي الْعَاقِبَةِ لِلصَّادِقِينَ  
وَفِي قِصَّةِ الرَّجْمِ أَقُولُ:

مَكَّةُ أَقْوَتْ مِنْ بَنِي الدَّرْدَيْسِ <sup>(٢)</sup> فَمَا لِيَجْنِيَ بِهَا مِنْ حَسِيسٍ <sup>(٣)</sup>  
وَقَامَ فِي الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ <sup>(٤)</sup> أَزْهَرُ <sup>(٥)</sup> لَا يُفْلُحُ حَقُّ الْجَلِيلِ  
يَجْلُدُ فِي الظُّلَمِ وَيَشْتَدُّ فِي الْأَسْرِ وَلَا يُطْلِقُ شُرْبَ الْكَسِيسِ <sup>(٦)</sup>  
وَيَرْجُمُ الزَّانِيَ ذَا الْعِرْسِ لَا يَقْبَلُ فِيهِ سَوْءَةٌ <sup>(٧)</sup> مِنْ رَثِيسٍ  
وَكَمْ عَرُوسٍ، بَاتَ حُرَّاسُهَا <sup>(٨)</sup> كَجُرَّامٍ <sup>(٩)</sup> فِي عِزِّهَا أَوْ جَدِيسٍ <sup>(١٠)</sup>

(١) صرح أبو العلا بهذا الرأي في اللزوميات ، فقال :

ولست أقول إن الشهب يوماً لبعث محمد جعلت رجوما

(٢) حتى من أحياء الجن (٣) صوت خفي (٤) قام في الصفوة من هاشم ، أى قام  
في نخبة بني هاشم ، أى في خيرهم (٥) مشرق الوجه ، يعنى به النبي صلوات الله عليه  
(٦) الكسيس نبيذ التمر ، ومعنى البيت : أنه يحرم كل أنواع الخمر ولا يبيع حتى هذا  
النوع من النبيذ (٧) شقاعة (٨) جرم قبيلة كانت في جهات مكة نزل بينهم إسماعيل  
(٩) جدیس قبيلة من العرب كانت منازلها باليمامة وكان معهم بنو معهم طسم ، فطفت  
طسم على جدیس ، حتى كان رئيسها عليق يدخل بالمرأة من جدیس قبل أن يدخل بها  
زوجها . فلما تزوجت عفيرة وهى من سادات جدیس واقضها عليق دون بعلا ، خرجت  
مولوة شاقة جيبها ، كاشفة عن نفسها ، وهى تقول :

لا أحد أذل من جدیس أهكذا يفنل بالروس ؟

فهاجت جدیس على طسم بسبب ذلك ، وانتصرت عليها ، وانفردت بالعز دونها ؟  
وظلت كذلك الى أن أبادها ملوك اليمن .



( ولد أشار إلى هذه القصة أكثر مؤرخى العرب ، ولا بأس من اختيار القطعة التالية من كتاب مروج الذهب لجمال أسلوبها الروائى وحسن خيالها المنسق . وليرأها القارئ على أنها أسطورة لها أصل تاريخى — إذا شاركنا فى الاعتقاد بأن أكثرها من عمل الرواة واختراع المحدثين : )

### حكاية طسم وجديس

« كان لطسم ملك يقال له « عملوق » وكان ظلوما غشوما لا ينهائى عن هواه مع إصراره وإقدامه على جديس وتعمديه عليهم وقهره إياهم ، فلبثوا فى ذلك دهرآ وهم أهل مظالم قد غمطوا النعمة واتهكوا الحرمه ، وبلادهم « اليمامة » أفضل البلاد وأكثرها خيراً فى صنوف الشجر والأعنان ؛ وهى حداثق ملتفة وقصور مصطفة ، فلم يزل على ذلك حتى أتته امرأة من جديس يقال لها « هزيلة » بنت مازن ، وزوج لها قد فارقتها يقال له « ماشق » فأراد قبض ولده منها فأبى عليه ، فارتفعا الى الملك « عملوق » ليحكم بينهما ، فقالت : « أيها الملك ! هذا الذى حملته تسما ، ووضعته دفعا ، وأرضعته شغما ، ولم أنل منه نفعا ، حتى إذا تمت أوصاله ، واستوفى خصاله ، أراد أن يأخذه قسرا ، ويسلبنيه قهرا ، ويتركنى منه صفرا » قال زوجها : « قد أخذت المهر كاملا ، ولم أنل منه نائلا ، إلا ولداً خاملا ، فافعل ما كنت فاعلا » فأمر الملك أن يؤخذ الولد منها ويجعل فى غلمانه ، فقالت هزيلة فى ذلك :

أتينا أبا طسم ليحكم بيننا فأبرم حكما فى هزيلة ظلما

لمرى لقد حكمت لا متورعا ولا فهما عند الحكومة علما

ندمت ، فلم أقدر على متزحزح وأصبح زوجى حائر الرأى نادما

قالوا : « فبلغ الملك قول هزيلة فغضب ، وأمر ألا تزوج امرأة من جديس فتزف الى زوجها حتى تحمل اليه فيقتربها قبل زوجها ، فلقوا من ذلك ذلا طويلا . ولم تزل تلك حالهم حتى تزوجت عفيرة « وقيل الشموس بنت عمار الطسمى أخت الاسود بن عفار » فلما كانت ليلة هديها الى زوجها ، انطلق بها الى « عملوق » الملك ، ليطأها — على عادته — ومعه الفتيات يننين ويقلن فى غنائهن :



ابداً بعمالوق ، وقوى فاركي  
وبادري الصبح بأمر معجب  
فما ليكر بهنكم من مذهب

■  
\* \*

فلما دخلت « عفيرة » على « عمالوق » اقترعها وخلى سبيلها ، فخرجت عفيرة على قومها  
في دملها شاقة جيبها عن دبرها وهي تقول :

« لا أحد أذل من جديس أهكنا يفعل بالعروس ا »  
وقالت أيضاً في تحرير جديس على طسم وأبت أن تمضي الى زوجها - :  
أصلح ما يؤتى إلى فتياتكم وأتم رجال فيكم عدد الرمل

.....  
فإن أتم لا تفضبوا بعد هذه فكونوا نساء لا تفروا من الكحل  
ودونكم طيب العروس ، فلما خلقت لأثواب العروس ، وللنسل  
قبيحاً وشيكا للذى ليس دافعا ويختال عيشى بيننا مشية الفحل  
فلو أننا كنا رجالا ، وكنتم نساء لكننا لا نقر على اللل

■  
\* \*

فوتوا كراماً ، واصبروا لصدوم بحرب تلفى في القرام من الجزل  
ولا تجزعوا للحرب يا قوم ، إنما تقوم بأقوام كرام على رجل  
فيهلك فيها كل نكس موكل ويسلم فيها ذو النجابة والفضل  
وفي ذلك يقول أخوها :

جاءت تمشى طسم في خيس كالريح في ههشة البيس  
يا طسم ا ما لقيت من جديس حقا لك الويل ، فهيسى ، هيسى

■  
\* \*

فلما سمعت جدیس قولها ، اجتمعت عصبا لذلك ، فقال لهم الأسود بن عفار — وكان فيهم سيدا مطاعا — : « يا جدیس ! أطيعونی بما أمرکم به وأدعویکم الیه ، ففی ذلك عز الدهر وذهاب النل »

قالوا : « وما ذلك ؟ » قال : قد علمتم أن هؤلاء — یعنی طسما — لیسوا بأعز منکم ؛ ولكن ملک صاحبکم علیکم وعليهم هو الذی یدعنا الیه بالطاعة ، ولولا ذلك ما كان له علينا من فضل ، ولو امتنعنا منه لکان لنا النصف ! » فقالوا : « قد قبلنا قولک ! ولكن القوم أقراننا وأكثر منا عددا وعددا ، فنخاف — إن ظفروا بنا — ألا یقولونا ! » فقال : « والله يا جدیس لتطیعننی فیما أمرکم به وأدعویکم الیه ، أو لا تکثن علی سیفی فأقتل به نفسی ! » قالوا : « فانا نطیعک فیما قد عزمت علیه » قال : « فانی صانع لمعاق وقومه من طسم طعاما وداعیهم الیه ، فاذا جاءوا الیه منفصلین من الخلیل والبقال نهضنا إلیهم بأسیافنا فانفردت أنا بالملک ، وانفرد کل رجل منکم برجل منهم ! » قالوا : « قافل ما بد لك ! » واجتمع رأيهم علیه ، فقالت « عفیره » لأخوها « الأسود » : « لا تفعل هذا فان الغدر فیہ ذلة وعار ، ولكن کابدوا القوم فی دیارهم تظفروا بهم أو تموتوا کراما ! » قال : « لا ، ولكن نکرهم فیکون ذلك أمکن لنا من نواحیهم وأبلغ فی الانتقام منهم » وصنع الأسود طعاما کثیرا وأمر قومه فاخترطوا سیوفهم ودفنوها فی الرمل — حیث أعدوا الطعام — ثم قال لهم : « اذا أتاکم القوم یرفلون فی حلیم ، فخذوا أسیافکم ثم تقدموا علیهم قبل أن یأخذوا بمجالسهم وابدؤا بالرؤساء ، فانکم — اذا قتلتمهم — لم تبالوا بالسفلة ، ولم یکن بعد ذلك منهم حال تکرهونها » قالوا : « نفعل ما قلت »

ثم دعا الأسود بمعاق الطسسی ومن معه من رؤساء طسم بالیمامة ، فأسرعوا بإجابة دعوته ، فلما توافوا إلى المدعاة ، وثبت جدیس ، فاستثاروا سیوفهم من الرمل ، وشدوا علی معاق وأصحابه ، فقتلهم حتی أفنؤهم عن آخرهم ، ومضوا إلى دیارهم فاتهبوها .

زُفْتُ إِلَى زَوْجِ لَهَا ، سَيِّدُ      مَا هُوَ بِالنُّكْسِ <sup>(١)</sup> وَلَا بِالضَّيْسِ <sup>(٢)</sup>  
 غَرْتُ عَلَيْهَا فَتَخَلَّجَهَا <sup>(٣)</sup>      بِوَأَشِكِ الصَّرَعَةِ <sup>(٤)</sup> قَبْلَ الْمُسَيْسِ <sup>(٥)</sup>  
 وَأَسْلُكُ <sup>(٦)</sup> الْفَادَةَ مَحْجُوبَةً <sup>(٧)</sup>      فِي الْخِذْرِ ، أَوْ يَنْ جَوَارِ تَمِيسِ <sup>(٨)</sup>  
 لَا أَنتَهَى عَنْ غَرَضِي بِالرَّقَى <sup>(٩)</sup>      إِذَا أَتَّهَى الضَّيْنُ دُونَ الْقَرِيسِ <sup>(١٠)</sup>  
 وَأُذْلِجُ <sup>(١١)</sup> الظُّلُمَاءَ فِي فِتْيَةٍ      مِلْجِنَ <sup>(١٢)</sup> فَوْقَ الْمَاحِلِ <sup>(١٣)</sup> الْعَرَبَسِينَ <sup>(١٤)</sup>

ولهذه الأسطورة التاريخية الطويلة بداية ونهاية لا يتسع المقام لذكرها ، ونحب أن نطلع  
 عليهما القارئ في الجزء الأول من كتاب « مروج الذهب » للمسعودي من ( ص ٢٤١ - ٢٤٧ )



وقد ذكر أبو العلاء قبائل « طسم وجديس وجرم » في شعره مراراً ، فمن ذلك قوله ،  
 وهو التفتاة تاريخية رائعة :

سيسأل ناس : « ما قرش ومكة ؟ » كما قال ناس : « ماجديس وما طسم ؟ »

وقوله في موضع آخر في أثناء كلامه عن الترك :

لم حبل في حربهم ما اهدت لها جديس ، ولا ساست بها الملك جرم

وقوله في ميسيته الفذة التي حاور فيها الديك : « ورثت هدى التذكار من قبل جرم »

(١) الرجل الضعيف الذي لا خير فيه (٢) الجبان أو الأحمق

(٣) جعلتها تختلج (٤) بماجل الصرعة (٥) قبل أن يمسيها زوجها

(٦) أدخل فيها (٧) وهي مستورة (٨) تتبختر (٩) جمع رقية

(١٠) إذا انتهى الأسد دون ما يفترسه (١١) أسير ليلاً (١٢) من الجن ، وهي

لهجة لبعض العرب ، يقولون : وقفت ع الماء ، ونحو ذلك . وما تزال هذه اللهجة على

ألسن العوام إلى يومنا هذا (١٣) الأرض الجذبة (١٤) الأرض الجافة الغليظة

فِي طَائِسٍ <sup>(١)</sup> تَنْزِفُ <sup>(٢)</sup> جَنَانَهُ أَقْفَرَ إِلَّا مِنْ عَفَارِيَتِ لَيْسٍ <sup>(٣)</sup>  
تَحْمِلُنَا فِي الْجَنَجِ <sup>(٤)</sup> خَيْلٌ، لَهَا أَجْنَحَةٌ - لَيْسَتْ كَخَيْلِ الْإِنْسِ <sup>(٥)</sup>  
وَأَيْتُنِي <sup>(٦)</sup> تَسْبِقُ أَبْصَارَكُمْ مَخْلُوقَةٌ يَنْ نَعَامٍ وَعَيْسٍ <sup>(٧)</sup>  
لَا تُسْكُ فِي أَيَّامِنَا عِنْدَنَا \* \* \* بَلْ تُكْسِ الدِّينُ، فَإِنْ نَكِسَ <sup>(٨)</sup>  
فَالْأَحَدُ الْأَعْظَمُ وَالسَّبْتُ كَأَا اثْنَيْنِ، وَالْجُمُعَةُ مِثْلُ الْخَمِيسِ <sup>(٩)</sup>  
لَا تُجْسُ نَحْنُ، وَلَا هُوَ، وَلَا نَصَارَى يَبْتَغُونَ الْكَنِيسَ <sup>(١٠)</sup>

(١) للفازة لا أثر فيها (٢) تصوت (٣) شجان « جمع أليس » (٤) وقت الليل  
(٥) الإنس (٦) نوق (٧) كرام الابل (٨) تُكْسِ الدين في معنى أخذ من  
غير وجهه ، وأهملت حقائقه ، ولا تكيس : لا نطقن ، والمعنى أننا لا نفقه شيئاً في أمور الدين  
(٩) أشار أبو العلاء الى هذا المعنى مراراً في لزومياته ، فمن ذلك قوله :  
لنا جمعة ، والسبت يدعى لأمة أطافت بموسى ، والنصارى لها الأحد  
فهل لبواقي السبعة الزهر معشر يجلونها - ممن تنسك أو جحد ؟  
وقوله :

فما هذه الأيام إلا نظائر تساوت بها آحادها وسبوتها

(١٠) بديع من أبى العلاء هذا الخيال الصافي الذى يتمثل فيه بعد الجن عن الاهتمام  
بالاعتبارات الإنسية

وقد شغل اختلاف الأديان وتباين الملل والنحل مكاناً رحباً من نفس أبى العلاء ،  
فأورده في شعره ونثره بأساليب شتى ، ولعل أول ما عرفناه له في ذلك قوله في سن مبكرة :

باللادقية فتنة ما بين أحمد والمسيح

هذا بناقوس يد ق ، وذا بمثذنة يصيح

إلى أن يقول ساخرًا :

كل يمرّر دينه ياليت شعرى ، ما الصحيح ؟

. . . . .

ثم قال - فيما بعد - :

نحل غدت ملأاً ، فكل شريعة تبدى لمضر غيرها إكفارها  
وقال :

إن الشرائع ألفت بيننا إحنًا وعلمتنا أغانين المداوات  
إلى غير ذلك مما يطول سرده .

✽  
✽

وبعد أن قلب هذه الفكرة على كل وجه من وجوها ؛ انتقل من تطبيقها على الإنسان  
إلى تطبيقها على الجن ، ثم إلى تطبيقها على الكواكب ، فمن ذلك قوله :

العالم العالى برأى معاشر كالعالم الهاوى - يحس ويعلم  
زعمت رجال : « أن سياراته تسق العقول ، وأنها تتكلم »  
فهل الكواكب مثلنا فى دينها لا يتقن ، فهاى أو مسلم ؟  
وفى هذه القصيدة يقول :

ولعل مكة فى السماء كمكة وبها نضادٌ ويذبلٌ ويَلْمُ  
فأنت ترى أن فكره لم يقف عند حد الإنسان والجن بل تعداها إلى الكواكب أيضاً ،  
فود لو يهتدى إلى مذاهبها ونحلها ، إن كان لها مذاهب أو نحل !  
وهذا خيال لا نستغربه من شاعر فيلسوف ، دقيق الحس ، عميق الفكر ، يرى  
فى كل ما يحيط به - من حيوان ونبات وجاد - حياة شاملة ، ويصل به التعمق فى ذلك  
إلى حد أن يقول :

أظن زمانى كونه وفساده وليدًا يترب الأرض يلهو ويسبث  
ثم ينظر من الناحية الأخرى من منظار الحقيقة الذى لا يفتأ يطل منه على الكون ،  
فيقول :

نَمَزَقُ التَّوْرَةَ مِنْ هُونِهَا وَنَحْطِمُ الصُّلْبَانَ حَظَمَ الْيَبِيسُ<sup>(١)</sup>  
تُحَارِبُ اللَّهَ جُودًا لِإِبْلِيسَ، أَخِي الرَّأْيِ الْقَبِيهِ النَّجِيسِ  
نُسَلِّمُ الْحُكْمَ إِلَيْهِ - إِذَا قَاسَ - فَفَرَضَى بِالضَّلَالِ الْمَقِيسِ<sup>(٢)</sup>

\* \*

تَرَيْنُ لِلشَّارِخِ<sup>(٣)</sup> وَالشَّيْخِ أَنْ يُفْرِغَ كَيْسًا - فِي الْخَنَاءِ - بَعْدَ كَيْسِنِ  
وَنَقْتَرِي<sup>(٤)</sup> جَنِّ « سُلَيْمَانَ » كَتَى نَطْلِقُ مِنْهَا كُلَّ غَاوٍ حَبِيسِ<sup>(٥)</sup>

هذى الشخوص من التراب كواثن فالمرء - لولا أن يحسن - جدار  
فأنت تراه يرى في الجماد حياة لا ينقصها إلا الإحساس ، وفي الأحياء جاداً لا يمتاز بغير  
ذلك الإحساس .

\* \*

ولا بأس من الإشارة هنا - بمناسبة هذا الاستطراد - إلى قوله :  
شر أشجار علت بها شجرات أثمرت ناسا  
وقوله :

وهل أعظم إلا غصون وريقة وهل ماؤها إلا جنى دماء  
وسنفصل ما أجهلناه في هذه النقطة حين نعرض للمقارنة بين أبي العلاء الممرى وعمر بن الخطاب ،  
فلنكتف بهذا القدر اليسير الآن .

(١) اليبيس : ما يبس من العشب ، والبقول التي تتناثر إذا يبست ، أو هو كل نبات  
يابس ، ومعنى البيت أننا نحرق التوراة فنمزقها ، ونهزأ بالصلبان فنكسرهما كما نكسر النبات  
اليابس (٢) نسلم حكماً إلى إبليس ، فنرضى بما يراه لنا من الآراء الضالة (٣) للشاب  
(٤) نتبع (٥) محبوس

صُيِّرَ فِي قَارُورَةٍ رُصِّصَتْ<sup>(١)</sup> فَلَمْ تَفَارِزْ مِنْهُ غَيْرَ النَّسِيسِ<sup>(٢)</sup>

(١) طليت بالرصاص (٢) بقية الروح ، والنسيس — أيضاً — عرقان في اللحم يسقيان المخ ، ومعنى البيتين : أننا نجوب أنحاء البلاد باحثين عن إخواننا من عصاة الجن الغاوين الذين سجنهم نبي الله « سليمان » بسبب عصيانهم ، في قوارير أحكم سدادها بالرصاص حتى لا يجدوا سبيلا إلى الفرار ، فلم يُبقَ منهم ذلك الحبس الطويل إلا الرمق « أساطير الجن وسليمان النبي »

وقد شاعت أساطير « سليمان » والجن « ارجع الى كتابنا : أساطير ألف يوم » وانتشرت منذ أقدم أزمنة التاريخ فنسبوا إليه القدرة المطلقة على تسخير الجن ومعرفة لغاتهم المختلفة ، وعزوا إلى خاتمه — المشهور بما عليه من النقش — معجزات لا تحصى ، كما عزوا إلى بساطه قدرة خارقة على الطيران — بما يحمله — في الجو بسرعة لا يكاد يتصورها العقل وقد كادت تجمع تلك الأساطير على عدة أمور ، أنضجها الخيال ونسقتها التواتر ، فمن ذلك أن « سليمان النبي » كان يهيمن على الجن و يتطلب منهم خدمات شتى تتفاوت صعوبة ويسرا ، وقد يعين له أمر هام لا يستطيع إنفاذه إلا جنى بعينه يكون مشهوراً بقدرته الخارقة ، فيرسل إليه ، فإذا لبي دعوته فذاك ، وإلا نكل به أو ختم جبهته بالنقش الذي على خاتمه فأحرقه توا ، أو سجنه في قارورة مرصصة أو ققم من النحاس ، وربما سجنه في عامود طويل من الصخر بعد أن يوثقه بالسلاسل والأغلال وختمه بخاتمه وقد اشتهر وزيره الحكيم « آصف بن برخيا » بمساعداته القيمة لسليمان ، على إذلال الجن وإخضاعهم لأوامره

وقد ذاع من تلك الأساطير بين العامة والخاصة شيء كثير ، وافتن الناس في رواياتها بأساليب شتى وطرق متباينة ، ولهذا الأساطير مصادر عدة ، فنخص بالذكر منها — عدا أقاصيص رواة العرب — مصدرين رئيسين ندمهما من أخصب المصادر وأغناها ، وهما « أساطير ألف ليلة وليلة » و « أسطورة سيف بن ذي يزن »

وُخْرِجُ الْحَسَنَاءَ مَطْرُودَةً مِنْ بَيْتِهَا عَنْ سُوءِ ظَنِّ حَدِيسٍ

ففي « ألف ليلة وليلة » ترى :

### حكاية الصيد والجنى

وموضوعها أن صياداً عاثلاً طاعناً في السن كان من عادته أن يرى شبكته كل يوم أربع مرات فخرج في صبيحة يوم حسب عادته وطرح شبكته وصبر إلى أن استقرت في الماء ثم جمع خيطاتها فوجدها ثقيلة فحذبها فلم يقدر على ذلك ، فأخذ يعالجها حتى إذا تمكن من إخراجها وجد فيها حماراً ميتاً فحزن ؛ ثم أخرجه ورى شبكته مرة ثانية ، فلما جذبها وجدها ثقيلة كما وجدها في المرة الأولى فأخذ يعالجها حتى استطاع إخراجها فوجد فيها زبراً كبيراً مملوياً بالرمل والطين فزاد حزنه . ثم أخرج ما فيها ولما ألقاها للمرة الثالثة وجذبها وجد بها شقافة وقوارير ، فعجب من سوء بخته ونكد طالعه ، وقبل أن يلقى الشبكة للمرة الرابعة - الأخيرة - توسل إلى الله أن ييسر له ثم سعى باسمه ، وألقى شبكته وصبر إلى أن استقرت فاذا بها أثقل منها في المرات السابقة فبذل أشد الجهد في إخراجها حتى تمكن من ذلك بعد عناء شديد . فوجد فيها قمقاماً من نحاس أصفر مسدوداً بالرصاص ومطبوخاً بخاتم سليمان النبي فتبدل حزنه سروراً وقال في نفسه : « سأبيع هذا القمقم في سوق النحاس لأنه يساوي عشرة دنانير ذهباً ، ولكن لا بد من فتحه لأعلم ما يحتويه »

وأخرج مدية كانت معه ، فعالج بها الرصاص حتى فككه ، ثم أزال غطاء القمقم فتصاعد منه دخان كثيف إلى عنان السماء لم يلبث أن تجمع واكتمل ، ثم رأى الصياد أمامه مارداً هائلاً مروعاً من الجن ، فارتعدت فرائضه ، واضطرب ، ولم يُدِرْ رشده إليه إلا قول الجنى له : « العفو يا نبي الله سليمان ، التوبة ! التوبة ! آمنت بك ، وأطعمتك ، ولم أعد أخالف لك قولاً أو أعصى لك أمراً ، فلا تقتلني فأني نائب نادم على ما فرط مني من العصيان ! »

فعاود الصياد الرمي وقال له : « أين أنت من سليمان النبي أيها الجنى ؟ لقد مات منذ عدة قرون ، فما قصبتك ؟ وما سبب حبسك في هذا القمقم ؟ » فلما علم الجنى بموت سليمان النبي التفت إلى



نَقُولُ : « لَا تَفْنَحْ بِتَطْلِيقَةٍ وَأَقْبَلْ نَصِيحًا — لَمْ يَكُنْ بِالدَّسِيسِ »

الصياد قائلاً : « سأجازيك على جيلك بالقتل ، ولكنى سأترك لك اختيار ميتتك ا » فقال له الصياد : « أهذا جزاء من أحسن إليك وأخرجك من سجنك ا » فقال له الجنى : « لقد كنت من الجن المارقين ، وقد عصيت سليمان بن داود — واسمى صخر الجنى — فأرسل إلى وزيره آصف بن برخيا فأتى بى مكرهاً وقادنى إليه ذليلاً ، فلما وقفت بين يدى سليمان النبى أمرنى بالدخول فى طاعته ، فأبيت ، فحبسنى فى هذا القمقم وخنم على بالرصاص وطبعه بخاتمه الملقوش عليه « الاسم الأعظم » وأمر الجن فألقونى فى وسط البحر ، فكثت مائة عام وقلت فى نفسى : « كل من خلصنى أغنيته إلى الأبد » ولما مرت الأعوام المائة ولم يخلصنى أحد ، قلت : « كل من خلصنى فى خلال هذا القرن الثانى فتحت له كنوز الأرض » فلم يخلصنى أحد ومرت على أربعمائة أخرى فقلت : « كل من خلصنى قضيت له ثلاث حاجات » — فلما مرت تلك المدة الطويلة كلها ولم ينقذنى أحد تملكنى الغضب الشديد فقلت فى نفسى : « كل من خلصنى — بعد هذا — قتلته ، وتركت له اختيار ميتته ، فأى ميتة تختار أن تموتها الآن ؟ » فارتقى الصياد على أقدامه متوسلاً إليه أن يعفو عنه ، ولكنه وجد منه الإصرار على قتله فلجأ إلى الحيلة — بعد أن يئس من استعطافه — فقال للجنى : « ولكن لى سؤالاً أرجو أن تهيئنى عليه قبل أن تهلكنى ، وأن تصدقنى فى الإجابة عنه » فقال له الجنى : وما هو ؟ فقال الصياد : « قل لى بحق الاسم الأعظم الملقوش على خاتم « نبى الله سليمان » كيف كنت فى هذا القمقم الضيق — وهو لا يسع يدك ولا رجلك ؟ » فلما سمع الجنى هذا القسم اضطرب ولكنه لم يلبث أن قال له : « ألا تصدق أننى كنت فيه ؟ » فأجابه الصياد : « كلا ، ولن أصدق ذلك أبداً إلا إذا رأيته بعيني » فانتفض العفريت وصار دحاناً فى الجوى ، ثم تجعجع وأخذ يدخل فى القمقم حتى أصبح كله فى داخله — فأسرع الصياد بسد فم القمقم بالسداة التى كانت عليه من قبل ، فلما رأى الجنى مكر الصياد توسل إليه أن يفك أسره .

ودار بينهما حوار طويل متع ، يجده القارىء مفصلاً فى الجزء الأول من كتاب ألف ليلة وليلة ، انتهى بأن أقسم له الجنى أن يغفمه إذا أطلقه ، وقد أطلق وبر للصياد بقسمه .

حَتَّى — إِذَا صَارَتْ إِلَى غَيْرِهِ — كَادَ مِنَ الْوَجْدِ بِجِدِّ تَعِيسٍ

أما أسطورة « سيف بن ذى يزن » فتمدها — على عامية أسلوبها ، وفساد خيالها واضطرابه في عدة مواضع منها — أغنى المصادر التي عانيت بذكر هذه الخرافة وأشباهاها من وصف الجان ، وبيان كفاياتهم وأقدارهم ، وهيمنة السحرة عليهم ، وأثر الطلاس فيهم ، وإظهار الفروق التي بين طوائفهم ونحلهم المختلفة وما إلى ذلك .

وقد أوسعت تلك القصة لهذا النوع من الأساطير أرحب مكان فيها ، فازدحت بها ازدحاماً أفردتها من بين الأساطير العربية ، ولسنا نعرف في كل ما قرأناه من القصص العامية — وقد قرأنا كل ما طبع منها بلا استثناء — قصة تعدلها في هذه الخصلة غناء وخصباً .

فليس بد — لمن أراد أن يكون فكرة واسعة عن أساطير السحرة والجان والأرصاد والطلاسم — من أن يقرأ تلك القصة الطويلة الجديرة بال العناية

ومن بين أساطير تلك القصة ما ترويه لنا أسطورة « الرهق الأسود » — وقد ذكرت في موضعين منها — أولها بمناسبة سفر « سيف بن ذى يزن » إلى كنوز « النبي سليمان » وثانيهما بمناسبة حفر « شلالات النيل »

فثلث لنا ذلك « الرهق الأسود » مارداً عنيداً تخاف الجن كلها سطوته وبأسه ، ولا تكاد تؤثر فيه الأرصاد والطلاسم ، وقد بلغ من عتوه أنه عصى « النبي سليمان » واستخف به وبسلطانه .

ففي ذات يوم كلف « سليمان » — تلبية لرغبة زوجته « بلقيس » — أعوان الجان بعمل شاق لم يستطيعوا القيام به ، فأظهروا له معجزهم عن القيام به ولفتهوا إلى قدرة « الرهق الأسود » — دون غيره من الجان — على إتمامه

فكلف وزيره « آصف بن برخيا » باحضاره ، وكان « آصف » يعلم مقدار صلابه هذا الجني وعناده ، فبعث إليه برسالة تركها له أحد الجان عند رأسه — وهو نائم — خوفاً من سطوته ، فلما أفاق قرأ فيها قوله : « إذا لم تحضر إلى بمشت إليك الوم ! »

نُذِرُهُ مِنْهَا - وَقَدْ زُوِّجَتْ نَعْرًا كَدَّرَ فِي مُدَامِ غَرِيسٍ

فذهب إلى « آصف » وسأله عن الوهم وأين هو ؟ فاغتنم فرصة حضوره فقيده بطلاسمه التي اشتهر بمقدرته الفائقة على الافتنان فيها - ثم أمره بالقيام بذلك العمل الذي أرغمه عليه إرغاماً وبينما هو قائم بعمله الشاق - مرت « بلقيس » مصادفة فهام بجها ، ولما رأى « سليمان النبي » طلب إليه أن يزوجه منها ووعد بالإذعان لأوامره كلها إن فعل - فلما علم أنه يعني زوجه ، أراد أن يطعمه بالنفس الذي على خاتمه ليحرقه ، فاستغاث بالوزير آصف ؛ فاقترح على « سليمان » أن يسجنه في عامود من الرخام ليشقى بالعذاب طول حياته « فسجنه في عامود طويل أحكم سداده بالرصاص وختمه بخاتمه وظل محبوساً حتى أنقذه « سيف بن ذي يزن » . . . . إلى آخر تلك الأسطورة الطويلة التي أوجزناها أشد إيجاز ، وفصلتها قصة « سيف بن ذي يزن » أبرد تفصيل « في الجزء الثامن ص ٤٥ و ٤٦ وفي الجزء الحادى عشر من ص ٤٤ إلى آخر الجزء ومن أول الجزء الثانى عشر إلى ص ٨ »

ومما هو جدير بالملاحظة في تلك الأساطير أنها تكاد تنتهى جميعاً بظهور شفيع أولئك الجن العصاة بالإساءة إلى من يحسنون إليهم ويهيئون لإطلاقهم ، مما يدل على تأصل روح الشر في نفوسهم

\*  
\*

وقد أشار المتنبي إلى ما اشتهر به « سليمان النبي » من معرفة لغات الجن وقدرته على تفهم ألسنتهم المختلفة ، في نونيته التي مدح بها عضد البولة وذكر فيها شعب بوان ، فقال :

ملاعب جنّة ؛ لوسار فيها « سليمان » لسار بترجمان<sup>(١)</sup>

وأبدع النابغة في الإشارة إلى ما اشتهر عن « سليمان » من إذلال الجن واخضاعهم لأوامره ، فقال من معلقته الجميلة أثناء مدحه للنعمان :

(١) وهنا البيت هو الثالث من قصيدته التي أولها

مفاني الشعب - طيباً في المفاني - بمنزلة الربيع من الزمان  
ولكن الفتي العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان

وَنُسِخَطُ الْمَلِكَ عَلَى الْمُسْتَفِقِ الْمُفْرِطِ فِي التُّنُجِ إِذِ الْمَلِكُ سَيْسٌ  
لَا أَتَقَى الْبَرَّ لِأَهْوَالِهِ وَأَرْكَبُ الْبَحْرَ أَوَانَ الْقَرِيسِ<sup>(١)</sup>  
نَادَمْتُ قَائِلَ ، وَشَيْثَا ، وَهَآ يِلَ عَلَى الْعَاتِقَةِ الْخُنْدَرِيسِ<sup>(٢)</sup>  
وَرَمَطَ لُقْمَانَ ، وَأَيْسَارُهُ حَاشَرْتُ مِنْ بَعْدِ الشَّابَابِ اللَّيْسِ<sup>(٣)</sup>

\* \*

نُمِتَ آمَنْتُ ، وَمَنْ يُرْزَقِ إِذِ  
جَاهَدْتُ فِي بَدْرِ ، وَحَامَيْتُ فِي  
وَرَاءِ جَبْرِيلَ وَمِيكَالَ<sup>(٥)</sup> نَحْزُ  
إِيكَانَ يَظْفَرُ بِالْخَطِيرِ النَّفِيسِ  
أَحَدٍ ، وَفِي الْخُنْدَقِ رُعْتُ الرَّئِيسِ<sup>(٤)</sup>  
إِلَى الْهَامِ فِي الْكَبَةِ<sup>(٦)</sup> خَلَى اللَّسِيسِ<sup>(٧)</sup>

ولا أرى فاعلاً في الخير يشبهه  
إلا « سليمان » إذ قال الآله له :  
وخيس الجن - انى قد أذنت لم  
من أطاعك فأنفعه بطاعته  
ومن عصاك ، فصاقبه معاقبة  
وتنهم هذا الفصل بقول الأعشى - وهو يمثل منحنى آخر من اعتقاد العرب في ذلك - :  
ولو كان شيء خالداً ومعمراً  
لكان سليمان البرى من الدهر  
براه إلهى ، فاصطفاه عباده  
وسخر من جن الملائك تسمه  
ولا أحاشى من الأقوام من أحد  
« قم للبرية فاحدها عن الفند  
ينون » تدمر « بالصفاح والعمد  
كما أطاعك - وادله على الرشد  
تنهى الظلوم ، ولا تعتمد على ضد »

(١) البرد الشديد (٢) الخمر (٣) أى الذى أخلق من كثرة اللبس (٤) بدر  
وأحد والخندق : ثلاث وقائع مشهورة من غزوات النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعنى  
بالرئيس فى واقعة الخندق : أباسفيان (٥) ميكائيل (٦) الكبة الصدمة بين الخيلين  
فى الحرب أو الزحمة (٧) يشير بذلك الى ما ورد فى القرآن من محاربة الملائكة فى جانب

وَطَارَ فِي الْيَرْمُوكِ بِي سَابِجٍ وَالْقَوْمُ فِي ضَرْبٍ وَطَعْنٍ خَالِسٍ  
 حَتَّى تَجَلَّتْ عَنِّي الْحَرْبُ كَاذٌ جَمْرَةٌ ، فِي وَقْدَةٍ ذَلِكَ الْوُطَيْسُ  
 وَالْجَمَلُ<sup>(١)</sup> الْأَنْكَدُ شَاهِدُهُ بَشَسَ نَتِيجُ النَّاقَةِ الْمُنْتَرِيسِ<sup>(٢)</sup>  
 وَزُرْتُ صِفِينَ<sup>(٣)</sup> عَلَى شَطْبَةٍ<sup>(٤)</sup> جَرْدَاءَ ، مَا سَأَسُهَا بِالْأَرِيسِ<sup>(٥)</sup>  
 مُجْدَلًا<sup>(٦)</sup> بِالسَّيْفِ أَبْطَاهَا وَقَازِفًا بِالصَّخْرَةِ الْمُرْمَرِيسِ<sup>(٧)</sup>  
 وَسِرْتُ قُدَّامَ عَلِيٍّ غَدَاةَ النَّهْرِ<sup>(٨)</sup> حَتَّى قُلْتُ غَرْبُ الْخَمِيسِ<sup>(٩)</sup>  
 صَادَفَ مِنِّي وَاعِظُ تَوْبَةٍ فَكَانَتْ الْقُوَّةُ<sup>(١٠)</sup> عِنْدَ الْقَبِيسِ<sup>(١١)</sup>  
 فَيَعْجَبُ لَنَا سَمِعُهُ مِنْ ذَلِكَ الْجَيْشِ ، وَيَكْرَهُ الْإِطَالَةَ عِنْدَهُ ، فَيُودِعُهُ

المسلمين في تلك الوقائع كقوله تعالى : « ولقد نصركم الله بيدير وأتم أذلة » إلى أن يقول :  
 « إذ تقول للؤمنين : ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ؟ بلى :  
 إن تصبروا وتقفوا ، ويأتوك من فورهم هذا ، يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة  
 مسومين » وقوله تعالى في سورة الأنفال « إذ نستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممددكم  
 بألف من الملائكة مسومين » وقوله تعالى في سورة الأحزاب « وجنوداً لم تروها »

(١) يعنى أنه شاهد واقعة الجبل (٢) المنتريس : الناقة الغليظة ، ومعنى البيت :  
 « وقد شاهدت ذلك الجبل المشثوم الذى سميت باسمه للوقعة ، فلا كان يوم ولدت أمه فيه ،  
 فإنه شرما نتجت تلك الناقة المنتريس التى خلفته (٣) موقمة صفين التى كانت بين على  
 ومعاوية (٤) فرس معتدلة القوام (٥) الأريس الاكارأى الحراث ، يعنى أن قائدها  
 ليس بالغمر الذى لم يمارس أهوال الحروب (٦) رامياً بالسيف أبطاهها الى الأرض  
 (٧) النساء أو الشديدة (٨) يعنى واقعة النهر (٩) الجيش ، وسعى كذلك لأنه خمس  
 فرق . (١٠) أى الناقة اللقوة ، وهى كل ناقة سريعة القبول لماء الفحل (١١) القبيس  
 أى الفحل القبيس ، وهو كل فحل سريع الإلقاح ، ومعنى البيت : « إن الوعظ صادف  
 استعداداً منه ، وهوى فى نفسه ، فانتصح به ، وأقلع عما كان فيه من الضلال والنمى . »

## حديث الاسد

وَيَحْمُ (١) فَإِذَا هُوَ بِأَسَدٍ يَقْتَرِسُ مِنْ صَيْرَانٍ (٢) الْجَنَّةِ وَحَسِيلِهَا (٣) فَلَا تَكْفِيهِ مِائَةٌ وَلَا مِائَتَانِ ، فَيَقُولُ فِي نَفْسِهِ : « لَقَدْ كَانَ الْأَسَدُ يَقْتَرِسُ الشَّاةَ الْعَجَفَاءَ (٤) فَيَقِيمُ عَلَيْهَا الْأَيَّامَ ، لَا يَطْعَمُ سِوَاهَا شَيْئًا » قِيلَ لَهُمُ الْأَسَدُ أَنْ يَتَكَلَّمَ - وَقَدْ عَرَفَ مَا فِي نَفْسِهِ - فَيَقُولُ : « يَا عَبْدَ اللَّهِ ! أَلَيْسَ أَحَدُكُمْ فِي الْجَنَّةِ تُقَدِّمُ لَهُ الصَّخْفَةَ (٥) فَيَأْكُلُ مِنْهَا مِثْلَ مُرِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، يَلْتَذُّ بِمَا أَصَابَ ، فَلَا هُوَ مُكْتَفٍ ، وَلَا هِيَ الْفَائِيَةُ (٦) وَكَذَلِكَ أَنَا أَقْتَرِسُ مَا شَاءَ اللَّهُ ، فَلَا تَأْذَى الْفَرِيَسَةُ بِطُفْرِ وَلَا نَابٍ ، وَلَكِنْ تَجِدُ مِنَ اللَّذَّةِ كَمَا أَجِدُ (٧) بِلُطْفِ رَبِّهَا الْعَزِيزِ !

أَتَذَرِي مَنْ أَنَا ؟ أَنَا أَسَدُ الْقَاصِرَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي طَرِيقِ مِصْرَ ، فَلَمَّا سَافَرَ عُثْبَةُ بْنُ أَبِي لَهَبٍ يُرِيدُ تِلْكَ الْجَهَّةَ ، وَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ - :

(١) يسير . أى ابن القارح . (٢) قطمان بقر الوحش (٣) أولاد البقر ، مفردها : حسيلة (٤) الهزيلة (٥) القصعة الكبيرة للنبسطة (٦) انظر الى هذا الاستدراك الجميل ، وتأمل كيف احتاط أبو العلاء بهذه الإشارة الدقيقة ، فهو لم يفته أن ينبه الى سرور الحيوان في الدار الآخرة ، والتناذع بما كان يألم له من الذبح والقتل في الدار الأولى . وبهذه الإشارة لم يتناقض أبو العلاء مع نفسه في تحريم ذبح الحيوان الذى يرى له مثل ما يرى للإنسان من الحق في الحياة والتمتع بها ، وقد دارت بين أبي العلاء المعرى وداعى الدعاة في مصر رسائل في أمر تحريم الحيوان ، فانتصر أبو العلاء لهذه الفكرة ، وأيدها بالحجج والأدلة القوية ، ورد داعى الدعاة عليه « ارجع إلى كتابنا : صور جديدة من الأدب العربى »

« اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبًا مِنْ كِلَابِكَ » أَطِيعْتُ أَنْ أَتَجَوَّعَ لَهُ أَيَّامًا ، وَجِئْتُ  
وَهُوَ نَائِمٌ بَيْنَ الرَّفَقَةِ ، فَتَخَلَّلْتُ <sup>(١)</sup> بَيْنَ الْجَمَاعَةِ إِلَيْهِ  
وَأَدْخَلْتُ الْجَنَّةَ بِمَا فَعَلْتُ . »

### حديث الخطيئة<sup>(٢)</sup>

..... فَيَذْهَبُ ، فَإِذَا هُوَ يَبْتَغِي فِي أَقْصَى الْجَنَّةِ ، كَأَنَّهُ

(١) دخلت بينهم ، أو خلال دارهم

(٢) الخطيئة

توفي سنة ٥٩ هـ

شاعر جاهلي إسلامي ، اسمه « جرول بن أوس » ، وكنيته « أبو مليكة » ولقبه « الخطيئة »  
لقب بذلك لقصره وقربه من الأرض ، وهو ينسب نفسه الى قبيلة بنى عبس التي ولد فيها .  
اشتهر بالعناد والنزوع إلى الشر ، وقد وصفه الأصمعي بأنه : « كان سيء الخلق ، دنى النفس ،  
فاسد الدين ، سئولا ملحفاً جشماً ، كثير الشر ، قليل الخير ، بخيلاً دميماً قصيراً ، رث الهيئة ،  
متلافح النسب في القبائل »

وقد هجا أبا بكر - فimen هجاء - فقال :

أطعنا رسول الله إذ كان حاضراً فيا لفتنا ! ما بال دين أبي بكر ؟  
أبورثها بكرآ - إذا مات بعده - وتلك - وبیت الله - قاصمة الظهر !

دفعه طبعه الشرير إلى هجاء أقرب الناس إليه ، فهجاء عمه وخاله ، بل أمه وأباه ، بل  
هجا نفسه أيضاً ، فقال في هجاء أبيه وعمه وخاله :

لحاك الله ، ثم لحاك حقا أباي ، ولحاك من عم وخال  
فنعم الشيخ أنت - لدى الخازي - وبئس الشيخ أنت - لدى المعالي  
جمعت اللؤم - لاحياك ربي - وأسباب السفاهة والضلال  
(١٧)

حَفْشٌ<sup>(١)</sup> أُمَةٌ رَاعِيَةٌ، وَفِيهِ رَجُلٌ لَيْسَ عَلَيْهِ نُورُ سُكَّانِ الْجَنَّةِ، وَعِنْدَهُ شَجَرَةٌ قَيْمَةٌ<sup>(٢)</sup>، تَمْرُهَا لَيْسَ بِزَاكٍ<sup>(٣)</sup>

فَيَقُولُ : « يَا عَبْدَ اللَّهِ ! لَقَدْ رَضِيتَ بِحَقِيرٍ »

فَيَقُولُ : « وَاللَّهِ مَا وَصَلْتُ إِلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ هَيَاطٍ وَمِيَاطٍ<sup>(٤)</sup> وَعَرَقٍ مِنْ شَقَاءٍ، وَشَفَاقَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَدِدْتُ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ ! »

وقال في هجاء أمه :

تنحى ، واقمدي مني بعيداً أراح الله منك العالمينا  
ألم أظهر لك البغضاء مني ؟ ولكن لا إخالك تعقلينا  
أغربالاً - إذا استودعت سرّاً ؟ وكأوناً على المتحدثينا  
جزاك الله شراً من عجوز ولقاك العقوق من البنينا  
حياتك - ما علمت - حياة سوء وموتك قد يسر الصالحينا !

وقال في هجاء نفسه - ولعله أصدق ما قال - :

أبت شفتاي - اليوم - إلا تكلماً بسوء ، فما أدرى لمن أنا قائله  
أرى لي وجهاً قبج الله خلقه قبج من وجه ، وقبح حامله  
وقوله - وهو من أروع الشعر وأحسنه - :

يسوسون أحلاماً - بعيداً أناتها وإن غضبوا - جاء الحفيظة والجد  
أقلوا عليهم - لا أبا لأبيكم - من اللوم ، أوسدوا المكان الذي سدوا  
أولئك قوم - إن بنوا - أحسنوا البناء ، وإن عاهدوا - أوفوا ، وإن عقدوا شدا  
وإن كانت النماء فيهم جزوا بها ، وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا  
مطاعين في الهيبة ، مكاشيف للذم ، وبني الجد  
ويمدني أبناء سعد عليهم وما قلت إلا بالذي علمت سعد

(١) بيت صغير جداً (٢) صغيرة حقيرة (٣) ليس نامياً (٤) هياط ومياط :



فَيَقُولُ : « مَنْ أَنْتَ ؟ » فَيَقُولُ : « أَنَا الْخَطِيئَةُ الْعَنِيَّةُ » فَيَقُولُ : « بَعِ  
وَصَلِّتْ إِلَى الشَّفَاعَةِ ؟ » فَيَقُولُ : « بِالصَّدَقِ » فَيَقُولُ : « فِي أَيِّ شَيْءٍ ؟ »  
فَيَقُولُ : « فِي قَوْلِي :

أَبْتُ شَفَتَايَ الْيَوْمَ إِلَّا تَكَلَّمَا بِهِجْرًا<sup>(١)</sup> ، فَلَا أَدْرِي لِمَنْ أَنَا قَائِلُهُ ؟  
أَرَى لِي وَجْهًا قَبَّحَ اللَّهُ خَلْقَهُ فَقَبَّحَ مِنْ وَجْهِ ، وَقُبَّحَ حَامِلُهُ »  
فَيَقُولُ : « مَا بَالُ قَوْلِكَ :

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَدُمُ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ<sup>(٢)</sup> يَنْتَ اللَّهُ وَالنَّاسِ  
لَمْ يُغْفَرْ لَكَ بِهِ ؟ » فَيَقُولُ : « سَبَقَنِي إِلَى مَعْنَاهُ الصَّالِحُونَ ، وَنَظَّمْتُهُ وَلَمْ  
أَعْمَلْ بِهِ ، مُغْرِمْتُ الْأَجَرَ عَلَيْهِ » فَيَقُولُ : « مَا شَأْنُ الزُّبْرَقَانِ بْنِ بَدْرٍ ؟ »

اضطراب ، وجمي وذهاب ، ودفع وزجر . وأصل الهياط : أشد السوق في الورد ، واللياط :  
أشد السوق في الصدر

(١) يروى : بسوء ، والهجر : غش من القول وقبيح من الكلام (٢) العرف :  
المعروف ، وهذا البيت من قصيدته التي هجا بها الزبرقان بن بدر ، وستمرك بعد أسطر  
(٣) الزبرقان بن بدر

أحد أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعامل عمر بن الخطاب ، وقد أحسن إلى  
الخطيئة وأكرم جواره ، فلم يحل ذلك دون هجاء الخطيئة إياه وبمالأة خصه « بفيض بن  
عامر » عليه ، فدح بنى أنف الناقاة وهجا الزبرقان بن بدر ، فشكاها إلى عمر<sup>(١)</sup> بن الخطاب  
فحبسه ، ثم استعطفه بشعره فأطلقه بعد أن حظر عليه الهجاء والخلوض في أعراض الناس .

(١) - كان عمر بن الخطاب يسمع شكوى الناس من الشعراء إذا هجؤهم ، ويعني بذلك عنايته  
بالمهم من الخصومات والفضايا . ويضاف إلى هذا المثال الذي بين أيدينا قصته مع تميم بن أبي والنجاشي  
( انظر ص ٦٦ من هذا الجزء ) .

فَيَقُولُ الْخَطِيئَةُ: «هُوَ رَيْسٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، انْتَفَعَ بِهَجَاتِي، وَلَمْ يَلْتَفِعْ  
غَيْرُهُ بِمَدِيحِي!»

ولما لم يكن له مورد رزق من غير هذا الباب، وقع له «عمر» بثلاثة آلاف درهم، فكف  
عن الهجاء، حتى مات عمر، فعاد يهجو من يشاء. ومما قاله في الزبرقان بن بدر:

والله ما معشر لاموا امرأ جنباً      في آل لأى بن شماس، يا كياس  
ما كان ذنب بفيض - لا أبالك -      في بائس جاء يحدو آخر الناس  
وقد مدحتكم عدداً لأرشدكم      کیا. يكون لكم متحى وأمراسى  
لما بدا لى منكم عيب أنفستكم      ولم يكن لجراحي فيكم أمى  
أزمت يا أسا متينا من نوالكم      ولن يرى طاردا للحر كاللياس  
جار لقوم أطالوا هون منزله      وغادروه مقبلا بين أرماس  
ملوا قواه وهرته كلابهم      وجرحوه بأنياب وأضراس  
دع انكاركم لا ترحل لبغيتها      واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى  
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه      لا يذهب العرف بين الله والناس

## لفضل النخاسين

الجحيم

حديث الخنساء

.... وَيَمْضِي ، فَإِذَا هُوَ بِامْرَأَةٍ فِي أَقْصَى الْجَنَّةِ ، قَرِيبَةٍ مِنَ الْمُطْلَعِ إِلَى النَّارِ ،  
فَيَقُولُ : « مَنْ أَنْتِ ؟ » فَتَقُولُ : « أَنَا الْخَنْسَاءُ السُّلَمِيَّةُ <sup>(١)</sup> » ، أَحَبَّتْ أَنْ أَنْظَرَ

(١) الخنساء

توفيت سنة ٢٤ هـ

اسمها ثُمَاضِر ، واسم أبيها عمرو بن الشريد ، ولقبها الغالب عليها هو « الخنساء » والخنساء -  
الظبية - وهي من بني سليم من مضر ، وقد اشتهرت بما قالت في رثاء أخويها « معاوية وصخر »  
وفدت في قومها على النبي فأسلت ، وأنشدته شعرها فأعجب به ، واستزادها . وحكايتها  
مع النابغة الذبياني حين فضلها على حسان مشهورة لا داعي إلى ذكرها  
ومما يحكونه عنها أن دريد بن الصَّبَّة خطبها إلى أبيها فرحب به ، وسأله أن يترث رثما  
يسأل الخنساء عن رأيها في زواجها ، لأن لها في نفسها ما ليس لغيرها . ثم دخل إليها وقال لها :  
« يا خنساء ! أتاك فارس هوازن وسيد بني جُشَم - دريد بن الصَّبَّة - يخطبك ، وهو  
من تاملين » فقالت ( ودريد يسمع قولها ) :

« يا أبت ! أتراني تاركة بني عمي مثل عوالى الزماح ، وناكة شيخ بني جُشَم هامة اليوم  
أو غد ؟ » ثم أنشأت تقول :

أخطبني - هبلت - على دريد      وقد طردت سيد آل بدر  
مأذ الله ينكحني حَبْرَكِي      يقال : « أبوه من جُشَم بن بكر »  
ولو أمسيت في جُشَم هديًا      لقد أمسيت في دنس وقر

إلى صخر. فاطلعت، فرأيتُهُ كالجبل الشامخ، والنار تضطرم في رأسه،  
فقال: «لقد صَحَّ مَرَعُكَ فِيَّ» يَعْنِي قَوْلِي:  
وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُ الْهُدَاةَ بِهِ كَأَنَّهُ عِلْمٌ<sup>(١)</sup> فِي رَأْسِهِ نَارٌ<sup>(٢)</sup>»

قالوا: خرج إليه أبوها فقال: «يا أبا قرة، قد امتنعت - ولعلها أن نجيب فيما بعد»  
فقال دريد: «قد سمعت قولكما» وانصرف غضبان، وقال يهجو الخنساء من قصيدة  
نحيتُ مني منها بقوله:

«وقاك الله يا ابنة آل عمرو من الأزواج أشباهي ونفسي  
فلا تُلَيِّ؛ ولا ينكحك مثلي إذا ما ليلة طرقت بنحس  
وتزعم أنني شيخ كبير وهل خبرتها أُنَى ابن أمس؟  
تريد شَرَبْتُ<sup>(١)</sup> القدمين شئنا يباشر بالعشية كل كرس<sup>(٢)</sup>  
وما قصرت يدي عن عظم أمر أم به، ولا سهى بنكس  
وما أنا بالمزجي - حين يسمو عظيم في الأمور - ولا بوهس  
ومن مختار شعر الخنساء قولها:

إن الزمان - وما يفنى له عجب أبقى لنا ذنباً واستوصل الرأس  
إن الجديدين - في طول اختلافهما - لا يفسدان، ولكن يفسد الناس  
وقولها في رثاء «صخر» أخيها:

ألا يا صخر! - إن أبكيت عيني فقد أضحكنتي زمناً طويلاً  
دفعت بك الخطوب - وأنت حي - فمن ذا يدفع الخطب الجليلاً  
إذا قبح البكاء على قتيل رأيت بكاءك الحسن الجليلاً

(١) جبل شامخ (٢) انظر إلى ما يحويه هذا التهمك من الدعابة ودقة التصوير، فقد  
أراد أبو العلاء أن يظلمك على رأيهِ في تقد هذا البيت، فلجأ إلى تمثيل هذه الصورة البديعة  
لترى منها رأيهِ مجسماً واضحاً.

## حديث إبليس

فَيَطْلُعُ ، فَيَرَىٰ إبليسَ — لَعْنَةُ اللَّهِ — وَهُوَ يَضْطَرِبُ فِي الْأَغْلالِ  
وَالسَّلَاسِلِ ، وَمَقَامِعِ<sup>(١)</sup> الْحَدِيدِ تَأْخُذُهُ مِنْ أَيْدِي الزَّبَانِيَةِ ! فَيَقُولُ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ

وهذا البيت من قصيدة جميلة للخنساء رثت بها أخاها وقد غنى ابن سريج ببعض أياتها ،  
والقصيدة من أجل شعر الخنساء ، وأولها :

قذى بعينك أ أم بالعين عوار أم ذرفت — إذ خلت من أهلها النار ؟  
وفيه تقول

تبكى «خناس» فانتفك — ما عرت — لها عليه رنين ، وهي مفتار  
تبكى «خناس» على «صخر» وحق لها — إذ رابها الدهر — إن الدهر ضرار  
لا بد من ميتة ، في صرفها عبر ، والدهر — في صرفه — حول وأطوار  
إلى أن تقول :

لقد نى «ابن نهيك» لى أخائقة كانت ترجم عنه — قبل — أخبار  
فبت ساهرة للنجم أرقبه حتى أتى — دون غور النجم — أستار  
ثم تقول :

قد كان خالصي من كل ذى نسب فقد أصيب ، فما العيش أوطار  
وتختتمها بقولها :

ليبكه مقتر — أفنى حريته دهر — وحالفه بؤس وإتسار  
ورقة — حار حاديهم بمهلكة — كأن ظلتها في الطخية القار  
لا يمنع القوم — إن سالوه خلعتهم ولا يجاوزه — بالكيل — مرار

(١) مفردها : مقمة — وهي صود من الحديد كالمخجن يضرب به رأس الفيل ، أو  
خشبة يضرب بها الإنسان لينذل . والأول المراد هنا .

الَّذِي أَمْكَنَ مِنْكَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّ أَوْلِيَائِهِ ، لَقَدْ أَهْلَكْتَ مِنْ بَنِي آدَمَ طَوَائِفَ لَا يَعْلَمُ عَدَدُهَا إِلَّا اللَّهُ !

فَيَقُولُ : « مَنْ الرَّجُلُ ؟ »

فَيَقُولُ : « أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ، مِنْ أَهْلِ حَلَبَ ، كَانَتْ صِنَاعَتِي الْأَدَبَ ، أَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى الْمُلُوكِ »

فَيَقُولُ : « بَشِّرِ الصَّنَاعَةَ ! إِنَّهَا تَهَبُ غَفَّةً<sup>(١)</sup> مِنَ الْعَيْشِ لَا يَتَسَعُّ بِهَا الْعِيَالُ ، وَإِنَّهَا لَمَزَلَةُ الْقَدَمِ ، وَكَمْ أَهْلَكْتَ مِثْلَكَ ، فَهَيْثَا لَكَ إِذْ نَجَوْتَ ، وَإِنْ لِي إِلَيْكَ لِحَاجَةٌ فَإِنْ قَضَيْتَهَا شَكَرْتُكَ يَدَ الْمُنُونِ<sup>(٢)</sup> »

فَيَقُولُ : « إِنِّي لَا أَقْدِرُ لَكَ عَلَى نَفْعٍ ، فَإِنَّ الْآيَةَ سَبَقَتْ فِي أَهْلِ النَّارِ ، أَغْنَى قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ، قَالُوا : إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ »

فَيَقُولُ : « إِنِّي لَا أَسْأَلُكَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ أَسْأَلُكَ عَنْ خَبَرٍ تُخْبِرُنِي بِهِ : إِنْ ائْتَمَرْتُمْ عَلَيْنَكُمْ فِي الدُّنْيَا ، وَأُحِلَّتْ لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ ، فَهَلْ يَفْعَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ بِالْوِلْدَانِ الْمُخْلِدينَ فِعْلَ أَهْلِ الْقُرْيَاتِ<sup>(٣)</sup> ؟ »

فَيَقُولُ : « عَلَيْكَ الْبَهْلَةُ<sup>(٤)</sup> ، أَمَا شَفَلَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ ؟ أَمَا مِمَّتْ قَوْلُهُ تَعَالَى : وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ، وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » ؟

فَيَقُولُ : « وَإِنْ فِي الْجَنَّةِ لَأَشْرِبَةٌ كَثِيرَةٌ غَيْرَ الْخَمْرِ ، فَمَا فَعَلَ بَشَارُ بْنُ بُرَيْدٍ ،

(١) بُلْغَةٌ (٢) دائماً أبدياً (٣) المراد بأهل القرية قوم لوط ، قال الله تعالى في سورة الأنبياء : « وَنَجِّنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ » وكذلك جاء في العنكبوت والأعراف والنمل ذكر القرية وأهلها في الحديث عن قوم لوط (٤) اللعنة







فَإِنْ لَهُ عِنْدِي يَدٌ<sup>(١)</sup> لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ مِنْ وَلَدِ آدَمَ ، كَانَ يُفَضِّلُنِي دُونَ الشُّعْرَاءِ ، وَهُوَ الْمَقَالُ .

إِبْلِيسُ أَفْضَلُ مِنْ أَيِّكُمْ آدَمَ فَتَبَيَّنُوا يَا مَعْشَرَ الْأَشْرَارِ  
النَّارُ غُنْصُرُهُ<sup>(٢)</sup> ، وَآدَمُ طِينَةٌ ، وَالطِّينُ لَا يَسْمُو سُمُو النَّارِ  
لَقَدْ قَالَ الْحَقُّ ، وَلَمْ يَزَلْ قَائِلُهُ مِنَ الْمُحَقُّوتِينَ ا

حديثه مع بشار<sup>(٣)</sup>

. . . فَلَا يَسْكُتُ مِنْ كَلَامِهِ ، إِلَّا وَرَجُلٌ فِي أَصْنَافِ الْعَذَابِ ،

(١) جيلًا ومعروفًا (٢) أصله

(٣) بشار بن برد : توفي سنة ١٦٧ هـ ، وعمره نحو ثمانين سنة

اسمه بشار ، واسم أبيه برد ، وأصله فارسي . نشأ بالبصرة ، وكان ضخماً الجثة طويل  
العنق ، مجذور الوجه ، ولد أكمه ؛ جاحظ الحذقتين ، يشاهما لحم أحمر  
ينبع في أوائل العصر العباسي الأول ، وقال الشعر في العاشرة من عمره . قيل أنه نظم نحو  
١٢٠٠٠ قصيدة لم يبق منها الآن إلا تنف متفرقة

لقى شعره بالبصرة رواجاً مدهشاً في أيامه ، فرواه كل غَزَلٍ وَغَزَلَةٍ ، وتكسبت به كل  
ناحثة ومغنية ، وكان بشار هجاءً مقذعاً فهابه كل ذي شرف يخشى ثلمه .

وكان منحازاً للمويزيين وقت قيام الدولة العباسية ، وحرص على الفتك بالمنصور ، فلما  
انتصر المنصور ، انحاز إليه بشار وتلقاه ، ثم انتقل إلى بغداد ، ومدح العباسيين ، وعاصر  
المهدي ، ومدح خالدا البرمكي

وكانت عقيدته الدينية مزعومة ، ويمكن عده من الفلاسفة الحائرين ، وكان يدين بالجبر ،  
ومن أبدع ما قاله في ذلك :

طُبِعْتُ عَلَى مَا فِي غَيْرِ غَيْرٍ هَوَايَ ، وَلَوْ خَيْرْتُ كُنْتُ الْمَهْدَا  
أُرِيدُ فَلَا أُعْطَى ، وَأُعْطَى وَلَمْ أُرَدْ وَقَصْرَ عَلَى أَنْ أُنَالَ الْمَغْيَا

يُنْمِضُ عَيْنِيهِ حَتَّى لَا يَنْظُرَ إِلَى مَا نَزَلَ بِهِ مِنَ النِّقَمِ ، فَيَفْتَحُهُمَا الزَّبَائِنَةُ

فأصرف عن قصدى وعلى مقصر وأمسى وما أعقت إلا التمجبا !  
وقد هجا يعقوب بن داود - وزير المهدي - حين أعرض عنه ولم يأبه لمديحه -  
بيئته المشهورين :

بنى أمية ! هبوا ؛ طال نومكم إن الخليفة يعقوب بن داود . . .  
ضاعت خلافتكم يا قوم ، فالتسوا خليفة الله بين الزق والعود !  
فأمر المهدي بقتله ضربا حتى مات ، ولم يخرج في دفنه أحد خوفاً من غضب الخليفة ،  
ومن أبدع شعره قوله :

وحارب إذا لم تعط إلا ظلامه شبا الحرب خير من قبول المظالم  
وقوله في القصيدة عينها :

ولا تجمل الشورى عليك غضاضة فان الخوافي قوة للقوادم  
وما خير كف أسك الفل أختها وما خير سيف لم يؤيد بقائم ؟  
وقوله من قصيدة أخرى :

خليلى ! إن العسر سوف يفيق وإن يسارا فى غد خليق  
وما كنت إلا كالزمان - إذا صحا صحوت ، وإن ماق الزمان أموق<sup>(١)</sup>  
لقد كنت لا أرضى بأذى معيشة ولا يشتكى بخلا على رفيق  
خليلى ! إن المال ليس بنافع إذا لم ينل منه أخ وصديق  
وكنت إذا ضاقت على محلة تيممت أخرى - ما على مضيق  
وماخاب - بين الله والناس - عامل له فى التقى أو فى الحامد ، سوق  
ولا ضاق فضل الله عن متعفف ولكن أخلاق الرجال تضيق

ومن لطيف دعاياته - وقد أخطأ بعض مشايخ الأدب المعاصرين فى حسابان ذلك من  
سخافات - قوله :

« خليفة » ربة البيت تصب الخل فى الزيت

بِكَلاَ لَيْبٍ<sup>(١)</sup> مِنْ نَارٍ ، وَإِذَا هُوَ يَبْشَارُ بِنِ بُرْدٍ قَدْ أُعْطِيَ عَيْنَيْنِ لِيَنْظُرَ بِهِمَا  
بَعْدَ الْكَمَةِ<sup>(٢)</sup> لِيَنْظُرَ إِلَى مَا نَزَلَ بِهِ مِنَ التَّكَالِ  
فَيَقُولُ لَهُ : « يَا أَبَا مُمَاذٍ<sup>(٣)</sup> لَقَدْ أَحْسَنْتَ فِي مَقَالِكَ ، وَأَسَأْتَ فِي مُعْتَقِدِكَ ،  
وَلَقَدْ كُنْتُ فِي الدَّارِ الْعَاجِلَةِ أَذْكَرُ بَعْضَ قَوْلِكَ ، فَأَتَرَحَّمُ عَلَيْكَ ، ظَنًّا أَنَّ  
التَّوْبَةَ سَتَلْحَقُكَ ، مِثْلَ قَوْلِكَ :

ارْجِعْ إِلَى سَكَنٍ تَعِيشُ بِهِ      ذَهَبَ الزَّمَانُ وَأَنْتَ مُنْفَرِدٌ  
تَرْجُو غَدًا ، وَغَدًا كَحَامِلَةٍ<sup>(٤)</sup>      فِي الْحَيِّ ، لَا يَذُرُونَ مَا تَلِدُ<sup>(٥)</sup>  
وَقَوْلِكَ :

الْحُرُّ يُلْحَى<sup>(٦)</sup> وَالْعَصَا لِلْعَبْدِ      وَلَيْسَ لِلْمُحْصِفِ<sup>(٧)</sup> مِثْلُ الرِّدِّ  
وَقُلْتُ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ : « السُّبْدُ » فِي بَعْضِ قَوَافِيهَا ، فَإِنْ كُنْتَ أَرَدْتَ جَمْعَ  
سُبْدٍ ، وَهُوَ طَائِرٌ ، فَإِنْ « فُعْلًا » لَا يَجْمَعُ عَلَى ذَلِكَ ، وَإِنْ كُنْتَ سَكَنْتَ الْبَاءَ ،  
فَقَدْ أَسَأْتَ ، لِأَنَّ تَسْكِينَ الْفَتْحَةِ غَيْرُ مَعْرُوفٍ .  
فَيَقُولُ بَشَارٌ : « يَا هَذَا ادْعِنِي مِنْ أَبَاطِيلِكَ ، فَإِنِّي لَمَسْغُوفٌ عَنْكَ ! »

لَهَا عَشْرُ دَجَاجَاتٍ وَدِيكَ حَسَنُ الصَّوْتِ !

(١) جَمْعُ كَلَابٍ : وَهُوَ خَشَبَةٌ فِي رَأْسِهَا عُقَاقَةٌ مِنْ حَدِيدٍ . (٢) الْكَمَةُ : الْعَمَى .  
وَانْظُرْ إِلَى هَذَا التَّهْكِيمِ الْإِذْعَانِيِّ الَّذِي يُخَوِّيه هَذِهِ الْجُمْلَةُ ، فِي الدَّارِ الْأُولَى حَيْثُ الْبَصَرُ مِنْ أَكْبَرِ  
النَّمِّ وَأَلْزَمِهَا لِلْإِنْسَانِ يَحْرَمُ بَشَارِ إِيَّاهُ ، ثُمَّ يُعْطَاهُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ لِيَرَى عَذَابَهُ وَنِكَالَهُ ،  
فِيغْمُضُ عَيْنَيْهِ حَتَّى لَا يَرَى مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْهَوْلِ !

وَقَدْ أَشَارَ أَبُو الْعَلَاءِ إِلَى حَرَمَانِ بَشَارِ نَسْمَةِ الْبَصَرِ ، فَقَالَ فِي لُزُومِيَّاتِهِ :

وَالْحَظُّ يَقْسِمُ ، عَاشَ بِشَرِّ مَا اشْتَكَى      بَصْرًا ، وَحُمِرَ أَكْصَمًا بِشَارِ

(٣) كُنْيَةُ بَشَارٍ (٤) كَحَلٍ (٥) أَيْ أَنْ غَدًا مَجْهُولٌ ، لَا يَعْرِفُ مَا يُجِئُهُ مِنَ الْأَحْدَاثِ

وَالْتَصَارِيفِ (٦) يَلَامُ (٧) الْمُلْحِفُ

## حديثه مع امرئ القيس<sup>(١)</sup>

وَيَسْأَلُ عَنْ أَمْرِ الْقَيْسِ بْنِ حُجْرٍ، فَيَقُولُ: «يَا أَبَا هِنْدٍ<sup>(٢)</sup> أَخْبِرْنِي عَنْ التَّسْمِيطِ<sup>(٣)</sup> الْمُنْسُوبِ إِلَيْكَ، أَصَحِّحُ هُوَ عَنْكَ؟»  
وَيُنْشِدُهُ الَّذِي يَرْوِيهِ بَعْضُ النَّاسِ:

(١) مرت ترجمته (في ص ٩٦ من هذا الجزء) ومر حديث عنه (في صفحتي ٥ و ٦ من هذا الجزء أيضاً) وقد ذكره المروى في لزومياته أكثر من مرة، فمن ذلك قوله:

أَيْنَ امْرُؤُ الْقَيْسِ وَالْمَذَارَى إِذَا مَالَ مِنْ تَحْتِهِ الْغَبِيطُ  
لَهُ كَيْتَانِ — ذَاتُ كَاسٍ تَزِيدُ، وَالسَّامِجُ الرِّيطُ  
يَبَاكِرُ الْعَبِيدَ بِالْمَذَاكِي فَيَأْنَسُ الْمَوْحَشَ الْهَبِيطُ  
اسْتَبْطَأَ الْعَرَبُ فِي الْمَوَاحِي بِمَدَكٍ، وَاسْتَعْرَبَ النَّبِيطُ

وقوله:

مضى «الواقف الكندي» والسقط غابر وصاحت ديار الحى: «أين لبيد؟»  
تولى ابن حجر — لا يعود لشأنه — وطالت ليال، والمعلم بيد  
وإنما سماه «بالواقف» لوقفته المشهورة بسقط اللوى — إذ يقول في أول معلقته الساحرة:  
«قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل»  
في هذا البيت — كما يقول علماء الأدب — وقف واستوقف، وبكى واستنكبى.

(٢) كنية امرئ القيس

(٣) التسميط ضرب من الشعر ينظم مسطواً — مقسماً على أجزاء عروضية مقفاة على غير  
روى القافية — وقد نحلوا امرأ القيس تسميطاً آخر ذكرناه في كتابنا «نظرات في تاريخ  
الأدب الأندلسي» (في ص ٢٥٠) — وذكرنا أنه بين البعد عن الأسلوب الجاهلي، وأوله:  
توهمت من هند معالم أطلال عفاهن طول الدهر في الزمن الخلال

يَا قَوْمِ إِنَّ الْهُوَى إِذَا أَصَابَ الْفَتَى  
فِي الْقَلْبِ ثُمَّ ارْتَقَى فَهَدَّ بَعْضَ الْقَوَى  
فَقَدْ هَوَى الرَّجُلُ

فَيَقُولُ : « وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ هَذَا قَطُّ ، وَإِنَّهُ لَقَرِيٌّ لَمْ أَسْلُكْهُ ، وَإِنَّ  
الْكَذِبَ لَكَثِيرٌ ، وَأَحْسَبُ هَذَا لِبَعْضِ شُعْرَاءِ الْإِسْلَامِ ، وَلَقَدْ ظَلَمَنِي  
وَأَسَاءَ إِلَيَّ ، أَبْعَدَ كَلِمَتِي الَّتِي أَوْلَمَّا :  
أَلَا عِمَّ صَبَاحًا <sup>(١)</sup> أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَاكِي وَهَلْ يَمِينُ مَنْ كَانَ فِي الْمَصْرِ الْخَالِي  
وَقَوْلِي :

خَلِيلِي مُرَّابِي عَلَى أُمِّ جُنْدَبٍ لِأَنْفِي حَاجَاتِ الْقَوَادِ الْمُعَذِّبِ <sup>(٢)</sup>  
مِيقَالِي لِي مِثْلُ ذَلِكَ ؟ وَالرَّجْزُ مِنْ أَضْعَفِ الشَّعْرِ <sup>(٣)</sup> ، وَهَذَا الْوَزْنُ مِنْ أَضْعَفِ  
الرَّجْزِ ا « فَيُعْجَبُ لِتَا مِيعَةٍ مِنْ أَمْرِ الْقَيْسِ

مراجع من هند خلت ومصانف يصيح بمنفاها صدى وعواذف  
وغيرها هوج الرياح العواصف وكل مسف ، ثم آخر رادف  
بأسهم من نوء السماكين هطال

(١) ليكن صباحك ناعما (٢) ارجع الى ص ٥ و ٦ من هذا الجزء (٣) هذا هو  
رأى أبي العلاء في الرجز ، وسيمر بك في هذه الرسالة ما يفتنك بتحملة الشديد على الرجاز ،  
وافتنانه في احتقارهم وتنقصهم ، وسننبه على ذلك في موضعه ، ونجتزئ هنا الآن ببعض  
آيات من لزومياته تستشف منها رأيه في الرجز والرجاز ، بصراحة لا تدع مجالاً للشك ،  
وهي قوله :

قَصُرَتْ أَنْ تَبْدُرِكَ الْعِلْيَاءُ فِي شَرَفٍ إِنَّ الْقَصَائِدَ لَمْ يَلْحَقْ بِهَا الرِّجْزُ

## حديثه مع عنتره<sup>(١)</sup>

وَيَنْظُرُ، فَإِذَا عَنَتَرَهُ . . . . .

وقوله :

ولم أرق في درجات الكريم وهل يبلغ الشاعر الراجز ؟

وقوله :

عجزت عن الكسب الذى يجلب الغنى وما أنت عن كسب الدنيا بماجز !  
ومن لم ينل فى القول رتبة شاعر تقنع فى نظم برتبة راجز !

(١) عنتره العبسى

توفى سنة ٦١٥ م

أبوه عمرو بن شداد العبسى ، وأمه زبيدة الحبشية ، كان « عنتره » يرعى الابل والخيول ، ولكنه لم يلبث أن اشتهر بفروسيته ، وذات مرة أغار بعض العرب على عبس ، واستاقوا إبلهم ، ولحقهم بنو عبس وفيهم عنتره ، فقال أبوه : « كَرَّ يا عنتره » فقال : « العبد لا يحسن الكر ، إنما يحسن الحلاب والصَّر » ( أى شد ضرع الناقة ) فقال : « كر ، وأنت حرا » فتفانى فى القتال ، حتى هزم القوم ، ونصر قبيلته

سئل يوما : « أأنت أشجع العرب وأشدّها ؟ » فقال : « لا ! » قيل : « فبماذا شاع لك هذا فى الناس ؟ » قال : « كنت أقدم إذا رأيت الإقدام عزما ، وأحجم إذا رأيت الإحجام حزما ، ولا أدخل موضعا لا أرى لى منه مخرجا ، وكنت أعتد الضعيف الجبان فأضربه الضربة القوية يطير لها قلب الشجاع فَأَتَنَّى عليه فأقتله ! » ومن خير أبياته قوله :

بَكَرْتُ تخوفنى الخوف ؛ كَأَنِّى أصبحت عن غرض الخوف بمزل !  
فأجبتها : إِنْ النية منهل لا بد أن أسقى بذاك المنهل  
فأتى حياك - لا أبالك - واعلى أنى امرؤ سأموت - إِنْ لم أقتل  
إِنْ النية لو تمثّل مثلث مثلث إذا نزلوا بضنك المنزل

مُتَلَدِّدٌ<sup>(١)</sup> فِي السَّعِيرِ ، فَيَقُولُ : « مَا لَكَ يَا أَخَا عَنَسٍ أَكَّا نَكَ لَمْ تَنْطِقْ بِقَوْلِكَ :  
وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمُدَامَةِ بَعْدَ مَا رَكَدَ الْهَوَاجِرُ بِالْمَشُوفِ الْمَعْلَمِ  
بِرُجَاجَةٍ صَفْرَاءَ ذَاتِ أُسْرَةٍ قُرِنْتُ بِأَزْهَرِ فِي الشَّمَالِ مُقَدِّمٌ<sup>(٢)</sup>  
وَلِي إِذَا ذَكَرْتُ قَوْلَكَ : « هَلْ فَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ<sup>(٣)</sup> » لَأَقُولُ :  
« لِيَنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ وَدِيَوَانُ الشُّعْرِ قَلِيلٌ مَحْفُوظٌ ، فَأَمَّا الْآنَ فَلَوْ سَمِعْتَ مَا قِيلَ  
بَعْدَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ - لَعَبَّتَ نَفْسَكَ عَلَى مَا قُلْتَ ، وَعَلِمْتَ  
أَنَّ الْأَمْرَ كَمَا قَالَ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ<sup>(٤)</sup> :

وقوله :

وَإِذَا شَرِبْتُ فَإِنِّي مُسْتَهْلِكٌ      مَالِي ، وَعَرْضِي وَافِرٌ لَمْ يَكَمْ  
وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصَرُ عَنْ نَدَى      وَكَأَ عَلِمْتُ شِمَائِلِي وَتَكَرَّمِي

وقوله :

وَلَقَدْ خَشِيتُ بَأْنَ أَمُوتَ وَلَمْ تَدْرِ      لِلْحَرْبِ دَائِرَةٌ عَلَى ابْنِي ضَمِضُ  
الشَّاعِي عَرْضِي وَلَمْ أَشْتَبِهْهَا      وَالنَّادِرِينَ - إِذَا لَمْ أَتْهُمَا - دَمِي

وقوله :

كَيْفَ الْمَزَارُ وَقَدْ تَرَجَّعَ أَهْلُهَا      بِنِيزَتَيْنِ وَأَهْلُنَا بِالْعِلْمِ

(١) متحير أو متبلد ، يتلفت يميناً وشمالاً ، وهو مأخوذ من صفحتي عنقه

(٢) ارجع إلى تفسيرهما في ص « ٥٣ » من هذا الجزء (٣) المتردم : اللوضح يُسْتَرْقَعُ

ويُستصلح لما اعتراه من الوهن والوهي ، أي لم يترك الشعراء لي معنى جديداً أقوله بدم

(٤) حبيب بن أوس « أبو تمام » (١٨٨ - ٢٣١هـ)

ولد بقرية « جاسم » من أعمال دمشق ، ثم انتقل مع أبيه إلى دمشق ، وكان أبوه يحترف  
الحياكة ، ولما ترعرع أبو تمام ذهب إلى مصر فكان يسقي الماء بجامع عمرو ، ثم نبغ في الشعر  
فغادر مصر متكبساً بشعره ، فأقبل عليه الأدهاء ، ووصله بمدحوه .

فَلَوْ كَانَ يَفْنَى الشَّعْرُ أَفْنَاهُ مَا قَرَّتْ<sup>(١)</sup> حَيَاضَكَ مِنْهُ فِي الْمُصَوِّرِ الدَّوَاهِبِ  
وَلَكِنَّهُ صَوَّبُ<sup>(٢)</sup> الْقُمُولِ، إِذَا انْجَلَّتْ سَحَابُ مِنْهُ أُعْقِبَتْ بِسَحَابِ  
فَيَقُولُ : « وَمَا حَبِيبُكُمْ هَذَا ؟ » فَيَقُولُ : « شَاعِرٌ ظَهَرَ فِي الْإِسْلَامِ »  
وَيُنْشِئُهُ شَيْئًا مِنْ نَظْمِهِ ، فَيَقُولُ : « أَمَّا الْأَصْلُ فَعَرَبِيٌّ ، وَأَمَّا الْفَرْعُ فَتَنْطِقَ  
بِهِ غَيْبِيٌّ ، وَلَيْسَ هَذَا الْمَذْهَبُ عَلَى مَا تَعْرِفُ قَبَائِلُ الْعَرَبِ . » فَيَقُولُ  
— وَهُوَ ضَاحِكٌ مُسْتَبْشِرٌ — : « إِنَّمَا يُشْكِرُ عَلَيْهِ الْمُسْتَعَارُ — وَقَدْ جَاءَتْ  
الْعَارِيَّةُ فِي أَشْعَارِكَ كَثِيرَةً مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ ، إِلَّا أَنَّهَا لَا تَجْتَمِعُ كَاجْتِمَاعِهَا فِيهَا نَظْمُهُ  
حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ<sup>(٣)</sup> »

وَلَقَدْ شَقَّ عَلَى دُخُولِ مِثْلِكَ إِلَى الْجَحِيمِ ، وَكَانَ أَذْنِي مُصْنِغِيَّةً إِلَى قَيْنَاتِ<sup>(٤)</sup>  
الْفُسْطَاطِ وَهِيَ تُعَرِّدُ بِقَوْلِكَ :  
أَمِنْ سُمِيَّةٍ<sup>(٥)</sup> دَمَعُ الْعَيْنِ تَذْرِيفُ لَوْ أَنَّ ذَامِنَكَ قَبْلَ الْيَوْمِ — مَعْرُوفٌ<sup>(٦)</sup>

ولما اتصل بأحمد بن المعتصم ومدحه بشعره أجازته بولاية الموصل ، فوليا عامين ، ثم مات .  
وسيمر بك طرف من أخباره في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

(١) ما جمعته (٢) مطر (٣) هنا هو رأى أبى العلاء فى شعر أبى تمام ، وقد ذكره  
فى لزومياته فقال :

وجدت عوارى الحياة كثيرة كأن بقاء المرء شعر « حبيب » ا  
(٤) مغنيات (٥) « سمية » هى امرأة أبيه — وكان يحبها — فخرضت عليه أباه ذات  
يوم ، وادعت أن عنتره راودها عن نفسها ، فغضب عليه غضباً شديداً ، وأخذ يضربه ضرباً  
مبرحاً ، فلما رأت ذلك رقت له قلبها ، فارتدت عليه تجلله وتحميه ، وبكت لما أصابه ، ففاضت  
شاعريته بتلك الآيات .

(٦) معنى البيت : « أحمقاً تذرّفين على دموعك ؟ وما عودتنى ذلك من قبل ! »



تَجَلَّسْتَنِي<sup>(١)</sup> إِذْ أَهْوَى الْمَصَا قِبَلِي كَأَنَّهَا رَشَاءُ<sup>(٢)</sup> فِي الْبَيْتِ مَضْرُوفٌ<sup>(٣)</sup>  
الْعَبْدُ عَبْدُكُمْ وَالنَّالُ مَالُكُمْ ، فَهَلْ عَذَابُكَ عَنِّي الْيَوْمَ مَضْرُوفٌ ؟

### حديثه مع علقمة

وَيَنْظُرُ ، فَإِذَا عَلَقْمَةُ بْنُ عَبْدِ<sup>(٤)</sup> فَقُولُ : « أَغْرَزَ عَلَى بِمَكَانِكَ ، مَا أَغْنَى  
عَنْكَ سِمْطًا لَوْ أُوتِيكَ<sup>(٥)</sup> ، لَوْ شَفَعْتَ لِأَحَدٍ أَيْبَاتٌ صَادِقَةٌ لَيْسَ فِيهَا ذِكْرُ اللَّهِ  
- سُبْحَانَهُ - لَشَفَعْتَ لَكَ أَيْبَاتُكَ فِي وَصْفِ النِّسَاءِ ، أَغْنَى قَوْلَكَ<sup>(٦)</sup> :

(١) عَلَّتْنِي أَوْ تَسَكَّنْتُنِي (٢) ولد الظبية (٣) ياكى العين

(٤) هو علقمة النحل ، وقد مرت ترجمته في ص ٥ و ٦ من هذا الجزء (٥) قال أبو  
العلاء : يعنى قصيدته التى على الباء : « طحا بك قلب فى الحسان طروب » والى على الميم :  
« هل ما علمت وما استودعت مكتوم » (٦) معنى الأبيات واضح ، واستحسان أبى العلاء  
لها إلى هذا الحد ، يدلك على أنها صادفت هوى من نفسه ، وأنه ممن يدينون بهذا الرأى ،  
وربما مثلت لك هذه الأبيات بعض ما يمتقده فى النساء ؛ فلنذكر لك بهذه المناسبة موجز :  
« رأى أبى العلاء فى المرأة »

فنعول : إن كان لأحد أن يسخط على أبى العلاء ، فهو المرأة ، فقد احتقرها ،  
وأنكر عليها أكثر مزاياها ، وأمن فى إساءة الظن بها ، وأسرف فى ذلك إسرافا بلغ به أن  
رأى السعادة فى خلو العالم وهى نفسها على أنه خلق رجلا ، ولم يخلق امرأة فقال :  
بده السعادة أن لم يخلق امرأة فهل تود جادى أنها رجب ؟

ورأى أنها لا تصلح للحياة العامة مطلقاً ؛ تَمَكَّلَهَا غَادِرَةٌ مَتَالِكَةً عَلَى لَنَاتِهَا ، مَنِهَكَةٌ  
مُتَغَانِيَةٌ فِي شَهَوَاتِهَا ، لَا تَعْرِفُ الْوَفَاءَ ، وَلَا تَدْرِكُ الْحُبَّ الصَّادِقَ مَعْنَى ، تَجْهَمُ لِلرَّجُلِ إِذَا قُلَّ  
مَالُهُ ، وَتَقْضُونَهُ لِأَنَفَةِ الْأَسْبَابِ ، فَالنِّسَاءُ عِنْدَهُ : « فَوَارِسُ فِتْنَةٍ ، أَعْلَامُ غِيٍّ » وَهَنَ فِي رَأْيِهِ :  
« بَاعَثَاتُ رَكَابِكَ فِي مَهَالِكِ مَقَاتِلٍ » وَ « حِبَالُ غِيٍّ ، بَهِنٌ يَضْبِيعُ الشَّرَفَ التَّلِيدَ »

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنِّي بَصِيرٌ بِأَذْوَاءِ النِّسَاءِ طَيِّبٌ

\* \*

وبهذه العقيدة المتعنتة ، اندفع يشدد عليها الحجاب ، وينهاها عن دخول الحمام ، ويحرم عليها أداء فريضة الحج ، ويحظر عليها الصلاة في المسجد ، وينصح لها بالعدول عن طلب العلم ، فإذا لم يكن لها بد من طلبه ، فحسبها منه أن تحفظ بضع أبيات يلقتها إياها شيخ أعمى ، نهكه الكبر ، فحانته قواه وارتشت من الضعف يداها ، وعليها أن تكتفى بهذا القدر اليسير دون أن تحاول الاستزادة ، أو تطمح إلى التعمق في فهم ما حفظته ، فإن ذهنها الضيق لا يتسع لذلك ، ولا حاجة بها إليه ، أما القراءة والكتابة فإنها مفسدة لها ولوشننا سرد كل ما قاله في ذلك ، لخرجنا عما قصدنا إليه ، ولكن حسبنا أن نجيزي هنا بقوله :

علوهن النسج والغزل والرد ن وخلوا كتابة وقراءه  
فصلاة الفتاة بالحد والإخلاص تغنى عن يونس وبراءه  
فهو يذهب بهذين البيتين في التشديد على النساء أكثر مما ذهب إليه عمر بن الخطاب حين أوصى بتعليم النساء سورتي : « يونس وبراءة » لما نحويناه من آيات الزجر والترهيب وقوله :

ولا يُدْنَيْنِ من رجل ضرير يلقنهن آيات محكمات  
سوى من كان مرتشاً يداها ولته من المتشبهات  
وأى غضاضة على الفتاة إذا أخطأت في اللغة أو لحنت مادامت قد أدت المراد :  
فما عيب على الفتيات لحن إذا قلن المراد مترجمات  
وليس لأبى العلاء من حسنة تذكرها له المرأة إلا سخطه على وأد البنات — إن كان يصح اعتبار هذا الواجب الإنساني حسنة — فقد قال :

لا تولدوا ، فإذا أبى طبع ، فلا تلدوا ، وأكرم بالتراب مصاهراً  
على أن هذا الرأي هو أقل ما نتظره من رجل لم تقف به الشفقة عند تحريم أكل

إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ ، أَوْ قَلَّ مَالُهُ فَلَيْسَ لَهُ فِي وَدَّهِنَ نَصِيبُ

الحيوان على نفسه ، إشفاقاً عليه ، بل وصلت إلى حد أن أنكر على الناس قتل  
البرغوث ، فقال :

تسريح كَفَى برغوثاً ظفرتُ به أُرُّ من درهم تعطيه محتاجا  
ولم يفرقاً بين البرغوث الضئيل والملك المتوج العظيم :

لا فرق بين الْأَسْكُ الْجَوْنِ أَطْلَقَهُ وجون كُندة أُمسى يعقد التاجا  
وأخذ يدلل على صحة ذلك ، فقال :

كلّهما يتوقى - والحياة له عزيزة - ويروم العيش مُتاجا

على أنك ، إذا آنست منه حرارة الدفاع عن قتل البرغوث في هذه الأبيات ، آلمك  
ما تلمحه من الفتور ، حين يدافع عن وأد البنات في قوله : « وأكرم بالتراب مصاهراً »  
فقد ترى فيه نهياً مشوباً بشيء من التردد والحذر ، بل إن شئت فقل من التماس العذر



ولا يذهبن الوهم بالقارئ ، فيحسب أن أبا العلاء كان - مع كل هذا التحامل - يكرهها ؛  
أو يقتصر منها ليرة في نفسه منها ، فقد كان - على العكس من ذلك - شقيقاً رحيماً بها ،  
وإنما دفعه إلى تنقصها وتمنى خلو العالم منها ؛ حديه العميم على الإنسان . ولما كانت المرأة في  
رأيه هي أداة النسل ومجلبته ، وهو لا يرى في غير انقراض النسل حاسماً لشقاء العالم ، فلا جرم  
خصها بأكبر قسط من سخطه ، وتقم منها وجودها

وأى جرم عند أبي العلاء أفضح هولا من النسل الذي تنجبه النساء :

صحبك ، فاستغدت بهنَّ وُلْدًا أَصَابَكَ من أذاتك بالسمات

ومن رزق البنين ، فقير ناء بذلك عن نوائب مسقامات

فمن ثكل يهاب ، ومن عقوق وأرزاء يجئن مصبات

وإن تمط الإناث فأى يؤس تبين في وجوه مقسمات

يُرْدَنَ ثَرَاءَ الْمَالِ حَيْثُ وَجَدْنَهُ وَشَرَحُ الشَّبَابِ عِنْدَهُنَّ نَحِيبُ

يُردن بعودة ، ويردن خلياً ويلقن الخطوب ملومات  
ولسن بدافعات يوم حرب ولا في غارة متغشيات  
وقد يقدن أزواجاً كراماً فيا للنسوة التأيامات  
يلدن أعادياً ويكن عارا إذا أمسين في التهنعات

\* \*

فأبو العلاء يكره الزواج لما يقبه من النسل ، فإذا عقببت المرأة فلا بأس من الزواج منها :  
إذا شئت يوما وصلة بقرينة فخير نساء العالمين عقيماً  
على أنه إن تقي من المرأة أنها أداة النسل ، فقد برم بالعيش والناس ، وتقي من نسلها  
حياته أيضاً دون أن يخص الذكر منه أو الأنثى ، فود لو مات المولود ساعة ولادته ليستريح  
من عناء الحياة ، فقال :

فأف لمصريهم : نهار وحنس وجنسى رجال منهم ونساء  
وليت وليداً مات ساعة وضعه ولم يرتضع من أمه النفساء  
يقول لها من قبل نطق لسانه : « تفيدن بي أن تُنسكبي وتساى »  
ولا غرو فهو القائل :

هذا جناء أبى على وما جنيت على أحد

وهو القائل أيضاً :

على الولد ينجى والد ولو أنهم ولالة على أمصارهم خطباء

وقد ساعده على سوء ظنه بالمرأة واحتقاره مواهبها ، ما كانت عليه في عصره من  
الانحطاط الخلقي والضعف النفسى ، وما اكتظت به الآداب العربية التي درسها من تنقص  
المرأة والافتتان في ذكر مثالبها ( ارجع إلى ديوان ابن الرومى ج ١ ص ٢١ )

\* \*

ولا مندوحة هنا من التنبيه على أن رأى شو بنهور الفيلسوف الألماني لا يختلف كثيراً عن

رأى أبى العلاء فى المرأة ، ولا يفين عن القارىء اتفاقهما فى المزاج السوداوى الذى كان علة  
تشاؤهما معاً

\*\*\*

وننظم هذا الفصل بنجبة موجزة من شعر أبى العلاء فى المرأة والنسل ، تثبت ما ذهبنا  
إليه ، وتكون مرجعاً عند الحاجة ، وإلى القارىء بعض أشعاره فى المرأة :

أعوذ بالله من ورهاء قاتلة للزوج : « إنى إلى الحمام أحتاج »  
ومهما فى أمور - لو يتأهبها كسرى عليها - لشين الملك والتاج

\*\*\*

شر على المرأة من حمامها  
إرسالك الفاضل من زمامها  
ومشيها تضرب فى أكلامها  
يفوح ريا الطيب من أمامها  
زائرة المسجد فى إلامها  
تأثم ، وانخبيصة فى اتنامها  
بأحمل - ما عف عن كلامها -  
أغاذها الخالق من إمامها  
وريقها الشروب فى صمامها  
سام أفى بان من سمامها  
إن نزلت عصماء من شمامها  
فلا سقاها الطل من غمامها  
إذا احتوى الريم على رمامها

لزوجها البيت مع اهتمامها  
حتى يبيحها الوفد من حمامها  
وحملها للغزل في إقامها  
أوفى بما تعقد من زمامها

\*  
\* \*

إذا بلغ الوليد لديك عشرا فلا يدخل على الحرم الوليد  
فإن خالفتني وأضعت نصحي فأنت - وإن رُزقت حجبى - بليد  
ألا إن النساء جبال غى بهن يُضَيِّعُ الشرف التليد

\*  
\* \*

أقل الذى تجبى الغوانى تبرج · يرى العين منها حليها وخضابها  
فإن أنت عاشرت الكعاب، فصادها وحاول رضاها واحذرن غضابها  
فكم بكرت تسقى الأمر حليها من النار، إذ تسقى الخليل رضاها

\*  
\* \*

قد أهملت للخياط إبرتها فصادفت إبرة لعقربها  
ففى تُسَقَّى الحليب ليلتها ولم يكن من لذيز مشربها  
وإنما الحود - فى مساربها - كربة السم فى تسربها  
فلا تكونى مثل التى لدغت تبدأ فى شرّها بأقربها

\*  
\* \*

وإلى القارىء نخبه مختارة من شعر أبى العلاء فى النسل ، يتبين منها مقدار سخطه ونقمته :  
تواصل جبل النسل ما بين آدم وبينى ، ولم يوصل بلاى باه

إذا شئت - يوما - وصلةً بقرينة  
لنا طرق في كل شرق ومغرب  
هي الدار يأتيها من الناس قادم  
يحث على أن يستقل مقيمها<sup>(١)</sup>

\*  
\*

على الرُّلد يحنى والد ، ولو أنهم  
وزادك بعداً عن بنيك ، وزادهم  
يرون أباً ألقاهم في مؤرب  
ولاية على أمصارهم خطباء  
عليك حقودا ، أنهم نجباء  
من العقد - أعيا حله الأرباء

\*  
\*

وإذا أردتم بالبنين كرامة  
فالحزم أجمع تركهم في الأظهر

\*  
\*

كوني الثريا ، أو حضار<sup>(٢)</sup> أو الجوزاء ، أو كالشمس لا تلد  
فلتلك أشرف من مؤنثة نجلت ، فضاقت بنسلها البلد

\*  
\*

أنتك بمجبل فتاة غدت مسائلة عن دواء الجبل  
وقد حسبت من بنات السهول فجاءت بإحدى بنات الجبل<sup>(٣)</sup>

\*  
\*

أرى حبلاً حادناً في النساء ، حبلاً أذا بهن اتصل  
أنى ولد بسجل العناء فيا ليت وارده ما وصل

(١) يرى الفارسي من هذه الأيات أن علة كره أبي العلاء للزواج هي خوفه من النسل وإشفاقه مما يلاقه الابناء من مكاره العيش وشقاءه وما يتجرعون من غصص وآلام لا تنتهي الا بموتهم ، ومضى ضمن الانسان انقطاع النسل فلا بأس له من الزواج ، وإذن فقير النساء العظيم .  
(٢) نجم يطلع قبل سهيل فيظن أنه سهيل (٣) فجاءت بحية .

وإن أنظرته خطوب الزما      نِ عُضْ بناب شديد العَصَل  
وربع من الغَيْر الطارقا      تِ بالرح صر ، وبالسيف صل  
وقال له : « صل » داعي الهدى ،      وقال له ملحد : « لا تصل »  
وشب ، وشاب ، وأفنى الشباب ،      وسقيا له من خضاب فصل  
ومن بعد ذلك يجيء الحما      م فانظر ، على أى شيء حصل ا  
فيا راحة النفس عند المات      إن كان هذا الحساب انفصل

ألا تفكرت قبل النسل في زمن      به حلت ، فتدري أين تلقيه  
ترجو له من نعيم الدهر ممتعا      وما علمت بأن العيش يشقيه  
شكا الأذى ، فسهرت الليل ، وابتكرت      به الفتاة إلى شيماء ترقيه  
وأمه تسأل المراف قاضية      عنه النذور ، لعل الله يقييه  
وأنت أرشد منها - حين تحمله      إلى الطيب يداويه ويستقيه

ضل الذي جعل ابناً للردى غرضاً      إن عى ، فهو على جرم يكافيه

ما يأخذ الموت من نفس لمنفرد      نفساً سواها إذا ما جال واحتشدا

نادى حشا الأم بالطفل الذى اشتملت      عليه : « ويحك لا تظهر ومت كذا »  
فإن خرجت إلى الدنيا لتيت أذى      من الحوادث ، بله القيظ والجعدا  
وما تخلص يوماً من مكارها      وأنت لا بد فيها بالغ أمسا  
ورب مثلك وافاها على صغر      حتى أسن ، فلم يحمد ولا حمدا  
لا تأمن الكف من أيامها شللا      ولا النواظر كفاً عن ، أو رمدا



فإن أيت قبول النصيح معتدياً ، فاصنع جيلاً ، وراع الواحد الصمد  
فسوف تلقى بها الآمال واسعة - إذا أجزت مدى منها - رأيت مدى  
وتركب اللج تبغى أن تغيد غنى وتقطع الأرض لا تلقى بها ثمدا  
- وإن سعدت - فما تنفك في تعب وإن شقيت - فن للجسم لو هذا ؟  
ثم المنايا ، فإما أن يقال : « مضى ذميم فعل » وإما : « كوكب خندا  
والمرء فصل حسام ، والحياة له سَلْ ، وأصون للهندي أن غندا  
فلو تكلم ذاك الطفل ، قال له : « إليك غنى ، فما أنشئت معتدا »  
فكيف أحل عباً - إن جرى قدر على - أدرك ذا جد ، ومن سمدا

\*  
\* \*

وليس أجمع لخلف آرائه الكثيرة في المرأة والزواج والنسل من تأنيته المطولة التي نعدها  
تشرمه الخاص بالمرأة ، وقد أتى فيها بخلاصة مذهبه في النساء ، ونحن نجتزئ منها  
بالأبيات التالية :

ولا ترجع بإيماء سلاما على يعض أشرن مسلمات  
ألات الظلم جئن بشر ظلم وقد واجهنا متفلمات  
فوارس فتنة ؛ أعلام غى لقينك بالأساور مُعلّات  
.....  
ولكن الأوانس باعشات ركابك في مهالك مُقتبات

وهنا يمل لك سبب سخطه عليهن ، وهو تلك الجريمة الشنعاء التي يقترفنها ،  
وأى جريمة في رأيه أفظع من جريمة النسل ، وأى هول أكبر من ذلك الهول :  
صحبتك ، فاستغدت بهنّ ولنا أصابك من أذاتك بالسيات  
ومن رزق البنين - فخير ناء بذلك عن نواثب مسقات

فمن شكل يهاب ومن عقوق وأرزاء يجنن مصمات  
وإن قطع الإناث ، فأى يؤس تبين فى وجوه مقسمات  
يردن بمولة ، ويردن حليا ويلقن الخطوب ملومات  
ولسن بدافعات - يوم حرب ولا فى غارة متشمات  
ودفن - والحوادث فاجعات - لإحداهن إحدى الكرمات<sup>(١)</sup>

(١) وقد استنتج أحد كبار أساتذة الأدب فى مصر من هذا البيت أن أبا العلاء يرى وأد البنات ومحبته ، وليس يحتل البيت هذا التأويل ، فليس أبو العلاء من غلط القلب وعتوه بحيث يبيح ذلك ، بل ليس أبو العلاء خصما حقيقيا للمرأة فتبيح له المحصومة أن يأمر بوأدها ، وإنما هو مشفق ناصح - برغم ما يديه لها من القند العنيف الذى مصدره الحنو والمطف . لا المحصومة والدبد  
ولا نحسبنا فى حاجة الى التذليل على ذلك . فان أبا العلاء يرم بالعالم كله ، ساخط على كل من فيه من لساء ورجال :

فأف لصبرهم نهار وحنس وجنسى رجال منهم ونساء

وقد كرر هذا السخط فى كل مناسبة عنت له . فهل دفعه ذلك إلى أن يوصى بإبادتهم وإهلاك هذا الناس ؟ كلا بل حتى لهم الخير الشامل والرفاهية العميمة ، ورثى لما يلاقون من ظلم وأعانت ، ولكنه أوصى بالكف عن إيجاد مخلوقين جدد يهانون ما يمانى آباؤهم من الشقاء والألم ، فأظهر رأيه صريحا فى وجوب الكف عن الزواج ، وقال أكثر من مرة : إن الناس لو رأوا مثل رأيه :

لمطاولوا هذه الدنيا فما ولدوا ولا اقتنوا واستراحوا من رزاياها

ولكنه موثق أن للفرائر حكما وأن صيخته متلاشية فى أجواز الفضاء ، ومن ثم تراه يهمس فى أذنه مطلعا يدعوكم الى ترويع ابنتك ، والكف عن ترويع ابنتك !

ولكن أبا العلاء لا ينسى الأمر الواقع ولا يستطيع أن يتغافل . فهو يظل يخيفك من الزواج ويهول لك مصاعبه . فاذا أمررت وأيتت الا عتادا ، لانت لك قناته قليلا فأباحت لك الزواج - بصرط أن تتخير الطقم من النساء . فاذا اختل هذا الصرط وأولدت ، فيا لهول الخطب والمصائب . ولكن لا بأس من التجميل بعد أن نفذ السهم الذى ليس لاحد حيلة فى رده - ثم يوصيك بتتيف ابنتك وتعليقه بقدر ما يحذر من تعليم ابنتك ، وقد يمتنى لو أدركك كلا من البنات والولد حمامهما يقول :

وليت وليدا مات ساعة وضمه ولم يرتضع من أمه النفساء

ولكنه لا يرى ارتكاب جريمة الوأد الشتماء ، بل يقول لك : « لا تولد ، فاذا أولدت فلا تبد » ارجع الى ص (١٤٦) وفرق كبير بين تمنى الموت الطبيعى للمولود وبين اقتراف جريمة وأده أو قتله .

وقد يفقدن أزواجهن كراما      فيا للنسوة المتأيمات  
يلدن أعداءها، ويكنن عارا      إذا أوسين في التهجمات  
توهمن الظنون فكمن نارا      لما أشمرنه متوجها  
وليس عكوفهن على المصلى      وأمانا من غوارر مجرمات  
ولا تحمد حسانك - إن توافت      بأيد للسطور مقومات  
فحمل مغازل النسوان أولى      بهن من اليراع مقلبات  
سهام - إن عرفن كتاب لسنين      رجمن بما يسوء مسحات  
ويتركن الرشيد بفكر لب      أنين لهديه متعلقات  
وإن جئن المنجم سائلات      فلسن عن الضلال بمنجيات

\*  
\* \*

ليأخذن التلاوة عن عجوز      من اللاتي ففرن هتات  
يسبحن للمليك بكل جنح      ويركمن الضحى متألمات  
فما عيب على الفتيات لحن      إذا قلن المراد مترجمات  
ولا يدنين من رجل ضرير      يلقهن آيا محكمات  
سوى من كان مرتعشا يده      ولتله من المتشغيات  
وإن طاو عن أمرك؛ فانه غيدا      يزرن عرائسا متجمعات  
أخذن - كريش طاووس - لباسا،      ومسكا بالضحى متلغيات  
وأبعدهن من ربات مكر      سواحر يمتدين معسرّيات  
يقلن نهيج الثياب، حتى      يجهشوا بالركاب مزجمات  
ونعطف هاجر الخلان - كيا      يزول عن السجيا المسلمات  
وجمع طوائف العمار سهل      علينا بالجوالب موزمات  
زعمن بأن في مفى فقير      كنوزا للملوك مصنمات

## حديثه مع عمرو بن كلثوم

فَلَيْتَ شِعْرِي : مَا فَعَلَ عَمْرُو بْنُ كُلْثُومٍ ؟

فلا يدخلن دارك باختيار قد ألفتين مذمات  
وإن خالسن غرتك ارتقاباً فحق أن يرحن مشمات

وساؤ لديك أتراب النصارى وعينا من يهود ومسلمات  
ومن جاورت من حُنف وسرب صوابي ، فليبن مكرمات  
فإن الناس كلهم سواء وإن ذكت الحروب مضرمات

ولا يتأهلن شيخ مقل بمصرة من التلتمعات  
فإن القبر عيب ، إن أضيف إليه السن - جاء بمغظات  
ولكن عرس ذلك بنت دهر تحببت الوجوه محمات  
من اللائ - إذا لم يُجد عام تفوق الحوادث معدمات  
من الشمت اغترلن بكل عود وأفنين السنين مجرمات  
ويغتفر الغنى وخطأ برأس إذا كانت قواك مسلسات  
وواحدة كفتك ، فلا تجاوز إلى أخرى نجى بمؤلمات<sup>(١)</sup>  
وإن أرغت واحدة بضر فأجدر أن تزوع بمحرمات<sup>(٢)</sup>  
زجاج - إن رقت به - وإلا رأيت ضروبه متقصمات  
وما حفظ الخريدة مثل بمل تكون به من التحرمات  
يحوط ذمارها من كل خطب ويمتصها مصاعب مقرمات  
إذا « الغاران<sup>(٣)</sup> » غرتها بمل فدينك بالتزوع والصمات  
فهذا قول مختبر شفيق ونصح للحياة واللمات

(١) هنا يوصيك أبو العلاء - بعد أن تزوجت - أن تكفي بواحدة . ويحذرك من التطلع لأخرى .

(٢) للمرمات : الضمائد (٣) البطن والفرج .

فَيَقَالُ : « هَا هُوَ ذَا مِنْ تَحْتِكَ ، إِنْ شِئْتَ أَنْ تُحَاوِرَهُ فَحَاوِرْهُ »<sup>(١)</sup>

(١) عمرو بن كلثوم

(توفي سنة ٦٠٠ م)

اسمه عمرو وكنيته أبو الأسود ، اسم أبيه كلثوم بن مالك بن عتاب ، واسم أمه ليلى بنت المهلهل أخى كليب ، وكانت عزيزة النفس ، كما كان ابنها سيد قومه . واسم قبيلته تغلب . كان ابن كلثوم من أعز العرب نفساً ، وأشدهم إباءً ، وحكايته مع عمرو بن هند مشهورة ، وخلاصتها أن ابن هند قال يوماً لندمائه : « هل تعلمون أحداً من العرب تأنف أمه من خدمة أمي » ، فأجابوه : « نعم ! أم عمرو بن كلثوم » قال : « ولم ؟ » قالوا : « لأن أباه مهلهل ابن ربيعة ، وبهلهل كلثوم بن مالك أفرس العرب ، وابنها عمرو وهو سيد قومه »

فأرسل ابن هند صاحب الحيرة لعمرو بن كلثوم يستزيه وأشرف قومه ، وجلس ابن كلثوم مع ابن هند ، وجلس ليلى مع هند ( أم ابن كلثوم مع أم ابن هند ) وكان ابن هند قد أوصى أمه أن تنحى الخدم إذا دعا بالطرف ، وتستخدم ليلى ؛ ودعا ابن هند بمائدة ، ثم دعا بالطرف ، فقالت هند : « ناوليني يا ليلى ذلك الطبق » فأجابتها : « لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها » فأعادت عليها وألحت ، فصاحت ليلى : « واذلاء ! يا لتغلب ! » فسمها ابن كلثوم ، فثار الدم في وجهه ، ونظر إليه ابن هند فعرف الشر في عينيه ، ووثب ابن كلثوم إلى سيف معلق لابن هند في الرواق فضرب به رأسه ، ونادى في بني تغلب ، فاتهبوا ما في الرواق ، وساقوا نجاثه إلى الجزيرة .

ومن أجل شمره قوله في معلقته يصف نساء قبيلته :

يقتن جبادنا ، ويقلن : « لستم بعولتنا — إذا لم تمنعونا »  
إذا لم نحمهن فلا بقينا خبير بمدن ولا حيننا  
وقوله يصف الحركة :

مضى ننقل إلى قوم رحانا يكونوا في اللقاء لها طحيننا  
يكون ثغالما شرقى نجد ولهوها قضاة أجمينا

فَقُولُ : « كَيْفَ أَنْتَ أَيُّهَا الْمُسْطَبِحُ <sup>(١)</sup> بَصَحْنِ الْفَائِيَّةَ ، وَالْمُسْتَبِقُ <sup>(٢)</sup> مِنْ  
الدُّنْيَا الْفَائِيَّةُ لَوَدِدْتُ أَنَّكَ لَمْ تُسَانِدْ <sup>(٣)</sup> فِي قَوْلِكَ :  
كَأَنَّ مُتُونَهُنَّ مُتُونُ غُدْرِ <sup>(٤)</sup> تُصَفِّقُهَا <sup>(٥)</sup> الرِّيحُ إِذَا جَرَيْنَا <sup>(٦)</sup>

وقوله :

أَلَا لَا يَعْلَمُ الْأَقْوَامُ أَنَا      تَضَمُّعُنَا وَأَنَا قَدْ وَنِينَا  
أَلَا لَا يَجْلَهُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا      فَتَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا

وقوله :

فَإِنْ قَتَانَا يَا عَمْرُو أُعِيتَ      عَلَى الْأَعْدَاءِ قَبْلَكَ أَنْ تَلِينَا  
وَمِنْ مَخَارِشِ شِعْرِهِ قَوْلُهُ أَيْضًا :

مَعَاذَ الْإِلَهِ أَبْ تَنُوحُ نَسَاؤُنَا      عَلَى هَالِكٍ ، أَوْ أَنْ تَضِجَ مِنَ الْقَتْلِ  
قِرَاعُ السِّبُوفِ بِالسِّبُوفِ أَحْلَانَا      بِأَرْضِ بَرَاخِ <sup>(١)</sup> ذِي أَرَاكَ وَذِي أَثَلِ  
فَمَا أَهَيْتَ الْأَيَّامَ لِلْمَالِ عِنْدَنَا      سَوَى جِذْمِ أَذْوَادِ مَحْذَفَةِ النَّسْلِ <sup>(٢)</sup>  
ثَلَاثَةٌ أَثْلَاثُ ، فَأَتَمَّانَ خَيْلِنَا      وَأَقْوَاتَنَا ، وَمَا نَسُوقُ مِنَ الْقَتْلِ <sup>(٣)</sup>

(١) المصطبيح هو الذي يشرب الصبوح أى خمر الفداء ، وهو يشير بذلك إلى قوله في  
أول ملحنته :

أَلَا هِيَ بِصَحْنِكَ فَاصْبَحِينَا      وَلَا تَبْقَى خَمُورُ الْأَنْدَرِينَا  
أَيَّ أَنْهَضَى بِقَدْحِكَ أَيْتَهَا السَّاقِيَّةُ ، وَاسْقِينَا خَمْرَ الصَّبَاحِ ، وَلَا تَدْخُرِي شَيْئًا غَمًّا عِنْدَكَ مِنْ  
تِلْكَ الْخَمْرِ الَّتِي أَحْضَرْتَ مِنْ قَرَى الْأَنْدَرِينَ .

(٢) المستبق هو الذي يشرب القيق ، أى خمر المشى <sup>(٣)</sup> أى لم تأت بالسناد في  
شعرِكَ (والسناد في الشعر هو كل عيب في القافية قبل الروي) <sup>(٤)</sup> مخفف غُدْرٍ ؛ بضم  
الدال ، جمع غدير <sup>(٥)</sup> تضربها <sup>(٦)</sup> معنى البيت . أَنَّ مُتُونُ تِلْكَ الدَّرُوعِ

(١) أَحْلَانَا بِأَرْضِ وَاسِعَةٍ مَقْفَرَةٍ لَا تَبَاتُ فِيهَا <sup>(٢)</sup> لَمْ تَبْقَ لَنَا الْأَيَّامُ الْإِبْقِيَّةُ مِنَ الْإِبْلِ مَقْطُوعَةِ  
النَّسْلِ (وَأَمَّا أَهْطَ نَسْلُهَا بِسَبَبِ حُلُولِهِمْ فِي تِلْكَ الْأَرْضِ الْمَقْفَرَةِ) <sup>(٣)</sup> تِلْكَ نَشْتَرِي بِهِ خَيْلَنَا وَتِلْكَ  
نَشْتَرِي بِهِ أَقْوَاتَنَا ، وَتِلْكَ نَحْشُرُهَا فِي قَتَانَا .

فَيَقُولُ عَمْرُو: « إِنَّكَ لَقَرِيرُ الْعَيْنِ ، لَا تَشْرَبُ بِمَا نَحْنُ فِيهِ ، فَاشْغَلْ نَفْسَكَ بِتَمَجِيدِ اللَّهِ ، وَاتْرِكْ مَا ذَهَبَ فَإِنَّهُ لَا يَعُودُ ، وَأَمَّا ذِكْرُكَ سِنَادِي فَإِنَّ الْإِخْوَةَ لَا يَكُونُونَ ثَلَاثَةَ أَوْ أَرْبَعَةَ ، وَيَكُونُ فِيهِمُ الْأَعْرَجُ وَالْأَبْحَقُّ<sup>(١)</sup> فَلَا يُعَابُونَ بِذَلِكَ ، فَكَيْفَ إِذَا بَلَغُوا الْمِائَةَ فِي الْعَدَدِ ؟ »

\* \*

فَيَقُولُ: « أَغْزَى عَلَى بِأَنَّكَ قُصِرْتَ عَلَى شُرْبِ حَمِيمٍ ، وَأَخِذْتَ بِعَمَلِكَ الذَّمِيمِ ، مِنْ بَعْدِ مَا كَانَتْ تُسَبِّأُ<sup>(٢)</sup> لَكَ الْقَهْوَةُ<sup>(٣)</sup> تُقَابُكَ بِلَوْنِ الْحُصِّ<sup>(٤)</sup> .  
وَقَالُوا فِي قَوْلِكَ « سَخِينَا » قَوْلَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنَّهُ فَعَلْنَا مِنَ السَّخَاءِ ، وَالثَّوْنُ نُونُ الْمُتَكَلِّمِينَ ، وَالْآخَرُ أَنَّهُ مِنَ الْمَاءِ السَّخِينِ ، لِأَنَّ « الْأَنْدَرِينَ »  
« وَقَاصِرِينَ » كَانَتْ فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ لِلرُّومِ ، وَمِنْ شَأْنِهِمْ أَنْ يَشْرَبُوا الْحَمْرَ بِالْمَاءِ السَّخِينِ فِي صَيْفٍ وَشِتَاءٍ »

تشبه متون الغدر اذا صفقتها الرياح اثناء جريها

(١) البَحَقُّ: أقبج العور، وأكثره عصا (٢) تُشْرَبُ لك لتشربها (٣) الخمر

(٤) الحُصُّ هو الورد ، نبت له نوار أحمر يشبه الزعفران ، وقد أشار بذلك إلى قوله

في معلقته يصف الخمر :

مشمعة كأن الحُصَّ فيها إذا ما الماء خالطها سخينا

والمشمعة : الخمر المزوجة بالماء .

## حديثه مع الحارث اليشكري<sup>(١)</sup>

وَيَنْظُرُ، فَإِذَا الْحَارِثُ الْيَشْكِرِيُّ، فَيَقُولُ: «بَعْضُ النَّاسِ يُنْشِدُ قَوْلَكَ:

فَمِشْنُ بَخِيرٍ لَا يَضِرُّكَ التَّوَكُّ مَا أُعْطِيََتْ جَدًّا

فيجمع بين تحريك الشين وحذف الياء من عاش يعيش، وذلك قليل ردى.

وَلَقَدْ أَحْسَنْتَ فِي قَوْلِكَ:

لَا تَكْسَعُ<sup>(٢)</sup> الشَّوْلُ<sup>(٣)</sup> بِأَغْبَارِهَا<sup>(٤)</sup> إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَنْ النَّاتِجُ<sup>(٥)</sup>

(١) الحارث بن حطيرة اليشكري

توفي سنة ٥٨٠ م

قبيلته بكر وائل، اشتهر بين العراق، كان أبرص، وقد اشتهر بمعلقته الرائعة، ومن أجل آياتها قوله:

وَأَنَا مِنَ الْحَوَادِثِ وَالْأَنْبَاءِ خُطِبَ نَعْفَى بِهِ وَنَسَاءُ  
أَنْ إِخْوَانُنَا الْأَرْاقِمَ يَضِلُّونَ عَلَيْنَا فِي قِيلِهِمْ أَحْقَاءُ  
يُخْلَطُونَ الْبَرَىءَ مِنْهُ بَذَى الذَّنْبِ وَلَا تَنْفَعُ الْخُلَى الْخِلَاءُ  
أَجْعُوا أَرْحَمَ عِشَاءٍ فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضَاءُ  
مَنْ مَنَادَ وَمَنْ عَجِيبَ وَمَنْ تَصْهَالُ خَيْلٍ — خِلَالِ ذَاكَ رِغَاءُ

(٢) كَسَعَ الناقه بئرها: ترك في خلفها بقية من اللبن ليغزر (٣) الشول: الناقه التي شال لبنها أى ارتفع فلم يبق في ضرعها إلا صاباة منه (٤) الأغبار: جمع غبر، وهو بقية اللبن في الضرع (٥) هو الذى ينتج الناقه أى يلى نتاجها، ومعنى البيت: «لا يكن همك تفزير إبلك لتقوية نسلها، فإنك لا تدري ما تضمه الأيام فرجما اختص بنتاجها غيرك» ويلي هذا البيت قوله:

واحلب لأضيافك ألبانها فَإِنَّ شَرَّ اللَّبَنِ الْوَالِجِ  
أَى شَرَّ اللَّبَنِ هُوَ الْمَكْسُوعُ الَّذِي يَلِجُ فِي ظُهُورِ النَّوَقِ، فَاحْلِبْهَا لِأَضْيَافِكَ، وَلَا تَكُنْ بِخِيَلَا



## حديثه مع طرفة

وَيَعْمِدُ لِسُؤَالِ طَرْفَةَ بْنِ الْعَبْدِ ، فَيَقُولُ :

« يَا ابْنَ أَخِي يَا طَرْفَةُ<sup>(١)</sup> - خَفَّ اللَّهُ عَنْكَ - أَتَذْكُرُ قَوْلَاكَ :

كَرِيمٌ يُرَوِّى نَفْسَهُ فِي حَيَاتِهِ سَتَعْلَمُ - إِنْ مِتْنَا غَدًا - أَيُّنَا الصَّدِيقُ<sup>(٢)</sup> »

وقال أبو العلاء : ( وقد كانوا فى الجاهلية يكسبون<sup>(١)</sup> ناقة الميـت على قبره ، ويزعمون أنه إذا نهض لحشره وجدها قد بشت له ليركبها ، وهيئات ، بل حشروا عراة حفاة )  
 (١) انظر الى ما تحويه هذه الجملة من الحذب والرفق بطرفة بن العبد الذى مات صغيراً  
 (٢) يصف نفسه بأنه كريم يروى نفسه بالخر ، ويفخر بأنه سيموت ريان ، وأن عاذليه فى شربها سيفظماون عند موتهم

طرفة بن العبد

( توفى سنة ٥٥٠ م )

اسمه عمرو ، وطرفة : لقب غلب عليه ، قبيلته بكر بن وائل ، وهو من بنى قيس . كان لاهيا سكيراً فى صباه ، هجاً ملك الحيرة فأسخطه وأمر عامله بالبحرين أن يقتله ، وسمى ابن العشرين لوفاته صغيراً ، فقد مات فى السادسة والعشرين من عمره ومن أروع شعره قوله :

أرى الموت أعداد النفوس ، ولا أرى بعيداً غداً ، ما أقرب اليوم من غدا  
 وقوله :

لمعرك إن الموت - ما أخطأ الفتى - لكالطول المرخى<sup>(٢)</sup> ، وثنياء باليد متى ما يشأ يوماً يقده لخصه ومن يك فى حبل اللنية ينقد

(١) كسح الناقة - هنا - ضربها بقوائم السيف من أسفل  
 (٢) الطول : الحبل تشد به قوائم الدابة ، والمرخى : الممدود الطول

وَقَوْلِكَ :

أَرَى قَبْرَ نَحَامٍ<sup>(١)</sup> بَخِيلٍ بِمَالِهِ كَقَبْرِ غَوِيٍّ فِي الْبَطَالَةِ مُفْسِدٍ<sup>(٢)</sup>  
مَتَى تَأْتِنِي أَصْبَحُكَ كَأَسَا رَوِيَّةً وَإِنْ كُنْتُ عَنْهَا غَائِبًا ، فَأَغْنِ وَازْدِدِ  
فَكَيْفَ صَبَّوْكَ الْآنَ وَغَبَّوْكَ<sup>(٣)</sup> ؟ إِنِّي لَأَخْسِبُهُمَا حَمِيمًا

وقوله :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تبع له  
ويأتيك بالأخبار من لم تبع له  
وقوله :

وأعلم علماً - ليس بالظن - أنه إذا ذل مولى المرء فهو ذليل  
وأن لسان المرء - ما لم تكن له حصاة - طى عوراته للدليل  
وأن امرأ لم يصف يوماً - فكاكة - لمن لم يرد سوءاً به لجهول

وقوله :

ولا أغسير على الأشعار أسرقها غنيت عنها ، وشر الناس من سرقا  
وإن أحسن بيت أنت قائله بيت يقال - إذا أنشدته - صدقا

وقوله :

قد يبعث الأمر العظيم صغيره حتى تظل له الدماء تصيب  
والظلم فرق بين حبي وإيئل بكر تساقبها المنايا تقلب  
والصدق يألفه الكريم المرتجي والكذب يألفه الدنيء الأخيب  
والإثم داء ليس يرجى برؤه والبر برء ليس فيه معطب  
أدوا الحقوق تفرز لكم أعراضكم إن الكريم ، إذا يحرب ، يفضب

(١) بخيل ، حريص على جمع المال وادخاره (٢) معنى البيت : لا أرى أى فرق بين  
قبر البخيل الذى عنى نفسه بجمع المال وادخاره ، وقبر المفسد التلافى لماله ، فإقيمة المال إذا ؟  
ولماذا أبقى عليه ولا أمتنع نفسى به ؟ (٣) الصبوح : شراب الصباح ، والغبوق : شراب المساء

وَلَقَدْ كَثُرْتَ فِي أَرْكَ أَقَاوِيلِ النَّاسِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّكَ فِي مُلْكِ  
النُّعْمَانِ اعْتَقِلْتَ ؛ وَقَالَ قَوْمٌ : بَلِ الَّذِي فَعَلَ بِكَ مَا فَعَلَ عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ <sup>(١)</sup>  
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ أَثَرٌ فِي النَّارِ الْعَاجِلَةِ إِلَّا قَصِيدَتُكَ الَّتِي عَلَى الدَّالِ <sup>(٢)</sup> لَكُنْتَ

(١) يشير بذلك الى الروايتين الشائعتين عن سبب قتله ، والرواية الثانية غواها أن  
طرفة كان قد هجا عمرو بن هند ، فأحفظه ذلك عليه ، وأسرها له في نفسه ، ثم أرسله  
مع التلمس إلى عامله بالبحرين ، بعد أن تلطف بهما ، وأعطى كلا منهما كتاباً ، أوهما أن  
فيه أمراً بصلتهما ، وإنما فيه أمر بقتلهما ، وارتاب التلمس في نية ابن هند ، فذهب إلى غلام  
يقرأ له كتابه ، فلما وجد فيه الأمر بقتله فر ، ونصح لطرفة فلم ينتصح ؛ بل ذهب لطيفته  
حيث لقي حتفه .

(٢) يعنى معلقته الرائعة التي وفق فيها كل التوفيق إلى تمثيل صورة واضحة دقيقة من  
نفسه المتوثة إلى غايات الشباب النبيل ، الشديدة الحس بما يحيط بها من الجمال والحسن ،  
الغياضة بالشاعرية العالية ، التي تلمح في أغلب أبياتها — إن لم نقل في كلها — وهل ترى  
أنصع من تلك الصورة الجميلة التي يمثّل فيها نفسه ، حين يقول :

ألا أيهذا الزاجري ، أحضر الوغى      وإن أشهد اللذات ، هل أنت مغدّى ؟  
فإن كنت لا تستطيع دفع مني      فدعني أبادرها بما ملكت يدي  
ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى      وجدّك ، لم أحلّ متى قام عودي  
فنهن سبقي الماذلات بشرية      كُئيت ، متى ما تملّ بالماء تُريد  
وكرّى - إذا نادى المضاف - مجنباً ،      كسيد الفضا - نهته - التورد  
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب      كيهكّة ، تحت انجباء المعبد

فانظر إليه كيف يدفع ، باستحالة الخلود ، حجة من يملّكه في اقتحامه الهيجاء وتمتعه بلذاته  
ومن ثم يوجب اقتناص الفرص ، والتمتع بمسرات الحياة ، قبل أن تفتاله يد الموت ،  
وانظر إلى رغباته الثلاث التي لا يرى للحياة معنى بدونها ، وهي سبقة الماذلات بشرية من

## قَدْ أَبْقَيْتَ أَثَرًا حَسَنًا

الحُرّ الكَلْبِيّ ، واندفاعه في ساحة الحرب بفرسه التي تشبه الذئب في سرعة العدو ، لإغاثة  
اللائد به ، وتقصيره يوم النسيم ، بالتمتع بامرأة جميلة يغازلها ، في سرادق مرفوع  
وأنظر إلى قوله بعد تلك الآيات :

سَتَعْلَمُ - إِنْ مَتَنَاخَدَا - أَيْنَا الصَّدَى	كَرِيمٍ يَرَوَى نَفْسَهُ فِي حَيَاتِهِ
كَقَدْرِ غَوِيٍّ فِي الْبَطَالَةِ مَفْسَدِ	أَرَى قَبْرَ تَحَامٍ يُخِيلُ بِمَا لَهُ
صَفَاحُ صَمٍّ مِنْ صَفِيحٍ مَنْصُدِ	تَرَى جُنُوتَيْنِ مِنْ تَرَابٍ عَلَيْهِمَا
عَقِيلَةٌ مَالِ الْفَاحِشِ لِلتَّشَدُّدِ	أَرَى الْمَوْتَ يَتَمَامُ الْكِرَامِ ، وَيَصْطَفِي
وَمَا تَنْقُصُ الْأَيَّامُ وَالْدَّهْرُ يَنْفَدُ	أَرَى الْعَمَرَ كَنْزًا نَاقِصًا كُلَّ لَيْلَةٍ
لِكَالِطَوَّلِ الْمُرْنِيِّ ، وَثَنِيَاهُ بِالْيَدِ	لِعَمْرِكَ إِنْ الْمَوْتَ - مَا أَخْطَأَ الْفَتَى -
وَمَنْ يَكُ فِي حَبْلِ اللَّيْنَةِ يَنْقُدُ	مَتَى مَا يَشَأُ يَوْمًا يَقْدَمُ لِحَفْضِهِ
مَتَى أَدْنُ مِنْهُ يَنَأُ عَنِّي وَيَعِيدُ	فَالَى أَرَأَيْتَ وَابْنَ عَمَى مَالِكَا
كَأَلَامِنِي فِي الْحَيِّ قُرْطُ بْنُ أَعْبَدٍ	يَلُومُ ، وَمَا أَدْرَى عِلَامَ يَلُومُنِي ؟
عَلَى اللَّرَّةِ مِنْ وَقَعِ الْحَسَامِ لِلْمَهْدِ	وَنَظِمَ ذَوِي الْقَرْبَى أَشَدَّ مَضَاوِضَ
خَشَّاشِ كُرَاسِ الْحَيَّةِ الْمُتَوَقِّدِ	أَنَا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ
مَنْعِيًا إِذَا بَلَّتْ بِقَائِمِهِ يَدِي	إِذَا اجْتَدَرَ الْقَوْمُ السَّلَاحَ وَجَدْتَنِي
وَشَقَى عَلَى الْجَبِيبِ يَا ابْنَةَ مَعْبَدِ	فَإِنْ مَتَ فَاغْنِنِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ
كَهَمِي وَلَا يَفْنَى غَنَائِي وَمَشْهَدِي	وَلَا تَجْعَلْنِي كَأَمْرِي لَيْسَ هُمُ
عِدَاوَةُ ذِي الْأَصْحَابِ وَالْمُتَوَحِّدِ	فَلَوْ كُنْتُ وَغَلًّا فِي الرِّجَالِ لَضَرْنِي
عَلَيْهِمْ ، وَإِقْدَامِي ، وَصَدْقِي ، وَمُحْتَدِي	وَلَكِنْ نَفِي عَنِ الرِّجَالِ جِرَافِي
نَهَارِي وَلَا لَيْلِي عَلَى بَسْرَمِي	لِعَمْرِكَ مَا أَمْرِي عَلَى يُنْمَةِ
بَعِيدًا غَدَا ، مَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ غَدِ	أَرَى الْمَوْتَ أَعْدَادَ النُّفُوسِ ، وَلَا أَرَى

فَيَقُولُ طَرْفَةً : « وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَنْطِقْ مِصْرَاعًا ، وَدَخَلْتُ الْجَنَّةَ مَعَ الْهَمَجِ وَالطَّنَامِ ؛ وَكَيْفَ لِي بِهَذِهِ وَسُكُونِ ، وَأَمَّا الْقَائِسُ طُونُ <sup>(١)</sup> فَكَانُوا لِيَجْهَنَّمَ حَطَبًا »

حديثه مع أوس بن حجر <sup>(٢)</sup>

وَيَلْفِتُ عُقَّةُ يَتَأَمَّلُ ، فَإِذَا هُوَ بِأَوْسِ بْنِ حَجَرٍ ، فَيَقُولُ : « يَا أَوْسُ إِنَّ

سَبَدَى لَكَ الْيَامَ مَا كُنْتَ جَاهِلًا      وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَزِدْ  
وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَبْعْ لَهُ      بَتَانًا ، وَلَمْ تُضْرِبْ لَهُ وَقْتُ مَوْعِدِ  
وَمَا أَبْدَعَ وَأَرْوَعَ قَوْلُهُ فِي هَذِهِ الْمَلَقَةِ :

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا : « مَنْ فَعَى ؟ » خَلَّتْ أَنفَى      عَنِيَتْ ، فَلَمْ أَكْسَلْ ، وَلَمْ أَتَبَلَّدْ  
فَإِنْ تَبْخَى فِي حَلَقَةِ الْقَوْمِ تَلْقَى      وَإِنْ تَلْتَمِسُنِي فِي الْحَوَانِيتِ تَصْطَلِدْ  
وَأِنْ يَلْتَقِ الْحَى الْجَمِيعُ تَلْفَى      إِلَى ذُرْوَةِ الْبَيْتِ الشَّرِيفِ الْمَصْدِدِ  
وَمَا زَالَ تَشْرَابِي الْخُورَ ، وَلَذَنِي      وَيَمِيْ وَإِنْفَاقِي طَرِيقِي وَمَتَلَدِي  
إِلَى أَنْ تَحْمَتْنِي الْعَشِيرَةُ كُلُّهَا      وَأَفْرَدْتُ إِفْرَادَ الْبَعِيرِ الْمُبْدِ  
رَأَيْتُ بَنِي غُبَرَاءَ لَا يَنْكُرُونَنِي      وَلَا أَهْلَ هَذَا الطَّرَافِ الْمَمْدِدِ  
(١) الْجَاهِلُونَ أَوِ الْخَائِدُونَ عَنِ الْحَقِّ

(٢) أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ

أَوْسُ بْنُ حَجَرِ بْنِ عَتَابٍ ، قَالُوا : « كَانَ فُخْلٌ مُضَرٌّ ، حَتَّى نَشَأَ النَّابِغَةُ وَزَهْرٌ فَأَخْلَاهُ »  
اشْتَهَرَ بِالْحَضِّ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، كَمَا اشْتَهَرَ بِوصْفِ الْخَرِّ وَالسَّلَاحِ ، وَلَا سِيَّامَا الْقَوْسَ ،  
وَمَنْ يَخْتَارُ شِعْرَهُ قَوْلُهُ :

تَرَكْتُ الْخَلِيطَ - لَمْ أَشَارِكْ وَلَمْ أَذُقْ -      وَلَكِنْ أَعَفَّ اللَّهُ مَالِي وَمَطْعَمِي  
فَقَوْمِي وَأَعْدَائِي يَظُنُّونَ أَنَّنِي      مَتَى يَجِدُونَهَا أَهْلًا أَتَكَلَّمُ  
وَقَوْلُهُ :

وَرَثْنَا الْجُودَ عَنْ آبَاءِ صَدِيقِ      أَسَانَا فِي دِيَارِ الْصَنِيعِ

أَصْحَابَكَ لَا يُجِيبُونَ السَّائِلَ ، فَهَلْ عِنْدَكَ مِنْ جَوَابٍ ؟ فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ  
عَنْ هَذَا الْبَيْتِ :

« وَقَارَفْتُ <sup>(١)</sup> ، وَهِيَ لَمْ تَجْرَبْ ، وَبَاعَ لَهَا

مِنْ الْفَصَافِصِ <sup>(٢)</sup> بِالْثَمَى <sup>(٣)</sup> سِفْسِيرٌ <sup>(٤)</sup> »

إذا الحسب الرفيع تواكلته بناء السوء ، أوشك أن يضيما  
وقوله - من مرثية جليلة عالية الأسلوب - :

أيتها النفس ! أجلي جزأ إن الذي تكرهين قد وقعا  
إن الذي جمع السباحة والنجم دبة والحزم والقوى جُما  
أودى ، وهل تنفع الإشامة من شيء لمن قد يحاول النزعا  
الألمى الذي يظن بك اللفظ ن كَأَنَّ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا  
المخلف المتلف المرزأ لم يمتع بضعف ، ولم يمت طبعا  
إلى أن يقول :

ليبكك الشرب والندامة والفتنة يان - طرا - وطامع طمعا  
وذاث هذيم عار نواشرها <sup>(١)</sup> نُصِمْتُ <sup>(٢)</sup> بِالماء تولبا <sup>(٣)</sup> جدعا <sup>(٤)</sup>  
وقوله :

وليس أخوك الدائم العهد بالذي يذمك - إن ولى - ويرضيك مقبلا  
ولكنه الثأني - إذا كنت آمنا وصاحبك الأدنى - إذا الأمر أعضلا

(١) خالطت الجربى فلم تجرب لقوتها (٢) جمع فصصة ، وهي نبات تملفه الدواب  
(٣) الفلوس (٤) سائس حاذق ؛ ومعنى البيت : « أن فرسه خالطت الدواب الجربى فلم  
يصبها جرب ، لأنها من الأفراس القوية التي يشرى لها علفها بالمال سائس حاذق يعنى بأمرها

(١) ولتبكك فقيرة ذات كساء خلق عارية الساعدين (٢) تسكت (٣) صغيراً (٤) صبيأ  
سوء الغناء ، والمعنى أنها تسكت بالماء صغيرها الجماع

فَإِنَّهُ فِي قَصِيدَتِكَ الَّتِي أَوْلَمَّا :

« هَلْ عَاجِلٌ مِنْ مَتَاعِ الْحَيِّ مَنْظُورٌ »

وَيُرَوَّى فِي قَصِيدَةِ النَّابِغَةِ الَّتِي أَوْلَمَّا :

« وَدَّعَ أَمَامَةً ، وَالتَّوَدَّيْعُ تَعْدِيرٌ »

وَكَلَّا كَمَا مَعْدُودٌ فِي الْفُحُولِ ، فَلَمَّا أَيْ شَيْءٌ يُحْمَلُ ذَلِكَ ؟ » فَيَقُولُ أَوْسٌ :

« قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ نَابِغَةَ بَنِي دُبْيَانَ فِي الْجَنَّةِ فَاسْأَلُهُ عَمَّا بَدَاكَ ، فَلَعَلَّهُ يُخْبِرُكَ ،

فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ يَمَيَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ ، فَأَمَّا أَنَا ، فَقَدْ ذَهَلْتُ ، نَارُ ثَوْقُدُ ، وَبَنَانُ

يُعْقَدُ<sup>(١)</sup> ، إِذَا غَلَبَ عَلَى الظَّمَا رُفِعَ إِلَى شَيْءٍ كَالنَّهْرِ ، فَلِذَا اغْتَرَفْتُ مِنْهُ لِأَشْرَبَ

وَجَدْتُهُ سَعِيرًا مُضْطَرِمًّا ، وَلَقَدْ دَخَلَ الْجَنَّةَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنِّي ، وَلَكِنَّ

الْمُسْفِرَةَ أَرْزَاقُ ، كَانَتْهَا النَّشْبُ فِي الدَّارِ الْعَاجِلَةِ ا »

فَيَقُولُ : « إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَخَذَ عَنْكَ هَذِهِ الْأَلْفَافُ فَانْخِفَ بِهَا أَهْلُ الْجَنَّةِ ،

فَأَقُولُ : قَالَ لِي أَوْسٌ ، وَأَخْبَرَنِي أَبُو شَرِيحٍ ا »

حديثه مع أبي كبير الهذلي

وَيَرَى رَجُلًا فِي النَّارِ لَا يُمَيِّزُهُ مِنْ غَيْرِهِ ، فَيَقُولُ : « مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الشَّقِيُّ ؟ »

فَيَقُولُ : « أَنَا أَبُو كَبِيرٍ الْهَذَلِيُّ حَامِرُ بْنُ الْحَلِيسِ » فَيَقُولُ : « إِنَّكَ لَمِنْ أَعْلَامِ

هَذِيلٍ ، وَلَكِنِّي لَمْ أَوْثِرْ قَوْلَكَ :

أَزْهَيْتُ هَلْ عَنْ شَيْبَةٍ مِنْ مَعْدِلٍ<sup>(٢)</sup> أَمْ لَا سَبِيلَ إِلَى الشَّبَابِ الْأَوَّلِ<sup>(٣)</sup>

(١) عقد البنان : شذها ، أى عَصَاهَا ، كناية عن الندم والتحسر (٢) مصرف

(٣) هذا البيت من قصيدة له عدتها ثمانية وأربعون بيتا ، قالها في تأبط شرا ،

ابن زوجه أميمة ، وكان السبب في ذلك أنه رأى منه ما يكره ، فشكاه إلى أمه ،

وَقُلْتَ فِي الْأُخْرَى :

أَزْهَيْرُ هَلْ عَنْ شَيْئَةٍ مِنْ مَصْرِفٍ أَمْ لَا خُلُودَ لِعَاجِزٍ مُتَكَلِّفٍ  
وَقُلْتَ فِي الثَّالِثَةِ :

أَزْهَيْرُ هَلْ عَنْ شَيْئَةٍ مِنْ مَعَكُمْ<sup>(١)</sup>

فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى ضَيْقِ عَطْنِكَ<sup>(٢)</sup> بِالْقَرِيضِ ، فَهَلَا ابْتَدَأْتَ كُلَّ قَصِيدَةٍ  
بِفَنٍّ ؟ وَالْأَصْمَعِيُّ لَمْ يَزُوْكَ لَكَ إِلَّا هَذِهِ الْقَصَائِدَ الثَّلَاثَ ، فَيَقُولُ أَبُو كَبِيرٍ  
الْهُدَلِيُّ : « إِنَّمَا كَلَامُ أَهْلِ سَقَرٍ وَوَيْلٌ وَعَوِيلٌ ، فَأَذْهَبَ لِيُطِيتِكَ ا »

فطلبت إليه أن يحتمل لقتله ، فخرج به إلى قوم لم ترة عنده ، حتى إذا تنور نارهم شكا إليه  
الجوع ، فذهب فوجد عليها لصين معها إبل ، فقتلها وعاد بالإبل ، فهاه أمره ، ثم انطلقا ،  
فلما أقبل الليل ، أناخا الإبل ، وتناوبا حرسها ، فلما نام تأبط شرا ، وظن أبو كبير أن قد  
غلبه النوم ، نبذ له حصاة ، فهب من نومه ، وقال : « ما هذا ؟ » فقال : « سمعت حسا في  
الإبل ؟ » فطاف ، فلم ير شيئا . ثم نام فنبذ له حصاة ، فاستوى وقد تناوم أبو كبير ، وقال :  
« والله لئن أنبئني شيء لأقتلنك » فلبث أبو كبير يكلؤه مخافة أن ينبهه شيء فيقتله . وفي ذلك  
يقول هذه القصيدة الطويلة ، فليرجع إليها من شاء في الجزء الأول من كتاب أسرار الحماسة  
ومما نختاره منها قوله :

ولقد سريت على الظلام بمغشم جلد من الفتيان غير مثقل  
إلى أن يقول :

وإذا رميت به الفجاج رأيته يهوى مخارصها هوى الأجل  
وإذا قذفت له الحصاة رأيته ينزو لوقعتها زو الأخیل

(١) محبس (٢) ضيق باعك



## حديثه مع الأخطل

وَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ يَتَضَوَّرُ<sup>(١)</sup> فَيَقُولُ : « مَنْ هَذَا ؟ » فَيَقَالَ : « الْأَخْطَلُ  
التَّغْلِبِيُّ<sup>(٢)</sup> » فَيَقُولُ لَهُ : « مَا زَالَتْ صِفَتُكَ لِلْخَمْرِ ، حَتَّى فَادَرْتِكَ أَكْلًا لِلْجَمْرِ ،  
فَكَمْ طَرِبْتَ السَّادَاتُ عَلَى قَوْلِكَ :  
أَنَاخُوا ، فَجَرُّوا شَاصِيَّاتٍ<sup>(٣)</sup> كَأَتْهَا رِجَالٌ مِنَ السُّودَانِ لَمْ يَتَسَرَّبُوا  
فَقُلْتُ : أَصْبَحُونِي<sup>(٤)</sup> لَا أَبَا لِأَيِّكُمْ وَمَا وَضَعُوا الْأَنْثَالَ إِلَّا لِيَفْعَلُوا

(١) يتأوه من وجع الضرب أو من ألم الجوع

(٢) الأخطل

اسمه غياث بن غيث بن الصلت ، كنيته أبو مالك ، موطنه الحيرة ، قبيلته تغلب ،  
دينه النصرانية

كان سكيراً مدمناً ، وهجاءً غفيف اللفظ في هجائه ، تقرب إلى معاوية بعد أن هجى  
الأنصار — حين أمره معاوية بذلك — فلما أفضت الخلافة إلى عبد الملك زاد تقربه منه ،  
وبلغ من افتتانه بشعره أن سماه « شاعر بني أمية » وكان كثير الطرب إلى سماعه  
قال له عبد الملك مرة : « أَلَا تُسَلِّمُ ، فنفرض لك في الفء ، ونعطيك عشرة آلاف ؟ »  
فقال : « وكيف الخمر ؟ » قال : « وما تصنع بها وإن أولها لمر ، وإن آخرها لسكر ؟ »  
فقال : « أما إذ قلت ذلك ، فإن فيما بين هاتين المنزلتين لمنزلة ، ما ملكك فيها إلا كلمعة  
من ماء الفرات بالإصبع ا- »

فضحك ، وتركه على نصرانيته ، وسهل له الدخول عليه ، حتى كان يدخل بغير إذن .  
ومما يروونه عن حماد أنه قال حين سئل عن شعر الأخطل : « وما تسألونني عن رجل  
حبب شعره إلى النصرانية » وهي جلة مملوءة بالملق والرياء ا

(٣) زقاقاً مملوءة شائلة القوائم ، أو قَرَباً ملئت فارفعت قوائمها (٤) اسقوني خمر الصباح  
(٢٢)

فَصَبُّوا عُقَارًا<sup>(١)</sup> فِي الْإِنَاءِ كَأَنَّمَا  
وَجَّاهُوا بَيْنَسَانِيَّةٍ — هِيَ بَعْدَ مَا  
تَمَرُّ بِهَا الْأَيْدِي سَنِيحًا<sup>(٥)</sup> وَبَارِحًا<sup>(٦)</sup>  
فَتَوَقَّفُ — أَحْيَانًا — فَيَفْصِلُ بَيْنَنَا  
فَلَنْتُ لِمُرْتَلَجٍ وَطَابَتْ لِشَارِبٍ  
فَمَا أَلْبَثْنَا<sup>(١١)</sup> نَشْوَةً<sup>(١٢)</sup> لِحَقَّتْ بِنَا  
تَدِبُّ دَيْبًا فِي الْعِظَامِ كَأَنَّهُ

— إِذَا لَحُوهَا — جُدْوَةٌ<sup>(٣)</sup> تَتَأَكَّلُ<sup>(٤)</sup>  
يُكَلُّ<sup>(٤)</sup> بِهَا السَّاقِ — اللَّهُ وَأَسْهَلُ  
وَتَوْضَعُ بِاللَّهِمْ حَتَّى<sup>(٧)</sup> وَتُحْمَلُ  
غِنَاهُ مُغْنٍ أَوْ شَوَالٍ مُرْغَبِلٍ<sup>(٨)</sup>  
وَرَجَعَنِي مِنْهَا مَرَاخٍ<sup>(٩)</sup> وَأُخِيلٍ<sup>(١٠)</sup>  
تَوَابِعُهَا ، مِمَّا تُكَلُّ وَتُنْهَلُ  
دَيْبٌ نَمَالٍ فِي تَقَا<sup>(١٣)</sup> يَتَهَيَّلُ<sup>(١٤)</sup>

فَقَالَ التَّغْلِي: « إِنِّي جَرَزْتُ الذَّارِعَ ، وَلَقِيتُ الذَّارِعَ ، وَهَجَرْتُ الْآبِدَةَ ،  
وَرَجَوْتُ أَنْ تُدْعَى النَّفْسُ الْمَابِدَةُ ، وَلَكِنْ أَبَتْ الْأَقْضِيَّةُ » فَيَقُولُ :  
« أَخْطَأْتُ فِي أَمْرَيْنِ : جَاءَ الْإِسْلَامُ ، فَمَجَزْتُ أَنْ تَدْخُلَ فِيهِ ، وَلَزِمْتُ  
أَخْلَاقَ سَفِيهِ ، وَعَاشَرْتُ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ ، وَأَطَعْتُ نَفْسَكَ الْغَاوِيَةَ ،  
وَأَثَرْتُ مَا فِيَّ عَلَى بَاقِي ، فَكَيْفَ لَكَ بِالْإِبَاقِ<sup>(١٥)</sup> ؟ »

(١) العقار : الخمر ، سميت كذلك لماقرتها ، أى للملازمتها الدن (٢) جرة ملتهبة

(٣) تَحْتَرِقُ وَتَتَوَهَّجُ

(٤) يَنْسَان : بلدة بالشام ، والمراد بالبينسانية الخمر المنسوبة إليها ، وَيُكَلُّ : يسقى بها ثانية

(٥) من الجانب الأيمن (٦) من الجانب الأيسر (٧) أى أنهم حين يضعونها

يهللون فرحين بها (٨) مُقَطَّعٌ ، لتصل إليه النار فتنتزعجه (٩) اشتداد الفرح ، حتى

يجاوز الإنسان حده فيخبتر ويختال (١٠) كَبُرَ (١١) لم تمهلنا (١٢) سكرة

(١٣) كَثِيبٌ ، أو قطعة من الرمل تنقاد لمحدودية (١٤) ينال (١٥) الهرب والفرار ،

والمراد بها هنا النجاة

فَيَزِيدُ<sup>(١)</sup> الْأَخْطَلُ زَفْرَةً تَمَجَّبُ لَهَا الرِّبَانِيَّةُ ، وَيَقُولُ : « آه عَلَى أَيَّامِ يَزِيدَ  
أُسُوفٍ<sup>(٢)</sup> عِنْدَهُ عَنَبَرًا ، وَأَمْرُحُ مَمَّةَ مَرْحَ خَلِيلٍ . وَكَأَنِّي بِالْقِيَانِ الصَّادِحَةِ<sup>(٣)</sup>  
بَيْنَ يَدَيْهِ تُغْنِيهِ :

وَلَمَّا بِالْمَاطِرُونَ إِذَا أَكَلَ التَّمْلُ الَّذِي جَمَعَا  
خِلْفَةً حَتَّى إِذَا ظَهَرَتْ مَسَكَنْتَ مِنْ جُلِّي يَمَعَا  
فِي قِبَابِ حَوْلِ دَسْكَرَةٍ<sup>(٤)</sup> حَوْلَهَا الرِّيتُونُ قَدْ يَنَمَا  
وَقَفْتُ لِلْبَدْرِ تَرْقُبُهُ فَإِذَا بِالْبَدْرِ قَدْ طَلَمَا  
وَلَقَدْ فَاقَتْهُ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ وَأَنَا سَكْرَانُ مُلْتَمِحٌ<sup>(٥)</sup> فَقُلْتُ :

أَلَا أَسْلَمَ - سَلِمْتَ - أَبَا خَالِدٍ وَحَيَّاكَ رَبُّكَ بِالْمَقْصَرِ<sup>(٦)</sup>  
أَكَلْتُ الدَّجَاجَ وَأَفْنَيْتَهَا قَهْلٌ فِي الْخَنَازِيرِ<sup>(٧)</sup> مِنْ مَقْعَرٍ<sup>(٨)</sup>

فَمَا زَادَ فِي عَيْنِ ابْتِسَامٍ ، وَاهْتَرَّ لِلصَّلَاةِ .

فَيَقُولُ الشَّيْخُ : « مِنْ نَمٍ أَتَيْتَ ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ عَانِدٌ ،  
فَعَلَامَ أَطْلَعْتَ مِنْ مَذْهَبِهِ ، أَكَانَ مُوَحِّدًا ، أَمْ وَجَدْتَهُ فِي النَّسْكِ مُلْحِدًا ؟ »  
فَيَقُولُ الْأَخْطَلُ : « كَأَنَّتْ تَمَجَّبُهُ هَذِهِ الْأَيَّاتُ :

(١) يخرج نفسه بدمه إياه (٢) أشم (٣) اللأني يرفن أصواتهن بالغناء

(٤) قرية عظيمة ، أو بناء كالقصر حوله بيوت (٥) يختلط من شدة السكر

(٦) نوع من النبت ، قيل : هو الياسمين (٧) جمع خنزير ، وهو ولد الخنزير

(٨) مطعن ، ومعنى البيت : أنك أفنيت الدجاج أكلا ، فما عليك لو عطفت على

الخنزير فأكلتها ، أترى فيها مطعنا ؟

أَخَالِدَ ! هَاتِي خَبْرِي وَأَعْلِنِي<sup>(١)</sup> حَدِيثَكَ ، إِنِّي لَا أُسِرُ<sup>(٢)</sup> التَّاجِبَا  
حَدِيثَ أَبِي سُفْيَانَ ، لَمَّا سَمَا بِهَا إِلَى الْخُدْ<sup>(٣)</sup> ، حَتَّى أَقَامَ الْبَوَاكِبَا  
وَكَيْفَ بَنَى أُمْرًا<sup>(٤)</sup> عَلَى فِقَاتِهِ وَأَوْرَثَهُ الْجُدْ<sup>(٥)</sup> السَّعِيدُ مُعَاوِيَا  
وَقُوِي فَعَلْنِي<sup>(٦)</sup> عَلَى ذَلِكَ<sup>(٧)</sup> قَهْوَةً<sup>(٨)</sup> تَحَلَّبَهَا الْيَسِيُّ كَرَمًا<sup>(٩)</sup> شَامِيَا<sup>(١٠)</sup>

(١) جاهرى به (٢) لا أكرم (٣) يعنى جبل أحد ، وهو يشير بذلك الى انتصار  
المشركين على النبي صلى الله عليه وسلم فى واقعة أحد سنة (٦٢٥ م) وكان قائد المشركين  
فيها أبو سفيان ، وكان النصر محققاً للمسلمين فى بدئها ، فلما خالفوا أمر النبي وانتقلوا من  
مواضعهم ، كر عليهم المشركون وقتلوا منهم عدداً كبيراً ، فيهم حمزة عم النبي ، واستطاع العدو  
أن يخلص الى النبي فيرميه بالحجارة ، ووقع لشقه ، فأصيبت ربايعته ، وشج وجهه ، وكلت  
شفته ، ودخلت حلقتان من حلق المغفر فى وجنته ، وسقط فى إحدى الحفر التى حفرها  
المشركون ليقع فيها المسلمون ، فأخذه « على » يده ، ورفع طلحة بن عبيد الله ، وأحاط  
به جماعة من الأنصار والمهاجرين ، استبسلا فى الدفاع عنه ، وفى هذه الموقعة أظهرت أم نسيبة  
بنت كعب ، شجاعة مدهشة وإقداماً يستغزى الإعجاب والروعة ؛ فقد كانت تسقى الماء فى أول  
النهار ، فلما رأت هزيمة المسلمين انحازت الى النبي وتقاتت فى الذود عنه ، ضاربة بسيفها مرة ،  
ورامية عن قوسها أخرى ، حتى أنفختها الجروح .

وفى نهاية المعركة صمد أبو سفيان ربة ، ونادى المسلمين بأعلى صوته : « أنعمت فعال ،  
إن الحرب نسجال ، يوم بيوم بدر ، أعْلُ هُبْلُ ! »

(٤) يشير بذلك إلى أمر الخلافة التى تنازعها معاوية وعلى ، فقتل على دونها ونالها معاوية

(٥) الحظ (٦) استقبنى (٧) نخب ذلك (٨) خرة (٩) غنبا

(١٠) المعنى : تعالى فحدثني وأعْلِنِي أحاديثك الجميلة ، فلست أرضى كتمانها ، حدثني عن هزيمة  
المسلمين فى أحد ، وانتصار أبي سفيان عليهم ، وولولة بأكياتهم على قتلاهم ، وحدثني عن  
فشل « على » فى الحصول على الخلافة ، وانتصار معاوية عليه ، وإحرازها دونه ، ثم استقبنى  
نخب هذه الذكريات المحبوبة خرة لذيذة ؛ اعتصرها اليسى من غنبا شامى .

إِذَا مَا نَظَرْنَا فِي أُمُورٍ قَدِيمَةٍ وَجَدْنَا حَلَالًا شُرْبَهَا الْمُتَوَالِيَا  
فَلَا خُلْفَ بَيْنَ النَّاسِ أَنَّ مُحَمَّدًا تَبَوَّأَ رَمْسًا فِي الْمَدِينَةِ ثَاوِيًا<sup>(١)</sup>  
فَيَقُولُ : « عَلَيْكَ الْبَهْلَةُ ! قَدْ ذَهَلَتِ الشُّعْرَاءُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ،  
عَنِ الْمَدْحِ وَالنَّسِيبِ<sup>(٢)</sup> ، وَمَا شُدِّهَتْ<sup>(٣)</sup> عَنْ كُفْرِكَ وَلَا إِسَاءَتِكَ ! »

وإِبْلِيسُ يَسْمَعُ ذَلِكَ الْخَطَابَ كُلَّهُ<sup>\*</sup> ، فَيَقُولُ لِلزَّبَانِيَةِ : « مَا رَأَيْتُ أُعْجَزَ  
مِنْكُمْ إِخْوَانِ مَالِكٍ ! أَلَا تَسْمَعُونَ هَذَا الْمُتَكَلِّمَ بِمَا لَا يَمْنِيهِ ؟ فَلَوْ أَنَّ فِيكُمْ  
صَاحِبَ نَحِيزَةٍ<sup>(٤)</sup> قَوِيَّةٍ ، لَوَتَّبَ وَثْبَةً حَتَّى يَلْحَقَ بِهِ فَيَجْذِبُهُ إِلَى سَقَرٍ ! »  
فَيَقُولُونَ : « لَيْسَ لَنَا عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ سَبِيلٌ ! »

فَإِذَا سَمِعَ مَا يَقُولُهُ إِبْلِيسُ ، أَخَذَ فِي شَتْمِهِ وَلَعْنِهِ ، وَإِظْهَارِ الشَّمَاتَةِ بِهِ ،  
فَيَقُولُ — عَلَيْهِ اللَّعْنَةُ — : « أَلَمْ تُنْهَوَا عَنِ الشَّمَاتِ يَا بَنِي آدَمَ ؟ وَلَكِنَّكُمْ  
— بِحَمْدِ اللَّهِ — مَا زُجِرْتُمْ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا وَرَكَبْتُمُوهُ<sup>(٥)</sup> » فَيَقُولُ : « أَنْتَ الَّذِي  
بَدَأْتَ آدَمَ بِالشَّمَاتَةِ ، وَالْبَادِيُ أَظْلَمُ ! »

ثُمَّ يَمُودُ إِلَى كَلَامِ الْأَخْطَلِ فَيَقُولُ : « أَنْتَ الْفَاقِلُ هَذِهِ الْآيَاتُ :  
وَلَسْتُ بِصَاحِبِ رَمْضَانَ طَوْعًا وَلَسْتُ بِأَكْلِ لَحْمِ الْأَصْحَايِ

(١) يقول : إذا تأملنا أقوال القدماء ، لم نجد أحداً منهم يجرم الخمر ، فإذا كان محمد قد  
تفرد بتحريمها وحده ؛ فما هو ذا محمد قد مات ، فزال مجرمته الخلف في شأنها

(٢) التشبيب (٣) لم تدش ولم تحير وتشغل بما أنت فيه (٤) طبيعة

(٥) وفي هذا المعنى يقول أبو العلاء في لزومياته :

أَلْظَلُّوا بِالْقَبِيحِ وَتَابَعُوهُ وَلَوْ أَمَرُوا بِهِ لَتَجَنَّبُوهُ

وَلَسْتُ بِقَائِمٍ كَالْمَعِيرِ<sup>(١)</sup> أَذْعُو قُبِيلَ الصَّبِيحِ : « حَى عَلَى الْفَلَاحِ »  
وَلَكِنِّي سَأَشْرِبُهَا شُمُولًا<sup>(٢)</sup> وَأَسْجُدُ عِنْدَ مُنْبَلَجِ<sup>(٣)</sup> الصَّبَاحِ  
فَيَقُولُ : « اجْلُ ، وَلِئِي لَنَادِمٌ سَادِمٌ ، وَهَلْ أَغْنَتْ النَّدَامَةُ عَنْ  
أَخِي كُسْعِ<sup>(٤)</sup> ؟ »

\* \*

وَيَمْلُ مِنْ خِطَابِ أَهْلِ النَّارِ ، فَيَنْصَرِفُ إِلَى قَصْرِهِ الْمَشِيدِ ، فَإِذَا صَارَ عَلَى  
مِيلٍ أَوْ مِيلَيْنِ ، ذَكَرَ أَنَّهُ مَسَّأَلَ عَنْ مُهْلِلِ التَّغْلِي ، وَلَا عَنِ الشَّنْفَرَى  
وَتَابَّطَ شَرًّا ، فَيَرْجِعُ عَلَى أَذْرَاجِهِ ، فَيَقِفُ بِذَلِكَ الْمَوْقِفِ يُنَادِي :  
« أَيْنَ عَدِيُّ ابْنِ رَيْبَعَةٍ ؟ » فَيَقَالُ : « زِدْ فِي الْبَيَانِ » فَيَقُولُ : « الَّذِي  
يَسْتَشْهِدُ النَّحْوِيُّونَ بِقَوْلِهِ :

(١) الحمار (٢) خمر باردة (٣) عند إشراق الصباح

(٤) نادم سادم : إتياع ، أو الثانية بمعنى الأولى للتأكيد ، وكُسْع : حى من قيس عيلان ،  
ومنه غامد بن الحرث الكسبي ، وقد اتخذ قوساً وخمسة أسهم ، وكنى في مخبأ ليصطاد ، فر  
قطع ، فرمى عذراً ، فنغذ السهم فيه ، ثم انطلق فصدم الجبل ، فأورى نارا ؛ فظن الكسبي  
أنه قد أخطأ ، فرمى ثانية وثالثة إلى آخر الأسهم ، وهو يظن أنه لم يصب ، فخرج ، وعمد إلى  
قوسه فكسرها ، ثم بات ، فلما أصبح نظر فإذا الحبرُ مطرحة مضرعة ، وأسهمه بالدم  
مضرجة ، فندم ، فقطع إمامه ، وأنشد :

ندمت ندامة لو أب نفسي تطاوعني إذا لقطعت خنسي  
تبين لي سَفَاهُ الرأى منى - لعمري أيك - حين كسرت قوسي

ويضرب المثل بندامة الكسبي ، فيقول الفرزدق :

« ندمت ندامة الكسبي لما غدت منى مطلقة نوارُ »

والأدب العربي حافل بضرب الكسبي مثلاً لكل نادم .

ضَرَبْتَ صَدْرَهَا إِلَى وَقَالَتْ : « يَا عَدِيًّا لَقَدْ وَقَّتْكَ <sup>(١)</sup> الْأَوَاقِي <sup>(٢)</sup> »  
 وَقَدْ اسْتَشْهَدُوا لَهُ بِأَشْيَاءَ كَقَوْلِهِ :  
 وَلَقَدْ خَبَطَنَ <sup>(٣)</sup> يُيُوتَ يَشْكُرُ خَبْطَةً أَخْوَالَنَا ، وَهُمْ بَنُو الْأَصْحَامِ  
 وَقَوْلِهِ :

مَا أَرْجَى بِالْعَيْشِ بَعْدَ نَدَائِي كُلَّهُمْ قَدْ سَقُوا بِكَاسِ حَلَاقِي <sup>(٤)</sup>  
 فَيُقَالُ : « إِنَّكَ لَتَعْرِفُ صَاحِبَكَ بِأَمْرِ لَا مَعْرِفَةَ عِنْدَنَا مِنْهُ ،  
 مَا النَّعْوِيُّونَ ؟ وَمَا الْاسْتِشْهَادُ ؟ وَمَا هَذَا الْهَذْيَانُ ؟ نَحْنُ خَزَنَةُ النَّارِ ،  
 فَيَبِيْ غَرَضُكَ تُحِبُّ إِلَيْهِ »

(١) حففتك وصاتك عن الأذى (٢) جمع واقية وهي الشيء يبقى به ، ومعنى البيت أنها دقت صدرها داعية أن لا يصيبني مكروه (٣) ضربهم ضرباً شديداً  
 (٤) الحَلَاقِي : المنية ، ومعنى البيت : « أى خير في الحياة بعد أن أفنى الردى كل ندامى »  
 وهذا البيت من قصيدة الملهل المشهورة التي يقول فيها :

طفلة ما ، ابنة الجلل بيضا ، لعوب ، لذيذة في السناق  
 فاذهبي ما إليك غير بعيد لا يوثاقى السناق من في الوثاق  
 ضربت نحرها إلى ، وقالت : « يا عديا لقد وقتك الأواقي ! »  
 ما أرجى بالعيش بعد نداماى ، أراهم سقوا بكأس حلاقا  
 وهكذا يروى البيت الأخير في كتب الأدب ، مخالفاً لرواية أبي الملاء

### حديثه مع مهلهل<sup>(١)</sup>

فَيَقُولُ : « أُرِيدُ الْمَعْرُوفَ بِمُهْلِهِ التَّغْلِي ، أَخِي كُلَيْبٍ وَائِلِ الَّذِي كَانَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ » فَيَقَالُ : « هَا هُوَ ذَا يَسْمَعُ حِوَارَكَ ، فَقُلْ مَا تَشَاءُ »

#### (١) مهلهل

اسمه « عدى » واسم أبيه « ربيعة التغلي » وهو أخو كليب وخال امرئ القيس . موطنه نجد .

يعزو اليه المؤرخون أنه أول من طول القصائد ، وأنه أحد من غنى من العرب في شعره ، وكان لاهياً حتى لقبه أخوه كليب « زير النساء » فلما قتل كليب كان للمهلهل يعاقر الخمر فاهتاج ، واستحث قومه على أخذ النار ؛ وجز شعره وقصر ثوبه ؛ وهجر النساء والقمار والشراب ، وتفرغ للحرب ، ودامت تلك الحرب بين بكر وتغلب أربعين سنة ، وكانت سجلاً بينهما ، ثم اصطلحوا بعد ذلك .

ومن مختار شعره : رائيته الفذة ، وهى أشهر من أن نذكرها ، ومن أجل ما فيها قوله :

كأنى — إذ نعى الناعى كليياً — تطاير بين جَنَى الشرار

سألت الحى : « أين دفنتوه ؟ » فقالوا لى : « بأقصى الحى دار »

فسرت وقد غشى بصرى عليه كما دارت بشاربها المقار

وقوله من قصيدة أخرى :

يا لبكر ! أنشروا لى كليياً

يا لبكر ! فاطمنوا أو فخلوا

وقوله من قصيدة ثالثة :

أليتنا بذى حُسم ! أنبرى

فإن يك بالذئاب طال ليلى

وأقذنى يياض الصبح منها

إذا أنت انقضيت فلا تحورى

فقد أبكى من الليل القصير

لقد أقذت من شر كبير



فَيَقُولُ: «يَا عَدِيُّ بْنُ رَبِيعَةَ! أَغَزَزَ عَلَى بَوْلُوجِكَ هَذَا الْمَوْلِجُ! لَوْلَمْ آسَفْ عَلَيْكَ إِلَّا لِأَجْلِ قَصِيدَتِكَ الَّتِي أَوْكَهَا:

أَلَيْلَتَنَا بِذِي حُسْمٍ<sup>(١)</sup> أُنِيرِي إِذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ<sup>(٢)</sup> فَلَا تَحْوَرِي<sup>(٣)</sup>  
لَكَانَتْ جَدِيرَةً أَنْ تُطِيلَ الْأَسَفَ عَلَيْكَ، وَقَدْ كُنْتُ إِذَا أُنْشِدْتُ  
أَيَّاتَكَ فِي ابْنَتِكَ الْمَرْوَجَةِ فِي «جَنْبٍ»<sup>(٤)</sup>، تَعْرِوْرُقُ مِنَ الْحُزْنِ عَيْنَايَ،

الى أن يقول ويبدع :

كواكب ليلة طالت وغمت فهذا الصبح راغمة ففوري  
وبعد أن غلب في الحرب ، وأخذ أسيراً ، ثم عاد إلى أهله - جعل النساء يستخبرونه ،  
تسأل المرأة عن زوجها وأبيها وأخيه ، ويسأل الغلام عن أبيه وأخيه ، فقال :  
ليس مثلي يخبر الناس عن آباءهم قتلوا ، وينسى القتلا  
لم أرم عرصة الكتبية حتى از: تعل الورد من دماء نعالا  
عرفته رماح بكر ، فإ يا خذن إلا لبانه والقذالا  
غلبونا - ولا محالة يوما بقلب الدهر ذاك حالا فحالا

(١) اسم مكان (٢) انتهيت (٣) لا ترجى (٤) يشير بذلك إلى ذهاب مهمل  
إلى اليمن بعد أن دامت الحرب المشهورة أربعين عاماً ، واصطلح الحياتن جميعاً ، وأبى مهمل  
أن يقيم بينهم حتى لا يرى قاتل كليب ، فسار إلى اليمن ونزل في «جانب» من بني مذحج ،  
فخطب إليه أحد مبنته ، فأبى أن يفعل فأجبروه على تزويجها ، وساقوا إليه صداقها جلوداً  
من أدم ، فقال في ذلك :

أعزز على قلب بما لقيت أخت بني الأكرمين من جُشم  
أنكحها فقد عدا الأراقم في جنه ب ، وكان الحباء من أدم أ  
لو بأبائين جاء يخطبها ضرج ما أنف خاطب بدم  
ليسوا بأكفائنا الكرام ، ولا يفتنون من حيلة ولا عدم  
أصبحت لا منفساً أصبت ، ولا أيت كريباً حراً من التدم

فَأَخْبِرْنِي : لِمَ سُمِّيَتْ مُهْلَبًا ؟ فَقَدْ قِيلَ : إِنَّكَ سُمِّيْتَ بِذَلِكَ ، لِأَنَّكَ أَوَّلُ مَنْ هَلَّلَ الشَّعْرَ « أَيْ رَفَقَهُ ، فَيَقُولُ : « إِنَّ الْكَذِبَ كَثِيرٌ ، وَإِنَّمَا كَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ امْرُؤُ الْقَيْسِ ، فَأَغَارَ عَلَيْنَا زُهَيْرُ بْنُ جَنْبٍ الْكَلْبِيُّ ، فَتَبِعَهُ أَخِي فِي زَرَافَةٍ <sup>(١)</sup> مِنْ قَوْمِهِ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

لَمَّا تَوَقَّلَ <sup>(٢)</sup> فِي الْكَرَاعِ <sup>(٣)</sup> هَجَيْتُهُمْ <sup>(٤)</sup> هَلَلْتُ <sup>(٥)</sup> أَثَارُ مَالِكًا أَوْ صَنِيلًا

فَسَمَى مُهْلَبًا ، فَلَمَّا هَلَكَ شُبَّهْتُ بِهِ ، فَقِيلَ لِي مُهْلَبٌ »

فَيَقُولُ : « الْآنَ شَفَيْتَ صَدْرِي بِحَقِيقَةِ الْيَقِينِ ! »

حديثه مع الشنفرى <sup>(٦)</sup>

وَسَأَلَ عَنِ الشَّنْفَرَى الْأَزْدِيَّ فَأَلْفَاهُ قَلِيلَ

- (١) جماعة (٢) صد أو توغل أو رقى (٣) الكراع : أنف يتقدم الحرة ممتد ، أى جزء خارج ، والحرة كل أرض ذات حمارة نخرة سود كأنها أحرقت بالنار (٤) قال أبو العلاء : يعنى بالهجين زهير بن جناب (٥) قال أبو العلاء : « قاربت ، ويقال : توقفت »

(٦) الشنفرى

(قالوا : توفى سنة ٤٠ م هـ)

اسمه ثابت بن أوس الأزدي ، موطنه اليمن ، وهو شاعر الأزدي ، ومن أشهر عدائى العرب . ومعنى الشنفرى : « العظيم الشفتين » ومن أروع شعره قوله لما أسره « بنو سلامان » وأرادوا قتله ، وقالوا له : « أين تقبرك ؟ » — فقد قال :

لا تقبروني ، إن قبري محرم عليكم ، ولكن أبشري أم عامر  
إذا احتشيت رأسي - وفي الرأس أكثرى وغودر عند الملتقى - ثم - ساترى  
هنالك لا أرجو حياة تسرى سحيسن اليبالى مبسلا بالجرائر

التَّشْكِي<sup>(١)</sup> والتَّأَلُّمُ إِنَّا هُوَ فِيهِ ، فَيَقُولُ : « إِنِّي لَا أُرَاكَ قَلِيقًا مِثْلَ قَلَقِ  
أَصْحَابِكَ » ، فَيَقُولُ : « أَجَلٌ إِنِّي قُلْتُ يَنْتَ فِي الدَّارِ الْخَالِدَةِ ، فَأَنَا أَتَأَدَّبُ بِهِ ،  
وَذَلِكَ قَوْلِي :

غَوَى فَفَوَتْ ، ثُمَّ ارْغَوَى<sup>(٢)</sup> بَمَدٍّ وَارْغَوَتْ  
وَالْقَبْرُ - إِنْ لَمْ يَنْفَعِ الشُّكُوفُ - أَجَلٌ<sup>(٣)</sup> ،

---

(١) قليل التشكى أى قليل التوجع والتأوه ، وبذلك وصفه قرينه تأبط شرا فى قصيدة  
جيلة منها :

قليل التشكى للمهم يصيبه كثير الهوى شقى النوى والمسالك  
أى قليل التوجع لما يهزئه ، كثير السفر والتحول من مكان إلى آخر ، وستمرك بك القصيدة  
فى ترجمة « تأبط شرا » فى الصحيفة التالية

(٢) كف ورجع عن الجهل

(٣) هذا البيت من لامية « الشنفرى » للشهورة التى نختار منها قوله :

أديم مطال الجوع حتى أميته وأضرب عنه الذكر صفحا فأذهل  
واستف ترب الأرض كي لا يرى له على من الطول امرؤ متطول  
ولولا اجتناب النام لم يلف مشرب يماش به إلا لدى ومأكل  
ولكن نفساً حرة لا تقيم بي على الضيم إلا ريناً أمحول

## حديثه مع تأبط شرًا<sup>(١)</sup>

وَلِذَا هُوَ قَرِينٌ مَعَ « تَابُطَ شَرًّا » كَمَا كَانَ فِي الدَّارِ الْفَرَارَةِ ، فَيَقُولُ لِتَابُطَ

### (١) تأبط شرًا (توفي سنة ٥٩٠ م)

كان من أشهر عدائي العرب وأشدّهم كيداً ، وكان ينظر إلى الظباء فيعدو وراء أسنمها فلا تغوته ، قالوا : أشهر عدائي العرب الذين لا تلحقهم الخيل : تأبط شرًا ، والشنفري ، وسليك بن السلكة ، وعمرو بن براق ، وأسير بن جابر

قالوا : « وكان تأبط شرًا أعدى ذى رجلين وذى ساقين وذى عينين ، وكان إذا جاع لم تقم له قائمة ، فكان ينظر إلى الظباء فينتقى - على نظره - أسنمها ثم يجري خلفه ، فلا يفوته حتى يأخذه فيذبجه بسيفه ثم يشويه فيأكله . » وقد وصف « تأبط شرًا » الغيلان في شعره كما سير بك في الصحيفة التالية . ومن أجل ما نختاره من شعره قوله يصف صديقه « الشنفري » من قصيدة له :

قليل التشكى للمهم <sup>(١)</sup> يصيبه	كثير الهوى ، شتى النوى <sup>(٢)</sup> والمسالك
يفضل جمومة <sup>(٣)</sup> ، ويمسى بغيرها	جَحِيشًا <sup>(٤)</sup> ، وَيَمْرُوزِي <sup>(٥)</sup> ظهور الماهالك
ويسبق وفد الريح ، من حيث ينتحي <sup>(٦)</sup>	بمنخرق <sup>(٧)</sup> من شدة <sup>(٨)</sup> التدارك <sup>(٩)</sup>
إذا حاص <sup>(١٠)</sup> عينيه كرى النوم ، لم يزل	له كالى <sup>(١١)</sup> من قلب شيحان <sup>(١٢)</sup> فأتاك
ويجعل عينيه ريشة <sup>(١٣)</sup> قلبه	إلى سله من حد أخلق <sup>(١٤)</sup> صائك <sup>(١٥)</sup>
إذا هزّه في عظم قرن تهلت	نواجذ أفواه النسايا الضواحك
يرى الوحشة الأنس الأنيس ، ويهتدى	بحيث اهتدت أم النجوم الشوايك <sup>(١٦)</sup>

(١) الحزن (٢) السفر أو التحول من مكان إلى آخر (٣) مفازة واسعة (٤) منفردا (٥) يركب (٦) يميل في كل وجه (٧) حيث تهب الريح (٨) إسرعه (٩) للتلاحق بعضه ببعض (١٠) حاص : خاط ، والمعنى هنا : « إذا اشتبكت أهذاب جفونه وأخذ الكرى بماقدها » (١١) حافظ (١٢) حنر . أو شهم غيور على الحرم . والمعنى أن قلبه البقظ يهرسه حين ينام (١٣) رائدا ، واصل الريشة الرجل ينتظر المدوعلى جبل أو مكان عال لئلا يدم قومه (١٤) أملس مصبت (١٥) لاصق ، والمعنى هنا : أن سيفه مضرج بالدم (١٦) الهجرة . وانما سميت كذلك لاجتماع النجوم فيها واشتباك بعضها ببعض . والمعنى أنه يهتدى بالنجوم في الليل

شراً : « أَحَقُّ مَا رَوَى عَنْكَ مِنْ نِكَاحِ الْفِيلَانِ <sup>(١)</sup> ؟ » فَيَقُولُ : « لَقَدْ كُنَّا

وما يروونه عنه أنه لقي - ذات يوم - رجلاً من « ثقيف » يقال له : « أبو وهب » كان جباناً أهوجاً وعليه حلة جيدة ؛ فقال « أبو وهب » لتأبط شراً : « بم تغلب الرجال يا ثابت ، وأنت كما أرى دميم ضليل ؟ » قال : « باسمي ، إنما أقول ساعة ما ألقى الرجل : أنا تأبط شراً ، فينخلع قلبه ، حتى أنال منه ما أردت ! »

فقال له الثقي : « أقط ؟ » قال : « قط ! »

قال : « فهل لك أن تبخني اسمك ؟ » قال : « نعم ، فهم تبتاعه ؟ » قال : « بهذه الحلة وبكنيتي » قال له : « افعل » ففعل ، وقال له تأبط شراً : « لك اسمي ولى كنتيك » وأخذ حلتيه وأعطاه طمره ثم انصرف ؛ وقال في ذلك يخاطب زوجة الثقي :

ألا هل أتى الحسناء أن حليها      تأبط شراً واكتنيت « أبا وهب » ؟  
فبه تسمى اسمي وسميت باسمه ،      فأين له صبرى على ممظم الخطب ؟  
وأين له بأس كبأسى وسورتي      وأين له فى كل فادحة قلبى !

(١) ذاع عن « تأبط شراً » لقاء الفيلان ونكاحهم والحرب معهم ، وقد رووا عنه أشعاراً مختلفة فى ذلك وأخباراً هى أقرب إلى الأساطير والخيال منها إلى الحقيقة ، فمن شعره فى الفيلان قوله من قصيدة :

وانى قد لقيت النول تهوى      وبسب كالصحيفة مصححان  
فقلت لها : « كلانا نضو أين      أخو سفر ، فخلّى لى مكاني »  
فشدت شدة نحوى ، فأهوى      لها كفى بمصقول يمانى  
فأضربها بلا دهش فخرت      صريماً للبدن وللجوان  
فقلت : « عد » : فقلت لها : « رويداً      مكانك ! إننى ثبت الجنان »  
فلم أنفك متكثراً عليها      لأنظر مصبها ، ماذا أنانى  
إذا عينان فى رأس قبيح      كرأس الهر مشقوق اللسان  
وساقاً مُخدَع ، وشواة كلب      وثوب من عباء أو شان

فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَقُولُ وَتَتَعَرَّصُ<sup>(١)</sup>، فَمَا جَاءَكَ بِمَا يُنْكِرُهُ الْمُعْقُولُ<sup>(٢)</sup>، فَإِنَّهُ مِنْ  
الْأَكَاذِيبِ. وَالزَّمَنُ كُلُّهُ عَلَى سَجِيَّةٍ وَاحِدَةٍ<sup>(٣)</sup>، فَالَّذِي شَاهَدَهُ مَعْدُنٌ عَدَنَانٌ  
كَالَّذِي شَاهَدَهُ نُضَاضَةٌ<sup>(٤)</sup> وَلِدِ آدَمَ «

فَيَقُولُ الشَّيْخُ : « تَقَلَّتْ إِلَيْنَا أَيْكَاتٌ تُنْسَبُ إِلَيْكَ :

أَنَا الَّذِي نَكَحَ الْغِيلَانَ فِي بَلَدٍ مَا طَلَّ<sup>(٥)</sup> فِيهَا سِمَاكِ\* وَلَا جَادَا  
فِي حَيْثُ لَا يَمِيتُ الْغَادِي عَمَائَتَهُ وَلَا الظَّلِيمُ بِهِ يَبْنِي تِهْبَادًا<sup>(٦)</sup>  
وَقَدْ لَهَوْتُ بِمَصْقُولٍ عَوَارِضَهَا بِكْرِ تَنَازِعِي كَأَمَّا وَعِنْقَادًا<sup>(٧)</sup>  
ثُمَّ انْقَضَى عَصْرُهَا عَنِّي وَأَعْقَبَهُ عَصْرُ الْمَشْيَبِ، فَقُلْ فِي صَالِحِ بَادَا  
فَاسْتَدَلَّتْ عَلَى أَنَّهَا لَكَ لَمَّا قُلْتَ : « تِهْبَادَا »

فَقُلْتَ هَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ فِي الْقَافِيَةِ :

« طَيْفُ ابْنَةِ الْحُرِّ - إِذْ كُنَّا نُوَاصِلُهَا -

ثُمَّ اجْتَنَنْتُ بِهَا بَعْدَ التَّفَرَّاقِ<sup>(٨)</sup> »

فَلَا يُجِيبُهُ تَأَبُّطُ شَرًّا بِطَائِلٍ

(١) نكذب (٢) المعقول : العقل ، كالمجهود بمعنى الجهد ، والمصور بمعنى العسر ، وما  
إلى ذلك من المصادر التي جاءت على زنة مفعول . (٣) في هذا المعنى يقول أبو العلاء في  
سقط الزند :

أَلَا إِنَّمَا الْأَيَّامُ أَبْنَاءُ وَاحِدٍ وَهَذِي اللَّيَالِي كُلُّهَا أَخَوَاتُ  
فَلَا تَطْلُبِينَ مِنْ عِنْدِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خِلَافَ الَّذِي مَرَّتْ بِهِ السَّنَوَاتُ

(٤) قال أبو العلاء : « النُّضَاضَةُ : آخِرُ وَلَدِ الرَّجُلِ » (٥) لم يصبها الطل — وهو للطر الضعيف  
(٦) المعنى : لا يظفر فيها فرخ النعام بالهبيد « الحنظل » ليأكله (٧) عنقودا (٨) التفرق

## لفضل السائرين

### عودة إلى الفردوس

#### حديثه مع آدم

فَإِذَا رَأَى<sup>(١)</sup> قَلَّةَ الْفَوَائِدِ لَدَيْهِمْ ، تَرَكَهُمْ فِي الشَّقَاءِ السَّرْمَدِ ، وَعَمَدَ لِخَلْقِهِ فِي الْجَنَانِ ، فَيَلْقَى آدَمَ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — فِي الطَّرِيقِ ، فَيَقُولُ : « يَا أَبَانَا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ ، قَدْ رَوَى لَنَا عَنْكَ شِعْرٌ مِنْهُ قَوْلُكَ :

نَحْنُ بَنُو الْأَرْضِ وَسُكَّانُهَا مِنْهَا خُلِقْنَا وَإِلَيْهَا نَعُودُ  
وَالسَّعْدُ لَا يَبْقَى لِأَصْحَابِهِ وَالنَّحْسُ تَمْحُوهُ لِيَالِي السُّعُودِ »

فَيَقُولُ : « إِنَّ هَذَا الْقَوْلَ حَقٌّ ، وَمَا نَطَقَهُ إِلَّا بَعْضُ الْحُكَمَاءِ ، وَلَكِنِّي لَمْ أَسْمَعْ بِهِ حَتَّى السَّاعَةِ » فَيَقُولُ : « قَلَمَلَكَ يَا أَبَانَا قُلْتَهُ ثُمَّ نَسِيتَ ، فَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ النَّسْيَانَ مُتَسَرِّعٌ إِلَيْكَ ، وَحَسْبُكَ شَهِيدًا عَلَى ذَلِكَ الْآيَةُ الْمَثَلَوَةُ فِي قُرْآنِ مُحَمَّدٍ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ — : « وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ ، فَنَسِيَ<sup>(٢)</sup> وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا » وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنَّكَ مُنِمْتَ إِنْسَانًا لِلنَّسْيَانِ ، وَاحْتِجَّ<sup>(٣)</sup> عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِمْ فِي التَّصْفِيرِ « أُنْسِيَان » وَفِي الْجَمْعِ أُنَاسِي ، وَقَدْ رَوَى أَنَّ الْإِنْسَانَ مِنَ النَّسْيَانِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَقَالَ الطَّائِيُّ :

(١) أى ابن القارح (٢) وفى ذلك يقول أبو العلاء :

احتج فى النسي بالنسيان والدم وقد غروا — بادكار — لا أقول : نسوا

(٣) أتى بالحجة

« لَا تَنْسِينَ تِلْكَ الْعُهُودَ ، وَإِنَّمَا سُمِّيتَ إِنْسَانًا لِأَنَّكَ نَاسِيٌ »  
 فَيَقُولُ آدَمُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « أَيْتُمُ الْإِغْثُوقَا وَأَذِيَّةٌ ، إِنَّمَا  
 كُنْتُ أَتَكَلَّمُ الْعَرَبِيَّةَ ، وَأَنَا فِي الْجَنَّةِ ، فَلَمَّا هَبَطْتُ الْأَرْضَ ثَقُلَ لِسَانِي إِلَى  
 السُّرْيَانِيَّةِ فَلَمْ أَنْطِقْ بِغَيْرِهَا إِلَى أَنْ هَلَكْتُ ، فَلَمَّا رَدَّنِي اللَّهُ - سُبْحَانَهُ  
 وَتَعَالَى - إِلَى الْجَنَّةِ عَادَتْ عَلَيَّ الْعَرَبِيَّةُ ، فَأَيَّ حِينٍ نَظَمْتُ هَذَا الشَّعْرَ ، فِي  
 الْعَاجِلَةِ أَمْ الْآجِلَةِ ؟ وَالَّذِي قَالَ ذَلِكَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ قَالَهُ وَهُوَ فِي الدَّارِ  
 الْمَآكِرَةِ ، أَلَا تَرَى قَوْلَهُ : « مِنْهَا خُلِقْنَا وَإِلَيْهَا نَعُودُ » ؟ فَكَيْفَ أَقُولُ هَذَا  
 الْمَقَالَ وَلِسَانِي سُرْيَانِيٌّ ؟ وَأَمَّا الْجَنَّةُ قَبْلَ أَنْ أُخْرَجَ مِنْهَا فَلَمْ أَكُنْ أَذْرِي  
 بِالْمَوْتِ فِيهَا ، وَأَنَّهُ يُنَامُ حُكْمٌ عَلَى الْعِبَادِ ، وَأَمَّا بَعْدَ رُجُوعِي إِلَيْهَا فَلَا مَعْنَى  
 لِقَوْلِي : « وَإِلَيْهَا نَعُودُ » لِأَنَّهُ كَذِبٌ لَا عَالَةَ ، وَنَحْنُ مَعَاشِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ  
 خَالِدُونَ مُخَلَّدُونَ ا »

فَيَقُولُ : « إِنَّ بَعْضَ أَهْلِ السَّيْرِ يَزْعُمُ أَنَّ هَذَا الشَّعْرَ وَجَدَهُ يَعْزُبُ فِي  
 مُتَقَدِّمِ الصُّحُفِ السُّرْيَانِيَّةِ ، فَنَقَلَهُ إِلَى لِسَانِهِ ، وَهَذَا لَا يَخْتَصِمُ أَنْ يَكُونَ ،  
 وَكَذَلِكَ يَزْعُمُونَ لَكَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ - لَمَّا قَتَلَ قَائِلُ هَائِيلَ :

تَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا فَوَجَّهُ الْأَرْضِ مُغْبَرٌ قَبِيعُ  
 وَأَوْدَى رُبُعُ أَهْلِهَا فَبَانُوا وَغَوَّدَ فِي الثَّرَى الْوَجْهَ الْمُسْلِحُ  
 فَيَقُولُ آدَمُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « أَغَزَزَ عَلَيَّ بِكُمْ مَعَشَرُ أُيُنِّي ا  
 إِنْكُمْ فِي الضَّلَالَةِ مَهْوً كُونَ <sup>(١)</sup> ! آلَيْتُ <sup>(٢)</sup> مَا نَطَقْتُ هَذَا النُّطِيمَ وَلَا

(١) مهوون أو متحيرون ، أى أنكم واقعون في الضلالة بغير مبالاة ولا روية ، خابطون  
 فيها على غير هدى (٢) آقست



نُطِقَ فِي عَصْرِي، وَإِنَّمَا نَظَّمَهُ بَعْضُ الْفَارِغِينَ، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ !  
كَذَّبْتُمْ عَلَى خَالِقِكُمْ وَرَبِّكُمْ، ثُمَّ عَلَى آدَمَ أَيُّكُمْ، ثُمَّ عَلَى حَوَاءَ أُمِّكُمْ،  
وَكَذَّبَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ !

### حديثه مع ذات الصفا

ثُمَّ يَضْرِبُ<sup>(١)</sup> سَائِرًا فِي الْفِرْدَوْسِ، فَإِذَا هُوَ بِرَوْضَةٍ مُوَقَّعَةٍ، وَإِذَا هُوَ  
بِحَيَّاتٍ يَلْمِزْنَ، فَيَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ! وَمَا تَصْنَعُ حَيَّةٌ فِي الْجَنَّةِ ؟»  
فَيَنْطَلِقُهَا اللَّهُ - جَلَّتْ عَظَمَتُهُ - بَعْدَ مَا أَلْهَمَهَا الْمَعْرِفَةَ بِهَا جِسَ الْخَلْدِ، فَتَقُولُ:  
«أَمَا سَمِعْتِ فِي مُرْكٍ بِذَاتِ الصِّفَا، الْوَافِيَةِ لِصَاحِبِ مَا وَفَى، كَأَنْتِ تَنْزِلُ  
بِوَادٍ خَصِيبٍ، وَكَأَنْتِ تَصْنَعُ إِلَيْهِ الْجَمِيلَ فِي وَرْدِ الظَّاهِرَةِ<sup>(٢)</sup> وَالْغَيْبِ،  
فَلَمَّا تَمَرَّ يَوْدهَا مَا لَهُ، ذَكَرَ عِنْدَهَا ثَارُهُ، وَوَقَفَ عَلَى صَخْرَةٍ، وَهَمَّ أَنْ يَنْتَقِمَ  
مِنْهَا بِأَخْرَةٍ<sup>(٣)</sup>، وَكَانَ أَخُوهُ يَمْنَحُ قَتْلَهُ - فَضَرَبَهَا، فَلَمَّا وَقَعَتْ ضَرْبَةً فَلَمَسَهُ  
- وَالْحَقْدُ يُمَسِكُ بِأَنْفَاسِهِ - نَدِمَ عَلَى مَا صَنَعَ أَشَدَّ النَّدَمِ، وَقَالَ لِلْحَيَّةِ مُخَادَعًا:  
«هَلْ لَكَ أَنْ تَكُونِ خَلِينِي؟» وَدَعَاها بِالسَّفْهِ إِلَى حَلِيفٍ، فَقَالَتْ: «لَا أَفْعَلُ،  
إِنِّي أَجِدُكَ فَاجِرًا مَسْحُورًا<sup>(٤)</sup>، تَأْتِي لِي صَكَّةٌ<sup>(٥)</sup> فَوْقَ الرَّأْسِ، وَيَمْتَنِعُكَ مِنْ  
أَرْبَكَ قَبْرٌ مَخْفُورٌ<sup>(٦)</sup>».

(١) أي ابن القارح (٢) الظاهرة الإبل الواردة كل يوم نصف النهار (٣) آخر كل شيء

(٤) مفسدًا مخادعًا (٥) ضربة شديدة (٦) يرجع من يريد التوسع في هذه القصة  
إلى ص ٦٨ ج ٣ من كتاب الحيوان للجاحظ وص ٧٧ ج ٢ من مجمع الأمثال وص ٤٨

من ديوان النابتة

وَقَدْ وَصَفَ ذَلِكَ نَابِلَةُ بَنِي دُيَّانَ ، فَقَالَ :

وَلَا أُبَالِي لَأَلْقَى مِنْ دَوَى الضَّغْنِ مِنْهُمْ  
كَمَا لَقِيتُ ذَاتُ الصَّفَا مِنْ حَلِيفِهَا  
فَلَمَّا رَأَى أَنَّ سَمَرَ اللَّهِ مَالَهُ<sup>(١)</sup>  
أَكْبَ<sup>(٢)</sup> عَلَى فَاسٍ يَحْدُ غُرَابِهَا<sup>(٣)</sup>  
وَقَامَ عَلَى جُحْرٍ لَهَا فَوْقَ صَخْرَةٍ  
فَلَمَّا وَقَاهَا اللَّهُ ضَرْبَةً فَاسٍ<sup>(٤)</sup>  
فَقَالَ : « تَمَالَى ، نَجْعَلُ اللَّهَ يَنْتِنَا  
فَقَالَتْ : « مَعَاذَ اللَّهِ أَفْعَلُ<sup>(٥)</sup> ، لِأَنِّي  
أَبَى لِي قَبْرٌ لَا يَزَالُ مُقَابِلِي  
وَمَا أَصْبَحْتُ تَشْكُو مِنْ أَلْبَثٍ سَاهِرَةٍ  
وَكَاثَتْ ثَرِيهِ الْمَالِ غِيًّا وَظَاهِرَةٍ  
فَأَصْبَحَ مَسْرُورًا ، وَسَدَّ مَفَاقِرَهُ<sup>(٦)</sup>  
مُذَكَّرَةٍ مِنَ الْمَتَاوَلِ بَابَرَةٍ  
لِيَقْتُلَهَا أَوْ تُخْطِئَ الْكَفَّ بَادِرَةٍ  
وَلِلْبَرِّ عَيْنٌ لَا تُغْمِضُ نَاطِرَةٍ  
عَلَى مَا لَنَا ، أَوْ تُنْجِزِي لِي آخِرَهُ<sup>(٧)</sup> »  
رَأَيْتُكَ مَسْحُورًا ، يَمِينُكَ فَاجِرَةٍ  
وَضَرْبَةُ فَاسٍ فَوْقَ رَأْسِي فَاقِرَهُ<sup>(٨)</sup> »

وَتَقُولُ حَيَّةٌ أُخْرَى : « لَأَنِّي كُنْتُ أُسْكِنُ فِي دَارِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ ، فَيَتَلَوُّ  
الْقُرْآنَ لَيْلًا ، فَتَلَقَيْتُ الْكِتَابَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ .

وَيَهْكَرُ<sup>(٩)</sup> أَرْزَلَهُ اللَّهُ مَعَ الْأَبْرَارِ الْمُتَّقِينَ لِمَا سَمِعَ مِنْ تِلْكَ الْحَيَّةِ ، فَتَقُولُ  
هِيَ : « أَلَا تُقِيمُ عِنْدَنَا بَرْهَةً مِنَ الدَّهْرِ أَفَلَا تُبَالِي إِذَا شِئْتُ أَنْتَفِضْتُ مِنْ إِهَابِي<sup>(١٠)</sup> ،  
فَصِرْتُ مِثْلَ أَحْسَنِ غَوَايِ الْجَنَّةِ ، لَوْ تَرَشَّفْتُ رُضَابِي<sup>(١١)</sup> لَعَلِمْتُ أَنَّي أَفْضَلُ

(١) نماه وكثره (٢) سد مفاقره أى اغتنى وسد وجوه فقره (٣) أقبل ولزمه

(٤) حدها (٥) تشهد الله على تحالفنا (٦) أى أقسمت لا أفعل (٧) الفاقرة :

الداهية التى تكسر الفقار وهو ما تنصد من عظام الصلب من لدن الكاهل الى العجز أى  
خرزات الظهر ، ومعناها هنا شديدة محطمة (٨) يشتد عجه (٩) جلدى (١٠) ريقى المرشوف

مِنَ الدَّرِيَاقَةِ<sup>(١)</sup> الَّتِي ذَكَرَهَا ابْنُ مُقْبِلٍ<sup>(٢)</sup> فِي قَوْلِهِ :  
سَقَتْنِي بِصَهْبَاءٍ دَرِيَاقَةٍ مَتَى مَا تُنَلِّينِ<sup>(٣)</sup> عِظَامِي تَلْنِ<sup>(٤)</sup>  
فَيُذْعَرُ مِنْهَا وَيَذْهَبُ هَرُولًا فِي الْجَنَّةِ ، وَيَقُولُ فِي نَفْسِهِ : « كَيْفَ يُرَكَّنُ  
إِلَى حَيَّةٍ ؟ » فَيُنَادِيهِ : « هَلُمَّ إِنَّ شَيْئَ اللَّذَّةِ ، لَوْ أَقْنَتَ عِنْدَنَا إِلَى أَنْ نَحْبُرَ وَدَنَا  
وَلِنَصَافِنَا ، لَنَدِمْتَ إِنْ كُنْتَ فِي الدَّارِ الْمَجْلَةِ قَتَلْتَ حَيَّةً أَوْ عُمَانًا<sup>(٥)</sup> »  
فَيَقُولُ : « لَقَدْ صَيَّقَ اللَّهُ عَلَى مَرَاشِفِ الْخُورِ الْحَسَانَ إِنْ رَضِيتُ بِرَشْفِ  
هَذِهِ الْحَيَّةِ » ا

### عود إلى حوريته

فَإِذَا ضَرَبَ فِي غِيْطَانِ الْجَنَّةِ لَقِيَتْهُ الْجَارِيَةُ<sup>(٦)</sup> الَّتِي خَرَجَتْ مِنْ تِلْكَ  
الْمَرَّةِ ، فَتَقُولُ : « إِنِّي لَا أَنْتَظِرُكَ مِنْذُ حِينَ ، فَمَا الَّذِي شَجَنَكَ<sup>(٧)</sup> عَنِ الْمَرَارِ ؟  
مَا طَالَتْ الْإِقَامَةُ مَعَكَ ، فَأَمِلْ بِالْمُحَاوَرَةِ مَسَمَعَكَ ا<sup>(٨)</sup> » فَيَقُولُ : « كَانَتْ فِي  
نَفْسِي مَأْرَبٌ مِنْ مُحَاطَبَةِ أَهْلِ النَّارِ ، فَلَمَّا قَضَيْتُ مِنْ ذَلِكَ وَطَرًا عُدْتُ  
إِلَيْكَ ، فَاتَّبَعْنِي بَيْنَ كُثْبِ الْعَنْبَرِ وَأَنْفَاء<sup>(٩)</sup> الْمِسْكِ » فَيَتَخَلَّلُ بِهَا أَهَاضِيبَ  
الْفِرْدَوْسِ ، وَرِيَاضِ الْجَنَانِ ، فَتَقُولُ : « أَيُّهَا الْعَبْدُ الْمَرْحُومُ ، أَظُنُّكَ تَحْتَذِي بِي  
فِعْمَالِ الْكِندِيِّ<sup>(١٠)</sup> فِي قَوْلِهِ :

- (١) الدراياقة هنا : الحذر ، وأصل معناها : دواء السم (٢) تقدمت ترجمة ابن مقبل  
في ص ٦٦ من هذا الجزء ، وهو تميم بن أبي بن مقبل ، فراجع إن شئت .  
(٣) تجمل عظامي لينه (٤) يقال : لينته ، فلان لي (٥) العثمان : فرخ الثعبان  
(٦) ارجع إلى عنوان « حلائق الخور » في ص ١٠١ من هذا الجزء (٧) حبسك  
أو منمك (٨) جمع تقا ، وهي القطعة من الرمل تنقاد محدودة (٩) امرئ القيس

فَقُمْتُ بِهَا أُمْنِي ، تَجَرُّ وَرَاءَنَا عَلَى أُرَيْنَا ذَيْلَ مِرْطٍ<sup>(١)</sup> مِرْحَلٍ<sup>(٢)</sup>  
 قَلَمًا أَجْزَنًا<sup>(٣)</sup> سَاحَةَ الْحَيِّ<sup>(٤)</sup> وَانْتَحَى بِنَا بَطْنٌ خَبْتٍ<sup>(٥)</sup> ذِي حَقَافٍ عَقَنْقَلٍ<sup>(٦)</sup>  
 هَمَزَتْ<sup>(٧)</sup> بِقَوْدَى رَأْسِهَا<sup>(٨)</sup> فَتَمَايَلَتْ عَلَى هَضِيمِ الْكَشْحِ<sup>(٩)</sup> رَيَّا الْمُخَلْخَلِ<sup>(١٠)</sup>  
 فَيَقُولُ : « الْمَجَبُّ لِقُدْرَةِ اللَّهِ لَقَدْ أَصَبْتَ مَا خَطَرَ فِي السَّوِيذَاءِ<sup>(١١)</sup> » فَيَنْ  
 « إِنْ لَكَ عِلْمٌ بِالْكِنْدِيِّ ، وَإِنَّمَا نَشَأَتْ فِي ثَمَرَةٍ تُبْعِدُكَ مِنْ جَنٍّ وَأَنْيَسٍ ؟ »  
 فَتَقُولُ : « إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »

\*  
\*  
\*

وَيَعْرِضُ لَهُ حَدِيثُ امْرِئِ الْقَيْسِ فِي دَارَةِ جُلْجُلٍ<sup>(١٢)</sup> ، فَيُنْشِئُ اللَّهُ

(١) المرط : كساء من خز أو صوف ، وقد تسمى للملاءة مرطاً (٢) منقش بنقوش تشبه  
 رجال الابل ، ومعنى البيت أنها حين صحبتني أخذت نجر مرطها على آثار أقدامنا لتعفيها  
 به في أثناء سيرنا (٣) قطعنا (٤) فناء الحى أو رجبته (٥) البطن : مكان مطمئن حوله  
 أمكنة مرتفعة (٦) انخبت : الأرض المطمئنة (٧) جمع حف ، وهو رمل مشرف معوج  
 (٨) المنقل : المنعقد للتلبد من الرمل . ومعنى البيت : لما جاوزنا فناء الحى وصرنا إلى  
 أرض مطمئنة تحيط بها مرتفعات وتلال من الرمل الخ (٩) جذبت (١٠) جانبي رأسها  
 (١١) ضامرة الكشح ، وهو منقطع الأضلاع (١٢) المخللخ : موضع الخلخال من الساق ،  
 ورياً المخللخ : معناها هنا : كثيرة لحم الساقين تمثلتهما ، ومعنى البيت : « أنه جذب اليه  
 ذؤابتيها فالت اليه » ثم أخذ في وصفها فقال : « إنها ضامرة الكشح ، بملتئة الساقين »  
 (١٣) جبة القلب ، أى أصبت ما في نفسى (١٤) يشير إلى قصته مع حبيبته  
 (ابنة عمه عذينة) والنساء في دارة جلجل ، وقد ذكر تلك القصة في معلقته فقال :

ألا ربَّ يوم لك منهن صالح ولا سيما يوم بدارة جلجل الخ

وقد امتلأت بها كتب الأدب ، فلا حاجة إلى ذكرها هنا ، وارجع إلى ص ٦٥ و ٦٦ و  
 ٩٧ و ٩٨ و ١٤٠ و ١٤١ من هذا الجزء ليكمل لك حديث امرئ القيس

- جَلَّتْ عَظَمَتُهُ - حُورًا يَتَمَاقَلْنَ<sup>(١)</sup> فِي نَهْرٍ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ ، وَفِيهِنَّ مِنْ تَفْضُلُهُنَّ ، كَصَاحِبَةِ امْرِئِ الْقَيْسِ ، فَيَتَرَامَيْنَ بِالْتِّزَمِدِ - وَإِنَّمَا هُوَ كَأَجَلٍ طِيبِ الْجَنَّةِ - وَيَعْرِقُهُنَّ الرَّاحِلَةُ<sup>(٢)</sup> فَيَأْكُلُ وَيَأْكُلْنَ مِنْ بَضِيْعِهَا<sup>(٣)</sup> مَا لَيْسَ تَقَعُ الصَّفَةُ عَلَيْهِ مِنْ إِمْتِنَاعٍ وَلَذَاقَةٍ .

### جنة الرُّجَزِ

وَيَمُرُّ بِأَيَّاتٍ لَيْسَ لَهَا مُنْهَوٌّ<sup>(٤)</sup> أَيَّاتِ الْجَنَّةِ ، فَيَسْأَلُ عَنْهَا ، فَيُقَالُ : « هَذِهِ جَنَّةُ الرُّجَزِ »<sup>(٥)</sup> ، فَيَقُولُ : « تَبَارَكَ الْمَزِيْرُ الْوَهَّابُ ، لَقَدْ صَدَقَ الْحَدِيثُ الْمَرْوِيُّ : « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا » وَإِنَّ الرُّجَزَ لِمَنْ سَفْسَافَ الْقَرِيضِ<sup>(٦)</sup> قَصَرْتُمْ أَهْيَا التَّفَرُّقِ قَصْرَ بَكْمِ<sup>(٧)</sup> »  
وَيَعْرَضُ لَهُ رُؤْيَا فَيَقُولُ : « يَا أَبَا الْجُحَافِ ! مَا كَانَ أَكْثَفَكَ<sup>(٨)</sup> بِقَوَافٍ لَيْسَتْ بِالْمُحْجَبَةِ ، تَصْنَعُ رَجَزًا عَلَى النَّعِينِ ، وَرَجَزًا عَلَى الطَّاءِ ، وَعَلَى الظَّاءِ ، وَعَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْرُوفِ النَّافِرَةِ ، وَلَمْ تَكُنْ صَاحِبَ مِثْلِ مَذْكَورٍ ، وَلَا لَفْظٍ يُسْتَحْسَنُ<sup>(٩)</sup> » فَيَغْضَبُ رُؤْيَا<sup>(١٠)</sup> ، وَيَقُولُ : « أَلَيْ تَقُولُ هَذَا ؟ وَعَنَى أَخَذَ التَّحْلِيلُ

وقد أشار أبو العلاء الى هذه الحادثة في لزومياته ، في قوله :

أَيْنَ امْرُؤُ الْقَيْسِ وَالْمِزَارَى إِذْ مَالَ مِنْ تَحْتِهِ الْغَيْطُ ؟

- (١) يسبحن ويفطسن (٢) الراحلة : النجيب الصالح لأن يرحل من الإبل ، والقوى على الأسفار ، وهو يشير بذلك إلى قول امرئ القيس : « ويوم عقرت للمزاري مطبقى » (٣) لحما (٤) ارتفاع (٥) الرُّجَزُ : جمع راجز (٦) أرجع إلى (ص ١٤١ و ١٤٢) من هذا الجزء ليتضح لك رأى أبي العلاء في الرجز (٧) أى ما كان أشد حبك وولمك (٨) رؤْيَا بن العجاج (توفى سنة ١٤٥ هـ)

هو رؤْيَا بن عبد الله البصرى القيسى . كنيته أبو محمد ، (وأصل الرؤْيَا القطعة من

وَكَذَلِكَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ ، وَقَدْ غَبَرَتْ<sup>(١)</sup> فِي الدَّارِ السَّالِفَةِ تَفْخِيرُ بِالْفِظَةِ  
تَقَعُ إِلَيْكَ ، بِمَا تَقْلَهُ أُولَئِكَ عَنِّي وَعَنْ أَشْبَاهِي ؟ « فَإِذَا رَأَى مَا فِي رُؤْيَا مِنْ  
الْإِتِّخَاءِ<sup>(٢)</sup> قَالَ : « لَوْ شِئْتُ رَجَزْتُكَ وَرَجَزْتُ أَبِيكَ لَمْ تَخْرُجْ مِنْهُ قَصِيدَةً مُسْتَحْسَنَةً ،  
وَلَقَدْ كُنْتُ تَأْخُذُ جَوَازِ الْمُلُوكِ بِغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ ، وَإِنْ غَيْرَكَ أَوْلَى بِالْأَعْطِيَةِ  
وَالصَّلَاتِ « فَيَقُولُ رُؤْيَا : « أَلَيْسَ رَأَيْتُمْكُمْ فِي الْقَدِيمِ ، وَالَّذِي ضَهَلْتُ<sup>(٣)</sup>  
إِلَيْهِ الْمُتَقَائِسُ ، كَانَ يَسْتَشْهَدُ بِقَوْلِي وَيَجْعَلُنِي لَهُ كَالِإِمَامِ<sup>(٤)</sup> ؟ »  
فَيَقُولُ : « لَا فَعَرَلَكَ أَنْ اسْتَشْهَدَ بِكَلَامِكَ ، فَقَدْ وَجَدْنَاكَ يَسْتَشْهَدُونَ  
بِكَلَامِ أُمَةٍ وَكُمَاءِ<sup>(٥)</sup> ، وَكَمْ رَوَى النُّحَاةُ عَنْ طِفْلِ مَا لَهُ فِي الْأَدَبِ « فَيَقُولُ رُؤْيَا :  
« اجْتَنِبْ لِي خَصَامِنَا فِي هَذَا الْمَنْزِلِ ؟ فَأَمَضَ لِي طَيْبِكَ<sup>(٦)</sup> فَقَدْ أَخَذْتَ بِكَلَامِنَا  
مَا شَاءَ اللَّهُ ! » فَيَقُولُ : « أَقْسَمْتُ مَا يَصْلُحُ كَلَامُكُمْ لِلنَّشَاءِ ، تَصْكُونُ مَسَامِعَ  
الْمُتَمَدِّجِ بِالْجُنْدِلِ ، وَمَتَى خَرَجْتُمْ عَنْ صِفَةِ جَمَلٍ تَرْتَوُونَ لَهُ مِنْ طُولِ الْعَمَلِ ،  
إِلَى صِفَةِ فَرَسٍ أَوْ كَلْبٍ ، فَإِنَّكُمْ غَيْرُ الرَّاشِدِينَ ! » - فَيَقُولُ رُؤْيَا :  
« إِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - قَالَ « يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ<sup>(٧)</sup> فِيهَا  
وَلَا تَأْتِيهِمْ<sup>(٨)</sup> » وَإِنَّ كَلَامَكَ لَمِنْ اللَّغْوِ !

الخشب يشعب بها الإناء ) واسم أبيه العجاج ، اشتهر كما اشتهر أبوه من قبله بالرجز ، وستر  
بك ترجمة أبيه في ص ١٩١

- (١) مكثت أو ظلت (٢) التكبر والتعظيم (٣) ضهل إليه : رجع (٤) لعل المراد :  
الخليل بن أحد ، قد وضع مقاييس الشعر (٥) حقاء ، وقيل الوكلاء هي التي تسقط وجعا  
(٦) أي امض لبيتك التي اتويتها ، أو اذهب إلى الناحية التي كنت تقصدها وامض  
إلى سبيلك (٧) اللغو : ما لا يعتد به من الكلام ، أو القول الباطل الذي يصدر لا عن  
روية وفكر (٨) فعل ما لا يحل

فَإِذَا طَالَتْ الْمُخَاطَبَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رُؤْبَةٍ، سَمِعَ الْعَجَّاجَ<sup>(١)</sup>، فَجَاءَ يَسْأَلُ  
الْمُحَاجَزَةَ<sup>(٢)</sup>

## متاع الخلد

وَيَذْكُرُ الشَّيْخُ مَا كَانَ يَلْحَقُ أَخَا النَّدَامِ، مِنْ فُتُورٍ فِي الْجَسَدِ مِنْ  
النَّدَامِ، فَيَخْتَارُ أَنْ يَفْرِضَ لَهُ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْزَفَ<sup>(٣)</sup> لَهُ لُبٌّ  
فَإِذَا هُوَ يَخَالُ فِي الْعِظَامِ النَّاعِمَةِ دَيْبَ نَمْلٍ، أَسْرَى فِي الْمُتَمِيمَةِ عَلَى رَمْلٍ،  
فَيَتَرَنَّمُ يَقُولُ يَا سِنِ الْأَرْتِ:

أَحَاذِلُ: لَوْ شَرِبْتَ الْفَرَحَ حَتَّى يَظُلَّ لِكُلِّ أَعْمَلَةٍ دَيْبُ  
إِذَا لَعَذَرْتَنِي وَعَلِمْتَ أَنِّي - إِنَّا أَتَلَفْتُ مِنْ مَالِي - مُصِيبُ  
وَبَشِكِّي عَلَى مَفَرَشٍ مِنَ السُّنْدُسِ، وَيَأْمُرُ بِالْحُورِ الْعَيْنِ أَنْ يَحْمِلْنَ ذَلِكَ  
الْمَفَرَشَ فَيَضَعْنَهُ عَلَى سَرِيرٍ مِنْ سُرُرِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّمَا هُوَ زَبْرَجْدٌ أَوْ عَسْبَجْدٌ  
فَيَكُونُ الْبَارِي فِيهِ حَلَقًا مِنَ الذَّهَبِ تُطِيفُ<sup>(٤)</sup> بِهِ مِنْ كُلِّ الْأَشْرَاهِ<sup>(٥)</sup>، حَتَّى  
يَأْخُذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْعِلْمَانِ، وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنَ الْجَوَارِي الْمُشْتَبِهَةِ بِالْجَمَانِ<sup>(٦)</sup>،  
وَاحِدَةً مِنْ تِلْكَ الْخَلْقِ. فَيَحْمِلُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ إِلَى مَحَلِّ الْمُسَيِّدِ بِدَارِ الْخُلُودِ  
فَكُلَّمَا مَرَّ بِشَجَرَةٍ لَضَخْتَهُ<sup>(٧)</sup> أَغْصَانُهَا بِمَا هُوَ الْوَرْدُ قَدْ خُلِطَ بِمَا هُوَ الْكَافُورُ

(١) العجّاج (توفي سنة ٩٠ هـ)

هو عبد الله بن رؤبة. كنيته أبو الشعثاء. وهو أبو رؤبة الجازي المشهور وقد مرت ترجمته  
في ص ١٨٩، وكلاهما نال درجة رفيعة وشهرة واسعة في الرجز، وقد ترك كل منهما ديواناً  
ليس فيه إلا أراجيز (٢) اللسالة (٣) من غير أن يذهب له عقل (٤) تحيط به  
(٥) الأنحاء، مفردا شري (٦) اللؤلؤ (٧) رشتة، كنضخته

وَبِعَيْنِكَ مَا جُنِيَ مِنْ دِمَائِهِ الْقُورِ<sup>(١)</sup> ، بَلْ هُوَ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ الْكَرِيمِ .

\* \*

وَتُنَادِيهِ الثَّمَرَاتُ مِنْ شَجَلٍ أَوْبٍ ، وَهُوَ مُسْتَلْقٍ عَلَى الظَّهْرِ : « هَلْ لَكَ يَا أَبَا الْحَسَنِ هَلْ لَكَ ؟ » فَإِذَا أَرَادَ غُنْقُودًا مِنْ الْعِنَبِ أَوْ غَيْرِهِ ، انْقَضَبَ<sup>(٢)</sup> مِنَ الشَّجَرَةِ بِعَشِيئَةِ اللَّهِ ، وَحَمَلَتْهُ الْقُدْرَةُ إِلَى فِيهِ ، وَأَهْلُ الْجَنَّةِ يَلْقَوْنَهُ بِأَصْنَافِ الثَّجِيجَةِ . وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ।

﴿ تمت رواية الغفران ﴾

وانتهى الجزء الثانى

(١) القور : الطباء ( جمع فائر ) ومن دملها يخرج المسك ، قال المتنبي :

فَإِنْ تَفَقَّ الْأَنَامُ - وَأَنْتَ مِنْهُمْ - فَإِنَّ الْمَسْكَ بَعْضُ دَمِ الْفَرَازِ

(٢) انقطع



## الجزء الثالث

القسم الثاني من الرسالة  
الرد على رسالة ابن القارح



## القسم الثاني

الرد على رسالة ابن القارح<sup>(١)</sup>

قال أبو العلاء :

« وقد أطلت في هذا الفصل<sup>(٢)</sup> ، ونعود الآن إلى الإجابة على الرسالة »

### وفاء ابن القارح

فَهَمْتُ قَوْلَهُ : « جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاؤُهُ » لَا يَذْهَبُ بِهِ إِلَى التَّفَاقُحِ<sup>(٣)</sup> — وَبَعْدَ  
ابْنِ آدَمَ مِنَ الْوَفَاقِ — وَهَذِهِ غَرِيزَةٌ خُصَّ بِهَا الشَّيْخُ دُونِ غَيْرِهِ ، وَلَعَايَشَ  
الْعَالَمُ بِمُخْدَاجٍ ، وَأَصْحَوْا مِنَ الْكَذِبِ فِي إِبْدَاعِ<sup>(٤)</sup> .

### شيرين وكسرى

لَوْ قَالَتْ شِيرِينُ الْمَلِكَةُ لِكَسْرَى : « جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاؤُكَ » لَخَالَبَتْهُ فِي ذَلِكَ  
وَنَاقَشَتْهُ ، وَإِنْ رَاقَتْهُ وَوَافَقَتْهُ ، عَلَى أَنَّهُ أَخَذَهَا مِنْ حَالِ ذَنْبَةٍ ، فَجَعَلَهَا فِي  
النُّعْمَى السَّيِّئَةِ ، وَعَتَبَهُ فِي ذَلِكَ الْأَحْيَاءُ ، وَجَرَتْ لَهُمْ فِي ذَلِكَ قِصَصٌ وَأَنْبَاءُ ،  
وَقِيلَ لَهُ — فِيمَا ذُكِرَ — : « كَيْفَ تَطْيِبُ نَفْسُ الْمَلِكِ لِهَذِهِ الْمُؤْمِسِ ؟ »

---

(١) هي رسالة ابن القارح المنشورة بالجزء الأول من هذا الكتاب (٢) أى القسم  
الذى وصف فيه الجنة والنار ، وهو الجزء الثانى من هذا الكتاب (٣) يعنى أن ابن القارح  
قال هذا الكلام مخلصاً فيه غير منافق (٤) أى فى اقتنان ، وقد امتلأ شعر أبى العلاء  
ونثره بهذا المعنى وأشابهه ، ومن أدق ما قاله فى ذلك قوله فى لزومياته :

مين يردد ، لم يرضوا بباطله حتى أبالوا - الى تصديقه - طرقا .

فَضَرَبَ لَهُمُ الْمَثَلَ بِالنَّدَجِ : جَعَلَ فِي الْإِنَاءِ الشَّعَرَ وَالذَّمَّ ، وَقَالَ لِلْحَاضِرِ :  
« تُجِيبُ نَفْسَكَ لِشُرْبِ مَا فِيهِ ؟ » فَقَالَ : « إِنَّهَا لَا تَطِيبُ ، وَهِيَ  
بِالْإِنْجَاسِ قَطِيبٌ »<sup>(١)</sup> . فَأَرَادَ ذَلِكَ الشَّيْءَ وَغَسَلَهُ ، وَهَذَّبَ وَهَاءَهُ ،  
وَجَعَلَ فِيهِ — مِنْ بَعْدُ — مُدَامًا ، وَعَرَضَهَا عَلَى النَّدَامَى ، فَكُلُّهُمْ بِهِشَ<sup>(٢)</sup>  
أَنْ يَشْرَبَ . فَقَالَ : « هَذَا مِثْلُ شِيرِينَ »

### غريزة النفاق

كَمْ مِنْ شَيْئٍ نَافَقَ أَسَدًا ، وَأَضْمَرَ لَهُ غِيلاً وَحَسَدًا ، وَصَيَّغَ نَقَمَ عَلَى  
فُرْهُودٍ ، وَوَدَّ لَوْ دَفَنَهُ بِالْوُهُودِ .

( وَالْفُرْهُودُ وَلَدُ الْأَسَدِ ، وَهُوَ — آتَى اللَّهُ الْإِنْفِلِيمَ بِقُرْبِهِ — أَجَلَ  
مِنْ أَنْ يُشْرَحَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا أَفْرَقُ مِنْ وَقُوعِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ فِي يَدِ  
عُلَامٍ مُتَرَعِّجٍ<sup>(٣)</sup> ، لَيْسَ لِي إِلَى الْفَهْمِ بِمُتَسَرِّعٍ ، فَتَسْتَعِجِ عَلَيْهِ اللَّفْظَةُ ،  
فَيَظَلَّ مَعَهَا فِي مِثْلِ الْقَيْدِ ) .

وَكَمْ خَالَتِ الذَّنَابُ السَّلَقُ<sup>(٤)</sup> ، وَفِي الضَّمَائِرِ تُكْنُ الْفِلَقُ<sup>(٥)</sup> !  
يَقُولُ الْقَائِلُ : « يَا بِي أَنْتَ ، جَادَ عَمَلُكَ وَأَتَقَنْتَ ! » وَلَوْ قَدَّرَ لَبَتَّ  
الْوَدَجُ<sup>(٦)</sup> ، وَإِنَّمَا جَامِلٌ أَوْ سَدَجٌ<sup>(٧)</sup> !

(١) ممزوجة (٢) ارتاح له وخف إليه (٣) ناشئ (٤) الإناث من الذناب  
(جمع سِلَقَة) (٥) الدوامي (٦) عرق الأخدع الذي يقطعه النابج فلا يبقى معه حياة  
(٧) كذب وتقول الأباطيل ، ونحو من هذا المعنى قول أبي العلاء في لزومياته :  
إذا جالس الأقوام بالحق ، أصبحوا أعداء ، فكل الأصفياء على خب

وَلَعَلَّ بَعْضَ الْعَتَارِفِ<sup>(١)</sup> يَلْفِظُ إِلَى الْبَائِضَةِ حَبَّةَ الْبُرِّ، وَيَأْنَسُ بِهَا، وَفِي قُوَادِهِ مِنَ الضُّعْفِ أَعْجِيبٌ !

\* \*

وَكَيْفَ يَقُولُ الْخَلِيلُ الْمُخْلِصُ : إِنَّ حَيْنَهُ حَيْنُ وَالِهِ مِنَ الثُّقَى . وَهِيَ الذَّاهِلَةُ إِنْ حُمِلَ عَلَيْهَا بَعْضُ الْوُسُوقِ ، وَإِنَّمَا تَسْجَعُ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا ، ثُمَّ يَكُونُ سُؤْهَا مُتَبَعًا . فَأَمَّا الْحَمَامَةُ الْهَائِفَةُ ، فَقَدْ رَزَقَهَا الْبَارِئُ صَيْتًا شَائِمًا ، فَظَلَّ وَصْفُهَا بِالْأَسَفِ دَائِمًا ، تَنْهَضُ إِلَى النِّقَاطِ حَبٍّ ، وَتَعُودُ إِلَى جَوَزِهَا<sup>(٢)</sup> ذَاتَ أَبٍ<sup>(٣)</sup> ، فَإِنْ هِيَ صَادَقَتْهُ أَكِيلَ بَارٍ ، فَمَا هِيَ إِلَّا مِثْلُ الْحَيَوَانِ ، تَمَلُّ حَالَهَا فِي أَقْصَرِ أَوَانٍ<sup>(٤)</sup> وَقَدْ زَعَمَ زَائِعٌ — لَا يُصَدِّقُ — أَنَّ الْحَمَائِمَ فِي هَذَا الْمَصْرِ يَبْكِينَ مُقْعَدًا هَلَكًا فِي عَهْدِ نُوحٍ ، وَإِنَّ دَوَامَهَا عَلَى ذَلِكَ لَدَلِيلُ الْوَفَاءِ<sup>(٥)</sup> ،

وقوله : يلقاك بالماء النخير الغنى وفي ضمير النفس نار تقدا

- (١) جمع عتروف أو عتريف ، وهو الخبيث الفاجر الجريء . والبائضة : السجاجة  
(٢) فرخها (٣) كلاً (٤) كرر أبو العلاء هذا المعنى بصورة شتى في لزومياته .  
فمن ذلك قوله عن الظبي :

عجبت للظبي ، بانت عنه صاحبة لاقت جنود منابا لا تناخبا  
فارتاع يوما ، وبوما ، ثم ثالثة ومال بمد إلى أخرى يواخبا  
ما شد صرف زمان عقدة لأذى إلا ومر لياليه براخبا  
(٥) أشار أبو العلاء إلى هذا المعنى في كتابه سقط الزند بقوله :

أبنات الهديل أسعدن أو عد ن قليل العزاء بالإعداد  
إيه لله دركن فأتتن اللواتي تحسن حفظ الوداد  
ما نسيتهن هالكا في الأوان ال خالٍ أودى من قبل هلك إياد

وَمَا الْيَعْوِضُ عَنْ خَلِيلِ الصَّفَاءِ ؟ لَا يَعْوِضَ وَلَا نَائِبَ إِلَّا فِيهِ ، وَكَيْفَ يُعْتَبَرُ  
الزَّمَنُ عَلَى تَجَاوُزِهِ ، وَإِنَّمَا حُشِيَ بِشَرٍّ وَغَدِيرٍ . وَمَا أَقَلَّ صِدْقَ الْإِلَافِ ، وَلَوْ  
يَعْمُوا مِنَ الذَّهَبِ بِالْآلَافِ !

### المعري يتبرأ من العلم

وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ مِنْ حَالِي ، فَطَالَمَا أُعْطِيَ الْوَتْنُ سُعُودًا<sup>(١)</sup> ، وَأُخْلِفَ كَيْمِينَ  
أَمْرِي الْقَيْسِ :

« فَقُلْتُ : يَمِينَ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي »  
إِنِّي لَمَكْذُوبٌ عَلَيْهِ ، كَمَا كَذَبَتِ الْعَرَبُ عَلَى الْغُولِ . وَكَمَا تَقَوَّلَتْ  
الْأَمْثَالُ السَّائِرَةَ عَلَى الضَّبِّ ، وَكَمَا تَكَلَّمَتْ عَلَى لِسَانِ الضَّبِّ وَهِيَ خَرَسَاءُ .  
يُظَنُّ أَنِّي مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ<sup>(٢)</sup> ، وَمَا أَنَا لَهُ بِالصَّاحِبِ ، وَتِلْكَ لَعْمَرِي بَيْلِيَّةٌ ،

(١) الوتن : الصنم ، ومما نختاره من لزومياته ، في هذا المعنى ، قوله :

وبالجد زار اللات أهل ضلالة وعظمت العزى ، وأكرم باجر

وهي أسماء أصنام ثلاثة أولها الثقيف وكان بالطائف ، وثانيها لقريش وكنانة ، وثالثها  
لقضاة ومن والاهم

(٢) تبرأ أبو العلا في مواضع كثيرة من لزومياته ، من مظنة العلم ، ومن أحسن  
ما نختاره له في هذا المعنى قوله :

أقررت بالجهل ، وادعى فهمي قوم ، فأمرى وأمرهم عجب  
والحق ، أنى وأنهم هدر لست نجيياً ، ولا هم نجب

وقوله :

الله يشهد أنى جاهل ورع فليحضر الناس إقرارى وإشهادى  
« ورع : جبان »

وَالْعُلُومُ تَفْتَقِرُ إِلَى مِرَاسٍ<sup>(١)</sup> ! وَيُقَالُ : إِنِّي مِنْ أَهْلِ الدِّينِ ، وَلَوْ ظَهَرَ مَا وَرَاءَ  
السِّدِّينِ ، مَا اقْتَنَعَ لِيَ الْوَاصِفِ بِسَبِّ .  
وَكَيْفَ يُدْعَى لِلْعَلِيجِ الْوَحْشِيِّ ، أَنْ تَفْرِيدَهُ فِي السَّحْرِ أَشْعَارُ مَوْزُونَةٌ ؟  
وَهَلْ يُصَوِّرُ لِعَاقِلٍ أَنَّ الْغُرَابَ النَّاعِبَ صَدَحَ بِتَشْبِيبٍ ؟ فَبَعْدَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ  
الْحَجَرَ مُتَكَلِّمٌ ، وَأَنَّهُ عِنْدَ الضَّرْبِ مُتَنَلِّمٌ !  
وَلَوْ أَنِّي لَا أَشْعُرُ بِمَا يُقَالُ فِي ، لَأَرَحْتُ مِنْ إِنْكَارِي وَتَنَافِي ، وَكُنْتُ  
كَالْوَشْنِ سِوَاهُ عَلَيْهِ أَنْ يُقَرَّ<sup>(٢)</sup> وَأَنْ أُوقَرَّ<sup>(٣)</sup> ، وَكَأَلَا زُضِ السَّبْعَةِ مَا تَحْفِلُ  
أَنْ قِيلَ : « هِيَ مَرِيعةٌ » ، أَوْ قِيلَ : « بِنْتُ الزَّرِيعةِ<sup>(٤)</sup> » .

(١) ممارسة وشدة (٢) من الوقار (٣) صدع (٤) من أحسن ما تختاره لأبي العلاء  
في هذا المعنى قوله :

ما يحس التراب ثقلاً — إذا دى س — ولا للماء يعيب الجريان  
وقوله :

أما الجداد ، فاني بت أغبطه إذ ليس يسلم إما زاد أو محققا  
لا يشعر العود بالنار التي أخذت فيه ، ولا الأصهب الباري إذا سحقا  
وقوله :

عز الذي أعنى الجداد فأتري حجراً ينص بما كل أو يشرق  
متعرياً في صيفه وشتائه ما ربيع قط للملبس يتخرق  
لا حس يؤله ، فيظهر مجزعا إن راح يضرب ملطس أو مطرق  
إلى أن يقول :

والصخر يلبث لا يقارف مرة ذنبا ، ولا هو من حياء مطرق  
ولعل هذه الميزة التي ذكرها للجداد في هذا البيت الأخير ، هي التي جعلته يقول :  
أفضل من أفضلهم صخرة لا تظلم الناس ولا تكذب

وَكَيْفَ أَغْطِطُ إِذَا تُخَرِّصَ عَلَيَّ ، وَغُرِيتِ الْمَعْرِفَةُ إِلَيَّ ، وَلَسْتُ أَمِينًا  
 فِي الْمَاقِبَةِ فَضِيحَةً ، وَمَثَلِي — إِنْ جَذِلْتُ بِذَلِكَ — مَثَلُ مَنْ أَتَاهُمْ بِمَالٍ ، فَسَرَّهُ  
 قَوْلُ الْجَهْلَةِ إِنَّهُ لَخَافُ الْيَسَارِ ، فَطَلَبَ مِنْهُ بَعْضُ السَّلَاطِينِ أَنْ يَحْمِلَ إِلَيْهِ جُمْلَةً  
 وَافِرَةً ، فَصَادَفَ الْكَذُوبَةَ زَافِرَةً<sup>(١)</sup> ، وَضَرَبَهُ كَتَى يُقَرَّرُ ، وَقُتِلَ فِي الْمُقُوبَةِ ۖ  
 وَقَدْ شَهِدَ اللَّهُ أَنِّي أَجْذَلُ بِمَنْ عَابَنِي ، لِأَنَّهُ صَدَقَ فِيمَا رَأَيْتَنِي ، وَأَهَمُّ لِسَنَانِهِ  
 مَكْذُوبٌ<sup>(٢)</sup> ، فَغَفَرَ اللَّهُ لِمَنْ ظَنَّ حَسَنًا بِالْمُسِيءِ . وَلَوْ لَا كَرَاهَتِي حُضُورًا بَيْنَ  
 النَّاسِ ، وَإِثَارِي أَنْ أَمُوتَ مَيِّتَةً عَلَيْهِ<sup>(٣)</sup> فِي كِنَاسٍ<sup>(٤)</sup> ، فَاجْتَمَعَ مَعِيَ أَوْلِيكَ

(١) كبيرة (٢) يهتم له : يحزن ، وبما نختاره لأبي العلاء في هذا المعنى قوله في لزومياته :  
 وأزهد في مدح الفتى عند صدقه فكيف قبولي كاذبات المدائح ؟  
 وقوله :

إِذَا كَانَ التَّقَارُضُ مِنْ مَحَالٍ فَأَحْسَنُ مِنْ مَدَائِحِنَا التَّهَاجِي  
 (٣) الملب : الظبي (٤) الكناس : بيت الظبي في الشجر يستتر فيه  
 العزلة

وإِثَارِ أَبِي الْعَلَاءِ الْعِزْلَةَ مَعْرُوفٌ بَلْ هُوَ مِنْ أَزْمِ صِفَاتِهِ ، وَحَسْبُكَ دَلِيلًا عَلَى ذَلِكَ ،  
 مَا لَقِبَ بِهِ نَفْسُهُ مِنْ أَنَّهُ « رَهْنُ الْحَبْسِينَ » وَالْإِفَاضَةُ فِي الْإِسْتِشْهَادِ بِمَا قَالَهُ فِي التَّرْغِيبِ فِي  
 الْعِزْلَةِ وَالْحَثِّ عَلَيْهَا ، إِطَالَةٌ لَا فَائِدَةَ مِنْهَا ، فَلَنُكْتَفِ مِنْ ذَلِكَ بِنَجْدَةٍ قَلِيلَةٍ مِنْ شِعْرِهِ فِي بَيَانِ  
 فَضْلِهَا عِنْدَهُ ، كَقَوْلِهِ :

بَعْدَى عَنِ النَّاسِ خَيْرٌ مِنْ لِقَائِهِمْ وَقَرِيبُهُمْ لِلْحَجَى وَالِدِينِ أَدْوَاهُ  
 كَالْبَيْتِ أَفْرَدَ ، لَا إِطَاءَ يَدْخُلُهُ وَلَا سَنَادَ ، وَلَا فِي اللَّفْظِ إِقْوَاهُ

وقوله متضرعاً من التكاليف الثقيلة التي يحتملها عليه الاختلاط بالناس :

لِقَاءُ النَّاسِ أَلْجَأُنِي بِرَغْمِي إِلَى حَسَنِ التَّجَمُّلِ وَالتَّفَاقُ



الْجَائِلُونَ ، لَصَحَّ أَنَّهُمْ عَنِ الرَّشْدِ حَائِلُونَ .

ونحب ألا يفوت القارئ جمال هذا البيت الرائع وهو قوله :

متى ما يأتني أجلى بأرضي فحي على الجنازة للغريب  
وقوله معللاً ميله الى العزلة وأخذه بها :

ولى مذهب - فى هجرى الأنس - نافع  
أرانا على الساعات فرسان غارة  
ومما يزيد العيش إخلاق ملبس  
إذا القوم خاضوا فى اختيار المذاهب  
وهن بنا يجرين جرى السلاهب  
تأسف نفس لم تطق رد ذاهب  
وقوله :

اجتنب الناس ، وعش واحداً  
لا تظلم الناس ولا تظلم  
وقوله :

تمنيت أنى بين روض ومنهل  
مع الوحش ، لا مصراً أحل ولا كفراً  
وقوله :

يُقل الأذى والعيب فى ساحة الفنى  
- وإن هو أكدى - قلة الجلساء  
وقوله :

بوحداينة العلام دناً  
وقوله يؤثر العزلة - حتى بعد الموت - :

إذا حان يومى فلأوسد بموضع  
من الأرض لم يحفر به أحد قبراً  
هم الناس - إن جازاهم الله بالذى  
توخوه - لم يرحم جهولاً ، ولا حبراً  
يرى عتقاً فى قرب حى وميت  
من الإنس من جلى سرارهم خبراً  
فيا ليتنى لا أشهد الحشر فيهم  
إذا بعثوا شعباً ردوسهم غبراً  
إذا تم فيما تؤنس المين مضجى  
فزدنى - هداك الله - من سمة شبراً  
وقوله :

وددت وفاتى فى مـ به لاعم ليس بالمعلم  
(٢٢٦)

وَأَمَّا وَرُودُهُ «حَلَبَ» - حَرَمَهَا اللَّهُ - فَلَوْ كَانَتْ تَعْلَقُ ، لَفَرِحَتْ بِهِ  
فَرَحَ السَّمْطَاءِ ، شَحَطَ سَلِيلِهَا الْوَاحِدُ - وَمَا هُوَ لِحَقِّهَا جَاحِدٌ - وَقَدِمَ بَعْدَ  
أَعْوَامٍ ، فَبَقَعَتْ بِهِ فَرَطُ أَوَامٍ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحَادَ الْبَارِقَ إِلَى النِّعَامِ الْوَسْمِيِّ .

### الانتحار

وَلَمَّا لَأَعْجَبُ مِنْ تَمَائِيْ جَمَاعَةٍ ، عَلَى أَمْرِ لَيْسَ بِالْحَسَنِ وَلَا الطَّاعَةِ . قَدْ  
كَدَتْ أَلْحَقَ بِرَهْطِ الْعَدَمِ ، مِنْ غَيْرِ الْأَسْفِ وَلَا النَّدَمِ ، وَلَيْكُمَا أَرْهَبُ  
قُدُورِي عَلَى الْجَبَّارِ ، وَلَمْ أَصْلِحْ نَخْلِي بِإِبَارِ ، وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : « إِنْ  
فَلَانًا تَلَطَّفَ حَتَّى قَتَلَ نَفْسَهُ ، وَكَرِهَ أَنْ يُكَارِسَ بَدَائِعَ الشَّرُّورِ ، وَأَحَبَّ الثَّقَلَةَ  
إِلَى مَنَازِلِ الشَّرُّورِ » فَقَالَ الْحَكِيمُ قَوْلًا مَعْنَاهُ : « أَخْطَأَ ذَلِكَ الشَّابُّ الْمُتَقَبِّلُ ،  
هَلَا صَبَرَ عَلَى صُرُوفِ الزَّمَانِ ، فَإِنَّهُ لَا يَشْعُرُ عَلامَ يَقْدُمُ »

وَلَوْ لَا حِكْمَةُ اللَّهِ - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ - وَأَنَّهُ حَجَرَ الرَّجُلَ عَنِ الْمَوْتِ ،  
بِالْخَوْفِ مِنَ الْعَلَزِ<sup>(١)</sup> وَالْقَوَتِ<sup>(٢)</sup> لَرَغِبَ كُلُّ مَنْ احْتَدَمَ غَضَبُهُ ، وَكَلَّ عَنْ  
ضَرِيئَةٍ مِقْضِيئِهِ ، أَنْ تُتَرَعَّ<sup>(٣)</sup> لَهُ مِنَ الْمَوْتِ كَوْثُوسُ<sup>(٤)</sup>

(١) أموت به وأحدًا مفردًا وأدفن في الأرض لم تظلم<sup>(١)</sup>

وأبعد عن قاتل : « لاسلت » وآخر قال : « ألا يا اسلم ! »

أحاذر أن تجعلوا مضجعي إلى كافر - خان - أو مسلم

إذا قال : « ضايقتني في المحل » قلت : « أسأوا ولم أعلم »

(١) الاضطراب والمهلع (٢) الضياع (٣) تملأ (٤) أيدع أبو العلاء في

صوغ هذا المعنى في قوله :

## أبو القطران الأسدي

وَأَمَّا أَبُو الْقَطِرَانِ الْأَسَدِيُّ - وَآئِي الْبَشَرِ مِنَ الْخُطُوبِ مَقْدِيٌّ -  
فَصَاحِبُ غَزَلٍ وَتَبْطُلٍ، وَتَوْفُرٍ عَلَى الْخُرْدِ وَتَعْمَلٍ<sup>(١)</sup>، وَهُوَ ذَلِكَ الْمُسْتَهِيمُ إِلَى  
«وَحْشِيَّة»، وَإِنَّمَا وَدُّ الْعَايِنَةَ خِلَابٌ وَخِدَاعٌ، وَلِلْكَامِدِ فِي هَوَاهُ ابْتِدَاعٌ، وَلَوْ  
هَلَكَتْ تِلْكَ الْمَرْأَةُ وَالْمَرَارُ<sup>(٢)</sup> يَمِيشُ - لَمَدَّ أَنَّهُ يَتَلَفِّهًا لِمَيْشٍ، لَا سِيَّمَا  
بَعْدَ السَّنِّ الْعَايِنَةِ، وَفُؤَادِ النَّفْسِ الْآلِيَةِ<sup>(٣)</sup>

وَلَعَلَّ «أَبَا الْقَطِرَانِ» لَوْ مُتَّعَ بِهَذِهِ الْمَذْكُورَةِ مَا يَكُونُ قَدْرُهُ مِائَةَ  
حِقْبَةٍ<sup>(٤)</sup>، عَلَى غَيْرِ الْجَزَعِ وَالرَّقْبَةِ، لَجَازَ أَنْ يَفْرَضَ مِنَ الْوَصَالِ - إِذَا عَلِمَ أَنَّ  
حَبْلَهُ فِي الْوَصَالِ، وَلَوْ نَزَلَ بِهَا شَيْءٌ تَتَغَيَّرُ بِهِ عَنِ الْعَهْدِ، لَسَمَّى أَنْ تُقْذَفَ إِلَى  
غَيْرِ الْمَهْدِ<sup>(٥)</sup>، لِأَنَّ ابْنَ آدَمَ يُخِيلُ مَلُولٌ، وَلَوْ أَصَابَهَا الْعَوْرُ، بَعْدَ أَنْ سَكَنَ  
عَيْنَهَا الْحَوْرُ، لَظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ تَبَأٌ لَا يُفْقَرُ وَلَا يُكْفَرُ

وَمِنْ أَيْنَ لِدَلِكَ الشَّخْصِ الْأَسَدِيِّ مَا وَهَبَهُ اللَّهُ لِلشَّيْخِ مِنْ وَفَاهٍ، وَإِنَّمَا  
عَاشَرَ «أَبُو الْقَطِرَانِ» أَغْبَدًا فِي الْإِبِلِ وَآمِيًا، وَلَعَلَّهُ لَوْ صَادَفَ عَايِنَةً تَزِيدُ  
عَلَى «وَحْشِيَّة» بِشَقِّ الْأَبْلَةِ<sup>(٦)</sup>، لَسَالَهَا غَيْرَ الْمُؤَلِّتَةِ<sup>(٧)</sup>، وَإِنَّمَا دَبْدَنُ ذَلِكَ

لَوْلَمْ تَكُنْ طَرُقَ هَذَا اللَّوْثِ مَوْحِشَةً غَشِيَةً، لَاعْتَرَاهَا الْقَوْمُ أَفْوَاجًا  
وَكَانَ مِنْ أَلْقَتِ الدُّنْيَا إِلَيْهِ أَذَى يُوْثِمُهَا تَارِكًا لِلْعَيْشِ أُمُوجًا

- (١) التَّبْطُلُ والتَّعْمَلُ بمعنى واحد وهو البقاء بشيءٍ عملٍ، وقد قيل: «شر الفتيان المتبطل المتعطل» (٢) هو أبو القطران، والتَّمِيشُ: الحُمُولُ عَلَى النَّعْشِ (٣) غير المستطبعة (٤) سنة (٥) إلى غير الراحة، أى لَتَمْنَى أَنْ تُضَيِّقَ بِهَا الْحَالِ (٦) الأبلَةُ بَقْلَةٌ، وَشَقُّ الْأَبْلَةِ أى نَصْفُهَا (٧) من غير أن تُوْلَهُ

الرَّجُلَ وَنُظْرَانِهِ صِفَةُ نَاقَةٍ أَوْ رَنْجٍ ، وَمَا شَجَرُهُ الْمُشْتَرَسُ بِالنَّبْعِ <sup>(١)</sup> ، إِذَا جَنَى  
الْكُمَاةَ يَجَحَّ ، وَخَالَ أَنَّهُ قَدْ يَجَحَّ | وَلَوْ حَضَرَ أُخُونَةً حَضَرَهَا « الشَّيْخُ » لَعَادَ  
كَمَا قَالَ الْقَائِلُ :

فَلَوْ كُنْتُ عُذْرِيَّ الْعَلَاقَةَ ، لَمْ تَبْتَ بَطِينًا ، وَأَنْسَاكَ الْهُوَى كَثْرَةَ الْأَشْكِ |  
وَهُوَ — قَدَّرَ اللَّهُ لَهُ مَا أَحَبَّ — قَدْ جَالَسَ مُلُوكَ مِصْرَ الَّتِي قَالَ فِيهَا  
فِرْعَوْنُ : « أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ، أَفَلَا  
تُبْصِرُونَ ؟ » وَقَدْ أَقَامَ بِالْعِرَاقِ زَمَانًا طَوِيلًا ، وَبِالْعِرَاقِ بَمُلْكَةِ فَارِسَ ، وَهُمْ  
أَهْلُ الشَّرَفِ وَالظَّرْفِ ، وَلَا رَيْبَ أَنَّهُ قَدْ جَالَسَ بِقَايَاهُمْ ، وَاخْتَبَرَ فِي الْمُعَاشَرَةِ  
سَعَايَاهُمْ ، وَعَاطَلُوهُ الْأَكْوَاسَ الْآتِ التَّصَاوِيرِ ، عَلَى عَادِ <sup>(٢)</sup> الْمَرَاذِيَةِ وَالْأَسَاوِيرِ ،  
كَمَا قَالَ الْحَكَمِيُّ <sup>(٣)</sup> :

تَدَوَّرُ عَلَيْنَا الْكَأْسُ فِي عَسَجْدِيَّةٍ حَبَّتْهَا بِأَنْوَاعِ التَّصَاوِيرِ فَارِسُ  
قَرَارَتِهَا كِسْرَى ، وَفِي جَنْبَاتِهَا مَعَى تَدْرِيبِهَا بِالْقَيْسِ الْفَوَارِسِ <sup>(٤)</sup>

(١) النبع شجر تعمل منه القسي ، وفي ذلك يقول أبو العلاء في سقط الزند :

وقال « الوليد » : النبع ليس بثمر وأخطأ ، سرب الوحش من ثمر النبع |  
يعنى بالوليد البحتري ، ويرد على قوله :

وعيرتنى خلال المدم آونة والنبع عريان ، مافى عوده ثرا |

(٢) عادات (٣) هو أبو نواس ، وقد مرت ترجمته في الجزء الثاني ( ص ١٠ )

(٤) هذان البيتان من قصيدة أبي نواس السينية الرائعة المشهورة وهى :

ودار ندامى عطلوها وأدلجوا ، بها أثر منهم — جديد ودارس  
مساحب من جر الزقاق على الثرى وأضغاث ريحان جنى وياس  
حبست بها صحبي ، فجددت عهدى وإنى — على أمثال تلك — لحابس

## التفصيل

وَمَا أَشْكُ أَنَّهُ - أَمْتَعَ اللَّهُ الْآذَابَ بِبَقَائِهِ - لَوْ رُزِقَ مُحَاوَرَةً أَبِي الْأَسْوَدِ - عَلَى عَرَجِهِ وَبُخْلِهِ - لَكَانَتْ مَقْتُهُ لَهُ أَبْلَغَ مِنْ مِقَّةٍ مَهْدَى لَيْلَاهُ. وَلَوْ كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَذْفَرَ الْقَمَرِ، لَمَا أَمِنْتُ مَعَ كَلْفِهِ<sup>(١)</sup> بِالْأَخْبَارِ، أَنْ يُقْبَلَهُ شَقُّ الْبَلَسَةِ<sup>(٢)</sup>، وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ عَائِشَةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا: - «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُقْبَلُنِي شَقَّ الثَّنِيَّةِ» وَرَوَى بَعْضُهُمْ: «شَقَّ الثَّمَرَةِ» وَذَلِكَ أَنْ يَأْخُذَ الشَّقَّةَ الْعُلْيَا بِيَدِهِ، وَالسُّفْلَى بِيَدِهِ الْأُخْرَى، وَيُقْبَلُ مَا بَيْنَ الشَّفَتَيْنِ ۖ

## فضل الموت

وَأَمَّا مَنْ فَقَدَهُ مِنَ الْأَصْدِقَاءِ لَمَّا دَخَلَ حَلَبَ - حَرَسَهَا اللَّهُ - فَتِلْكَ عَادَةُ الزَّمَنِ، يُدِلُّ مِنَ الْآيَاتِ الْمَسْكُونَةِ قُبُورًا، وَإِنْ رَمَسَ الْهَالِكِ لَبِثَتْ الْحَقُّ، عَلَى أَنَّهُ يُنْفَى الثَّأْوَى بِهِ بِمَدَّةٍ عَدَمٍ، وَيَكْفِيهِ الْمَوْتُ<sup>(٣)</sup>. قَالَ الضَّبِّيُّ :

ولم أدر منهم غير ما شهدت به      بشرق «ساباط» الديار البساس  
أفنا بها يوما ، ويومين بعده ،      ويوما - له يوم الترحل خامس  
تدور علينا الكأس في عسجدية      حبثها - بأنواع التصاوير - فارس  
قوارتها كسرى ، وفي جنباتها      مهي تدريها بالقسي الفوارس  
فللخمر ما زرت عليه جيوبها      وللماء ما دارت عليه القلائس

(١) شدة حبه      (٢) الثينة      (٣) يحسن أن نلمع هنا إلى رأى أبي العلاء في

الموت ، فنقول :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ قَصْرِي حُفْرَةٌ مَا بَعْدَهَا خَوْفٌ عَلَيَّ وَلَا نَدَمٌ

هذه هي أكبر ميزة للموت ، عند أبي العلاء ، وهي التي حبيته فيه ، وربما كان أول ما يسترعى انتباهك في شعره ، تشاؤمه ، ونظراته إلى العالم بمنظار شديد السواد ، ثم سخطه على الدنيا ، وتبرمه بالحياة التي دفسته إليها المقادير برغمه ، فلاقى فيها من صنوف الأذى والمذاب ، ما كان يكفي بضئه ، لتبقيضه فيها ، ونقمتها عليها ، حتى أصبح لا يرى فيها إلا سلسلة آلام طويلة متصلة الحلقات ، لا تبدأ ، بولادة الطفل ، كما زعم ابن الرومي في قوله :<sup>(١)</sup>

لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد  
وإلا فما يبكيه منها ، وإنها لأوسع مما كان فيه وأرغد  
بل منذ كان جنينا في بطن أمه :

وما برح الانسان في البؤس - مذ جرت . به الروح - لا مزال عن رأسه الغرس<sup>(٢)</sup>  
ثم لا تنتهي تلك الآلام إلا بموته - وفي هذه الخاتمة شك كبير عند أبي العلاء كما سنبينه ،  
فلا غرو إذا خص الدنيا ، بأوفر قسط من الدم ، وافقن في تقطيعها ، حتى لقبها بأم دفر  
- أي أم تن - في أكثر نداءاته إياها - وقد جعله مزاجه السوداوى يرى الحياة مأساة مفجعة  
كل موضع فيها صالح للحسرة والبكاء ، وليس فيها موضع واحد ، يصلح للسرور  
وله في ذلك أشعار كثيرة ، نجتزئ منها بقوله :

أعن باكيا لـج في حزنه وسل ضاحك القوم : « مم ابتهج ؟ »  
وقوله :

يسمى « سرورا » جاهل متخص بفيه البرى - هل في الزمان سرور ؟



(١) ارجع إلى ص « ٣٩٣ » ج « ٣ » من ديوان ابن الرومي

(٢) الغرس : الجملدة الرقيقة التي تخرج على رأس الولد أو الفصيل ساعة يخرج من بطن أمه ،  
فان تركت قتله

فَأَزُورُ نَيْتَ الْحَقِّ زُورَةً مَا كَثِرَ  
فَعَلَامَ أَحْفَلُ مَا تَقْوَضُ وَأَهْدَمُ

وقد أكثر أبو العلاء من التفكير في مسألة الموت ، فلا تكاد تخلو من ذكره صفحة من لزمياته ، حتى أصبح من أوليات المسائل التي يدور عليها محور فلسفته ، ولا نعرف له شيئاً في هذه الخلقة ، سوى أبي العتاهية الذي نلده — على إكثاره — مقصراً عن شأو أبي العلاء تقصيراً بيناً ، والفرق بين الرجلين في نظرنا هو فرق ما بين الفيلسوف الصادق الزهد ، والواعظ الذي اتخذ الوعظ ديدناً له .

\*  
\* \*

ويمكن الإلزام بآراء أبي العلاء في الموت — رغم تناقضها — مع الإشارة إلى سبب ذلك فيما يلي :

(١) تارة كان يصل جزعه من الموت إلى أقصاه ، ويرتاع منه ، فتنبعث من نفسه صيحة مفزعة يكاد ينخلع لها قلبه ، فيقول :

يهال القراب على من نوى فآه من النبا المائل !  
ثم يصرخ من أعماق نفسه ، وقد تولاه النحول :

أبنانا الب بلقيا الردى فالغوث من صحة ذلك النبا  
أو يقول :

فويهاً وواهاً لسيل المنو ن كم جر عيرا بأحمالها  
أو تنبهه فكرة طارئة ، تتأهب لهجة ، فيهب مذعوراً خائفاً فيقول :

يكبر الحول بعد الحول عني وتلك مصارع الأقوام حولي  
كأنى بالألى حفروا لجارى وقد أخذوا الماول وانتحوالى

وفي البيت الثاني صورة مفزعة تمثل ما ألم به من الملح والرب

(٢) وحينئذ يذكر الموت فيتمناه ، ولكنه يخشى ألا تكون فيه الراحة والطمأنينة اللتان أخطأهما في الحياة ، فيتردد في تمنيه ويقول :

إن كان تقلى عن الدنيا يكون إلى خير ، وأرحب ، فالتقى على محمل  
وإن علمت مآلى عند آخرتى شرّاً وأضيق ، فانسأ — رب — فى الأجل

وَمَا زَالَتِ الْعَرَبُ تُسَمِّي الْقَبْرَ بَيْنَنَا ، وَإِنْ كَانَ الْمُسْتَقِلُّ إِلَيْهِ مَيْتًا ۝

وتزداد به الحيرة والارتباك فيقول :

فإن خرجت إلى بؤس فواحرى وإن نقلت إلى نسي ، فطوبى لى  
وربما خشى أن يسلبه حسه الذى يمتاز به ، ويتضائل بالقياس إليه كل اعتبار آخر ، حتى  
إنه حرم على نفسه الجمر ضنا أن تذهب به سورتها — كما سنيته فى حينه — فيقول :  
ولو كان يبقى الحس فى فم ميت لآليت أن الموت فى الفم أعذب

\*\*\*

وفى هذه الحالة ترى حينه إلى الموت مقرونا بشيء من الجزع والرهبة منه ! على أنها  
نوبات فجائية ، تعرض له ، فتنتطق بما استشهدنا به من كلامه .

فأما يقينه الذى لا يفتأ يردده ، ويتغنى به فى أكثر أحيائه ، فهو النزوع إلى تفضيل  
الموت ، لأنه يرى فيه النقذ الوحيد من آلام الحياة وأوصابها .

وإليك نخبه مختارة من كلامه تزيدك اقتناعاً بإيمانه الثابت ، وبما ذكره فى رسالته هنا  
عن الرسم ، من أنه « يغنى الثاوى به بعد عدم ، ويكفيه المؤونة » :

ما أعدل الموت من آت وأستره فهميجنى ، فاقى غير مهتاج  
العيش أقفر منا كل ذات غنى والموت أغنى — بحق — كل محتاج  
إذا حياة علينا للأذى فتحت بابا من الشر ، لاقاه يارتاج

يفنى الفتى بالمنايا عن مآربه وتنفع الروح فى طفل فيفتقر  
كأس المنية أولى بى ، وأروح لى من أن أكابد إراء وإحواجا

لكون خلك فى رسم أعز له من أن يكون مليكا عاقد التاج  
الملك يحتاج آلافا تناصره والميت ليس إلى خلق بمحتاج

أصبح فى لحدى على وحدتى لست إلى الدنيا بمحتاج  
كشفت رأسى وافقتارى بها خير من التملك والتاج

إن يرحل الناس ولم أرتحل فمن قضاء لم يفوض إلى



مضى ألقى من بعد اللنية أسرقى أخبرهم أنى خلصت من الأسر  
ومن الين للفقى أن يجيء الموت يسى إليه سعيًا سريحا  
لم يمارس من السقام طويلا ومضى لم يكابد التبريحا  
رقدة الموت ضجعة يستريح الجسم فيها والعيش مثل السهاد  
تعب كلها الحياة فما أعجب إلا من راغب فى ازدياد  
تدعو بطول العمر أفواهنا لمن تنهى القلب فى وده  
يسر أن مد بقاء له وكل ما يكره فى مده  
دعا لى بالحياة ، أخو وداد رويدك إنما تدعو علينا  
وما كان البقاء لى اختيارا لو ان الأمر مردود إلينا  
آليت لا ينفك جسبى فى أذى حتى يعود إلى قديم المنصر  
عل البلى سينيد المرء فائدة فالمسك يزداد من طيب إذا سحقا  
طال وقوفى وراء جسر وإنما ينظر المبور  
عشنا - وجسر الموت قدأمننا - فشر الآن لكى نعبه  
أقت برغى ، وما طأثرى براض إذا ألقته الوكون  
لعل الموت خير للبرايا وإن خافوا الردى وتهيبوه  
تعود إلى الأرض أجسامنا وتلحق بالمنصر الطاهر  
ويقضى بنا فرضه ناسك يمر اليدين على الظاهر  
لعل موتا يريح الجسم من نصب إن العناء بهنا العيش مقترن  
مضى غدتوت بطن الأرض مضطجعا قَمَّ أقعد أوصابى وأمراضى  
(١٧)

الْيَوْمَ يُدْنَىٰ لِلدُّنْيَةِ يَنْتُهُ يَا رَبِّ يَنْتِ حَسَنَ بَيْتُهُ

فإلى أخاف طريق الردى وذلك خير طريق سلك  
يرحك من عيشة مرة ومال أضيع ، ومال ملك  
هنيئاً لطفل أزع السير عنهم فودع من قبل التعارف ظاعنا  
ومسكن الروح في الجنان أسقمه وبينها عنه من سقم يمافيه  
وما يحس إذا ما عاد متصلا بالترب تسفيه في الهابي سوافيه  
وحبنا الأرض قفراً لا يحل بها ضد تعاديه أو خل تصافيه  
« الهابي : تراب القبر »

روح إذا اتصلت بجسم لم يزل - هو وهي - في مرض العناء المكند  
إن كنت من ربح ، فياربح اسكني أو كنت من نار ، فيا نار اخدي  
بطن البسيطة أعنى من ظواهرها فوشما لي ، أهرب من سعالها  
أعنى المنازل قبر يستراح به وأفضل اللبس - فيا أعلم - الكفن  
وللوت ينسى كفى الحرب صارمه ودرعه ، وفتاة الحى مجولها  
كم من مصائب في الأيام فادحة - لولا الحمام - لعدت كلها هدرا  
غمضى وتترك البلاد عريضة والصبح أزهر ، والنجوم زواها  
وكيف أفضى ساعة بمسرة وأعلم أن اللوت من غرماي  
وانظر الى قوله في صباه من حرثية أيه :

وخوف الردى آوى إلى الكف أهله وكلف نوحاً وابنه عمل السفن  
وما استمذبت روح موسى وآدم وقد وعدنا من بعده جنتى عدن  
ثم انظر إلى قوله فيها :

هنيئاً لك البيت الجديد موسداً يمينك فيه بالسعادة واليمن  
مجاور سكن في ديار بعيدة من الحى ، سقيا للديار والسكن

وَمَعْصِمَ ذِي بَرَّةٍ<sup>(١)</sup> لَوَيْتُهُ لَوْ كَانَ لِلدَّهْرِ بَلَى أَبْلَيْتُهُ  
أَوْ كَانَ قِرْنِي وَاحِدًا كَفَيْتُهُ

### مدح أبي العلاء

وَأَمَّا الْفَضْلُ الَّذِي ذَكَرَ فِيهِ الْخَلِيلَ ، فَقَدْ سَقَطَ<sup>(٢)</sup> مِنْهُ اسْمُ الَّذِي غَلَا فِي<sup>(٣)</sup>  
وَقَرَنَ بِالنُّجُومِ الصَّلَافِي<sup>(٤)</sup> . وَمَنْ كَانَ ، فَفَرَّ اللَّهُ جَرَائِمَهُ ، وَحَفِظَ لَهُ  
فِي الْأَبَدِ كَرَامَتَهُ ، فَقَدْ أَخْطَأَ عَلَى نَفْسِهِ - فِيمَا زَعَمَ - وَعَلَى ، وَلَسَبَ  
- مَا لَا أَسْتَوْجِبُ - إِلَيْ . وَكَمْ أَعْتَدْتُ وَأَتَّصَلُ ، مِنْ ذَنْبٍ لَيْسَ يَتَحَصَّلُ !  
وَلَمَّا لَا أَكْرَهُ - بِشَهَادَةِ اللَّهِ - تِلْكَ الدَّعْوَى الْمُبْطِلَةَ ، كَرَاهَةَ الْمَسِيحِ  
مَنْ جَعَلَهُ رَبَّ الْعِزَّةِ ، فَاتَرَكَ الْفَتَنَ مِنْ مَهْزِهِ<sup>(٥)</sup> . بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى :  
« وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ : أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَآمِيَ الْهَبْنِي

وانظر إلى قوله ، وهو يمثل ناحية أخرى من رأيه في الموت :

يا مرجا بالموت من مُتَنَظِّرٍ إِنْ كَانَ ثُمَّ تَعَارَفَ وَتَلَاقَ !  
ونفخ هذا المختار تلك المشجرة الجميلة بينه وبين الدنيا ، وقد أحسن تمثيلها في  
البيتين التاليين :

أَفْ لَدَيْسَى ، فَإِنِّي بِهَا لَمْ أَخْلُ مِنْ إِثْمٍ وَمِنْ حُوبٍ  
قُلْتُ لَهَا : « امْضِي غَيْرَ مَصْحُوبَةٍ » فَقَالَتْ : « اذْهَبْ غَيْرَ مَصْحُوبٍ »

(١) البرة : الغلخال (٢) ذكر ابن القارح في رسالته أن شيعاً مدح أبا العلاء ،  
ولكنه سها عن ذكر اسمه في رسالته (٣) غلا في مدح (٤) التمدح بما ليس عنده  
(٥) حركة

مِنْ دُونِ اللَّهِ ؟ قَالَ : سُبْحَانَكَ ! مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ،  
إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ، تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي ، وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ،  
إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ <sup>(١)</sup> ،

### رسالة أبي الفرج الزهرجى <sup>(٢)</sup>

وَأَمَّا أَبُو الْفَرَجِ الزَّهْرَجِيُّ ، فَتَعَرَّفَتْهُ بِالشَّيْخِ تُقَيْمُ أَنََّّهُ لِلْأَدَبِ حَلِيفٌ ،  
وَالطَّبِيعِ الْخَيْرِ أَلِيفٌ ، وَدِدْتُ أَنْ الرِّسَالَةَ وَصَلْتُ إِلَيْ ، وَلَكِنْ مَا عَدَلَ

(١) أشار أبو العلاء إلى ذلك في موضعين من لزومياته ، أولها قوله :

وقد شهد النصارى أن عيسى توخته اليهود ليصلبوه  
وما أبهوا ، وقد جعلوه ربا لثلا ينقصوه ويجذبوه  
والثانى قوله :

عجبا للمسيح بين أناس وإلى الله والد نسبوه  
أسلمته إلى اليهود النصارى وأقروا بأنهم صلبوه  
يشفق الحازم اللبيب على الطفلس — إذا ما لئامته ضربوه  
وإذا كان ما يقولون فى عيسى محييا ، فأين كان أبوه ؟  
كيف خلى وليده للأعداى ؟ أم يظنون أنهم غلبوه ؟

(٢) هو كاتب نصر الدولة ، وقد كتب رسالة إلى أبى العلاء ، وسأل ابن القارح إيصالها  
إليه ، فوضعها فى رحل له ، فسرقه جاره المسافر معه ، فكتب ابن القارح رسالته للنشورة  
بالجزء الأول يمتد إلى أبى العلاء من ضياع الرسالة ، ويشكو إليه أموره وما لقي فى سفره ،  
وتطرق من ذلك إلى مناسبات أخرى ، فرد عليه المرمى برسالة الغفران - جرى الله السارق  
عنا خيرا !

ذَلِكَ الْمَدِيلُ<sup>(١)</sup> ! هَلَّا اقْتَنَعَ بِنَفَقَةٍ أَوْ نَوْبٍ ، وَتَرَكَ الصُّحُفَ عَنْ نَوْبٍ<sup>(٢)</sup>  
فَأَرَبَ مِنْ يَدَيْهِ ، وَلَا اهْتَدَى فِي اللَّيْلَةِ بِفَرْقَدَيْهِ<sup>(٣)</sup>  
لَوْ أَنَّهُ أَحَدُ لُصُوصِ الْعَرَبِ الَّذِينَ رُوِيَ عَنْهُمْ الْأَمْثَالُ السَّائِرَةُ ، وَتَحَدَّثَتْ  
بِهِمُ الْمُتَنَجِّدَةُ وَالْعَابِرَةُ ، لَمَا اغْتَفَرْتُ مَا صَنَعَ بِمَا نَظَمَ ، لِأَنَّهُ أَفْرَطَ وَأَعْظَمَ<sup>(٤)</sup> ،  
وَقَدْ وَفَّقَ « أَبُو الْفَرَجِ » وَوَلَدَهُ ، لَمَا دَرَسَ عَلَيْهِ الْكُتُبَ وَحَفِظَ عَنْهُ

### أمثال العرب

وَأَمَّا حَلَبُ — سَمَّاها اللهُ — فَإِنَّهَا الْأُمُّ الْبَرَّةُ ، تُعَقِّدُ بِهَا الْمَسْرَةَ ، وَمَا أَحْسَبُهَا  
— إِنْ شَاءَ اللهُ — تَظَاهَرُ بِذَمِيمِ الْمُقْوَى ، وَلَا تُغْفِلُ الْمُفْتَرِضَ مِنَ الْمُحْقُوقِ .  
و « وَحْشِيَّةٌ »<sup>(٥)</sup> يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الشَّيْخُ جَعَلَهَا نَائِبَةً عَنْ فَقْدِهِ مِنَ الْإِخْوَانِ ،  
الَّذِينَ عَدِمَ تَظْيِيرُهُمْ فِي الْأَوَانِ . وَكَذَلِكَ تَجْرَى أَمْثَالُ الْعَرَبِ ، يَكُونُونَ فِيهَا  
بِالِاسْمِ عَنْ جَمِيعِ الْأَسْمَاءِ ، مِثَالُ ذَلِكَ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ :  
فَلَا تَشَلَّ يَدُ فَتَكْتِ بِعَمْرٍو فَإِنَّكَ لَنْ تُذَكَّ وَلَنْ تُضَامَا  
يُحَوِّزُ أَنْ يَرَى الرَّجُلُ رَجُلًا قَدْ فَتَكَ بِمَنْ اسْمُهُ « حَسَّانُ » أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ  
فَيَتَمَثَّلُ بِهَذَا النِّبْتِ . فَيَكُونُ « عَمْرٍو » فِيهِ وَاقِعًا عَلَى جَمِيعِ مَنْ يَتَمَثَّلُ لَهُ بِهِ ،  
وَكَذَلِكَ قَوْلُ الرَّاجِزِ : « أَوْرَدَهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَمِلٌ »<sup>(٦)</sup>

- 
- (١) هو الذي جاور ابن الفارح في الحمل ، وسرق منه الرجل الذي كانت فيه الرسالة  
(٢) يعنى : هلا ترك الصحف مكتفياً بما سرقه من المتاع (٣) يدعو على اللص بأن  
تسقط آراؤه من يديه ، وأن يضل فلا يهتدى بنور الفرقدين « وهما النعجان المعروفان »  
(٤) أتى عظيمة (٥) هى التى تمثل بها ابن الفارح فى الآيات التى ذكرها فى رسالته وأولها :  
إذا تركت « وحشية » النجد ؛ لم يكن لعينيك — مما تبكيان — طيب  
(٦) بعده : « ما هكنا يا سعد نورد الابل ! »

صَارَ ذَلِكَ مَثَلًا لِكُلِّ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَمْ يُحْكِمْهُ ، فَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ لِمَنْ  
اسْمُهُ « خَالِدٌ » أَوْ « بَكْرٌ » أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ ، وَيَضُمُونَ فِي هَذَا الْبَابِ  
الْمُؤَنَّثَ مَوْضِعَ الْمَذْكَرِ ، وَالْمَذْكَرَ مَوْضِعَ الْمُؤَنَّثِ ، فَيَقُولُونَ لِلرَّجُلِ :  
« الصَّبْفَ صَنَعْتَ اللَّبَنَ » وَإِذَا أَرَادُوا أَنْ يُخْبِرُوا بِأَنَّ الْمَرْأَةَ كَانَتْ تَفْعَلُ الْخَيْرَ  
ثُمَّ هَلَكَتْ ، فَأَنْقَطَعَ مَا كَانَتْ تَفْعَلُهُ ، جَازَ أَنْ يَقُولُوا : « ذَهَبَ الْخَيْرُ مَعَ  
صَمْرِ بْنِ ثَمَّةَ » وَهَذَا كَثِيرٌ .

### شكاة الادباء

وَأَمَّا شِكْوَاهُ إِلَى ، فَإِنِّي وَإِيَّاهُ لَكَمَا قِيلَ فِي الْمَثَلِ : « الشُّكْلَى تَعِينُ  
الشُّكْلَى » وَعَلَى ذَلِكَ حَمَلُ الْأَصْمَعِيِّ قَوْلَ أَبِي دُوَادٍ :  
وَيُصْبِحُ أَحْيَانًا كَمَا أَنَّ تَمَعَ الْمُضِلُّ دَعَاءَ نَاشِدٍ<sup>(١)</sup>  
كَلَامًا بِحَمْدِ اللَّهِ مُضِلٌّ ، فَعَلَى مَنْ تَحْمِلُ وَعَلَى مَنْ تُدِلُّ ؟  
أَمَّا الْمَطِيَّةُ فَأَلِيَّةٌ<sup>(٢)</sup> ، وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَخَالِيَةٌ<sup>(٣)</sup>  
يَشْكُو إِلَى جَمَلِي طُولُ الشَّرَى صَبْرٌ جَمِيلٌ ، فَكَلَامًا مُبْتَلًى  
وَلَا أَرْتَابُ فِي أَنَّهُ يَحْفَظُ قَوْلَ الْفَرَزَارِيِّ<sup>(٤)</sup> :

(١) الناشد : الطالب ، وهو هنا الباحث عن ضلٍّ (٢) مقصرة بطيئة

(٣) مالك بن اسماء الفرزاري

كان آباؤه سادة غطفان ، وحكاية البيتين أن أخاه « عيينة بن أسماء » هوى جارية  
لأخته « هند بنت أسماء » فاستعان بأخيه « مالك » على أخته ، فقال مالك هذين البيتين .  
ومن مختار شعره قوله من قصيدة مشهورة :

أُعِينَنَ هَلَا - إِذْ مِلَيْتَ بِجَبْهَا كُنْتَ اسْتَعْنَتْ بِفَارِغِ الْعَقْلِ  
 أَقْبَلْتَ تَبْنِي النُّوْثَ مِنْ رَجُلٍ وَالْمُسْتَعْنَاتُ إِلَيْهِ فِي شُغْلٍ ؟  
 وَلَمْ يَزَلْ أَهْلُ الْأَدَبِ يَشْكُونَ الْغَيْرَ فِي كُلِّ جِيلٍ ، وَهُوَ يَعْرِفُ  
 الْحِكَايَةَ أَنَّ مُسْلِمَةَ بِنْتُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَوْصَى لِأَهْلِ الْأَدَبِ بِحُزْنِهِ مِنْ مَالِهِ ، وَقَالَ :  
 « لَأَنْهُمْ أَهْلُ صِنَاعَةٍ بِحَفْوَةٍ » وَأَحْسَبَ أَنَّهُمْ وَالْحَرْفَةُ خُلِقُوا تَوَعُّمِينَ ، وَلِأَنَّهُمْ  
 يَنْجَحُ بَعْضُهُمْ ، ثُمَّ لَا يَلْبَثُ أَنْ تَزِلَّ قَدَمُهُ . وَإِذَا كَانَ الْأَدَبُ عَلَى عَهْدِ  
 بَنِي أُمَيَّةٍ يُقْصَدُ أَهْلُهُ بِالْجَفْوَةِ ، فَكَيْفَ يَسْلُتُونَ مِنْ بَابٍ ، عِنْدَ مَمْلَكَةِ  
 بَنِي الْعَبَّاسِ ؟ وَإِذَا أَصَابَهُمُ الْحُزْنُ فِي أَيَّامِ الرَّشِيدِ ، فَكَيْفَ يُطْمَعُ لَهُمْ بِالْحُظِّ  
 الْمَشِيدِ ؟ وَمَنْ بَنَى التَّكْسِبَ بِهَذَا الْفَنِّ ، فَقَدْ أُوْدِعَ شَرَابَهُ فِي شَنْ<sup>(١)</sup> ،  
 غَيْرِ ثِقَةٍ عَلَى الْوَدِيعَةِ ، بَلْ هِيَ مِنْهُ فِي صَاحِبِ خَدِيعَةٍ . . .

وَأَمَّا الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ مِنَ الْمُصَحِّفِينَ ، فَغَيْرُ الْبَرَّةِ وَلَا الْمُتَنَصِّفِينَ ، وَمَا زَالَ  
 التَّنْفُلُ<sup>(٢)</sup> يَعْرِضُ لِأَذَاةِ الْأَسَدِ ، وَمَا أَحْسَبُهُ يَشْعُرُ بِمَكَانِ الْحَسَدِ .  
 مَا يَقْصُرُ الْبَخْرُ أَمْسَى زَاخِرًا أَنْ رَمَى فِيهِ غُلَامٌ بِحَجَرٍ

وحديث أله ، هو مما يشتهي السامعون ، يوزن وزنا  
 منطوق عاقل ، وتلحن أحبا نا ، وأحلى الحديث ما كان لحنا

حبذا يومنا « بطل يؤد » إذ نُسْقِي شربنا ونفقى  
 أينما دارت الزجاجة درنا يحسب الجاهلون أنا جننا  
 ومررنا بنسوة طاطرات وسماح . وقرقف ، فنزلنا

(١) الشن : القرية الخلق الصنيرة (٢) الثعلب

أَوْ كَلَّمَا طَنَّ الذَّبَابُ أُرْوَعُهُ ؟ إِنَّ الذَّبَابَ - إِذَنْ - عَلَى كَرِيمٍ !  
وَإِنْ حُسَّادَ الْبَارِعِ لَكَمَا قَالَ الْفَرَزْدَقُ :

فَإِنْ تَهَيَّجُ آلَ الزُّبُرِقَانِ ، فَأَتَمَّا هَجَوْتَ الطَّوَالَ الشَّمَّ مِنْ آلِ يَذْبُلِ  
وَقَدْ نَبَحَ الْكَلْبُ النُّجُومَ ، وَذَوْنَهَا فَرَّاسِخُ تُقْصِي نَاطِلَ السَّرِّ الْمُتَمَّامِلِ

### أبو الطيب المتنبي<sup>(١)</sup>

فَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ : « أَذُمُّ إِلَى هَذَا الزَّمَانِ أَهْلَهُ »  
فَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مُوَلِّمًا بِالتَّصْنِيعِ ، لَا يَقْنَعُ مِنْهُ بِمُحَلِّسَةِ الْمُتَعَبِ ، كَقَوْلِهِ :  
مَنْ لِي بِفَهْمِ أَهْلِيلِ عَصْرِ يَدْعِي أَنْ يَحْسُبَ الْهِنْدِيُّ فِيهِمْ بَاقِلُ  
وَقَوْلِهِ : « مَقَالِي لِلْأَحْمِقِ يَا حَلِيمُ »  
وَقَوْلِهِ : « وَنَامَ الْخَوَيْنِدُمْ عَنْ لَيْلِنَا »  
وَقَوْلِهِ : « أَفِي كُلِّ يَوْمٍ تَحْتَ ضِيئِي شَوْنِيرٌ »

وغير ذلك مما هو موجود في ديوانه ، ولا ملامة عليه ، إنما هي عادة صارت  
كالطبع ، تفتقر مع المحاسن وهذا البيت الذي أوله : « أَذُمُّ إِلَى هَذَا الزَّمَانِ أَهْلَهُ »  
إنما قاله في علي بن محمد بن سيار إنطاكية قبل أن يمدح سيف الدولة .  
والشعر اه مطلق لهم ذلك ، لأن الآية شهدت عليهم بالتخرص وقول  
الأباطيل : « أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ؟ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ »<sup>(٢)</sup>

(١) ارجع الى ( ج ٢ ص ١٣ ) ( ٢ ) أثار هذا الفصل بعد أن ظهرت الطبعتان الأولى والثانية من هذه الرسالة كثيراً من بحوث النقاد والأدباء ، وحفز جمهوراً منهم إلى الإفاضة في درس المتنبي دراسات واسعة ألقى بعضها في مهرجانه الأثني ، وأودع الكثير منها نخبة صالحة من الكتب التي ظهرت حديثاً .



## حكاية القطربلي وابن أبي الأزر

وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ مِنْ حِكَايَةِ الْقُطْرُبَلِيِّ وَابْنِ أَبِي الْأَزْهَرِ، فَقَدْ يَحُوزُ مِثْلَهُ، وَمَا وَضَحَ أَنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ حُبِسَ بِالْعِرَاقِ، فَأَمَّا بِالشَّامِ فَحَبَسَهُ مَشْهُورٌ، وَحَدَّثْتُ أَنَّهُ كَانَ - إِذَا سُئِلَ عَنْ حَقِيقَةِ هَذَا اللَّقَبِ - قَالَ: «هُوَ مِنَ النَّبُوَّةِ» أَيْ الْمُرْتَفِعِ مِنَ الْأَرْضِ، وَكَانَ قَدْ طَمِعَ فِي شَيْءٍ قَدْ طَمِعَ فِيهِ مَنْ هُوَ دُونَهُ، وَلِئَنَّمَا هِيَ مَقَادِيرُ، يَظْفَرُ بِهَا مَنْ وَفَّقَ، وَلَا يَرَاغُ بِالْمُجْتَهِدِ أَنْ يُخْفِقَ، وَقَدْ دَلَّتْ أَشْيَاؤُهُ فِي دِيَوَانِهِ أَنَّهُ كَانَ مُتَأَلِّهًا. فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ:

«وَلَا قَابِلًا إِلَّا لِلْعَالِيَةِ حُكْمًا،

وَقَوْلُهُ:

«مَا أَقْدَرَ اللَّهَ أَنْ يُخْزِيَ بَرِيَّتَهُ وَلَا يُصَدِّقَ قَوْمًا فِي الدِّينِ زَعَمُوا»

وَأِذَا رُجِعَ إِلَى الْحَقَائِقِ، فَتُنْطَقُ اللِّسَانُ، لَا يُنْبِئُ عَنْ اعْتِقَادِ الْإِنْسَانِ، لِأَنَّ الْعَالَمَ يَجْبُولُ عَلَى الْكَذِبِ وَالنِّفَاقِ<sup>(١)</sup>، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَظْهَرَ الرَّجُلُ بِالْقَوْلِ تَدْبِئًا، وَلِئَنَّمَا يَحْمِلُ ذَلِكَ تَرَبُّيًا، يُرِيدُ أَنْ يَصِلَ بِهِ إِلَى ثَنَاهُ، أَوْ غَرَضٍ مِنْ أَغْرَاضِ أُمِّ الْفَنَاءِ<sup>(٢)</sup>، وَلَعَلَّهُ قَدْ ذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ فِي الظَّاهِرِ مُتَعَبِّدُونَ، وَفِيمَا بَطْنٍ مُلْحِدُونَ

(١) وفي ذلك يقول أبو العلاء في لزومياته:

أَمْسَى النِّفَاقَ دُرُوعًا يَسْتَجِنُ بِهَا مِنَ الْأَذَى، وَيَقْوَى سَرْدَهَا الْحَلْفَ

(٢) شنع أبو العلاء في كثير من آيات لزومياته على هذه الفئة التي تتخذ الدين دائمًا وسيلة لنيل أغراض الدنيا، ونهجتني من ذلك قوله:

إِذَا كَشَفْتَ عَنِ الرَّهْبَانِ حَالَهُمْ فَكَلِّمْهُمُ يَتَوَخَّى التَّبَرُّ وَالْوَرَقَا

## دعبل بن علي<sup>(١)</sup>

وَمَا يَلْحَقُنِي الشَّكُّ فِي أَنَّ دِعْبِلَ بْنَ عَلِيٍّ لَمْ يَكُنْ لَهُ دِينٌ ، وَكَانَ يَتَّظَاهَرُ  
بِالتَّشْيِيعِ ، وَلَئِنَّمَا غَرَضُهُ التَّكْسِبُ ، وَلَا أَرْتَابُ فِي أَنَّ « دِعْبِلًا » كَانَ عَلَى رَأْيِ  
الْحَكِيِّ<sup>(٢)</sup> وَطَبَقْتِهِ ، وَالزُّنْدَقَةُ فِيهِمْ فَاشِيئَةٌ ، وَمِنْ دِيَارِهِمْ نَاشِئَةٌ

## أبو نواس

وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي أَبِي نُوَّاسٍ ، ادَّعَى لَهُ التَّأَلُّهُ ، وَأَنَّهُ كَانَ يَقْضِي صَلَوَاتِ  
نَهَارِهِ فِي لَيْلِهِ ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ كَانَ عَلَى مَذْهَبِ غَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِ .

مذاهب جعلوها من معائشهم ، من يعمل الفكر فيها تعطه الأرقا  
وقوله :

وإنما حمل التوراة قارئها كسب الفوائد ، لاحب التلاوات  
وقوله :

كذب لا يزال يطعم خبزنا نص عن آدم وعن قاييل  
يمتريه جذلان مهتل الفرة يبدى حزنا على هائل  
وقوله :

وليس خبر يبدع في صحابته إن رام نفعاً بأقوال تقولها  
وإنما رام نسوانا تزوجها — بما افتراه — وأموالاً تمولها

(١) هو « دعبل » الشاعر المشهور بالهجاء ، وهو الذي يقول فيه أبو العلاء في لزومياته :

لو نطق النهر هجاء أهله كأنه « الرومي » أو « دعبل »

(٢) هو أبو نواس ، وقد مرت ترجمته في ( ج ٢ ص ١٠ )

## سذاجة العرب

وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ جَاءَهَا النَّبِيُّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — وَهِيَ تَرْغَبُ إِلَى الْقَصِيدِ ، وَتَقْصُرُ عَنْهُمْ عَنِ الْقَصِيدِ ، فَاتَّبَعَهُ مِنْهَا مُتَّبِعُونَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ . فَلَمَّا ضَرَبَ الْإِسْلَامُ بَحْرَانِهِ ، وَاتَّسَقَ مُلْكُهُ ، مَارَجَ الْعَرَبُ غَيْرَهُمْ مِنْ الطَّوَائِفِ ، وَسَمِعُوا كَلَامَ الْأَطِبَّاءِ وَأَصْحَابِ الْهَيْئَةِ وَأَهْلِ الْمَنْطِقِ ، فَتَأَلَّتْ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ كَثِيرَةٌ .

## رسالة آدم

وَلَمْ يَزَلِ الْإِلْهَادُ فِي بَنِي آدَمَ عَلَى مَمَرِّ الدُّهُورِ ، حَتَّى إِنْ أَصْحَابَ السَّيْرِ يَرْضُونَ أَنَّ آدَمَ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — بُعِثَ إِلَى أَوْلَادِهِ ، فَأَنْذَرَهُمْ بِالْآخِرَةِ ، وَخَوَّفَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ ، فَكَذَّبُوهُ ، وَرَدُّوا قَوْلَهُ ، ثُمَّ عَلَى ذَلِكَ الْمِنْهَاجِ إِلَى الْيَوْمِ .

## زندقة قريش

وَبَعْضُ الْعُلَمَاءِ يَقُولُ : « إِنْ سَادَاتِ قُرَيْشٍ كَانُوا زَنَادِقَةً ، وَمَا أَجْدَرُهُمْ بِذَلِكَ . وَقَالَ شَاعِرُهُمْ يَزِيدُ بْنُ قَتْلِبٍ بَذِيرٍ — وَتُرْوَى لِشَدَّادِ بْنِ الْأَسْوَدِ اللَّيْثِيِّ : — أَلَمْتُ بِالتَّحِيَّةِ أَمْ بِكِرٍ فَحَيُّوا أَمْ بِكِرٍ بِالسَّلَامِ وَكَأَنَّ بِالطَّوِيِّ طَوِيٌّ بَذِيرٍ مِنَ الْأَخْسَابِ وَالْقَوْمِ الْكِرَامِ أَلَا يَا أُمَّ بَكْرٍ لَا تُكِرِّي عَلَى الْكَاسِ — بَعْدَ أَخِي هِشَامٍ

وَبَعْدَ أَخِي أَيُّهُ — وَكَانَ قَرَمًا<sup>(١)</sup> مِنْ الْأَقْرَامِ شُرَابِ الْمُدَامِ  
 أَلَا مَنْ مُبْلَغُ الرَّمْعِ عَنِّي بِأَنِّي تَارِكُ شَهْرِ الصِّيَامِ  
 إِذَا مَا الرَّأْسُ زَابَلَ مِنْكِيبِهِ فَقَدْ شَبِعَ الْأَنْيَسُ مِنَ الطَّعَامِ  
 أَيُوعِدُنَا «ابْنَ كَبْشَةَ»<sup>(٢)</sup> أَنْ سَنَحْيَا، وَكَيْفَ حَيَاةُ أَصْدَاءِ<sup>(٣)</sup> وَهَامِ ؟  
 أَتَتْرُكُ أَنْ تَرُدَّ الْمَوْتَ عَنِّي وَتُحْيِيَنِي إِذَا بَلَيْتَ عِظَامِي ؟  
 وَلَا يَدْعِي مِثْلَ هَذِهِ الدَّعَاوَى إِلَّا مَنْ يَسْتَبْسِلُ وَرَاءَهَا لِلْحِمَامِ ، وَلَا يَأْسُفُ  
 لَهُ عِنْدَ الْمَتَامِ .

### عودة إلى أبي الطيب المتنبي

وَحَدَّثْتُ أَنَّ أَبَا الطَّيِّبِ ، لَمَّا حَصَلَ فِي بَنِي عَدِيٍّ ، وَحَاوَلَ أَنْ يُخْرِجَ فِيهِمْ ،  
 قَالُوا لَهُ — وَقَدْ تَبَيَّنُوا دَعْوَاهُ — : «هَا هُنَا نَاقَةُ صَعْبَةٍ ، فَإِنْ قَدَرْتَ عَلَى رُكُوبِهَا  
 أَفَرَرْنَا أَنْكَ مُرْسَلٌ» وَأَنَّهُ مَضَى إِلَى تِلْكَ النَّاقَةِ وَهِيَ رَاحِيَةٌ فِي الْإِبِلِ ، فَتَحِيلَ  
 حَتَّى وَثَبَ عَلَى ظَهَرِهَا ، فَفَرَّتْ سَاعَةً ، وَتَنَكَّرَتْ بُرْهَةً ، ثُمَّ سَكَنَ نِفَارُهَا ،  
 وَمَشَتْ مَشْيَ الْمُسْمِحَةِ<sup>(٤)</sup> ، وَأَنَّهُ وَرَدَ بِهَا الْحِلَّةَ وَهُوَ رَاكِبٌ عَلَيْهَا ، فَعَجِبُوا لَهُ  
 شُكْلَ الْمَجَبِّ ، وَصَارَ ذَلِكَ مِنْ دَلَالِئِهِ عِنْدَهُمْ .

(١) سيداً عظيماً (٢) يعني به النبي صلى الله عليه وسلم و «أبو كبشة» جاهلي  
 كان يعبد الشعري الجمانية ، وترك دين آبائه ، وهجر عبادة الأصنام ، فاستمادت الجاهلية  
 هذا اللقب للنبي لخالفته لهم وعزوفه عن عبادة أصنامهم ، ودعوته إياهم إلى الإسلام .  
 (٣) جثث هامدة (٤) التي تلين بعد استصعاب

وَحَدَّثْتُ أَيْضًا أَنَّهُ كَانَ فِي دِيْوَانِ اللَّادِيقِيَّةِ ، وَأَنَّ بَعْضَ الْكُتَّابِ  
انْقَلَبَتْ عَلَى يَدِهِ سِكِّينُ الْأَقْلَامِ ، فَجَرَحَتْهُ جُرْحًا مُفْرِطًا ، وَأَنَّ أَبَا الطَّيِّبِ  
نَقَلَ عَلَيْهَا مِنْ رِيْقِهِ ، وَشَدَّ عَلَيْهَا غَيْرَ مُنْتَظِرٍ لَوَفْتِهِ ، وَقَالَ لِلْجُرُوحِ :  
« لَا تَحُلْهَا فِي يَوْمِكَ » - وَعَدَّ لَهُ أَيَّامًا وَلِيَالِي - وَأَنَّ ذَلِكَ الْكُتَّابَ قَبْلَ  
مِنْهُ ، قَبْرِي الْجُرْحُ ، فَصَارُوا يَمْتَقِدُونَ فِي أَبِي الطَّيِّبِ أَعْظَمَ اعْتِقَادٍ ،  
وَيَقُولُونَ : « هُوَ كَمُخَيِّ الْأَمْوَاتِ ! »

وَحَدَّثَ رَجُلٌ كَانَ أَبُو الطَّيِّبِ قَدِ اسْتَحْفَى عِنْدَهُ فِي اللَّادِيقِيَّةِ - أَوْ فِي  
غَيْرِهَا مِنَ السَّوَاهِلِ - : أَنَّهُ أَرَادَ الْإِنْتِقَالَ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ ، فَفَرَجَ  
بِالَّذِيلِ وَمَعَهُ ذَلِكَ الرَّجُلُ ، وَلَقِيَهُمَا كَلْبٌ أَلَحَّ عَلَيْهِمَا فِي الثَّبَاجِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ ؛  
فَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ لِذَلِكَ الرَّجُلِ وَهُوَ عَائِدٌ : « إِنَّكَ سَتَجِدُ ذَلِكَ الْكَلْبَ قَدْ مَاتَ »  
فَلَمَّا مَادَ الرَّجُلُ ، أَلْفَى الْأَمْرَ عَلَى مَا ذَكَرَ

وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ أَعَدَّ لَهُ شَيْئًا مِنَ الْمَطَاعِمِ مَسْمُومًا ، وَالْقَاءَ لَهُ ، وَهُوَ  
يُخْفِي عَنْ صَاحِبِهِ مَا فَعَلَ .

### اختلاف الخواطر

وَأَمَّا الْقُضْرِيُّ وَابْنُ أَبِي الْأَزْهَرِ ، فَمِنْ الرُّوُلِ <sup>(١)</sup> اجْتَمَعَا عَلَى تَأْلِيفِ  
كِتَابٍ ، وَقَلَّما يُعْرَفُ مِثْلُ ذَلِكَ .

وَنَحْوُهُ مِنْهُ قِصَّةُ « الْخَالِدِيِّينَ » الَّذِينَ كَانَا فِي الْمَوْصِلِ ، وَهُمَا شَاعِرَانِ ،  
وَقَدْ كَانَا عِنْدَ سَيْفِ الدَّوَلَةِ ، وَانْصَرَفَا عَلَى حَدِّ مُنَاصَبَةٍ ، وَلَهُمَا دِيْوَانٌ

مِنْ سَبِّ إِلَيْهِمَا ، لَا يَنْفَرِدُ فِيهِ أَحَدُهُمَا بِشَيْءٍ دُونَ الْآخِرِ إِلَّا فِي أَشْيَاءَ قَلِيلَةٍ ،  
وَهَذَا مُتَعَدِّدٌ فِي وَلَدِ آدَمَ ، إِذْ كَانَتْ الْجَبَلَةُ عَلَى الْخِلَافِ وَقِلَّةِ الْمُوَافَقَةِ ، فَأَمَّا  
أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ شَيْئًا مِنْ كِتَابٍ ثُمَّ يُتِمَّهُ الْآخَرُ ؛ فَهُوَ أَسْوَعُ فِي الْمَعْقُولِ  
مِنْ أَنْ يَجْتَمَعَ عَلَيْهِ الرَّجُلَانِ

\* \*

وَالَّذِينَ رَوَوْا دِيوَانَ أَبِي الطَّيِّبِ ، يَحْكُونَ أَنَّهُ وَلَدَ سَنَةَ ثَلَاثِمِائَةٍ وَثَلَاثَ ،  
وَكَانَ طُلُوعُهُ إِلَى الشَّامِ سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ <sup>(١)</sup> ، فَأَقَامَ فِيهِ بُرْهَةً ثُمَّ عَادَ إِلَى  
الْبِغْدَادِ ، وَلَمْ تَطُلْ مُدَّتُهُ هُنَاكَ ، وَالذَّلِيلُ عَلَى صِحَّةِ هَذَا الْخَبَرِ أَنْ مَدَامِيحَهُ  
فِي صِبَاةِ لَمْعَاهِ فِي أَهْلِ الشَّامِ ، إِلَّا قَوْلُهُ :

« كَفَى ، أَرَانِي — وَبِكَ — لَوْ مَكَ أَلْوَمَا »

### الدهر <sup>(٣)</sup>

وَأَمَّا شَكَايَتُهُ أَهْلَ الزَّمَانِ إِلَيْهِ ، فَإِنَّهُ سَلَكَ فِي ذَلِكَ مِنْهَاجَ الْمُتَقَدِّمِينَ

(١) المراد أنه طلع إلى الشام حين كانت سنة إحدى وعشرين (٢) تمة البيت قوله :  
« هم أقام على فؤاد فأنجما » . ومن أجل ما في هذه القصيدة قوله :

وخفوق قلب — لو رأيت لهيبه    يا جنتي ! لظننت فيه جهنما  
وإذا سحابة صد حب أبرقت    تركت حلالة كل حب علقما  
يا وجه داهية الذي لولاك ما    أكل الضنى جسدى ورض الأعظما  
إن كان أغناها السلو ، فأننى    أمسيت من كبدي ومنها معلما

(٣) الدهر

أشعار أبي الملاء في الدهر كثيرة تملأ عدة صفحات من لزومياته ، فلنجتزئ هنا

وَقَدْ كَثُرَ الْمَقَالُ فِي ذَمِّ الدَّهْرِ حَتَّى جَاءَ فِي الْحَدِيثِ : « لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ ، فَإِنَّ اللَّهَ

بِالْقَلِيلِ مِنْهَا عَنِ الْكَثِيرِ ، لِإِظْهَارِ مَنْحَى رَأْيِهِ الْمَتَمَدِّدَةِ فِي الدَّهْرِ ، وَإِنَّمَا نَسَرَدَهَا بِلا تَعْلِيْقَ رَغْبَةٍ فِي الْإِيْجَازِ ، وَهِيَ قَوْلُهُ :

إِنْ رَأَيْنَا الدَّهْرَ بِأَفْصَالِهِ فَكَلْنَا بِالدَّهْرِ مَرْتَابًا

وقوله :

إِذَا قِيلَ : « غَالِ الدَّهْرَ شَيْئًا » فَأَمَّا يَرَادُ « آتِ الدَّهْرَ » وَالدَّهْرُ خَادِمٌ

وقوله :

وَلَا عَقْلَ لِلدَّهْرِ - فِيمَا أَرَى - فَكَيْفَ يَمَاتُ بِإِنْ أَذْنًا ؟

وقوله :

فَلَوْ تَكَلَّمَ دَهْرٌ كَانَ شَاكِيَهُمْ كَمَا تَرَامَى عَلَى الْإِحْسَانِ يَشْكُونَهُ

وقوله :

صَحْبُنَا دَهْرًا دَهْرًا ، وَقَدَمَا رَأَى الْفَضْلَاءُ أَلَا يَصْحَبُوهُ

وَعِظُ بَنُوهُ مِنْهُ ، وَغِظُ مِنْهُمْ فَعَذِبَ سَاكِنِيهِ وَعَذَبُوهُ

وَمِنْ عَادَاتِهِ فِي كُلِّ جِيلٍ غَدَاهُ أَنْ يَقْلَ مَهْذَبُوهُ

أَسَاءَ بِمَجْهَلِهِ أَدْبَاهُ عَلَيْهِمْ فَهَلْ مِنْ حِيلَةٍ فَيُؤَدَّبُوهُ

وَمَا يَخْشَى الْوَعِيدَ فَيُوعَدُوهُ وَلَا يَرَى الْعِتَابَ فَيُعْتَبُوهُ

وقوله :

إِنْ خَرَفَ الدَّهْرُ فَهُوَ شَيْخٌ يَحْقُقُ بِالْهَرَمِ وَالزَّمَانُ

أَنْخَى سَلِيمًا بَنِي دَاءٍ لَمْ تَبْدُ فِي شَخْصِهِ ضَمَانَهُ

أَعْجَمَ قَدْ بَيْنَ الرِّزَايَا أَوْ جَمَلَ الشَّرِّ تَرْجَانَهُ

وقوله :

وَيَا دَهْرَ لِحَاكَ اللَّهُ مَا هَمَّتْ فِرْعَانُكَ !

وقوله :

حَلَفَ الدَّهْرُ جَاهِدًا وَهُوَ بِرٍ - إِذَا حَلَفَ

لِيَبْتَنَ كُلَّ عَقْدٍ إِذَا نَظَّمَهُ ائْتَلَفَ

هُوَ الدَّهْرُ، وَقَدْ عُرِفَ مَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ، وَأَنَّ بَاطِنَهُ لَيْسَ كَظَاهِرِهِ، إِذْ كَانَ الْأَنْبِيَاءُ — عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ — لَمْ يَذْهَبْ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَى أَنَّ الدَّهْرَ هُوَ الْخَالِقُ وَلَا الْمَعْبُودُ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْكِتَابِ الْكَرِيمِ: «وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ»

✱ ✱

وَقَوْلُ بَعْضِ النَّاسِ: «الزَّمَانُ حَرَكَةُ الْفَلَكَ» لَفْظٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ، وَفِي كِتَابِ «سَيَبَوَيْهِ» مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الزَّمَانَ عِنْدَهُ مُضَيُّ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ. وَقَدْ حَدَّثَنِي حَدًّا — مَا أَجْدَرُهُ أَنْ يَكُونَ قَدْ سَبَقَ إِلَيْهِ — إِلَّا أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ — وَهُوَ أَنْ يُقَالَ: «الزَّمَانُ شَيْءٌ أَقَلُّ جُزْءٍ مِنْهُ يَشْتَمِلُ عَلَى جَمِيعِ الْمَذْرَكَاتِ» وَهُوَ فِي ذَلِكَ صِنْدُ الْمَسْكَنِ، لِأَنَّ أَقَلَّ جُزْءٍ مِنْهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَشْتَمِلَ عَلَى شَيْءٍ، كَمَا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ الظُّرُوفُ، فَأَمَّا الْكَوْنُ فَلَا بُدَّ مِنْ تَشْبِيهِ بِمَا قُلَّ وَكَثُرَ<sup>(١)</sup>

### (١) الزمان

هذا التعريف — هو في اعتقادنا أدق تعريف فلسفي صحيح عرفناه للزمن، وقد ذكره أبو العلاء في لزومياته فقال: «وأيسر كون تحته كل عالم» ومضى في فكرته في عجز هذا البيت فبين سرعة الزمان، فقال: «ولا تدرك الأكوان جرد صلادم» ثم قسم الأزمان في البيتين التاليين من هذه القصيدة إلى ماضٍ اندثر فاستحالت عودته؛ ومستقبل آتٍ سيندثر بعد حين، فقال:

إذا هي مرت لم تعد، ووراءها      فظائر، والأوقات ماضٍ وقادم  
فأآب منها — بعد ما غاب — غائب      ولا يعدم الحين المجدد عادم  
وقد ذكر شطر هذا الرأي في «سقط الزند» فقال:

أمس الذي مر — على قربه —      يسجز أهل الأرض عن رده



وَالَّذِينَ قَالُوا : « وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ » وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْمَثَالِ ، مِثْلَ  
الْبَيْتِ الْمَنْسُوبِ إِلَى الْأَخْطَلِ - وَذَكَرَهُ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ لِشِعْمَلَةَ الثَّقَلَيْنِ ( وَهُوَ :  
فَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَفَعَلَهُ لَكَ الدَّهْرُ - لَا حَارَ بِمَا فَعَلَ الدَّهْرُ  
وَقَوْلِ الْآخَرِ :

الدَّهْرُ لَأَمَّ يَنْ أَلْقَتَنَا وَكَذَلِكَ فَرَّقَ بَيْنَنَا الدَّهْرُ  
وَقَوْلِ أَبِي صَخْرٍ :

وذكر المعز منه في بيته الآخر وهو قوله :

أرى الوقت يفتى أنفسا بفنائه ويمحو ، فما يبق الحديث ولا الرسم  
وهذا الرأي ، لا يناقض قوله في الليل على قدم الزمن :  
أرى زمنا تقادم غير فاق فسبحان للمبين ذى الكمال

\* \*

وَيَنْ أَنْ الْقَادِمَ مِنَ الزَّمَانِ « الْمُسْتَقْبَلِ » مَجْهُولٌ لَا يَعْرِفُ إِلَّا بَعْدَ مَرُورِ الزَّمَنِ الَّذِي  
يَكْشِفُ الْغَطَاءَ عَنْ أَسْرَارِهِ ، قَالَ :

السَّاعَ آتِيَةَ الْحَوَادِثِ ، مَا حَوَتْ لَمْ يَبْدُ إِلَّا بَعْدَ كَشْفِ غَطَائِهَا  
وَقَدْ ذَكَرَ هَذَا الْمَعْنَى « بَوْبُ » الشَّاعِرِ الْإِنْجِلِيزِيِّ ، بِصِغَةِ أُخْرَى ، وَتَرْجَمَهُ الْإِسْتَاذُ  
الْمَعْقَدُ ، وَهُوَ :

إِنَّمَا الْغَيْبُ كِتَابُ صَانِهِ عَنْ عَيُونِ الْخَلْقِ رَبِّ الْعَالَمِينَ  
لَيْسَ يَبْدُو مِنْهُ لِلنَّاسِ سِوَى صَفْحَةِ الْحَاضِرِ - حِينَ بَعْدَ حِينَ

\* \*

وَكثِيرًا مَا شَبِهَ أَبُو الْعَلَاءِ الزَّمَانَ بِالطَّائِرِ . فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

وَمَا الْوَقْتُ إِلَّا طَائِرٌ يَقْطَعُ الْمَدَى فَبَادِرُهُ - إِذْ كُلُّ النَّهْيِ فِي بَدَارِهِ  
وَقَوْلُهُ :

يَعْنِي التَّشَبُّهُ بِالْأَوْقَاتِ جَائِزُهَا هِيَ مَا الْوَقْتُ إِلَّا طَائِرٌ طَارَا

عَجِبْتُ لِسَعَى الدَّهْرِ يَتْنِي وَيَتْنَهَا فَلَمَّا انْقَضَى مَا يَتْنُنَا مَسَكِنَ الدَّهْرِ  
لَمْ يَدَّعِ أَنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ كَانَ يُقَرَّبُ لِلْأَفْلَاقِ الْقَرَّائِينَ ، وَلَا يَزْعُمُ أَنَّهَا  
تَعْمَلُ ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ شَيْءٌ يَتَوَارَثُهُ الْأُمَمُ فِي زَمَانٍ بَعْدَ زَمَانٍ .

### شاتم الدهر

وَكَانَ فِي عَبْدِ الْقَيْسِ شَاعِرٌ يُقَالُ لَهُ « شَاتِمُ الدَّهْرِ » وَهُوَ الْقَائِلُ :  
وَلَمَّا رَأَيْتُ الدَّهْرَ وَغَرًّا سَبِيلُهُ وَأَبْدَى لَنَا وَجْهًا أَرْبُ مُجَدَّمَا  
وَجَبَهَةَ قِرْدٍ - كَالشَّرَاكِ - ضَبِيلَةً وَأَنْفًا ، وَلَوَى بِالْعَيْنَيْنِ أَخْصَدَمَا  
ذَكَرْتُ الْكَرَامَ الذَّاهِبِينَ أُولَى النَّدَى وَقُلْتُ لِعَمْرٍو وَالْحَسَامِ : « أَلَا دَعَا »

### الزندقة والزنادقة

وَأَمَّا غِيْظُهُ عَلَى الزَّانِدَةِ وَالْمُنْحِدِينَ ، فَأَجَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، كَمَا أَجَرَهُ عَلَى الظُّلَمِ  
فِي طَرِيقِ مَكَّةَ ، وَاصْطَلَاهُ الشَّمْسُ بِعِرْفَةٍ ، وَمَبِيتِهِ بِالْمَرْزَدِ لَفَةٍ .  
وَلَا رَيْبَ أَنَّهُ اجْتَهَلَ إِلَى اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - فِي الْأَيَّامِ الْمُتَعَدِّدَاتِ  
وَالْمُتَعَلُّمَاتِ ، أَنْ يُثَبِّتَ هِضَابَ الْإِسْلَامِ .

وَلَكِنْ الزَّانِدَةُ دَلِيلٌ قَدِيمٌ ، وَقَدْ رَأَى بَعْضُ الْفُقَهَاءِ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا ظَهَرَتْ  
زَنْدَقَتُهُ ، ثُمَّ تَابَ فَرَحًا مِنَ الْقَتْلِ ، لَمْ تُقْبَلْ تَوْبَتُهُ . وَلَيْسَ كَذَلِكَ غَيْرُهُمْ  
مِنَ الْكُفَّارِ ؛ لِأَنَّ الْمُرْتَدَّ إِذَا رَجَعَ ، قُبِلَ مِنْهُ الرَّجُوعُ ، وَلَا مِلَّةَ إِلَّا وَلَهَا  
قَوْمٌ مُلْحِدُونَ !

وَقَدْ كَانَتْ مُلُوكُ الْفُرْسِ تَقْتُلُ عَلَى الزَّانِدَةِ ، وَالزَّانِدَةُ هُمْ الَّذِينَ يُسَمُّونَ  
« الدَّهْرِيَّةَ » وَلَا يَقُولُونَ بِبُيُوتِهِ وَلَا كِتَابِهِ .

### بشار بن برد<sup>(١)</sup>

و « بَشَارٌ » إِنَّمَا أَخَذَ ذَلِكَ عَنْ غَيْرِهِ ، وَقَدْ رَوَى : إِنَّهُ وَجَدَ فِي كُتُبِهِ رُقْعَةً مَكْتُوبٌ فِيهَا : « إِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَهْجُو » فَلَانَ بْنِ فَلَانَ الْهَاشِمِيَّ « فَصَفَحْتُ عَنْهُ لِقَرَاتِيهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . »

وَرَعَوْا أَنَّهُ كَانَ يُشَارُ « سَيْبُونِي » وَأَنَّهُ حَضَرَ يَوْمَ حَلَقَةِ يُونُسَ بْنِ حَبِيبٍ ، فَقَالَ : « هَلْ هُنَا مَنْ يَرْفَعُ خَبْرًا ؟ » فَقَالُوا : « لَا » فَأَلْشَدَمُ :

« بَنِي أُمَيَّةَ هُبُوا مِنْ رُقَادِكُمْ إِنَّ الْخَلِيفَةَ يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدَ لَيْسَ الْخَلِيفَةُ بِالْوَجُودِ ، فَالْتَمِسُوا خَلِيفَةَ اللَّهِ بَيْنَ النَّاسِ وَالْوُدِ<sup>(٢)</sup> »

وَكَانَ فِي الْحَلَقَةِ سَيْبُونِي<sup>(٣)</sup> فَيَذِي بِبَعْضِ النَّاسِ أَنَّهُ وَشَى بِهِ ، وَسَيْبُونِي - فِيمَا أَحْسَبُ - كَانَ أَجَلَ مَوْضِعًا مِنْ أَنْ يَدْخُلَ فِي هَذِهِ الدِّيَّاتِ ، بَلْ لَيَعْمِدُ لِأُمُورٍ سَيَّاتٍ .

\* \*

وَحُكِيَ عَنْهُ أَنَّهُ عَابَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ :

« عَلَى «النَزَلَى» مِنِّي السَّلَامُ ، فَطَأَلْنَا لَهَوْتُ بِهَا فِي ظِلِّ مُخَضَّرَةٍ زُهْرٍ ، »

فَقَالَ « سَيْبُونِي » : ( لَمْ تَسْتَعْمِلِ الْعَرَبُ «النَزَلَى» )

فَقَالَ بَشَارٌ : « هَذَا مِثْلُ قَوْلِهِمْ «الْبَشَكِيُّ» وَ «الْجَمَزِيُّ» وَنَحْوِ ذَلِكَ »

وَجَاءَ « بَشَارٌ » فِي شِعْرِهِ بِالنِّتْنَانِ<sup>(٤)</sup> ، فَيَقَالُ إِنَّهُ أَنْكَرَهُ عَلَيْهِ ، وَهَذِهِ

(١) ارجع الى ترجمته في ( ج ٢ . ص ١٣٨ ) من هذا الكتاب (٢) يروي :

« ضَاعَتْ خِلَافَتُكُمْ يَا قَوْمَ فَالْتَمِسُوا ... » (٣) ارجع الى ترجمته في ( ج ٢ . ص ٢٠ )

(٤) جمع نون ، وهو « الْحَوْتِ » .

أَخْبَارُ لَا تَثْبُتُ. وَفِيمَا رُويَ فِي كِتَابِ «سَيَبَوَيْهِ» أَنَّ «الثَّوْن» مُجْمَعٌ عَلَى «نَيْنَانٍ»<sup>(١)</sup>، فَهَذَا نَقْضٌ لِلْخَبَرِ.

وَذَكَرَ مَنْ نَقَلَ أَخْبَارَ «بَشَار» أَنَّهُ تَوَعَّدَ «سَيَبَوَيْهِ» بِالْهَجَاءِ، وَأَنَّهُ تَلَفَاهُ  
وَأَسْتَشْهَدَ بِشَعْرِهِ؛ وَيُحَوِّزُ أَنْ يَكُونَ أَسْتَشْهَادُهُ بِهِ عَلَى نَحْوِ مَا يَذْكُرُهُ الْمَتَدَاكِرُونَ  
فِي الْمَجَالِسِ وَجَمَاعِيقِ الْقَوْمِ. وَأَصْحَابُ «بَشَار» يَرَوُونَ لَهُ هَذَا النِّتَ.  
«وَمَا سُكِّلَ ذِي لُبٍّ بِمُؤْتِيكَ نَصْحَهُ وَمَا سُكِّلَ مُؤْتِي نَصْحَهُ بِلَيْبٍ»  
وَفِي كِتَابِ (سَيَبَوَيْهِ) نِصْفُ هَذَا النِّتِ الْآخِرِ، وَهُوَ فِي بَابِ الْإِذْغَامِ  
لَمْ يَسَمَّ قَائِلُهُ، وَزَعَمَ غَيْرُهُ أَنَّهُ لِأَبِي الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيِّ<sup>(٢)</sup>!

وَيُقَالُ إِنَّ «يَنْقُوبَ بْنَ دَاوُدَ» وَزِيرَ الْمُهَدِّيِّ، تَحَامَلَ عَلَى بَشَارٍ حَتَّى قُتِلَ.  
وَاخْتَلَفَ فِي سِنِّهِ، فَقِيلَ كَانَ - يَوْمِئِذٍ - ابْنُ ثَمَانِينَ سَنَةً، وَقِيلَ أَكْثَرَ،  
وَاللَّهُ الْعَالِمُ بِحَقِيقَةِ الْأَمْرِ.

وَلَا أَحْكُمُ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّمَا ذَكَرْتُ مَا ذَكَرْتُ فِيهَا  
تَقَدَّمَ<sup>(٣)</sup>، لِأَنِّي عَقَدْتُهُ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَحَلِيمٌ وَهَّابٌ!

وَذَكَرَ صَاحِبُ كِتَابِ «الْوَرَقَةِ» جَمَاعَةً مِنَ الشُّعْرَاءِ فِي طَبَقَةِ أَبِي نُوَّاسٍ  
وَمَنْ قَبْلَهُ، وَوَصَفَهُمْ بِالزُّنْدَقَةِ. وَسَرَّائِرُ النَّاسِ مُعَيَّبَةٌ، وَإِنَّمَا يَعْلَمُ بِهَا عَلَامُ  
الْمُيُوبِ. وَكَانَتْ تِلْكَ الْحَالُ تُكْتَمُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ خَوْفًا مِنَ السَّيْفِ،

(١) وتجمع أيضاً على «أَنُون» (٢) تخيل أبو الملاء في الجزء الثاني أن التوبة لم

تلتحق بيشار، وأنه في أصناف العذاب، ارجع الى (ج ٢ ص ١٤٠)

فَالآنَ ظَهَرَ نَجِثُ<sup>(١)</sup> الْقَوْمِ وَانْقَاضَتِ التَّرِيكَةُ<sup>(٢)</sup> عَنْ أَخْبَثِ رَأُلٍ<sup>(٣)</sup>

نادرة من نوارد الزنادقة

وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ رَجُلٌ لَهُ أَسَدِقَاهُ مِنَ الشَّيْعَةِ، وَصَدِيقُ زَنْدِيقٍ، فَدَمَا  
الْمُتَشَبِّهَةَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ، جَاءَ الزَّانِدِيْقُ، فَقَرَعَ حَلْقَةَ الْبَابِ، وَقَالَ :  
« أَصْبَحْتُ جَمَّ بَلَابِلٍ<sup>(٤)</sup> الصَّدْرِ مُتَقَسِّمِ الْأَشْجَابِ وَالْفِكْرِ »  
فَقَالَ صَاحِبُ الْمَنْزِلِ : ( وَيَحْكُ مَاذَا ؟ ) فَتَرَكَهُ الزَّانِدِيْقُ وَمَضَى .  
فَلَقِيَ صَاحِبُ الْمَنَازِلَةِ، فَقَالَ لَهُ : « يَا هَذَا ! أَرَدْتَ أَنْ تُوقِعَنِي فِيَا أُرْكُهُا »  
خَوْفًا مِنْ أَنْ يَظُنَّ أَسَدِيقَاؤُهُ أَنَّهُ زَنْدِيقٌ ، فَقَالَ : « ادْعُهُمْ نَائِيَةً ، وَأَعْلِنِي  
بِمَكَانِهِمْ » فَلَمَّا حَصَلُوا عِنْدَهُ ، جَاءَ الزَّانِدِيْقُ فَقَالَ :

« أَصْبَحْتُ جَمَّ بَلَابِلٍ<sup>(٥)</sup> الصَّدْرِ مُتَقَسِّمِ الْأَشْجَابِ وَالْفِكْرِ »  
فَقَالُوا : « وَيَحْكُ مَاذَا ؟ » فَقَالَ : « مِمَّا جَنَاهُ عَلَى « أَبِي الْحَسَنِ<sup>(٦)</sup> » :  
« مُمَرُّ » وَصَاحِبُهُ « أَبُو بَكْرٍ » ١ « فَقَرَحَ الشَّيْعَةَ بِذَلِكَ . وَلَقِيَ صَاحِبُ  
الْمَنْزِلِ ، فَقَالَ : « جُرِيتَ عَنِّي خَيْرًا ، فَقَدْ خَلَعْتَنِي مِنَ الشُّبْهَةِ ١ » .

نادرة أخرى

وَكَانَ يَجْلِسُ فِي مَجْلِسِ الْبَصْرَةِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَكَانَ فِيهِمْ  
رَجُلٌ زَنْدِيقٌ ، لَهُ سَيِّفَانِ قَدْ مَتَّى أَحَدُهُمَا « الْخَيْرَ » وَالْآخَرَ « الْفَلَاحَ<sup>(٧)</sup> »

(١) أى بدا سرهم الذى كانوا يخفونه ، ومن أمثالهم : بدا نجيث القوم ، أى افضح سرهم

(٢) انقضت : انكسرت وانقضت . والتريكة : بيضة النعام (٣) ولد النعام

(٤) وساوس (٥) يعنى على بن أبى طالب (٦) الفلاح : الفوز بما ينتبط به

فَإِذَا سَلَّمَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ، قَالَ : « صَبَّحَكَ الْخَيْرُ ، وَمَسَاكَ الْفَلَاحُ »  
ثُمَّ يَلْتَفِتُ لِأَصْحَابِهِ الَّذِينَ قَدْ عَرَفُوا مَكَانَ السَّيْفَيْنِ ، فيَقُولُ :  
« سَيِّفَانِ كَأَلْبَرْقِ إِذَا الْبَرْقُ لَسَعَ » .

### عودة إلى أبي نواس<sup>(١)</sup>

أَمَّا قَوْلُ الْحَكَمِيِّ<sup>(٢)</sup> : « تَبَهُ مُنَمَّنٌ وَظَرْفٌ زَنَدِيقٌ » فَقَدْ عِيبَ عَلَيْهِ هَذَا  
الْمُنَعْنَى ، وَقِيلَ إِنَّهُ أَرَادَ رَجُلًا مِّنْ بَنِي الْحَارِثِ كَانَ مَعْرُوفًا بِالزُّنْدَقَةِ وَالظَّرْفِ ،  
وَكَانَ لَهُ مَوْضِعٌ مِّنَ السُّلْطَانِ .

### صالح بن عبد القدوس

وَأَمَّا صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ ، فَقَدْ شَهَرَ بِالزُّنْدَقَةِ ، وَلَمْ يُقْتَلْ - وَلِلَّهِ الْعِلْمُ -  
حَتَّى ظَهَرَتْ عَنْهُ مَقَالَاتٌ تَوْجِبُ ذَلِكَ . وَيُرْوَى لِأَيُّهِ عَبْدِ الْقُدُّوسِ :  
« كَمْ أَهْلَكْتَ مَكَّةً مِنْ زَائِرٍ جَرَبَهَا اللَّهُ وَأَيَّامَهَا  
لَا رَزَقَ الرَّحْمَنُ أَحْيَاءَهَا وَأَشَوَتْ<sup>(٣)</sup> الرَّيْحَةُ أَمْوَاتَهَا »  
وَلَقَدْ كَانَ لِصَالِحٍ وَلَدٌ ، حُبِسَ عَلَى الزُّنْدَقَةِ حَبْسًا طَوِيلًا ، وَهُوَ الَّذِي  
يُرْوَى لَهُ :

خَرَجْنَا مِنَ الدُّنْيَا - وَنَحْنُ مِنْ أَهْلِهَا - فَمَا نَحْنُ بِالْأَمْوَاتِ فِيهَا وَلَا الْأَحْيَاءِ  
إِذَا مَا أَتَانَا زَائِرٌ مُتَّفَقٌ فَرِحْنَا ، وَقُلْنَا : « جَاءَ هَذَا مِنَ الدُّنْيَا » ،  
وَأَمَّا رُجُوعُهُ عَنِ الزُّنْدَقَةِ لَمَّا أَحْسَسَ بِالْقَتْلِ ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ اخْتِلٍ .

(١) ارجع الى (ج ٢ ص ١٠ ، وكذلك ص ٢١٩ من هذا الجزء) (٢) هو أبو نواس (٣) أخطأت

فَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، فَقَدْ رَوَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : « بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ ، وَاخْتِزِمَ  
السَّيْفُ ، وَاخْتِزِمَ فِي السَّيْفِ ، وَاخْتِزِمَ بِالسَّيْفِ ! » وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ :  
« لَا تَزَالُ أُمْتِي بِخَيْرٍ مَا سَمَلَتِ السَّيْفُ »  
وَالسَّيْفُ سَمَلٌ صَالِحٌ<sup>(١)</sup> عَلَى التَّصْدِيقِ ، وَرَدَّهُ عَنْ رَأْيِ الزُّنْدِيقِ<sup>(٢)</sup> . . . . .

### الصناديقى

وَأَمَّا الْمُنْسُوبُ إِلَى الصَّنَادِيقِ ، فَإِنَّمَا يُحْسَبُ مِنَ الزُّنَادِيقِ ، وَأَحْسَبُهُ الَّذِي  
كَانَ يُعْرَفُ بِالْمَنْصُورِ . ظَهَرَ سَنَةٌ سَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَأَقَامَ بُرْهَةً بِالْيَمَنِ ، وَفِي  
زَمَانِهِ كَانَتْ الْيَقَانُ تَلْعَبُ بِالْذِّفِّ ، وَتَقُولُ :

« خُذِ الذِّفَّ يَا هَذِهِ وَالْعَبِي وَبُنَى فَضَائِلَ هَذَا النَّبِيِّ  
تَوَلَّى نَبِيُّ بَنِي هَاشِمٍ وَقَامَ نَبِيُّ بَنِي يَمْرِبٍ  
فَمَا تَبْتَنِي السَّمَى عِنْدَ الصَّفَا وَلَا زَوْرَةَ الْقَبْرِ فِي « يَثْرِبِ »

(١) هو صالح بن عبد القدوس الذى مر ذكره (٢) كرر أبو العلاء هذا المعنى فى  
لزومياته بطرق شتى ، فمن ذلك قوله :

إذا ما أُلحِدت أم بجهل فقابلها بتوحيد السيوف

وقوله :

تَمَادَوْا فِي الضَّلَالِ وَلَمْ يَتُوبُوا وَلَوْ سَمِعُوا صَلِيلَ السَّيْفِ — تَابُوا

وقوله :

أُبْدَى « الْعَتَامَى » نَسْكَا وَتَابَ مِنْ ذِكْرِ عُتْبَةَ  
وَالْخُوفُ أَلْزَمَ « سَفِيَا ن » أَنْ يَفْرُقَ كُتْبَهُ  
وَأَمِنَ فِي التَّهْكُمِ وَالسَّخَرَةِ فِي قَوْلِهِ :

تَلَوْا بِاطْلَا ؟ وَجَلُّوا صَارِمَا وَقَالُوا : « صَدَقْنَا ؟ » قُلْنَا : « نَعَمْ ! »

إِذَا الْقَوْمُ صَلَّوْا ، فَلَا تَنْهَضِي وَإِنْ صُومُوا ، فَكُلِّي وَاشْرَبِي

\* \*

وَلَا تَخْرِجِي نَفْسَكَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَقْرَبِينَ وَمِنْ أَجْنَبِيٍّ<sup>(١)</sup>

### (١) المزدكية

هذا الرأي هو رأى جماعة « المزدكية » وهم أتباع « المذهب المزدكى » للنسوب الى « مزدك » وهو رجل ادعى النبوة على عهد خسرو قباد ، والد أنوشروان ، وزعم أن الله بعثه ليأمر « بشيوع النساء والأموال بين الناس كافة ، كاشتراكهم فى الماء والنار والكلا ، لأنهم كلهم إخوة ، أولاد أب واحد » وكان يتوهم أن ذلك يحسم أسباب المنازعات بينهم ، لأنها إنما تحدث بسبب النساء والمال ، فانقاد قباد إلى مذهبه ، وأباح له أن يخلو بالملكة زوجته ؛ فقرأى ابنه أنوشروان على قدمى قباد ، باكياً متوسلاً إليه ، ليعدل عن ذلك ، وما زال به حتى رجع عن فكرته ، فلما ولى الملك بدأ بقتل مزدك ، انتقاماً منه على ما م به ، ولم يقبل توسلاته إليه ، وقال له : « لن أنسى تنن قدميك — حين قبلتهما » ثم استأصل أصحابه وشيعته وفى كتاب اللال والنحل للشهرستانى نبذة مفيدة فى بيان هذا المذهب ، فيرجع إليها من شاء

والمنصور الصناديقى هذا ، هو أحد من اعتنقوا ذلك للمذهب ودعوا إليه ، وقد جاء ذكره فى رسالة ابن القارح ، وأنه كان يجمع فى دار خاصة ، نساء البلد ورجالها ليلاً ؛ ويأمرهم بالاختلاط « حتى لا يتميز مال من مال ، ولا ولد من ولد ! »

\* \*

أما رأى أبى العلاء فى المزدكية ، فيدلك على سخطه الشديد عليها قوله :

أَفَرَوْا بِالْإِلَهِ وَأَثْبَتُوهُ وَقَالُوا : « لَانَبِي وَلَا كِتَاب . . . »

ووطء بناتنا حل مباح « رويدكم ! فقد بطل العتاب

تمادوا فى الضلال — ولم يتوبوا — ولو سمعوا صليل السيف ، تابوا



فَكَيْفَ حَلَّتْ لِدَاكَ الْغَرِيبِ وَصِرَتْ مُحَرَّمَةً لِلْأَبِ ؟  
 أَلَيْسَ الْغِرَاسُ لِمَنْ رَبَّهُ وَرَوَاهُ فِي عَامِهِ الْمُجْدِبِ ؟  
 وَمَا الْحَمْرُ إِلَّا كَمَا السَّحَابُ بَطْلَقٌ ، فَقُدِّسَتْ مِنْ مَذْهَبِ «  
 فَمَلَى مُتَعَدِّ هَذِهِ الْمَقَالَةَ بِهَلَّةِ الْمُتَبَهِّلِينَ ا وَهَذِهِ الطَّبَقَةُ - لَعَنَهَا اللَّهُ -  
 تَسْتَعْبِدُ الطَّغَامَ بِأَصْنَافٍ مُخْتَلِفَةٍ ا

### دعوى الربوبية

وَقَدْ كَانَ بِالْيَمَنِ رَجُلٌ يَحْتَجِبُ فِي حِصْنٍ لَهُ ، وَيَكُونُ الْوَاسِطَةَ بَيْنَهُ  
 وَبَيْنَ النَّاسِ خَادِمًا لَهُ أَسْوَدَ ، قَدْ تَمَاءَ « جَبْرِيلُ » فَقَتَلَهُ الْخَادِمُ فِي بَعْضِ  
 الْأَيَّامِ وَالنَّصْرَفَ ، فَقَالَ بَعْضُ الْمُجَانِّ :  
 « تَبَارَكَ اللَّهُ فِي عِلَالِهِ فَرَّ مِنَ الْفِسْقِ جَبْرِيلُ  
 وَصَلَّ مَنْ تَزُمُّونَ رَبًّا وَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ قَتِيلٌ »

وَيُقَالُ : إِنَّهُ حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ مَا كَانَ يُكَلِّفُهُ مِنَ الْفِسْقِ .  
 وَإِذَا طَمِعَ بَعْضُ هَؤُلَاءِ ، فَإِنَّهُ لَا يَقْنَعُ بِالْإِمَامَةِ ، وَلَا النُّبُوَّةِ ، وَلَكِنَّهُ  
 يَرْتَفِعُ صُعْدًا فِي الْكَذِبِ ا

\*\*\*

وَلَمْ تَكُنِ الْعَرَبُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تُقَدِّمُ عَلَى هَذِهِ الْعَطَائِمِ ، بَلْ كَانَتْ

وقوله :

شر النساء مشاعات - يكن لنا كالأرض - يحملن أبناء مشاعينا  
 (٣٠)

عَقُولُهُمْ تَجَنُّحُ إِلَى رَأْيِ الْحُكَمَاءِ ، وَمَا سَلَفَ مِنْ كُتُبِ الْقَدَمَاءِ — إِذْ كَانَ أَكْثَرُ الْفَلَاسِفَةِ لَا يَقُولُونَ بِنَبِيِّ ، وَيَنْظُرُونَ إِلَى ذَلِكَ بِعَيْنِ النَّفْسِ .

### ربيعه بن أمية بن خلف الجمحي

وَكَانَ رَبِيعَةُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ الْجُمَحِيُّ جَرَى لَهُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ — رَحِمَهُ اللَّهُ — خُطْبٌ ، فَلَحِقَ بِالرُّومِ ، وَيُرْوَى أَنَّهُ قَالَ :

« لِحَقْتُ بِأَرْضِ الرُّومِ — غَيْرُ مُفَكِّرٍ      بِتَرْكِ صَلَاةٍ مِنْ عِشَاءٍ وَلَا ظُهُرٍ  
فَلَا تَذْكُونِي مِنْ صَبُوحٍ مُدَامَةٍ      فَمَا حَرَّمَ اللَّهُ السَّلَافُ <sup>(١)</sup> مِنَ الْخَمْرِ  
إِذَا أَمَرْتُ <sup>(٢)</sup> « تَيْمُ بْنُ مَرْثَةَ » فَيْكُمُ      فَلَا خَيْرَ فِي أَرْضِ الْحِجَازِ وَلَا مِصْرٍ  
فَإِنَّ يَكُ إِسْلَامِي هُوَ الْحَقُّ وَالْهُدَى      فَأَتَيْتُ قَدْ خَلَيْتُهُ لِأَبِي بَكْرٍ ا »

\* \*

وَأَفْتَتِ النَّاسُ فِي الضَّلَالَةِ ، حَتَّى اسْتَجَازُوا دَعْوَى الرُّبُوبِيَّةِ ، فَكَانَ ذَلِكَ تَنْطُصًا <sup>(٣)</sup> فِي الْكُفْرِ ، وَجَمَاعًا لِلْمَعْصِيَةِ ، وَإِنَّمَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَدْفَعُونَ النُّبُوَّةَ ، وَلَا يُحَازِرُونَ ذَلِكَ إِلَى سِوَاهُ .

### سُمَيْرُ بْنُ أَدَكْنٍ

وَلَمَّا أَجَلَى مُعَمَّرُ بْنُ الْأَطَّابِ — رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ — أَهْلَ الذِّمَّةِ عَنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْجَلَالِينَ . فَيُقَالُ إِنَّ رَجُلًا مِنْ يَهُودِ بَنِي خَيْبَرَ ، يُعْرَفُ بِسُمَيْرِ بْنِ أَدَكْنٍ ، قَالَ فِي ذَلِكَ :

(١) مَا تَحَلَّبَ وَسَالَ قَبْلَ الْمَصْرِ ، وَهُوَ أَفْضَلُ الْخَمْرِ (٢) صَارَتْ أُمِيرَةً (٣) تَائِقًا

« يَصُولُ أَبُو حَفْصٍ عَلَيْنَا بِدِرَّةٍ<sup>(١)</sup> رُوَيْدَكَ ، إِنَّ الْمَرْءَ يَطْفُو وَيَرْسُبُ  
كَأَنَّكَ لَمْ تَتَّبِعْ سَحْوَةَ مَا قُطِبَ لِنَشْبَعِ ، إِنَّ الرَّادَّ شَيْءٌ مُجْجِبُ  
فَلَوْ كَانَ «مُوسَى» صَادِقًا مَا ظَهَرَ ثُمَّ عَلَيْنَا ، وَلَكِنْ دَوْلَةٌ تُمُّ تَذْهَبُ  
وَنَحْنُ سَبَقْنَاكُمْ إِلَى الْمَيْنِ ، فَاعْرِفُوا لَنَا رُبَّةَ الْبَادِي الَّذِي هُوَ أَكْذَبُ  
مَشَيْتُمْ عَلَى آثَارِنَا فِي طَرِيقِنَا وَبُعَيْتُمْكُمْ فِي أَنْ تَسُودُوا وَتَرْهَبُوا »

\* \*

وَمَا زَالَ الْيَمْنُ - مُنْذُ كَانَ - مَعِدْنَا لِلْمُتَكَسِّبِينَ بِالْتَّذِيثِ ، وَالْمُخْتَالِينَ  
عَلَى السُّحْتِ بِالتَّزْيِينِ . وَحَدَّثَنِي مَنْ سَافَرَ إِلَى تِلْكَ النَّاحِيَةِ : أَنَّ يَوْمَ جَمَاعَةٍ ،  
كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ الْقَائِمُ الْمُتَنَطِّرُ ، فَلَا يَعْدُمُ جَبَايَةً مِنْ مَالٍ ، يَصِلُ بِهَا إِلَى  
خَسِيصِ الْأَمْالِ .

### القرامطة

وَحُكِّيَ لِي أَنَّ لِلْقَرَامِطَةِ بِالْأَحْسَاءِ بَيْنَنَا يَزْعُمُونَ أَنَّ إِمَامَهُمْ يَخْرُجُ  
مِنْهُ ، وَيُقِيمُونَ عَلَى بَابِ ذَلِكَ أَلْيَتِ قَرَسًا بِسَرِجٍ وَجَلَامٍ ، وَيَقُولُونَ لِلْهَمِجِ  
وَالطَّنَامِ : « هَذَا الْفَرَسُ لِرِكَابِ الْمَهْدِيِّ ، يَزْكِبُهُ مَتَى ظَهَرَ<sup>(٢)</sup> » ، وَإِنَّمَا

(١) سوط يضرب به (٢) وفي ذلك يقول أبو للملاء :

يرقب الناس أن يقوم إمام	ناطق في الكتيبة الخرساء
كذب الظن ، لا إمام سوى العمة	ل مشيراً في صبحه والمساء
فإذا ما أطمته جلب الرح	مة عند المسير والإرساء
إنما هذه المناهب أسبا	ب لجذب الدنيا إلى الرؤساء
كالذي قام بجمع « الزنج » بالبه	رة « والقرمطي » بالأحساء
فأنفرد ما استطعت ، فالقاتل الصا	دق يضحي ثقلاً على الجلساء

غَرَضُهُمْ بِذَلِكَ خَدْعٌ وَتَمْلِيلٌ ، وَتَوَصُّلٌ إِلَى الْمَمْلَكَةِ وَتَضْلِيلٌ .  
وَمِنْ أَعْجَبَ مَا سَمِعْتُ أَنَّ بَعْضَ رُؤَسَاءِ الْقَرَامِطَةِ فِي الدَّهْرِ الْقَدِيمِ ، لَمَّا  
حَضَرَتْهُ الْمَيِّتَةُ ، جَمَعَ أَصْحَابَهُ ، وَجَعَلَ يَقُولُ لَهُمْ - لَمَّا أَحَسَّ بِالْمَوْتِ - :  
« إِنِّي قَدْ عَزَمْتُ عَلَى النُّقْلَةِ ، وَقَدْ كُنْتُ بَعَثْتُ مُوسَى وَعِيسَى وَمُحَمَّدًا ، وَلَا  
بُدَّ لِي أَنْ أَبْعَثَ غَيْرَ هَؤُلَاءِ ، فَعَلَيْهِ اللَّعْنَةُ ، لَقَدْ كَفَرَ أَعْظَمَ الْكُفْرِ فِي  
السَّاعَةِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ يُؤْمِنَ فِيهَا الْكَافِرُ ، وَيُوثِبَ إِلَى آخِرَتِهِ الْمُسَافِرُ ! »

### الوليد بن يزيد

وَأَمَّا الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ ، فَكَانَ عَقْلُهُ عَقْلَ وَلِيدٍ ، وَقَدْ بَلَغَ سِنَّ الْكَهْلِ  
الْجَلِيدِ ، وَقَدْ رُوِيَ لَهُ أَشْعَارُ ، يَلْحَقُ بِهِ مِنْهَا الْعَارُ ، كَقَوْلِهِ :

« أَذْنِيَا مِثْنَى خَلِيلِي « عَبْدَلَا » دُونَ الْإِزَارِ

فَلَقَدْ أَقْبَنْتُ أَتَى غَيْرُ مَبْعُوثٍ لِنَارِ

وَاتَرُكََا مَنْ يَطْلُبُ الْجَنَّةَ يَسْعَى فِي خَسَارِ

سَارُوضُ النَّاسِ ، حَتَّى يَرْكَبُوا دِينَ الْحِمَارِ «

فَالْعَجَبُ لِمَنْ صَبَرَ مِثْلَهُ لِإِمَامٍ . وَلَعَلَّ غَيْرَهُ - مِمَّنْ مَلَكَ - يَمْتَقِدُ مِثْلَهُ

أَوْ قَرِيبًا ، وَلَكِنْ يُسَايِرُ وَيَخَافُ تَهْرِيًا . وَمِمَّا يُرْوَى لَهُ :

« أَنَا الْإِمَامُ الْوَلِيدُ مُفْتَحِرًا أَجْرُ بُرْدِي ، وَأَسْمَعُ الْفَزَلَا

مَا الْمَيْشُ إِلَّا مَمَاعُ مُحْسِنَةٍ وَهَوَّةُ تَتْرُكُ الْفَتَى تَمِيلَا

أَسْحَبُ ذَيْلِي إِلَى مَنَازِلِهَا وَلَا أَبَالِي مَنْ لَامَ أَوْ عَذَلَا

لَا أَرْتَجِي الْخَوْرَ فِي الْخُلُودِ ، وَهَلْ يَأْمُلُ حُورَ الْجَنَانِ مَنْ عَقَلَا ؟

إِذَا حَبَبَتْكَ الْوَصَالُ غَارِبَةٌ فَجَازَهَا بِذَلَمَهَا، كَمَنْ وَصَلَا  
وَيُقَالُ إِنَّهُ لَمَّا أَحْيَطَ بِهِ، دَخَلَ الْقَصْرَ وَأَغْلَقَ بَابَهُ، وَقَالَ :

دَعَا إِلَى هِنْدًا وَالرَّابَّ وَفَرَّتَنِي وَمُسْمِعَةً، حَسْبِي بِذَلِكَ مَا لَا  
خُذُوا مُلْكَكُمْ، لَا تَبْتَ اللَّهُ مُلْكَكُمْ فَلَيْسَ يُسَاوِي بَعْدَ ذَلِكَ عَقَالًا  
وَحَلُّوا سَبِيلِي قَبْلَ عَيْرٍ وَمَا جَرَى <sup>(١)</sup> وَلَا تَحْسُدُونِي أَنْ أُمُوتَ هُزَالًا

فَالَيْبَ عَنْ تِلْكَ الْمَنْزِلَةِ أَيُّ أَلْبٍ، وَرُؤْيَى رَأْسُهُ فِي فَمِ كَلْبٍ إِنْ كَانَ حَقُّ  
الْخِلَافَةِ أَنْ تُقْضَى إِلَى مَنْ هُوَ بِسُكِّ مَعْرُوفٍ، لَا تَصْرِفُهُ عَنِ الرُّشْدِ صُرُوفٌ.  
وَلَكِنَّ الْبِلْيَةَ خُلِقَتْ مَعَ الشَّمْسِ، فَهَلْ يَخْلُصُ مَنْ سَكَنَ فِي رَمْسٍ ؟

### أبو عيسى بن الرشيد

وَأَمَّا « أَبُو عَيْسَى بْنُ الرَّشِيدِ » فَإِنْ صَحَّ مَا رُوِيَ عَنْهُ، فَقَدْ بَانَ بِذَلِكَ  
أَسْلَافُهُ، وَمَا يَحْفَلُ رَبُّهُ بِالْعَبِيدِ، صَائِمِينَ لِلْخَيْفَةِ وَلَا مُفْطِرِينَ <sup>(٢)</sup> وَرُبَّمَا كَانَ  
الْجَاهِلُ أَوْ الْمُتَجَاهِلُ، يَنْطَلِقُ بِالْكَلِمَةِ وَخَلَدُهُ بِضِدِّهَا أَهْلًا  
وَلَمَّا أَقُولُ ذَلِكَ، رَاجِعًا أَنْ أَبَا عَيْسَى وَلُظْرَاهُ، لَمْ يَنْبَعُوا فِي النَّبِيِّ أُمَرَاءَهُ،  
وَأَنَّهُمْ عَلَى سِوَى مَا عَلَنَ يَبْتَئُونَ، لَقَدْ وَعَظَهُمُ الْمَيِّتُونَ ...  
وَكَانَ « أَبُو عَيْسَى » الْمَذْكُورُ يُسْتَحْسَنُ شِعْرُهُ فِي الْبَيْتَيْنِ وَالثَّلَاثَةِ،  
وَأُنْشِدَ لَهُ الصُّوَرُ فِي تَوَادِرِهِ :

(١) قبل عير وما جرى : أى في الحال  
(٢) ذكر أبو العلاء هذا المعنى في لزومياته  
أكثر من مرة . فمن ذلك قوله :

تورعوا يا بنى حواء عن كذب  
فما لكم عند ربِّ صاغكم خطرُ  
لم نجدوا لقبيح من فمالككم  
ولم يمحكم - لحسن التوبة - المطر

« لِسَانِي كُتُومٌ لِأَسْرَارِهِ وَدَمْعِي نَمُومٌ بِسِرِّي مُذِيعٌ  
وَلَوْلَا دُمُوعِي كَتَمْتُ الْهَوَى وَلَوْلَا الْهَوَى لَمْ يَكُنْ لِي دُمُوعٌ »  
فَإِنْ كَانَ فَرٌّ مِنْ صَيَامِ شَهْرِ ، فَلَعَلَّهُ يَقَعُ فِي تَعْذِيبِ الدَّهْرِ !

### الجنابي<sup>(١)</sup>

وَأَمَّا الْجَنَابِيُّ ، فَلَوْ عُوِيبَ بَلَدٌ عَنْ يَسْكُنُهُ ، لَجَازَ أَنْ تُؤْخَذَ بِهِ « جَنَابَةٌ » ،  
وَلَا يُقْبَلُ لَهَا إِنَابَةٌ ، وَلَكِنْ حُكِمَ الْكِتَابُ الْمُنْزَلِ أَجْدَرُ وَأُخْرَى ، أَنْ لَا تَرَزَّ  
وَازِرَّةٌ وَزَرَ أُخْرَى «  
فَعَلَيْهِ اللَّعْنَةُ !

### (١) الجنابي

٢٨٦ — ٣٣١ هـ

اسمه سليمان بن أبي سعيد الحسن بن بهرام القرمطي ، بلده « جنابة » من أعمال فارس  
متصلة بالبحرين ، وكنيته أبو طاهر ، وقد امتلأت كتب التاريخ بخروج « القرامطة » على  
الخلفاء والملوك وحروبهم معهم ، فلا حاجة الى الافاضة في ذلك ، وحسبنا أن نلم  
بتاريخه موجزين :

ظهر في سنة ٢٨٦ هـ بالبحرين ، وانضم اليه عدد من الأعراب والقرامطة ، ثم ارتفع شأنه ،  
وقويت شوكته ، فقتل من حوله من أهالي تلك القرى ، ولما قرب من نواحي البصرة ، جهز  
اليه المعتضد بالله جيشاً فهزمه الجنابي ، وقتل الأسرى وأحرقهم ، واستبقى قائده ، ثم أطلقه بعد  
أيام وقال له : « امض الى صاحبك ، وعرفه ما رأيت » ودخل بغداد في رمضان تلك السنة ،  
وحضر بين يدي المعتضد ، فخلع عليه . ودخل القرامطة الشام سنة ٢٨٩ هـ وجرت وقائع بين  
الفريقين ، ثم قتله خادمه سنة ٣٣١ هـ في الحمام .

وقد مر في رسالة ابن القارح للمشورة في الجزء الأول من هذا الكتاب إشارة اليه

## العلوى البصرى

وَأَمَّا الْعَلَوِيُّ الْبَصْرِيُّ ، فَذَكَرَ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّهُ كَانَ قَبْلَ خُرُوجِهِ  
يَذْكُرُ أَنَّهُ : مِنْ « عَبْدِ الْقَيْسِ » ثُمَّ مِنْ « أَنْعَارِ » وَكَانَ اسْمُهُ « أَحْمَدَ »  
فَلَمَّا خَرَجَ تَسَمَّى « عَلِيًّا » .

وَالْكَذِبُ كَثِيرٌ جَمٌّ ، كَأَنَّهُ فِي النَّظَرِ طَوْدُ أَشْمٍ ، وَالصَّدْقُ لَدَيْهِ كَالْخَصَاةِ ،  
ثَوْبًا بِأَفْدَامِ عُصَاةٍ . وَتِلْكَ الْأَيَّاتُ الْمُنْسُوبَةُ إِلَيْهِ مَشْهُورَةٌ ، وَهِيَ :  
أَيَا حِرْفَةَ الزَّمَنِ ا - أَلَمْ بِكَ الرَّدَى - أُمَالِي خَلَاصُ مِنْكَ - وَالشَّمْلُ جَامِعٌ ؟  
لَنْ قَنِتَ نَفْسِي بِتَعْلِيمِ صَبِيَّةٍ - يَدَ الدَّهْرِ - إِنِّي بِالْمَذَلَّةِ قَانِعٌ  
وَهَلْ يَرْضَيْنَ حُرٌّ بِتَعْلِيمِ صَبِيَّةٍ وَقَدْ ظَنَّ أَنَّ الرِّزْقَ فِي الْأَرْضِ وَاسِعٌ ؟  
وَمَا أَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ سَمَلُهُ حُبُّ الْخَطَامِ ، عَلَى أَنْ غَرِقَ فِي بَحْرِ طَامٍ ا

\* \*

وَقَدْ رُوِيَ لَهُ أَيْكَاتٌ تَذُلُّ عَلَى تَأْلِيهِ ، وَمَا أَذْفَعُ أَنْ تُكُونَ قِيلَتْ عَلَى  
لِسَانِهِ ، لِأَنَّ مَنْ خَبَرَ هَذَا الْعَالَمَ حَكَمَ عَلَيْهِ بِفُجُورٍ وَمَيِّنٍ . وَالْأَيْكَاتُ :

« قَتَلْتُ النَّاسَ إِشْفَاقًا عَلَى نَفْسِي كَيْ تَبْقَى  
وَحُزْتُ الْمَالَ بِالسَّيْفِ لِكَيْ أَنْعَمَ ، لَا أَشْقَى  
فَرَنْ أَبْصَرَ مَثْوَايَ فَلَا يَظْلِمُ إِذَا خَلَقَا  
فَوَاوَيْلِي إِذَا مَا مِثٌ - عِنْدَ اللَّهِ : مَا أَلْقَى ؟  
أَحْلَلْنَا فِي جِوَارِ اللَّهِ ؟ أَمْ فِي نَارِهِ أُلْقَى ؟ »

\* \*

وَأَنْشَدَنِي بَعْضُهُمْ أَيْكَانًا قَافِيَةً طَوِيلَةً الْوَزْنِ ، وَقَافِيَتَهَا مِثْلُ هَذِهِ الْقَافِيَةِ ،  
قَدْ نُسِبَتْ إِلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ . وَقِيلَ إِنَّهُ أَفَاقَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ ، فَكَتَبَهَا عَلَى  
جِدَارِ الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ فِيهِ . وَقَدْ نُحِيَ بِهَا نَحْوُ أَيْكَاتِ الْبَصْرِيِّ ؛ وَأَشْهَدُ أَنَّهَا  
مُتَكَلِّفَةٌ ، صَنَعَهَا رَقِيعٌ مِنَ الْقَوْمِ ، وَأَنَّ عَضُدَ الدَّوْلَةِ مَا سَمِعَ بِهَا قَطُّ .

\* \*

وَأَمَّا الْحِكَايَةُ عَنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ أَنَّهُمْ صَحَّفُوا رَحْمَةً ، فَقَالُوا رَحْمَةً ،  
فَلَا أُصَدِّقُ بِمَا يَجْرِي مَجْرَاهَا ، وَالْكَذِبُ غَالِبٌ ظَاهِرٌ ، وَالصَّدَقُ  
خَفِيٌّ مُتَضَائِلٌ <sup>(١)</sup> .

وَكَذَلِكَ ادَّعَاهُ مَنْ يَدَّعِي أَنَّ عَلِيًّا - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَالَ : « تَهْلِكُ  
الْبَصْرَةُ بِالزَّنَجِ » فَصَحَّفَهَا أَهْلُ الْحَدِيثِ بِالرَّجَحِ ، لَا أَوْ مِنْ يَشَى مِنْ ذَلِكَ ،  
وَلَمْ يَكُنْ عَلِيٌّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - يَمُنُّ بِكُشْفِ لَهْ عِلْمِ الْغَيْبِ . وَفِي الْكِتَابِ  
الْعَزِيزِ : « لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ » وَفِي الْحَدِيثِ  
الْمُتَأَوِّرِ : « لَا يَعْلَمُ مَا فِي غَيْدِ إِلَّا اللَّهُ » .

وَلَا يَحْجُوزُ أَنْ يُخْبَرَ مُنْذُ مِائَةِ سَنَةٍ أَنَّ أَمِيرَ حَلَبَ - حَرَسَهَا اللَّهُ -  
فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ <sup>(٢)</sup> ائِمَّةَ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ، وَصِفَتُهُ كَذَا ، فَإِنْ  
ادَّعَى ذَلِكَ مُدَّعٍ ، فَإِنَّمَا هُوَ مُنْخَرَّصٌ كَاذِبٌ !

(١) يقول أبو العلاء في هذا المعنى :

والحق يهمس بينهم ويقام للسوات منير

ويقول: إذا قلت الحال : رفعت صوتي وإن قلت اليقين: أطلت همسي !

(٢) من هذا نستنتج أن رسالة الغفران كتبت في تلك السنة، وقد أشرنا إلى ذلك في مقدماتنا للرسالة



## النجوم

وَأَمَّا النُّجُومُ فَأَمَّا لَهَا تَلْوِيحٌ لَا تَصْرِيحٌ . وَحُكِيَ أَنَّ الْفَضْلَ بْنَ سَهْلٍ  
كَانَ يَتَمَثَّلُ كَثِيرًا بِقَوْلِ الرَّاجِزِ :

« لَيْتَ نَجُوتُ وَنَجَتْ رَكَائِي مِنْ غَالِبٍ وَمِنْ لَفِيفٍ غَالِبٍ  
إِنِّي لَنَجَاءٌ مِنَ الْكَرَائِبِ »

وَأَنَّ غَالِبًا كَانَ فِي مَنْ قَتَلَهُ ، فَهَذَا يَتَّفِقُ مِثْلُهُ . وَأَجْدِرُ بِهَذِهِ الْحِكَايَةِ  
أَنْ تَكُونَ مَصْنُوعَةً .

فَأَمَّا مَا تَمَثَّلُهُ بِالشَّعْرِ فَغَيْرُ مُسْتَنَكِرٍ ، وَرُبَّمَا اتَّفَقَ أَنْ يَكُونَ فِي الْوَقْتِ  
سَجَاعَةٌ يُسَمَّوْنَ بِهَذَا ، فَيُمْكِنُ أَنْ يَفْتَرِ مَعْنَى بِلَفْظٍ . عَلَى أَنَّ فِي الْأَيَّامِ  
عَجَائِبَ ، وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ .

## الآلِمْ

وَقَدْ حُكِيَ أَنَّ « إِبْرَاهِيمَ بْنَ مُعَاوِيَةَ » الْقَاضِيَّ كَانَ يَظُنُّ الْأَشْيَاءَ ، فَتَكُونُ  
كَمَا ظَنُّ ، وَلِهَذَا الْعِلَّةُ قَالُوا : « رَجُلٌ نِقَابٌ <sup>(١)</sup> » ، وَالْمَعْنَى « قَالَ أَوْسٌ <sup>(٢)</sup> :  
الْأَلْمِيُّ الَّذِي يَظُنُّ بِكَ الظَّنَّ » كَانَ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا <sup>(٣)</sup>

(١) النِّقَابُ : للتغرس ، الذي يحدث بالغائب (٢) هو أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ التَّمِيمِيُّ ، أَحَدُ  
شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ ، أَرْجَعَ إِلَى تَرْجُمَتِهِ فِي ج ٢ ص « ١٦٥ »

(٣) وَمَا قِيلَ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

« عَلِيمٌ بِأَخْبَارِ الْخَطُوبِ بَظَنِّهِ كَانَ لَهُ فِي الْيَوْمِ عَيْنًا عَلَى غَدِ »

## الحلاج<sup>(١)</sup>

وَكَمْ افْتَرَى لِلْحَلَّاجِ - وَالْكَذِبُ كَثِيرٌ - وَجَمِيعُ مَا يُنْسَبُ إِلَيْهِ عَمَّا لَمْ تَجْزِ

وقول آخر :

بصير بأعقاب الأمور ، كأنما تخاطبه من كل أمر عواقبه

وقول ثالث :

بصير بأعقاب الأمور ، كأنما يرى بصواب الظن ما هو واقع

وقول البحرى فى سليمان بن وهب :

كأن أراؤه - والحزم يتبعها - تزيه كل خفى وهو إعلات

ما غاب عن عينه ، فالقلب يكلؤه ، وإن تم عينه ، فالقلب يقظان

### (١) الحلاج

اسمه الحسين بن منصور ، وكنيته أبو مغيث ، وجده محوسى ، وبلده « البيضاء » أحد بلاد فارس ، وكانت وفاته سنة ٣٠٩ هـ

نشأ بواسط بالعراق ، واشتهر بصحبته لأبى القاسم الجنيد ، ومن فى طبقة ، كما اشتهر بكفره - وإن بالغ فى تعظيمه بعض الناس - ومن شعره قوله :

لا كنت إن كنت أدرى : « كيف كنت » ولا

إفراطة فى محبة الله ، واستشهد بقول القائل :

ألقاه فى اليم مكتوفاً ، وقال له : « إياك إياك أن تبسل بالماء »

وكان يكثر من قوله : « ما فى الجبة إلا الله » فسمى « الجبائى » لذلك . وكان يقول « معبودكم تحت قدمى هذا » وقد تصدى الإمام الغزالى للدفاع عنه فى فصل طويل عقده فى كتاب (مشكاة الأنوار) اعتذر فيه عن الألفاظ الشديدة التى صدرت منه ، وعزاها إلى إفراطة فى محبة الله ، واستشهد بقول القائل :

أنا من أهوى ، ومن أهوى أنا نحن روحان ، حللنا بدنا

فإذا أبصرتى أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا

الْعَادَةُ بِمِثْلِهِ ، فَإِنَّهُ الْمَيَّنُّ لَا أَصَدَّقُ بِهِ . وَمِمَّا يُفْتَعَلُ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَالَ لِلَّذِينَ قَتَلُوهُ : « أَتَنْظُرُونَ أَنْكُمْ إِيَّايَ تَقْتُلُونَ ؟ إِنَّمَا تَقْتُلُونَ بَنَةَ الْمَادِرِإِيِّ » وَأَنَّ الْبَنَةَ وَجِدَتْ فِي إِصْطَبِلِهَا مَقْتُولَةً .

وَفِي الصُّوْفِيَّةِ — إِلَى الْيَوْمِ — مَنْ يَرْفَعُ شَأْنَهُ ، وَبَلْفَنِي أَنْ يَبْغِدَادَ قَوْمًا يَنْتَظِرُونَ خُرُوجَهُ ، وَأَنَّهُمْ يَقْفُونَ بِحَيْثُ صُلِبَ عَلَى « دِجْلَةِ » يَتَوَقَّعُونَ ظُهُورَهُ <sup>(١)</sup> .

وَلَيْسَ ذَلِكَ يَبْدِعُ مِنْ جَهْلِ النَّاسِ ، وَلَوْ عَبْدَ عَابِدٍ ظَلَمِي كَنَاسٍ <sup>(٢)</sup> !

### إجلال القرد

قرد زبيدة وقرد بزبد

فَقَدْ نَزَلَ حَظٌّ عَلَى قَرْدٍ ، فَظَفِرَ بِأَكْرَمِ الْوَرْدِ ، وَقَالَتِ الْعَامَةُ :  
« اسْجُدْ لِلْقَرْدِ فِي زَمَانِهِ ! »

وفي رسالة ابن القارح طرف من أخباره

(١) كان السبب في صلبه ، كلام جرى منه في مجلس « حامد بن العباس » وزير المقتدر بحضرة القاضي أبي غرر ، فأفتى بجل دمه ، وكتب بخطه ذلك ، وكتب معه من حضر المجلس من الفقهاء ، فقال لهم الحلّاج : « ظهري حمى ، ودمي حرام ، وما يجل لكم أن تقولوا على ، وأنا اعتقادي الاسلام ، ومذهبي السنة ، وتفضيل الأئمة الأربعة ، الخلفاء الراشدين ، ولي كتب في السنة ، فالله الله في دمي ! » ولم يزل يردد هذا القول — وهم يكتبون — حتى أتموا ما هم فيه ، ونهضوا من المجلس وحلوا الحلّاج إلى السجن ، ثم جلد أمام العامة حتى قُتل ، ثم صلب ، ثم قطعت أطرافه ، وجز رأسه ، وأخرقت جسده ، ثم أُلقيت في « دجلة » واتفق أن فاضت مياهها في تلك السنة فيضاناً كثيراً ، فادعى أصحابه أن سبب ذلك هو سحق الحلّاج .

(٢) الكناس : بيت الظلي في الشجر يستتر فيه

وَأَنَا أَنَحْوَبُ<sup>(١)</sup> مِنْ ذِكْرِ الْفِرْدِ الَّذِي يُقَالُ إِنَّ الْقَوَادَّ — فِي زَمَنٍ  
« زَيْدَةَ » — كَانُوا يَدْخُلُونَ لِلْسَّلَامِ عَلَيْهِ ، وَأَنَّ « يَزِيدَ بْنَ مَزِيدِ الشَّيْبَانِيِّ »  
دَخَلَ فِي جُمْلَةِ الْمُسْلِمِينَ فَقَتَلَهُ .  
وَقَدْ رَوَى أَنَّ « يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ » كَانَ لَهُ فِرْدٌ يَحْمِلُهُ عَلَى أَتَانٍ وَحَشِيَّةٍ ،  
وَيُرْسِلُهَا مَعَ الْخَيْلِ فِي الْحَلَبَةِ<sup>(٢)</sup> .

### رجعة إلى الحلاج

وَأَمَّا الْأَيَّاتُ الَّتِي عَلَى الْبَاءِ :  
« يَا سِرَّ سِرِّ يَدِّهِ حَتَّى      يَجِلَّ عَنْ وَصْفِ كُلِّ شَيْءٍ  
وَظَاهِرًا بَاطِنًا تَبَدَّى      مِنْ شُكْلٍ شَيْءٍ لِكُلِّ شَيْءٍ  
يَا جُمْلَةَ الشُّكْلِ لَسْتُ غَيْرِي      فَا عْتَذَارِي إِذْنٌ إِلَى ؟ »  
فَلَا بَأْسَ بِنَظْمِهَا فِي الْقُوَّةِ ، وَلَكِنْ قَوْلُهُ « إِلَى » عَاهَةٌ فِي الْأَيَّاتِ ،  
وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ « الشُّكْلُ » فَإِنْ إِدْخَالُهُ الْأَلِفَ وَاللَّامَ مَكْرُومَةٌ .  
وَكَانَ « أَبُو عَلِيٍّ » يُحِيزُهُ ، وَيَدْعِي إِجَازَتَهُ عَلَى « سَيَّبُونِيَّةٍ » .  
فَأَمَّا الْكَلَامُ الْقَدِيمُ ، فَيُفْتَقَدُ فِيهِ<sup>(٣)</sup> (الشُّكْلُ) وَ(الْبَعْضُ) .  
وَقَدْ أَنْشَدُوا يَتَنَا لِسَحْنِمَ :

(١) أجتنب الحوب ، أى الإثم ، أو أخرج منه ، وهى أيضاً بمعنى أتوجع باكياً فى جزع  
وصياح (٢) الخيل تجمع للسباق (٣) وفى حديث عائشة رضى الله عنها  
« افتقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم » أى لم أجده ، هو افعلت ، من فقدت الشئ ، أفقده  
إذا غاب عنك »

« رَأَيْتُ النَّبِيَّ وَالْفَقِيرَ كَلِمَتَيْهِمَا إِلَى الْمَوْتِ، يَأْتِي الْمَوْتَ لِلْكَلِّ مُعْتِدًا »

### مذهب الحلول<sup>(١)</sup>

وَيُنْشَدُ لِفَتَى كَانَ فِي زَمَنِ الْحُلَاكِ :

إِنْ يَكُنْ مَذْهَبُ الْحُلُولِ صَحِيحًا      فَإِلَهِي فِي حُرْمَةِ الزُّجَّاجِ  
عَرَضْتُ فِي غِلَالَةِ بِطْرَازٍ      بَيْنَ دَارِ الْعَطَارِ وَالْتَّلَاجِ  
زَعَمُوا لِي أَمْرًا - وَمَاصَحٌ - لَكِنْ      هُوَ مِنْ أَفْكَ شَيْخِنَا الْحُلَاجِ

(١) مذهب الحلولية - أو مذهب الحلول - هو الادعاء بحلول الله - سبحانه - في الأشخاص ، لأصحاب هذا المذهب ادعاءات لا يحصيها العد ، فقد ادعى بعضهم أن روح الله حلت في الأنبياء ، واحداً بعد واحد ، حتى حلت في أبي هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية ، وادعى غيرهم أنها حلت في أبي مسلم ؛ وادعى آخرون حلول الله في الصور الحسان ، فكان « الحلمانية » إذا رأوا صورة حسنة ، سجدوا لها ، واهمين أن الله حل فيها ؛ واستدل بعض هؤلاء على جواز حلول الله في الأجساد ، بقوله تعالى للملائكة في آدم : « فاذا سويته ، ونفخت فيه من روحي ، فقعوا له ساجدين » وزعموا أن الله إنما أمر الملائكة بالسجود لآدم ، لأنه خلقه في أحسن تقويم ، بدليل قوله تعالى : « لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم »

وزعم الحللاج أن من هذب نفسه بالطاعة ، وصبر على اللذات والشهوات ، ارتقى الى مقام اللقرين ؛ ولا يزال يصفو ويرتقى في درجات المصاافة حتى يصفو عن البشرية ، فاذا لم يبق فيه منها حظ ، حل فيه روح الله ، الذي حل في عيسى بن مريم ، ولم يرد حينئذ شيئاً إلا كان كما أراد ؛ وكان جميع فعله فعل الله تعالى

ولنجتزى بهذا القدر ، فإن فيما أورده أبو العلاء في هذا الفصل ، وما أورده ابن القارح في رسالته ، غناء وكفاية

وَهَذِهِ الْمَذَاهِبُ قَدِيمَةٌ ، تَنْتَقِلُ فِي عَصْرِ بَعْدَ عَصْرٍ . وَيُقَالُ : إِنَّ فِرْعَوْنَ  
كَانَ عَلَى مَذْهَبِ الْحُلُولِيَّةِ ، فَلِذَلِكَ ادَّعَى أَنَّهُ رَبُّ الْعِزَّةِ !

■  
\* \*

وَحَكِي عَنْ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي تَسْبِيحِهِ : « سُبْحَانَكَ سُبْحَانِي ،  
غُفْرَانُكَ غُفْرَانِي ! » وَهَذَا هُوَ الْجُنُونُ الْعَالِبُ ، لِأَنَّهُ مَنْ يَقُولُ هَذَا الْقَوْلَ  
مَعْدُودٌ فِي الْأَنْعَامِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

« أَنَا أَنْتَ - بِلاَ شَكٍّ - فَسُبْحَانَكَ سُبْحَانِي  
وَإِسْخَاطُكَ إِسْخَاطِي وَغُفْرَانُكَ غُفْرَانِي  
وَلَمْ أَجِدْ يَا رَبِّ إِذَا قِيلَ هُوَ الرَّافِي ؟ »

وَبَنُو آدَمَ بِلاَ عُقُولٍ ، وَهَذَا أَمْرٌ يُلْقِنُهُ صَغِيرٌ عَنْ كَبِيرٍ « أَمْ تَحْسَبُ أَنْ  
أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ؟ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا »  
وَيُرَوَّى لِبَعْضِ أَهْلِ هَذِهِ النُّحْلَةِ :

رَأَيْتُ رَبِّي يَمْشِي بِلاَ لَكَّةٍ (١) فِي سُوقٍ يَخْيَى ، فَكِدْتُ أَنْفَطِرُ  
فَقُلْتُ : « هَلْ فِي اتِّصَالِنَا طَمَعٌ ؟ » فَقَالَ « هِنَاهَا ، يَمْنَعُ الْحَذَرُ »  
وَلَوْ قَضَى اللَّهُ أُلْفَةً بِهِوَى لَمْ يَكُ إِلَّا السُّجُودُ وَالنَّظَرُ

(١) هكذا وجدناها في جميع النسخ التي غفرنا بها ، ولعل صوابها : « يمشي ببالكة »  
أي برسالة .

## التناسخ<sup>(١)</sup>

وَتُوْدَى هَذِهِ السُّحْلَةُ إِلَى التَّنَاسُخِ ، وَهُوَ مَذْهَبٌ عَيْتَقُ ، يَقُولُ بِهِ أَهْلُ  
الْهِنْدِ ، وَقَدْ كَثُرَ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الشَّيْعَةِ ، نَسَأُلُ اللَّهَ التَّوْفِيقَ وَالْكَفَايَةَ .

### (١) التناسخ

هو مذهب القائلين بانتقال الأرواح بعد مغادرة أجسادها ، الى أجساد أخرى ، ويرى بعضهم أن ذلك يحدث ولو لم تكن تلك الأجساد من نوع الأجساد التي فارقتها الروح ، وبهذا الزعم يدين الكثيرون ، منهم القرامطة ، وأحمد بن حنبل ، وتلميذه أحمد بن نانس ، وأبو مسلم الخراساني ، ومحمد بن زكريا الرازي الطيب . وما ذكره الرازي في بعض كتبه قوله : « لولا أنه لا سبيل إلى تخليص الأرواح عن الأجساد المتصورة بالصورة البهيمية ، إلى الأجسام المتصورة بصور الانسان ، إلا بالقتل والذبح ، لما جاز ذبح شيء من الحيوان البتة » ويزعمون أن التناسخ هو نوع من العقاب والثواب ؛ فالفاسق السيئ العمل ، يعاقب على ذلك بأن تنتقل روحه إلى أجساد البهائم الخبيثة المرتبطة في الأقذار ، والسخرة المتهنة بالذبح



وزعم بعضهم أن الله — سبحانه — أبدع خلقه أسماء سالفين عقلاء بالفن ، في دار سوى هذه الدار الدنيا ، وخلق فيهم معرفته ، والعلم به ، وأسبغ عليهم نعمه ، فابتدأهم بتكليف شكره ، فأطاعه بعضهم في جميع ما أمرهم به ، وعصاه بعضهم في جميع ذلك ، وأطاعه بعضهم في بعض دون بعض ، فمن أطاعه في الكل ، أقره دار النعيم التي ابتدأهم فيها ، ومن عصاه في الكل أخرجه من تلك الدار إلى دار العذاب ، وهي النار . ومن أطاعه في بعض ، وعصاه في البعض آخر ، أخرجه إلى دار الدنيا ، فألبسه هذه الأجساد الكثيفة ، وابتلاه بالأسماء والضراء ، والشدة والرخاء ، والآلام واللذات ، على صور مختلفة من صور الناس . وسائر الحيوانات على قدر ذنوبهم ، فمن كانت معاصيه أقل ، وطاعاته أكثر ، كانت صورته أحسن

وَيُنْشَدُ لِرَجُلٍ مِّنَ النَّصِيرِيَّةِ :

وَأَلَامَهُ أَقْلٌ ، ثُمَّ لَا يَزَالُ يَكُونُ فِي الدُّنْيَا كِرَةً بَعْدَ كِرَةٍ ، وَصُورَةٌ بَعْدَ أُخْرَى ، مَا دَامَتْ  
مَعَهُ ذُنُوبُهُ وَطَاعَاتُهُ

❖ ❖

وَاسْتَدَلَّ مِنْ يَمْتَقِدُ بِالتَّنَاسُخِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، عَلَى حُجَّةٍ زَعَمَهُمْ يَقُولُهُ تَعَالَى : « يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ !  
مَا غُرِكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ؟ الَّذِي خَلَقَكَ ، فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ، فِي أَىْ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ »  
وَبِالْآيَةِ الْأُخْرَى : « جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ، وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ، يَنْزُرُكُمْ فِيهِ »  
وَاسْتَدَلَّ غَيْرُ الْمُسْلِمِينَ مِنْهُمْ عَلَى حُجَّةٍ مَذْهَبِهِمْ ، بِأَنَّ النَّفْسَ لَا تَنْتَاهِي ، وَالْعَالَمَ لَا يَنْتَاهِي لِأَمَدٍ ،  
فَالنَّفْسُ مُتَقَلِّدَةٌ أَبَدًا ، وَلَيْسَ انْتِقَالُهَا إِلَى نَوْعٍهَا بِأُولَى مِنْ انْتِقَالِهَا إِلَى غَيْرِ نَوْعِهَا

❖ ❖

وَأَنْكَرَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى ، انْتِقَالَ الْأَرْوَاحِ إِلَى غَيْرِ أَنْوَاعِ أَجْسَادِهَا الَّتِي فَارَقَتْهَا ، بَعْدَ أَنْ أَفْرَتْ  
انْتِقَالُهَا إِلَى أَنْوَاعِ أَجْسَادِهَا ، فَقَالَتْ : « بِمَا أَنَّهُ لَا تَنْتَاهِي لِلْعَالَمِ ؛ فَوَجِبَ أَنْ تَتَرَدَّدَ النَّفْسُ فِي  
الْأَجْسَادِ أَبَدًا ، وَلَكِنْ لَا يَجُوزُ أَنْ تَنْقَلَّ إِلَى غَيْرِ النَّوْعِ الَّذِي أَوْجَبَ لَهَا طَبْعُهَا الْإِشْرَافَ عَلَيْهِ ،  
وَقَلْعُهَا بِهِ »

وَفِي كِتَابِي اللَّيْلِ وَالنَّحْلِ لِابْنِ حَزْمٍ وَالشَّهْرِسْتَانِي ، فَصْلَانِ نَافِعَانِ ، وَقَدْ عَنَى ابْنُ حَزْمٍ  
بِتَغْنِيدِ كَثِيرٍ مِنْ هَذِهِ الْآرَاءِ وَإِدْحَاضِهَا .

❖ ❖

وَقَدْ شَاعَ فِي الْهِنْدِ هَذَا الْمَذْهَبُ كَمَا شَاعَ فِيهَا غَيْرُهُ ، مِنْذُ أَقْدَمَ أَرْمَنَةُ التَّارِيخِ ، ثُمَّ عَرَفَهُ الْعَرَبُ  
فِي أَوَاخِرِ الْقَرْنِ الْأَوَّلِ ، وَدَانَ بِهِ الشَّيْعَةُ ، كَمَا دَانُوا بِمَذْهَبِ الْحَوْلِ وَالرَّجْعَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ  
الْمَذَاهِبِ الْقَرِيبَةِ مِنْهُمَا . وَلَمْ يَأْتِ الْقَرْنُ الرَّابِعُ حَتَّى اتَّشَرَّتْ تِلْكَ الْمَذَاهِبُ ، وَذَاعَ أَمْرُهَا ،  
وَسَاعَدَ عَلَى اتِّشَارِهَا فَتَحَ مُحَمَّدُ بْنُ سَبْكَتِكَيْنِ بِلَادَ الْهِنْدِ ، وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ الْفَتْحُ سَبَبًا فِي تَوْثُقِ  
الْعِلَاقَاتِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْهِنْدُودِ ، فَكَثُرَ تَبَادُلُ الْآرَاءِ بَيْنَهُمْ ، وَاتَّشَرَّتْ تِجَارَةُ الْهِنْدِ بِالْعِرَاقِ ،  
وَوَفَدَ بَعْضُ الْهِنْدُودِ إِلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ .



« لِإِعْجَبِي أَمَّنَا ! لَصَرْفِ اللَّيَالِي .....

« رأى أبي العلاء في التناسخ »

فاذا شئت أن تعرف رأى أبي العلاء في التناسخ ، أمكنك أن تلححه فيما تقرؤه له في هذا الفصل ، من السخرية والتبرم .

ولا ريب أن أبا العلاء ، درس هذا المذهب دراسة حقة ، فلم يرض عنه ، وأبدى ارتيابه فيه ، ثم شفع هذا الارتياب بالرفض الصريح في أغلب أشعاره فقد ذكر التناسخ في صباه ، على سبيل اللهو والتندر ، وإن لم يفته أن يظهر ارتيابه فيه ، في بيت من قصيدة له ، في « سقط الزند » ، كتبها إلى إبراهيم بن إسحق مدحاً فيه ، وجواباً على قصيدة بث بها إليه ، والبيت :

فلو صح التناسخ ، كنت « موسى » وكان أبوك « إسحق الذبيحا » !  
ثم أنكره أكثر من مرة إنكاراً صريحاً في لزومياته ، فقال :

يقولون : « إن الجسم ينقل روحه إلى غيره ، حتى يهذهبه النقل »  
فلا تقبلن ما يخبرونك ، ضلة ، إذا لم يؤيد ما أتوك به العقل  
وتحكم بجماعة القائلين بهذا المذهب ، وأمنن في السخرية منهم ، فقال :

يا آكل التفاح ! لا تبعدن ولا يُقم يوم ردى ثاكلك  
قال النصيرى — وما قلته — فاسمع ، وشجع في الوعى ناكلك  
قد كنت في دهرك تفاحة وكان تفاحك ذا آكلك  
وحرف حاج لحت فيما مضى وطالما تشكله شاكلك

والبيت الأخير سخرية من مذهب القائلين — ومنهم ابن سعيد العجلي ، وهو أحد من ادعى أنه المهدي المنتظر — « إن الأعضاء على صور حروف الهجاء ، وأن الألف منها مثال القدم ، والعين على صورة العين الخ »

وقد سخر من التناسخ ومن يدينون به ، في موضع آخر ، فقال :

فإبال هذا العصر ، ما فيه آية من السخ ، إن كانت « يهود » رأت مسخا

## جُمِلَتْ أُخْتُنَا «سُكِينَةُ» فَارَةً .....

وقال بأحكام التناسخ معشر غلوا ، فأجازوا الفسخ في ذاك والرسخا  
فقد قسبوا التناسخ إلى أربعة أقسام . نسخ ومسح وفسح ورسخ ، وقالوا عن الأول : إنه  
انتقال الروح من جسم إنسانى إلى آخر ، أو إلى جسم إنسانى أرفع منه . وعن الثانى : إنه : انتقال  
الروح إلى البهائم ، وعن الثالث : إنه انتقالها إلى الحشرات . وعن الرابع : إنه انتقالها إلى  
النبات أو الجماد ...



وإنما تحفظ أبو الملاء في ارتيابه في التناسخ أحياناً ، فاحتاط في بعض أشعاره ، ووقف على  
الحياة في بعض آخر ، لارتباط هذه المسألة المويصة بالروح ومآلها . وقد جهل أبو الملاء  
كنه الروح ومآلها ، فرجم عنها بالظنون والفروض ، على أنه جزم بمآل الجسم ، وعرف غايته  
وتطورات ، فقال :

أما الجسم ، فلتتراب مآلها وعيت بالأرواح ، أنى تذهب ؟  
وإذا يقن أن مآل الجسم إلى التراب ، فقد افتن في صيرورته ومآله حين أرسل خياله إلى  
هذه الناحية ، فأبدع في ذلك ما شاء له الخيال الصافى ، والعقل الراجح الحصيف . قال :

وإذا رجعت إليه صارت أعظمى تراباً تهافت في طوال الأعصر  
وقال : خفف الوطء ، ما أظن أديم الأرض إلا من هذه الأجساد  
وقال : ولرب أجساد جديرات البرى بالصون صارت في طلاء جدار  
وقال : لعل مفاسل البناء تضحي طلاء للسقيفة والجدار

وقال : وإن جعلت - بمحمد الله - في خرف يقضى الطهور ، فاني شاكر راضى  
جواهر ألفتها قدرة عجب وزايتها ، فصارت مثل أعراض  
وقال : فلا يُيسر فخاراً - من الفخر - عائداً إلى عنصر الفخار للنفع يضرب  
لعل إناء منه يصنع مرة فيأكل فيه - من أراد - ويشرب  
وينقل من أرض لأخرى - وما درى - فواهاً له إمد البلى - يتفركب !

فَأُزْجِرِي هَذِهِ السَّنَانِيرَ<sup>(١)</sup> عَنْهَا وَاتْرُكِيهَا — وَمَا تَضُمُّ الْفِرَارَةَ<sup>(٢)</sup>  
وَقَالَ آخَرُ مِنْهُمْ :

تَبَارَكَ اللَّهُ كَأَشْفَ الْبَحْنِ فَقَدْ أَرَانَا عَجَائِبَ الزَّمَنِ  
حِمَارُ شَيْبَانَ ، شَيْخٌ بَلَدَتْنَا ، صَيْرُهُ جَارُنَا أَبُو السَّكَنِ  
بُدِّلَ مِنْ مِشْبَةِ بِحُلَّتِهِ مِشْبَتُهُ فِي الْحِزَامِ وَالرَّسَنِ<sup>(٣)</sup>

إلى آخر تلك الأبيات التي لا يتسع المقام لذكرها . وقد اتجه فكر « عمر الخيام » إلى هذه الناحية ، فأبدع فيها وأحسن في رباعياته ، وتمثل أكوأاً تألفت من جُوم آدمية ؛ تتحدث وتناقش ، كما تمثل كوأاً في يد الخراف يقص عليه تاريخ حياته ، ووردة عطرة كانت عادة فاتنة ، ماتت فاستحال جمالها إلى عطر شذى . وقد امتلأت « رباعياته » بهذه الفكرة ممثلة في صور شتى ، وحسب القارىء أن نحيله إليها ليرى بنفسه ذلك . قد كادت هذه الفكرة تصبح محور فلسفة الخيام في الرباعيات .

\*\*\*

على أن أبا العلاء لم يرفض التناسخ جملة واحدة ، ولم يحزم بطلانه حزم للتيقن الواثق في كل مرة ، بل تردد فيه أحياناً فكاد يقبله ، فاذا رأيته يقول :

تقادم شخص مضى فأحدث منه البدل  
وما صبح إلا امرؤ نصرف ، ثم انجبدل

رأيته يقول في مكان آخر :

وتقدم الأرض نفوس أنت مخلوقة من أنفس ثاوية  
أو يقول : والجسم كالثوب — على روحه ينزع — إذ يخلق ، أو يتسخ  
(١) القعط (٢) الجوالق ، ومعنى البيت : « فأبدي عنها القعط حتى لا تؤذيها ، ودعها تأكل من الفرارة ما تشاء » (٣) يقول : « إن روح جارنا حلت في حمار شيخ بلدتنا ، فأصبح ذلك الجار يعيش في الحزام والرسن — بعد أن كان يخال في حلتها »

وَيُصَوِّرُ لَهُمُ الرَّأْيَ الْفَاسِدَ أَبَاجِيرَ<sup>(١)</sup> وَمُشَبَّهَاتٍ، فَيَسْلُكُونَ فِي التَّرَاهَاتِ

مذهب التناسخ في الهند

وَحُكِّيَ لِي عَنْ بَعْضِ مُلُوكِ الْهِنْدِ، وَكَانَ شَابًّا حَسَنًا، أَنَّهُ جُدِرَ، فَنَظَرَ إِلَى  
وَجْهِهِ فِي الْمِرْآةِ وَقَدْ كَثُرَ، فَأَخْرَقَ نَفْسَهُ، وَقَالَ: «أُرِيدُ أَنْ يَنْقُلَنِي اللَّهُ إِلَى  
صُورَةٍ أَحْسَنَ مِنْ هَذِهِ ا»

\*  
وَحَدَّثَنِي قَوْمٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ، مَا مُمْ فِي الْحِكَايَةِ بِكَاذِبِينَ، وَلَا فِي أَسْبَابِ  
النَّحْلِ جَاذِبِينَ: أَنَّهُمْ كَانُوا فِي بِلَادِ مُحَمَّدٍ، وَكَانَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْهِنْدِ، قَدْ  
وُثِقَ بِصِفَاتِهِمْ، يُفِيضُ عَلَيْهِمُ الْأَعْظِيَّةَ لَوْفَاتِهِمْ، وَيَكُونُونَ أَقْرَبَ الْجُنْدِ  
إِلَيْهِ إِذَا حَلَّ أَوْ ارْتَحَلَ، وَأَنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ سَافَرَ فِي جَيْشِ جَزَّهَ، بَعَاءَ خَبَرِهِ  
أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ، فَجَمَعَتِ امْرَأَتُهُ لَهَا حَطَبًا كَثِيرًا، وَأَوْقَدَتْ نَارًا عَظِيمَةً،  
وَأَفْتَحَتَهَا، وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ. وَكَانَ ذَلِكَ الْخَبَرُ بَاطِلًا، فَلَمَّا قَدِمَ الزَّوْجُ،  
أَوْقَدَ لَهُ نَارًا عَظِيمَةً لِيُحْرِقَ نَفْسَهُ، حَتَّى يَلْحَقَ بِصَاحِبَتِهِ، فَاجْتَمَعَ خَلْقٌ كَثِيرٌ  
لِلنَّظَرِ إِلَيْهِ. وَأَنَّ أَصْحَابَهُ مِنَ الْهِنْدِ كَانُوا يَحِيثُونَ إِلَيْهِ فَيُوصُونَهُ بِأَشْيَاءَ إِلَى  
أُمُورِهِمْ<sup>(٢)</sup>. هَذَا إِلَى أَبِيهِ، وَهَذَا إِلَى أَخِيهِ. وَجَاءَهُ إِنْسَانٌ مِنْهُمْ بِوَرْدَةٍ، وَقَالَ:  
«أَعْطِ هَذِهِ فُلَانًا» يَعْنِي مَيْتًا لَهُ. وَقَذَفَ نَفْسَهُ فِي تِلْكَ النَّارِ.

(١) أمورا عظيمة، وأعاجيب (واحد: بجر، وجمعها: أباجر، وجج: أباجير) قال الشاعر:

فقلت لها: «بجرا» فقالت مجبتي: «أتعجب من هذا - ولي زوج آخر»

(٢) أشار أبو العلاء إلى ذلك في لزومياته فقال

تقول الهند: «آدم كان قنا لنا، فسرى إليه مُحَبِّبُوهُ»

أولئك يحرقون الليت نسكا ويشعره لبانا ملهينوه

وَحَدَّثَ مَنْ شَاهَدَ إِحْرَاقَهُمْ نَفْسَهُمْ ، أَنَّهُمْ إِذَا لَدَغَتْهُمُ النَّارُ ، أَرَادُوا  
الْخُرُوجَ ، فَيَدْفَعُهُمْ مَنْ حَضَرَ إِلَيْهَا بِالْعِصَى وَالْخَشَبِ . فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، لَقَدْ  
جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ...

ونذكر بهذه المناسبة ، قوله في تحييد ما يفعله الهند من إحراق موتاهم :

فأعجب لتحريق أهل الهند ميتهم      وذاك أرواح من طول التبارج  
إن حرقوه ، فما يخشون من ضيع      تسرى إليه ولا خفي وتطرج  
والنار أطيب من كافور ميتنا      غبا ، وأذهب للذكراء والريح  
« والخفي : نبش الميت » وقوله :

حرق الهند من يموت ، فما زا      روه في روحة ولا تبكير  
واستراحوا من ضغطة القبر ميتا      وسؤال لمنكر ونكير  
وقوله :

إذا حرق الهندي بالنار نفسه      فلم يبق نحض للتراب ولا عظم  
فهل هو خاش من نكير ومنكر      وضغطة قبر — لا يقوم لها نظم ؟

بل لقد وصل إكباره وإعجابه بذلك ، إلى حد أن فضله على الجهاد ، فقال :  
يحرق نفسه الهندي خوفاً      ويقصر — دون ما صنع — الجهاد  
وما فلتته عباد النصارى      ولا شرعية صباؤا وهادوا  
يقرب نفسه للنار عمداً      وذلك منه دين واجتهاد  
وهنا يحن أبو الملاء إلى الموت حنيناً — كما هي عادته الغالبة عليه — فيقول :

وموت المرء نوم طال جدًّا      عليه ، وكل عيشته سهاد

وهو أسلوب آخر من فكرته التي أودعها داليتها الخالصة في قوله :

ضجعة الموت رقدة يستريح      جسم فيها ، والعيش مثل السهاد  
وارجع الى ص ٢٠٥ و ٢٠٦ من هذا الجزء ، لتعرف رأى أبي الملاء في الموت

## ابن هاني الأندلسي

وَفِي النَّاسِ مَنْ يَتَّظَاهِرُ بِالْمَذْهَبِ وَلَا يَمْتَقِدُهُ ، يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى الدُّنْيَا  
الْفَآئِئَةِ<sup>(١)</sup> ، وَهِيَ أَغْدَرُ مِنَ الْوَرْهَاءِ الزَّائِنَةِ . وَكَانَ لَهُمْ فِي الْمُتَغَرِّبِ رَجُلٌ

(١) ردد أبو العلاء هذا المعنى بصور شتى في كثير من أشعاره ، وأنهى على تلك الطائفة  
التي اتخذت الدين وسيلة للكسب والنفع . وقد أتينا بضع أمثلة من ذلك في ص « ٢١٧ »  
من هذا الجزء ، وإليك نخبه من أبدع ما نختاره له في ذلك :

بخيفة الله تعبدتنا      وأنت عين الظالم الإلهي  
تأمرنا بالزهد في هذه الد      نيا ، وما همك إلا هي !

تلاوتكم ليست لرشد ولا هدى      ولكن لكم فيها التكاثر والكبر  
وليس حبر يبدع في محابته      إن سام نفعاً بأخبار تقوُّها  
وإنما رام نسواناً تزوجها      — بما افترأه — وأموالا تموُّها  
لا يخدعنك داح قام في ملأ      بخطبة زان معناها وطوُّها  
فما العظايت — وإن راعت — سوى حيل      من ذى مقال على ناس نحوُّها

رويدك قد غررت — وأنت حر —      بصاحب حيلة يعط النساء  
يحرم فيكم الصبياء صباحا      ويشربها — على عمد — مساء  
يقول لكم : « غدوت بلا كساء »      وفي لئلتها رهن الكساء !

طلب الخسائس وارتقى في منبر      يصف الحساب لأمة ليهوِّها  
ويكون غير مصدق بقيامة      أمسى يمثِّل في النفوس ذهوها

وكم من قفيه خابط في ضلالة      وحجته فيها الكتاب المنزل  
وقارئكم يرجو بطريبه الفنى      فأض كما غنى — ليكسب — رزُل

« وززل » هذا مُغْنٍ يضرب به المثل في اتقان الضرب بالعود

يُعْرِفُ بَابُنِ هَانِيهِ، وَكَانَ مِنْ شُعْرَائِهِمُ الْمُحْسِنِينَ، فَكَانَ يَغْلُو فِي مَذْحِ «الْمَحِزِّ»  
غُلُوًّا عَظِيمًا، حَتَّى قَالَ فِيهِ - وَقَدْ نَزَلَ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ «رِقَادَةٌ» - :  
«حَلَّ بِرِقَادَةِ الْمَسِيحِ حَلَّ بِهَا آدَمُ وَنُوحُ  
حَلَّ بِهَا اللَّهُ ذُو الْمَعَالِي وَكُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ رِيحٌ»

### عودة الى الملحق

وَأَدُلُّ رُتَبَ الْحُلَاجِ أَنْ يَكُونَ شَعْوِزِيًّا، لَا تَأْقِبَ الْفَهْمُ وَلَا أَخُوذِيًّا<sup>(١)</sup>،  
عَلَى أَنْ الصُّوفِيَّةَ تُعْظِمُهُ مِنْهُمْ طَائِفَةً، مَا هِيَ لِأَمْرِ شَائِفَةٍ

### ابن أبي عون

وَأَمَّا ابْنُ أَبِي عَوْنٍ، فَإِنَّهُ أَخَذَ فِي لَوْنٍ بَعْدَ لَوْنٍ، وَقَدْ تَجِدُ الرَّجُلَ حَازِقًا  
فِي الصَّنَاعَةِ، يَلِينَا فِي النَّظَرِ وَالْحُجَّةِ، فَإِذَا رَجَعَ إِلَى الدِّيَانَةِ الْفَنَى كَأَنَّهُ غَيْرُ  
مُقْتَادٍ، وَإِنَّمَا يَتَّبِعُ مَا يَعْتَادُ. وَالتَّأَلُّهُ مَوْجُودٌ فِي الْفَرَائِزِ، وَيُلْقِنُ الطِّفْلُ  
التَّأْسِيَّ مَا سَمِعَهُ مِنَ الْأَكْبَرِ، فَيَلْبَثُ مَعَهُ. وَالَّذِينَ يَسْكُنُونَ فِي الصَّوَامِعِ،  
وَالْمَتَعَبِّدُونَ فِي الْجَوَامِعِ، يَأْخُذُونَ مَا هُمْ عَلَيْهِ، كَنَقْلِ الْخَبَرِ عَنِ الْمُخْبِرِ،  
لَا يُمَيِّزُونَ الصَّدْقَ مِنَ الْكَذِبِ. فَلَوْ أَنَّ بَعْضَهُمُ الْفَنَى أُسْرَةً مِنَ الْمُجْبُوسِ  
خَرَجَ مُجُوسِيًّا<sup>(٢)</sup>. وَإِذَا الْمَتَقُولُ جُمِلَ هَادِيًّا، نَقَعَ بَرِيهِ صَادِيًّا. وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْ

(١) يسوق الأمور أحسن مساق لملء بها، والأخوذى أيضاً: الحاذق للمشر للأموال القاهر لها، لا يشذ عليه شيء (٢) من أبدع ما يختاره لأبي العلاء، في هذا المعنى، قوله في لزومياته:

وينشأ ناشئ الفتيان منا	على ما كان عوده أبوه
وما دان الفتى بحسبنا، ولكن	يصله التدين أقربوه
وطفل الفارسي، له ولالة	بأفعال التمجس دربه

يَصْبِرُ عَلَى أَحْكَامِ الْعَقْلِ<sup>(١)</sup> ؟ هِيَئَاتِ ! عُذِمَ ذَلِكَ فِي مَنْ تَطَلَّعَ عَلَيْهِ الشَّمْسُ ،

(١) لو شئنا الاستشهاد بكل ما كتبه أبو الملاء في النعي على التقليد ؛ والحث على تمجيد العقل ، والاعتزاز به ، والدعوة إلى تحكيمه في كل شيء ؛ لملأنا صحفاً كثيرة ، لا يسمح لنا بها هذا المقام . فلنجتزئ من ذلك بالقليل عن الكثير ، وإليك ما نختاره له :

اللب قطب ، والأمور له رحي فيه تدبر كلها وتدار

العقل يوضح للنس لك منهجاً ، فاحذ حذوه

وليس يظلم قلب وفيه لب جذوه

كذب الناس ، لا إمام سوى العقه ل مشيراً في صبحه والمساء

فإذا ما أطمته جلب الرحمة عند المسير والإرساء

صدقت يا عقل ، فليعمد أخوسفه صاغ الأحاديث إفكا أو تأولها

فلا تقبلن ما يخبرونك ضلة إذا لم يؤيد ما أثوك به العقل

نكذب العقل في تصديق كاذبهم والعقل أولى بالإكرام وتصديق

وينفر عقل مفضباً إن تركته سدى ، واتبعت الشافى ومالكاً

والعقل يعجب ، والشرائع كلها خبر يقلد ، لم يقسه قانس

. . . . .

وإذا الرياسة لم تعن بسية عقلية ، خطيء الصواب السائس

قالوا ، فأنوا ، فلما أن حذوتهم إلى القياس ، أبانوا المعجز واعترفوا

وإذا ما سألت أصحاب دين غيروا بالقياس ما رتبوه

لا يدينون بالمقول ، ولكن بأباطيل زخرف كذبوه

وجاءتنا شرائع كل قوم على آثار شيء رتبوه



وَمَنْ صَمِنَهُ فِي الرَّيِّ رَمَسَ، إِلَّا أَنْ يَشُدَّ رَجُلٌ فِي الْأَمْرِ، يُحْصِثُ مِنْ فَضْلِ بَعْمَمٍ.

وغير بعضهم أقوال بعض وأبطلت النهي ما أوجبوه  
 فاحذر، ولا تدع الأمور مضاعة وانظر بقلب مفكر متبصر  
 تفكر، فقد حار هذا الدليل وما يكشف النهج غير الفكر  
 الفكر حبل متى يمسك على طرف منه، ينط بالثريا ذلك الطرف  
 فكروا في الأمور يكشف لكم بعض الذي تجهلون بالتفكير  
 فكري أنت، ربما هدى الإنسان للمشكلات بالتفكير  
 إذا كان التقى بلها وحيها فأعيار المذلة أتيها  
 وما تريك مرأى العين صادقة فاجعل لنفسك مرآة من الفكر  
 وجدت أباك مقترياً حديثاً فأنت على مقص الشيخ تفرى  
 عاشوا كما عاش آباء لهم سلفوا وأورثوا الدين تقليداً كما وجدوا  
 فابراعون ما قالوا وما سمعوا ولا يبالون - من غي - لمن سجدوا  
 في كل أمرك تقليد رضيت به حتى مقالك : « ربى واحد أحد »  
 جاءت أحاديث إن صحت فإن لها شأنًا ، ولكن فيها ضعف إسناده  
 فشاور العقل ، واترك غيره هذرا فالعقل خير مشير ضمه النادى  
 إذا رجع الحصيف إلى حجاب تهان بالمذاهب وازدراها  
 فخذ منها بما أداه لب ولا يفسك جهل في صراها  
 وهت أديانهم من كل وجه فهل عقل يشد بها عراها ؟  
 هل صح قول من الحاكي فنقله أم كل ذاك أباطيل وأسمار ؟  
 أما العقول فآلت أنه كذب والعقل غرس ، له بالصدق إثارة  
 (٣٣)

رُبَّمَا لَقِينَا مَنْ نَظَرَ فِي كُتُبِ الْحِكْمَاءِ، وَتَبِعَ بَعْضُ آثَارِ الْقُدَمَاءِ، فَالْتَمَيْنَاهُ  
يَسْتَحْسِنُ قَبِيحَ الْأُمُورِ، إِنْ قَدَرَ عَلَى قَطِيعِ رَكْبَتِهِ، وَإِنْ عَرَفَ وَاجِبًا  
نَكْبَتَهُ، كَانَ الْعَالَمُ سَعَوْا لَهُ فِي إِفْقَادِهِ، فَهُوَ يَمْتَقِدُ شَرَّ اعْتِقَادٍ؛ وَإِنْ أُوْدِعَ  
وَدِيعَةً خَانَ، وَإِنْ سُئِلَ عَنْ شَهَادَةٍ مَانَ<sup>(١)</sup>، وَإِنْ وَصَفَ لِعَلِيلٍ صِفَةً، فَأَيُّ خِفَلٍ:  
أَقْتَلَهُ بِمَا قَال، أَمْ ضَاعَفَ عَلَيْهِ الْأَثْقَالَ؟ بَلْ غَرَضُهُ فِيمَا يَكْتَسِبُ، وَهُوَ إِلَى  
الْحِكْمَةِ مُنْتَسِبٌ. وَرُبَّ زَارٍ بِالْجَهَالَةِ عَلَى أَهْلِ مِلَّةٍ، وَعَلَيْتُهُ الْبَاطِنَةُ أَذْهَى عَلَيْهِ  
وَإِنْ الْبَشَرُ لَكَمَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ: «كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ  
فَرِحُونَ»<sup>(٢)</sup>، وَيَخْضَرُ الْمَجَالِسُ أَنْاسُ طَاغُوتٍ، كَانَهُمْ لِلرُّشْدِ بَاغُوتٍ، وَأُولَئِكَ  
— عِلْمُ اللَّهِ — أَصْحَابُ الْبِدْعِ وَالْمُتَكَبِّرِ.

كَمْ مُتَظَاهِرٍ بِاعْتِرَافِهِ، يَزْعُمُ أَنَّ رَبَّهُ — عَلَى الذَّرَّةِ — يُخَلِّدُ فِي النَّارِ<sup>(٣)</sup>، بَلَّةَ  
الذَّرَمِ — وَبَلَّةَ الدِّينَارِ، وَمَا يَنْفَكُ يَحْتَقِبُ<sup>(٤)</sup> مِنَ الْمَآثِمِ عَظَائِمُ، وَيَنْهَمُكَ عَلَى  
الْمَهَارِ وَالْفِسْقِ. قَدْ صَيَّرَ الْجَدَلَ مَصِيدَةً، يَنْظُمُ بِهِ مِنَ النَّعْيِ قَمَصِيدَةً<sup>(٥)</sup>.

\* \* \*  
وَحَدَّثْتُ عَنْ إِمَامِهِمْ، يُوقَرُ وَيُنْبَغُ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا جَلَسَ فِي الشَّرْبِ<sup>(٦)</sup>،

(١) مان: كذب (٢) وفي هذا المعنى يقول أبو العلاء:

وفرقتهم على — علائها — ملل وعند كل فريق أنهم تَقَفُوا

(٣) ذكر أبو العلاء هذا المعنى في لزومياته، فقال:

جنوا كبار آثام، وقد زعموا أن الصفائر تجني الخلل في النار  
وقال: لقد أفلحوا إن كان لم يجر عندهم من الوزر إلا تركهم للمآزر

(٤) احتقب الشيء: وضعه في حقيبة، والمراد: يقترب ويكتسب (٥) ارجع إلى

ص ٢٥٤ «من هذا الجزء لتستوفى هذا المعنى (٦) الشرب: مجلس الشراب

وَدَارَتْ عَلَيْهِمُ الْمُسْكِرَةُ ، وَجَاءَهُ الْقَدْحُ ، شَرِبَهُ ، فَاسْتَوَفَاهُ ، وَأَشْهَدَ مَنْ  
حَضَرَهُ عَلَى التَّوْبَةِ ..... .

### عبد الله بن ميمون القداح

وَالشَّيْءُ يَزُمُّونَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَيْمُونٍ الْقَدَّاحَ - وَهُوَ مِنْ «بَاهِلَةَ» - كَانَ  
مِنْ عِلْيَةِ أَصْحَابِ «جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ» وَرَوَى عَنْهُ شَيْئًا كَثِيرًا ، ثُمَّ ارْتَدَّ بَعْدَ  
ذَلِكَ . فَخَذَّنِي بَعْضُ شُيُوخِهِمْ أَنَّهُمْ يَزُودُونَ عَنْهُ ، وَيَقُولُونَ : « حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ  
ابْنُ مَيْمُونٍ الْقَدَّاحُ ، كَأَحْسَنِ مَا كَانَ » أَيْ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ . وَيَزُودُونَ لَهُ :

هَاتِ اسْقِنِي الْحَمْرَةَ يَا سَتْبَرُ فَلَيْسَ عِنْدِي أَنِّي أَنْشُرُ

أَمَا تَرَى الشَّيْءَةَ فِي فِثْنَةٍ يَفْرُهَا مِنْ دِينِهَا «جَعْفَرُ» ؟

قَدْ كُنْتُ مَعْرُورًا بِهِ بِرُهْمَةٍ ثُمَّ بَدَأَ لِي خَبْرَهُ يُسْتَرُّ

وَيَمَّا يُنْسَبُ إِلَيْهِ :

مَشَيْتُ إِلَى جَعْفَرٍ حِقْبَةً فَالْقَيْئَةُ خَادِقًا يَخْلُبُ

يَجْرُ الْقَلَاءُ إِلَى نَفْسِهِ وَكُلُّهُ إِلَى حَبْلِهِ يَخْذِبُ

فَلَوْ كَانَ أَمْرُكُمْ صَادِقًا لَمَا ظَلَّ مَقْتُولُكُمْ يُسْحَبُ

وَلَا غُضَّ مِنْكُمْ قَتِيلٌ ، وَلَا سَمَاءُ «عُمَرُ» فَوْقَكُمْ يَخْطُبُ

وَالْحُلُولِيَّةُ قَرِيبَةٌ مِنْ مَذْهَبِ التَّنَاسُخِ ، وَخُذِّتُ عَنْ رَجُلٍ مِنْ رُؤَسَاءِ  
الْمُنَجِّمِينَ<sup>(١)</sup> مِنْ أَهْلِ «حَرَّانَ» ، أَقَامَ فِي بَلَدِنَا زَمَانًا ، فَخَرَجَ مَرَّةً مَعَ قَوْمٍ

(١) رَأَى أَبِي الْعَلَاءِ فِي الْمُنَجِّمِينَ

لَأَبِي الْبَلَاءِ فِي الْمُنَجِّمِينَ وَالْعَرَّافِينَ أَسْوَأَ رَأَى ، فَهُوَ يَحْقَرُهُمْ وَيَتَنَقَّصُهُمْ فِي كُلِّ مَنَاسِبَةٍ  
تَمَنَّى لَهُ ، وَقَدْ بَلَغَ مِنْ سَخَطِهِ عَلَيْهِمْ أَنْ تَمَنَّى لَوْ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَيْدِ وَالسُّلْطَانِ مَا يُمْكِنُهُ مِنْ اسْتِنْصَالِ

يَتَزَهُونَ، فَرَّ وَالتَّوَزُّ يُكْرَبُ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : « لَأَشْكُ فِي أَنْ هَذَا التَّوَزُّ

شَأْنُهُمْ، فَقَالَ :

لو كان لى أمر يطاوع لم يشن      ظهر الطريق - يد الحياة<sup>(١)</sup> - منجم  
يبدو بزخرفه يحاول مكسبا      فيدير أسطرلابه ويرجم  
وقفت به الورهاء - وهى كأنها      عند الوقوف - على عرين تهجم  
سألته عن زوج لها متغير ،      فاهتاج يكتب بالرقان<sup>(٢)</sup> ويعجم  
ويقول : « ما اسمك واسم أمك ؟ إننى      بالظن عما فى الغيوب مترجم »  
يولى بأن الجن تطرق بيته      وله يدين فصيحها والأعجم  
إلى آخر تلك القصيدة الجميلة . وإنى أحيل القارىء إليها فى اللزوميات ، وأحب ألا تفوته .

وللمعرى فى المنجمين والعرافين أشعار كثيرة ، نختار منها النخبة التالية :

سألت مُنَجِّمَهَا عن الطفل الذى      فى المهد : « كم هو عائش من دهره ؟ »  
فأجابها : « مائة » ليأخذ درهما      وأتى الحمام وليدها فى شهره ا

كأن منجم الأقوام أعمى      لديه الصحف يقرؤها بلس

قطع الطريق بمهمه ونظيره      فى المصر ، فل منجم ومعزم

شكا الأذى ، فسهرت الليل ، واجتكرت      به الفتاة إلى شمطاء ترقيه

وأمه تسأل العراف قاضية      عنه النذور ، لعل الله يبقيه

وأنت أرشد منها حين تحمله      إلى الطبيب يداويه ويسقيه

لقد بكرت فى خفها وإزارها      لتسأل بالأمر الضرير النجما

وما عنده علم فيخبرها به      ولا هو من أهل الحجا فيرجما

يقول : « غداً أو بعده وقع ديمة      يكون غيائماً أن تجود وتسجما »

(١) يد الحياة : طولها ، أى أبداً الدهر (٢) الرقان

رَجُلٌ كَانَ يَعْرِفُ بِخَلْفِ «بَحْرَانَ» وَجَعَلَ يَصِيحُ بِهِ : « يَا خَلْفُ ! » فَيَتَفَقُّ  
أَنْ يَخُورَ ذَلِكَ الثَّوْرُ ، فَيَقُولُ لِأَصْحَابِهِ : « أَلَا تَرَوْنَ صِحَّةَ مَا خَبَرْتُكُمْ بِهِ ؟ »

\*  
■ \*  
\*

وَحِكَايَ لِي عَنْ رَجُلٍ آخَرَ يَمُنُّ يَقُولُ بِالتَّنَاسُخِ ، أَنَّهُ قَالَ : « رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ  
أَبِي ، وَهُوَ يَقُولُ : « أَبْنَى ! إِنْ رُوحِي قَدْ ثَقُلَتْ إِلَى جَهْلِ أَغَوْرَ فِي قِطَارِ فَلَانٍ ،  
وَلَمْ أُنَّ قَدْ اشْتَهَيْتُ بِطِيخَةً » فَأَخَذْتُ بِطِيخَةٍ ، وَسَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ الْقِطَارِ ،  
فَوَجَدْتُ فِيهِ جَمَلًا أَغَوْرَ ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ بِالْبَطِيخَةِ ، فَأَخَذَهَا أَخَذَ مُرِيدُ مُشْتَهٍ »

ويوم جمال الحلة أنه	يظل لأسرار الغيوب مترجما
ولو سأله بالذي فوق صدره	لجاء يتبين أو أَرَمَ وجهما
كان سحاباً عنهم بضلالة	فليس إلى يوم القيامة منجما
إذا قال أهل الب : « حان نسفاره »	تداركه غيم سواه فأعجمما
فإن كنت قد وقتت ، فأنج بوحدة	وخل البرايا من فصيح وأجمما
ولا تلك - فيما يكره القوم - ساعيا	ولا مسرجا في نصر غيرك ملجما

وانظر إلى قوله في السخط على المنجيات في قصيدة « المرأة » الرائعة :

وأبعدهن عن ربات مكر	سواحر يفتدين معومات
يقفن نهيج الغياب ، حتى	يجيئوا بالركاب مرجمات
ونمطف هاجر الخللان ؛ كيا	يزول عن السجايا للسمات
وجمع طوائف العار ، سهل	علينا بالجوالب مودمات
زعمن بأن في معنى فقير	كنوزا للملوك مصمات
فلا يدخلن دارك باختيار	فقد ألقيتهن مذمات
وإن خالسن غيرتك ارتقاها	فحق أن يرحن مشمات

أَفَلَا يَرَى مَوْلَايَ الشَّيْخُ إِلَى مَا رَجِيَ بِهِ هَذَا الْبَشَرُ مِنْ سُوءِ التَّمْيِيزِ ؟

## ابن الراوندى<sup>(١)</sup>

وَأَمَّا ابْنُ الرَّائِدِيِّ ، فَلَمْ يَكُنْ إِلَى الْمَصْلَحَةِ بِمَهْدِيٍّ ، وَأَمَّا تَاجُهُ فَلَا يَصْلُحُ

### (١) ابن الراوندى

اسمه أحمد بن يحيى بن إسحق الراوندى ، كنيته أبو الحسين ، وهو ينسب إلى « راوند » إحدى قرى أصبهان ، مات فى سن الأربعين فى سنة ٢٤٥ هـ ، وكان أبوه يهودياً فأسلم ، فكان اليهود يقولون للمسلمين : « ليفسدن عليكم هذا كتابكم » ، كما أفسد أبوه التوراة علينا ! « وكان من متكلى المعتزلة ، وانفرد بمذاهب نقلها أهل الكلام عنه فى كتبهم ؛ قالوا : « ولم يكن فى زمانه أحذق منه بالكلام ، ولا أعرف بديقه وجليله » وكان يلزم أهل الإلحاد ؛ فإذا عوتب فى ذلك ، ادعى أنه يريد معرفة مذاهبهم ، ثم صار بعد ملحدآ زنديقآ وأوجز ما نعت به ، أنه رجل لا يستقر على مبدأ ، وليس للبدايى قيمة عنده ، فقد كان مسلماً ، ولكن ذلك لم يمنعه أن يصنف « كتاب البصيرة » لليهود ، رداً على الاسلام ، نظير أربعمائة درهم دفعوها له ، فلما قبض المال ، رام تقضه ، فلما أعطوه مائة درهم أخرى عدل عن ذلك ! وكان من متكلى المعتزلة ، فلم يمنعه ذلك من أن يؤلف كتابه الذى سماه : « فضيحة المعتزلة » وقد ألف كتبآ أخرى متناقضة ، ولكن أكثرها كان إلحادياً شديداً الجراءة .

وقد نيفت كتبه على المائة — ذكر ابن القارح أهمها وأشتمها فى رسالته — وكان له ذوق خاص فى تسمية كتبه ، فقد أطلق اسم « الزمردة » على كتابه الذى دلل فيه على فساد الرسالة والرسل ، وازدرى فيه بالنبوات ، وعلل هذه التسمية بأن من خواص الزمرد ، أن الحية — إذا نظرت إليه — ذابت وسالت عيناها ، وكذلك يحدثُ تلصومه حين يقرأون كتابه ! ومما زعمه فيه قوله : « إنا نجد فى كلام « أكثم بن صيفى » شيئآ أحسن من « إنا أعطيناك الكوثر » وإن الأنبياء كانوا يستبدون الناس بالطلاسم ..... الخ »

أَنْ يَكُونُ نَعْلًا، وَهَلْ تَأْجُهُ<sup>(١)</sup> إِلَّا كَمَا قَالَتِ الْكَاهِنَةُ: « أَفْ وَتَفْ » مَا تَأْجُهُ  
يَتَأْجُ مَلِكٍ، وَلَكِنْ دُعِيَ بِإِثْمَالِكِ؛ وَلَا أَتَّخِذُ مِنَ الذَّهَبِ، وَسَوْفَ يُصَوِّرُ  
مِنَ اللَّهَبِ ۝

وَأَمَّا « الدَّامِغُ »<sup>(٢)</sup>، فَمَا إِخَالُهُ دَمَغَ إِلَّا مَنْ أَلْفَهُ...  
يُشْسَ مَنْ نُسِبَ إِلَى « رَاوَنْدَ »، إِنَّمَا هَتَكَ قَيْصَهُ، وَأَبَانَ لِلتَّائِطِ تَحْيِيصَهُ ۝

## القرآن الكريم

وَأَنْجَعُ مُلْحِدٌ وَمُهْتَدٍ، أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ — صَلَّى اللَّهُ

وقد ذكر في كتبه الأخرى آراء لا تقل عن هذه جرأة وشناعة على الأنبياء والدين،  
فقد طعن على النبي صلى الله عليه وسلم في كتابه (الفريد) وطعن على القرآن، وعاب نظمه  
في كتابه (الدامغ). وما ورد فيه قوله: « إِنْ اللَّهُ — سبحانه وتعالى — لَيْسَ عِنْدَهُ مِنَ  
الدَّوَاءِ إِلَّا الْقَتْلُ، فَعَلِ الْمَدُو الْحَقْقَ الْفُضُوبَ، فَمَا حَاجَتُهُ إِلَى كِتَابٍ وَرَسُولٍ؟ » وقال في  
وصف الجنة: « فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ » وهو الحليب، ولا يكاد يشتهيهِ إِلَّا الْجَانِعُ،  
وَذَكَرَ الْمَسْلَ؛ وَلَا يَطْلُبُ صَرْفًا. والزنجبيل، وليس من لذيذ الأشربة. والسندس، وهو  
يفترش ولا يلبس. وكذلك الاستبرق، وهو الغليظ من الديباج، ومن تخايل بأنه في  
الجنة يلبس هذا الغليظ، ويشرب الحليب والزنجبيل، صار كمرس الأكراد والنبط ۝  
وقد مر بك طرف من أخباره في رسالة ابن القارح، وسيمر بك طرف آخر في فصل  
آخر من هذا الكتاب، فلنكتف بهذا القدر هنا.

(١) يعني كتاب « التاج » الذي ألفه ابن الراوندي يخرج فيه لقدم العالم.

(٢) هو اسم الكتاب الذي ألفه، وطعن فيه على نظم القرآن.

عَلَيْهِ — كِتَابُ بَهْرٍ بِالْإِنْجَازِ ، وَلَقِيَ عَدُوَّهُ بِالْإِزْجَارِ ، مَا حُذِيَ عَلَى مِثَالِ ،  
وَلَا أَشْبَهَ قَرِيبَ الْأَمْثَالِ . مَا هُوَ مِنَ الْقَصِيدِ الْمُتَوَزُونِ ، وَلَا الرَّجَزِ ، وَلَا شَاكِلِ  
خِطَابَةِ الْعَرَبِ ، وَلَا سَجْعِ الْكَمَنَةِ . وَجَاءَ كَالشَّمْسِ ، لَوْ فَهِمَهُ الْمُهْضَبُ لَتَصَدَّعَ .  
وَلِإِنَّ الْآيَةَ مِنْهُ — أَوْ بَعْضَ الْآيَةِ — لَتَعْتَرِضُ فِي أَفْصَحِ كَلِمٍ يَقْدِرُ عَلَيْهِ  
الْمَخْلُوقُونَ ، فَتَكُونُ فِيهِ كَالشَّهَابِ الْمُتَلَاثِي فِي جُنُجِ غَسَقٍ ، وَالزَّهْرَةِ الْبَادِيَةِ  
فِي جَدُوبٍ . فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ !

وَأَمَّا « الْقَضِيبُ »<sup>(١)</sup> ، فَمِنْ عَمَلِهِ أَخْصَرُ صَفَقَةٍ مِنْ « قَضِيبٍ »<sup>(٢)</sup> ، وَخَيْرُهُ لَهُ  
مِنْ إِنْشَائِهِ ، لَوْ رَكِبَ قَضِيبًا<sup>(٣)</sup> عِنْدَ عِشَائِهِ<sup>(٤)</sup> ، فَقَدَفَتْ بِهِ عَلَى قَتَادٍ<sup>(٥)</sup> ،  
وَنَزَعَتْ الْمَفَاصِلَ كَنَزَجِ الْأَوْتَادِ :  
إِنَّ الطَّرِمَّاحَ يَهْجُوَنِي لِأَشْتِمُهُ هَيْهَاتَ أَهْيَهَاتَ أَعِيلَتْ - دُونَهُ - الْقُضْبُ

وَأَمَّا « الْفَرِيدُ »<sup>(٦)</sup> ، فَأَفْرَدَهُ مِنْ كُلِّ خَلِيلٍ ، وَأَلْبَسَهُ - فِي الْأَبَدِ - بُرْدَ  
الدَّلِيلِ ، وَمَنْ أَنْفَرَدَ بِعِزِّهِ لَوْ قَارَتِهِ ، فَإِنَّ « فَرِيدَ » ذَلِكَ الْجَاهِدِ يَنْفَرِدُ  
لِحَقَارَتِهِ ، كَأَنَّهُ الْأَجْرَبُ . وَإِذَا جَذَلَتْ الْعَانِيَةَ بِفَرِيدِ النُّظَامِ ، فَهُوَ

(١) هو اسم الكتاب الذي ألفه ابن الراوندى فى إثبات أن الله محدث وأنه كان غير عالم ،  
حتى خلق لنفسه علماً (٢) هو تَمَّار بالبحرين يضرب به المثل ، وحكايته أنه اشترى  
« قوصرة تمر » وكان فيها بدرة ، فلحقه صاحبها واستردها ، واستخرج البدرة منها ، فقتل  
(قضيب) نفسه لهفة عليها (٣) ناقة لم تُرض (٤) أى ليلاً ، والناقة التى لم ترض ، إذا مشت  
بالليل ، تحقق لراكبها الويل . . . ١ (٥) شجر صلب له شوك كالإبر (٦) هو اسم  
الكتاب الذى ألفه ابن الراوندى فى الطمن على النبی صلوات الله عليه



فَلَادَهُ مَاتِمَ عِظَامٍ . وَأَمَّا « الْمَرْجَانُ » فَإِذَا قِيلَ : إِنَّهُ صِنَاغُ اللَّوْلُؤِ ، فَتَعَادَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ « مَرْجَانُهُ »<sup>(١)</sup> « صِنَاغَ حَصَى ، بَلْ أَحْسَنُ مِنْ أَنْ يُذَكَّرَ !

### ابن الرومي<sup>(٢)</sup>

وَأَمَّا « ابْنُ الرَّؤُومِ » فَهُوَ أَحَدُ مَنْ يُقَالُ : « إِنَّ أَدَبَهُ كَانَ أَكْثَرَ مِنْ

(١) « المرجان » هو اسم الكتاب الذي ألفه ابن الراوندي في اختلاف أهل الإسلام

(٢) ابن الرومي — ٢٢١ — ٢٨٣ هـ

اسمه على بن العباس بن جريج ( أوجور جيس ) مولى عبيد الله بن عيسى بن جعفر ، وكنيته أبو الحسن ، ويعرف بابن الرومي ( نسبة إلى أصله )

كانت ولادته بمد طالع فجر يوم الأربعاء ليلتين خلتا من رجب سنة ٢٢١ هـ في الموضع المعروف « بالعقبة وحرب الخيلية » في دار بازاء قصر عيسى بن جعفر — ووفاته يوم الأربعاء ليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ٢٨٣ هـ فدفنوه في مقبرة البستان . وكانت ولادته وموته في بغداد .

وعلى ذلك يكون « ابن الرومي » قد أظلمت تسع خلاقات ، وهي خلاقات : « المعتصم »<sup>(١)</sup> و « الواثق »<sup>(٢)</sup> و « للتوكل »<sup>(٣)</sup> و « المنتصر »<sup>(٤)</sup> و « المستعين »<sup>(٥)</sup> و « المعتز »<sup>(٦)</sup> و « المهتدي »<sup>(٧)</sup> و « المعتد »<sup>(٨)</sup> و « المعتضد »<sup>(٩)</sup> .

وكان شعره غير مرتب ، رواه « المتنبى » عنه ، ثم جمعه « أبو بكر الصولي » ورتبه على الحروف ، وجمعه « أبو الطيب » وراق بن عبدوس ، وزاد في جميع النسخ نحو ألف بيت

« سبب موته »

وصل « ابن الرومي » في المعجم والتصرف بمائتيه وأساليبه ، والإيفاش في ذلك ، إلى حد

(١) ٢١٨ — ٢٢٧ هـ (٢) ٢٢٧ — ٢٣٢ هـ (٣) ٢٣٢ — ٢٤٧ هـ

(٤) ٢٤٧ — ٢٥٨ هـ (٥) ٢٥٨ — ٢٧١ هـ (٦) ٢٧١ — ٢٨٣ هـ

(٧) ٢٨٣ — ٢٩٦ هـ (٨) ٢٩٦ — ٣٠٩ هـ (٩) ٣٠٩ — ٣٢١ هـ

## عَقْلِهِ « وَكَانَ يَتَعَاطَى عِلْمَ الْفَلَسَفَةِ

خافه معه معاصروه ، فلم يكذ يسلم أحد من خوفه ، حتى لقد خافه « أبو الحسين القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب » وزير الإمام « المعتضد » مع ما اشتهر به هذا الوزير من الاستبداد ، والجسارة على سفك الدماء !

اشتهر ابن الرومي بالجسارة على هجاء الأمراء — بلا هوادة ولا رفق — واشتهر الوزير « القاسم » بالميل إلى الانتقام ، وعدم التردد في قتل من يناوئه ويناصبه العداء ، وكان يحشى فلتات لسان ابن الرومي ، ويعلم أنه لن يسلم من هجائه أو سلاطته يوماً ما . فلما هجاء « ابن الرومي » استشاط غضباً ، وفكر في قتله انتقاماً منه . فدس إليه « ابن فراس » — وهو من أغفش « ابن الرومي » في هجائهم — فأطعمه « خشكنايه » مسمومة — وهو في مجلس « القاسم » — فلما أكلها « ابن الرومي » أحس بالسقم ، وأدرك التكدية ، فقام ، فقال له الوزير : « إلى أين تذهب ؟ » فأجابه : « إلى الموضوع الذي بعثتني إليه ! » فقال له : « سلم على والدي » فقال : « ليس طريقى على النار ! » وخرج من مجلسه ، وأتى منزله ، وأقام أياماً ، ومات

### « دقة ابن الرومي وتغلغل في المعاني »

« يفرس على المعاني النادرة فيستخرجها من مكانها ، ويبرزها في أحسن صورة ، ولا يترك المعنى حق يستوفيه إلى آخره ، ولا يبقى فيه بقية » « ابن خلكان »  
قال أحد كتاب الإنجليز : « ليست الصعوبة التي تعترض الكاتب أو الشاعر هي أن يكتب أو ينظم في موضوع ما ، ولكنها في أن يقول كل ما يعنيه بالضبط في هذا الموضوع ! » وأبدع الشاعر العربي في صوغ هذا المعنى ، فقال :

وفضائي في القول والشعر أننى أقول على علم ، وأعلم ما أعنى

\*  
\* \*

هذا في اعتقادنا هو أكبر فارق جوهري بين الكاتب الجيد أو الشاعر الفحل المطبوع ، وبين غيرها من الكتاب أو الشعراء الكثيرين ؛ وهذا الفارق هو أول ما نبحت عنه حين نشرع في

### مطالعة مع أبي بكر بن السراج

وَاسْتَمَاعَ مِنْ « أَبِي بَكْرٍ بْنِ السَّرَاجِ » كِتَابًا ، فَتَقَاصَاهُ بِهِ « أَبُو بَكْرٍ »

تعرف شاعر أو كاتب قديم أو حديث ، وإن هذا الفارق هو أول ميزة تبدهك من شعر ابن الرومي الحافل بالميزات الكثيرة ...



خصائص ابن الرومي هي : الدقة التامة في أداء المعنى الذي قام بنفسه ، واستقصاؤه ، وتحديد ما يعنيه بالضبط ، والغوص على أخفى خفاياه ، والتشبي معه إلى أبعد مداه ، وسبر أقص أغواره ، وإظهار كل ناحية من مناحيه المختلفة ، في كلام واضح جلي ، والتوفيق في الاهتداء إلى كل ذلك ، والوصول إليه بلا كلفة ولا تمَل . فهو فطن — دقيق في فطنته — إلى كل ما تتطلبه صورته الشعرية من الألوان والأصباغ ، ينشر ظلالها وأضواءها ، ويلام بين ألوانها وأصباغها ، حتى إذا انتهى منها ، وجدت ما قام بهذه من الماني مائلًا أمامك في صورة ناطقة ، مكتملة الحياة ، مشرقة بها في كل جزء من أجزائها



ذلك هو أول ما يسترعى انتباهك حين تقرأ شعر ابن الرومي ، وهو من الصفات التي لازمته فصارت له كالطبع ، واتسم بها تفكيره ، فأصبح نثره — على ندرة ما وصلنا منه — مشتركاً مع شعره في هذه الميزة الباهرة ، كما ترى ذلك في الرسالة التالية :

« ترفع عني ظلمي — إن كنت بريئًا ، وتفضل بالعمو — إن كنت مسيئًا ، فوالله إني لأطلب العفو من ذنب لم أجنه ، وأتمس الإقالة بما لا أعرفه ، لتزداد تعولاً ، وأزداد تذللًا ، وأنا أعيد حالي عندك بكرمك من واش يكيدها ، وأحرسها بوفائك من باغ يحاول إفسادها ، وأسأل الله — تعالى — أن يجعل حظي منك ، بقدر ودي لك ، وعجلي من رجائك بحيث أستحق ، والسلام » .

فَقَالَ لَهُ « ابْنُ الرُّومِيِّ » : « لَوْ كَانَ « الْمُشْتَرَى » حَدَّثَنَا ، لَكَانَ مَجْزُولًا »

### تشيعه

وَالْبَغْدَادِيُّونَ يَدَّعَوْنَ أَنَّهُ « مُتَشَبِّعٌ » وَيَسْتَشْهَدُونَ عَلَى ذَلِكَ بِقَصِيدَتِهِ  
الْجَمِيَّةِ (١) :

فانظر ملياً، هل ترى فرقاً بين شعره ونثره في طريقة الأداء وأسلوب التفكير؟ وهل تتردد لحظة واحدة في الحكم على هذا الكلام بأنه شعر لا ينقصه إلا الوزن والقافية؟ هذه - في نظرنا - هي أكبر ميزات ابن الرومي وأجدها بالذكر، فلنكتف بها في هذه الإلمامة الآن، تاركين الكلام في بقية النقط الأخرى - مثل تأثر « المتنبي » بشعره، وفساد عصره، وأثر ذلك في نفسه، ووجوه الشبه والاختلاف بين تفكيره وتفكير « المعري »، والعت الذي لقيه من معاصريه، وأثر ذلك في شعره، وإقذاعه في الهجاء، ورأيه في الجبر والاختيار، وعشور جدّه، وشراسته ونهمه في الأكل، وإطالته القصائد مع المحافظة على الإجادة، والأمن - في أكثر الأحيان - من السقوط والتكرير، وما إلى ذلك من المباحث - إلى رسالة خاصة نعدّها عن ابن الرومي، ونرجو أن نوفق في إظهارها قريباً. ونحب أن يرجع القارئ إلى كتابنا « صور جديدة من الأدب العربي » ليقرأ الفصل الذي كتبناه عنه وعنوانه : « ابن الرومي، كيف أغفله صاحب الأغاني ؟ »

(١) هي قصيدته الخالدة التي رثى بها « أبا الحسين يحيى بن عمر بن حسين بن زيد بن علي » وأبدع فيها ما شاء له إبداعه واقتنائه وعبقريته الفذة، التي يراها القارئ مثلة في كل بيت من أبياتها، والقصيدة هي :

أمامك فانظر : أي نهجيك تنهج	طريقان شقي، مستقيم وأعوج
ألا أيهنا الناس : طال ضريركم	بال رسول الله، فآخسوا، أو ارتجوا
أكل أوان للنبي محمد	قتيل زكي - بالدماء مضرع ؟
تبيمون فيه الدين شر أئمة	فله دين الله، قد كاد يبرج !
لقد ألحجوك في حبال فتنه ،	وللملحجوك في الحبال ألحج

بني المصطفى ! كم يأكل الناس شلوكم ؟  
أما فيهم راع لحق نبيه ؟  
لقد عمهوا ما أنزل الله فيكم  
ألا خاب من أنساء منكم نصبيه  
لبواكم - عما قليل - مؤرج  
ولا خائف من ربه يتعرج ؟  
كأن كتاب الله فيهم ممتع  
متاع من الدنيا قليل وزبرج

\* \*

أبعد المكّي بالحسين شهيدكم  
لنا وعلينا - لا عليه ولا له -  
وكيف نبكى فائزاً عند ربه  
وقد نال في الدنيا سناء وصيته  
فإلا يكن حياً لدينا ، فإنه  
وكننا نرجيه لكشف عاية  
فاسهنا ذو العرش في ابن نبيه  
مضى ، ومضى الفراط من أهل بيته  
فأصبحت ، لاهم أبسووني بذكره<sup>(١)</sup>  
ولا هو نسائي أساي عليهم  
أيت - إذا نام الخلق - كأنما  
تضي مصاييح السماء قسرج ؟  
تسحح أسراب السموع وتنسج  
له في جنان الخلد عيش مخرفج<sup>(٢)</sup>  
وقام مقاماً لم يقمسه مزلاج<sup>(٣)</sup>  
لدى الله حى ، في الجنان مزوج  
بأشاله أمثالها تتبلج  
فهاز به ؛ والله أعلى وأفلج<sup>(٤)</sup>  
يؤم بهم ورد النية منهج  
كما قال قبل في البسوء مؤرج  
لى ! هاجه ، والشجو للشجو أهيج  
تبطن أجفاني سيال<sup>(٥)</sup> وعوسج

\* \*

أبجي الملى ! لطفى لذكراك لطفة  
أحين تراءتلك الميوت بجلاءها  
بنفسى - وإن فات الغداء بك الردى -  
لمن تستجد الأرض بملك زينة  
سلام وريحان وروح ورحمة  
يياشر مكواها الفؤاد فينضج  
وأقضاءها ، أضحت مرائيك تنسج  
محاسنك اللائى تمسج فتنهج  
فتصبح فى أثوابها تتبرج ؟  
عليك ، وممدود من الظل سجع<sup>(٦)</sup>

(١) واسع (٢) النافس الرودة (٣) أغلب (٤) أسووني بذكره  
(٥) السبال (مفردة سيالة) نبات شائك (٦) السجع : العتدل ، لا حرفة فيه ولا أثر

ولا برج القناع الذى أنت جاره  
ويا أسفى ألا ترد نحيمة  
ألا إنما ناح الحمايم بعدما  
ثويت، وكانت - قبل ذلك - تهزج !

أذم إليك العين أن دموعها  
وأحدها - لو كنت كنت من غروبها  
وليس البكا أن تسفح العين ، إنما  
أنتمنى عيني عليك بدمعة  
فإنى - إلى أن يدفن القلب داءه -  
عفاء على دار ظفنت لغيرها

ألا أيها المستبشرون ييومه  
أكلكم أمسى : اطمأن مهاده  
فلا تشمتوا ، وليخسأ المرء منكم  
فلو شهد الميجا بقلب أيكم  
لأعطى يد العانى ، أو ارتد هاربا ،  
ولكنه ما زال يشقى بنحره  
وحاش له من تلکم ، غير أنه  
وأين به عن ذاك ؟ لا أين - إنه  
كأنى به - كاليث يحى عرينه  
كدأب « على » فى المواطن قبله  
كأنى أراه - والرماح تنوشه  
كأنى أراه - إذ هوى عن جواده

أظلت عليكم غمة لا تفرج  
بأن رسول الله فى القبر مزهج ؟  
بوجه : كأن اللون منه اليرندج  
- غداة التقى الجمعان - والخيل تمعج  
كما ارتد بالقناع الظليم الموهج  
شبا الحرب، حتى قال ذو الجهل : « أهوج »  
أبى خطة الأمر الذى هو أسمع  
إليه برقيه الزكيين محرج  
وأشباله - لا يزديه المبهج  
أبو حسن ، والغصن من حيث يخرج  
شوارع - كالأشطان تدلى وتخلج  
وعفر بالسترب الجبين المشجج

فَحُبَّ به جسا الى الأرض - إذ هوى -  
أُردتكم « يحيى » ولم يعلو أطل  
تأنت لكم فيه منى السوء هينة ؛  
تهدون فى طغيانكم وضلالكم  
أجنوا بنى العباس ! من شأنكم  
وخلوا ولاية السوء منكم وغيهم ،  
نظار لكم أن يرجع الحق راجع  
على . حين لا عُذرى لمعتدريكُم  
فلا تلتحقوا الآن الضفائن بينكم  
غررتم ، لئن صدقتم أن حالة  
لعل لهم فى منطوى الغيب ثائرا  
بمجر تضيق الأرض من زفرائه  
إذا شيم بالأبصار أبرق يفضه  
توامضه شمس الضحى ، فكأثما  
له وقدة بين السماء وبينه ،  
إذا كرت فى أعراضه الطرف أعرضت  
يؤيده ركنان ثبات ، رجلة  
عليها رجال كالليوث بسالة  
تدانوا ، فما للنفق فيهم خصاصة  
فلو حصبتهم بالنضياء شحابة  
كأن الزجاج اللهذنيات فيهم  
يود الذى لاقوه أن سلاحه

وَحُبَّ بها روحا - إلى الله ترج  
طراداً ، ولم يدبر من اغيل منسج ؟  
وذاك لكم بالفى أغرى وألهج  
ويستدرج للمرور منكم فيدرج  
وأوكوا على ما فى العياب ، وأشرجوا<sup>(١)</sup>  
فأحر بهم أن يفرقوا حيث لججوا  
إلى أهله يوما ، قشجوا كما شجوا  
ولا لكم من حجة الله مخرج  
وغيهم ، إن اللواتح تنسج  
تدوم لكم ، والضر لوثان أخرج<sup>(٢)</sup>  
سيسو لكم ، والصبح فى الليل موج  
له زجل<sup>(٣)</sup> ينفى الوحوش وهرمج<sup>(٤)</sup>  
بوارق لا يستطيعهن الجمع<sup>(٥)</sup>  
يرى البحر فى أعراضه يتوج  
تلم بها الطير العوافى قنرج<sup>(٦)</sup>  
خراج تحار العين فيها فتخرج<sup>(٧)</sup>  
وخيل - كأرسال الجراد - وأوشج  
بأمثالها ينفى الأبي فيعنج  
تنفسه عن خيلهم - حين ترهج  
نظل عليهم حصبها يتدحرج  
فتيل بأطراف الردين مسرج  
هنالك خلخال عليه ودملج

(١) شدوا على ما فى قريبكم بالكاء : ( رباط القرية ) وخطوا رءوسها حتى لا ينفذ شيء مما تحويه  
(٢) الأخرج : ذو اللوين (٣) جلبة (٤) أصوات مخططة (٥) المحدث القزع  
(٦) تتجبر أبصارها من شدة الحر (٧) تنور فيضيق عليها منافذ البصر

فيدرك ثار الله أنصار دينه ،  
ويقضى أمام الحق فيكم قضاءه  
وتظمن - خوف السبي - بعد إقامة ،  
وقد كان في « يحيى » مذمر خطه  
هنالك يشقى تبيخ جهلكم  
محضكم نصحي ، وإني بعدها  
ولله أوس أخروف وخزرج  
تماماً ، وما كل الحوامل تخدج  
ظلمات ، لم يضرب عليهن هودج  
ونائجها ، لو كان للأمر منتج  
إذا ظلت الأعناق بالسيف تودج  
لاعتق فيما ساءكم وأهلج

\* \*

مِه لا تعادوا غرة البني بينكم  
أفي الحق أن يمساو خاصا ، وأتم  
تمشون مختالين في حجراتكم  
وليدم بادى الضوى ، ووليدكم  
تذودونهم عن حوضهم بسبوفكم  
قد ألتجتم خيفة القتل عنكم  
كما يتعادي شعلة النار عرّج  
يكاد أخوكم - بطنة - يتبعج ؟  
ثقال الخطى - أكفالكم تترجج  
من الريف ريان العظام خدلج  
ويشرع فيه أرنبيل وأبلج  
وبالقوم حاج في الحيازم حوج

\* \*

بنفسى الألى كفلتهم حشراتكم  
ولم تقنعوا - حتى استثارت قبورهم  
وعبرتمهم بالسواد ؛ ولم يزل  
ولكنكم زرق ، يزين وجوهكم  
قد علزوا - قبل المات - وحشرجوا  
كلابكم منها بهيم وديرج  
من العرب الأمحاض أخضر أدهج  
بنى الروم ! ألوان من الروم نفعج

\* \*

لئن لم تكن بالهاشميين عامة  
بآية أن لا يبرح الرء منكم  
بيت - إذا الصباء روت مشاشه -  
لما شكلكم - تالله - إلا المهلج  
يُكبُّ على حر الجبين فيعفج  
يساوره عِلج من الروم أعلج



وَمَا أَرَاهُ إِلَّا عَلَىٰ مَذْهَبِ غَيْرِهِ مِنَ الشُّعْرَاءِ ، وَمَنْ أُولِيَ بِالطَّيْرَةِ ، وَلَمْ تَمَّا

فيطمنه في «سبة السوء» طعنة يقوم لها من تحته وهو أفتح<sup>(١)</sup>  
للك ، بنى العباس يصبر مثلكم ، ويصبر الموت الكفى اللدجج  
فهل عاهة إلا كهذي ، وإنكم لا كذب مسؤول عن الحق يلجج  
فلا تجلسوا وسط المجالس حثرا ولا تركبوا إلا ركائب تحذج

\*

أبى الله إلا أن يطليوا وتخبثوا وأن يسبقوا بالصالحات وينلجوا  
وإن كنتم منهم وكان أبوكم أباهم ، فإن الصفو بالرنق يمزج

\*

لمعرى لقد أغرى القلوب «ابن طاهر» يفضائكم ما دامت الريح تنأج  
سعى لكم مسعاة سوء ذميمة سعى مثلها مستكره الرجل أخرج  
فلن تعلموا - ما حنت النيب - فتنة تحش كما حش الحريق المؤجج  
وقد بدأت - لوتجرون بريحها - بوائجها من كل أوب تبوج

\*

بنى مصعب ! ما للنبي وأهله عدو سواكم - أفصحوا ، أو فلجلجوا  
دماء بنى عباسكم وعليهم لكم كدعاء الترك والروم تهرج  
يلى سفكها الموران والعرج منكم ، وغوغاؤكم - جهلاً بذلك - تبهج  
وما بكم أن تنصروا أولياءكم ولكن هنات في القلوب تنجج  
ولو أمكنتكم في الفريقين فرصة ، لقد بينت أشياء تلوى وتنجج  
إذن لاستقدمتم منها وتر فارس ، وإت ولياكم فالوشائج أوشج  
أبى أن يحبهم - يد الدهر - ذكركم لىالى لا ينفك منكم متوج

\*

وإلى على الاسلام منكم لخائف بوائق شتى ، بابها الآن مرجح

(١) ألا ترى إلى ابن الرومي لا يحجم عن الاغلاش حتى في مقام الرثاء ! ! !

هِيَ شَرٌّ مُتَعَجِّلٌ ، وَلِلْأَنْفُسِ أَجَلٌ مُوَجَّلٌ<sup>(١)</sup> ، وَكُلُّ ذَلِكَ حَذَرٌ مِنْ

وَفِي الْحَزْمِ أَنْ يَسْتَرْجِ النَّاسُ أَمْرَكُمْ وَجَهْلُهُمْ مُسْتَحْكِمُ الْعَقْدِ مَدْمِجٌ

\* \*

نَظَارٍ فَإِنَّ اللَّهَ طَالِبٌ وَتَرَهُ بَنِي مُصْعَبٍ أَلَنْ يَسْبِقَ اللَّهَ مَدْلِجٌ  
لَمَلٍ قُلُوبًا قَدْ أَطْلَمَ غَلِيلُهَا سَتَظْفَرُ مِنْكُمْ بِالْشَفَاءِ ، فَتُخْلَجُ

### (١) الطيرة والتشاؤم

أبو العلاء متشائم شديد التشاؤم ، بل هو من أشد من عرفناهم تشاؤماً ، ولكنه — مع تشاؤمه الذي لا يقف عند حد — ليس من جماعة المتطيرين ، بل هو أبعد من عرفناهم عن التطير وإنما نعى بالتشاؤم ذلك المذهب الذي يسميه الأفرنج (Pessimisme) ونرى أن نسميه بالمرية : سخطاً ، ونسى أصحابه ساخطين ، وهو مذهب جماعة المتبرمين بالعالم ، الذين لا يرون فيه إلا شراً مستطيراً ، لا يستطيعون حمله ، ولا أمل لهم في دفعة أو تهوينه ، ولا ينظرون إليه إلا بمنظار شديد السواد ، وعلى العكس من ذلك مذهب الرضا ، و يسميه الأفرنج (Optimisme) وهو مذهب من يحسنون الظن بالأيام ، وينظرون إلى العالم بمنظار رائق ناصع البياض ؛ فيرون كل ما فيه يدعو إلى الشبهة ، ويرونه سائراً في طريق التقدم والكمال ، وفي هذا مجلبة رضاهم وارتياحهم ، وقد أشبع « ما كس نورداو » جماعة الساخطين ، سخرية وتعنيفاً ، ورامهم بنقص في عقولهم ، في مقالته التي كتبها عن السخط والرضا (Pessimisme & Optimisme) في كتابه الفلسفي الذي سماه (الغرائب Paradoxes) وهي مقالة جميلة ، نحب ألا تغتور القارئ ، وقد نلخصها مجلة البيان في سنتها الرابعة في جزئها الثاني والثالث ، تلخيصاً لا يخلو من الفائدة والنفع ، لمن لا تتاح له قراءتها كاملة في الكتب الأفرنجية .

أما الطيرة (Manvais Augure) ، وقيضها الفأل — أو التيمن (Bon Augure) ، فمذهب آخر يختلف في نظرنا عن مذهب السخط والرضا كل الاختلاف ، فقد يكون الانسان

الْمَوْتِ الَّذِي هُوَ رَبِّقٌ فِي أَعْنَاقِ الْحَيَوَانِ ، حُكْمٌ لِقَاؤُهُ فِي كُلِّ أَوَانٍ !

ساختطاً أو راضياً ولكنه لا يتطير ولا يتفادى . وعلى العكس من ذلك ، قد يكون من المتطيرين والمتفائلين ، ولكنه في الوقت نفسه ساختط على الحياة أو راض عنها .

\*  
\*

وإنما الطيرة مذهب أساسه ربط الحوادث بنير أسبابها الحقيقية ، وتعليل النفس بما لا يفيد ، وترقب الناسبات والمصادفات ، لاستنتاج شيء وهمي لا أساس له من الصحة ، ولا قيمة له — عند العقلاء — وإنما يدعو إليها ، في نظرنا ، عدم اطمئنان القلب ، وخفة العقل ؛ ولعله لو رجع للرء إلى نفسه يسألها في أي ساعاتها تميل إلى التطل بأشباه هذه الخرافات ، لرأى أن ذلك كثيراً ما يحدث في أوقات الملح والذعر من جراء مصاب فادح مُذهل ، تلك على الإنسان قلبه ، وأطار له ، وحرمة طمأنينته ، فجعله كالفرق يتلمس أشفه الأسباب وأقلها غناء ، لينتقد نفسه من الملاك . فأما في ساعات اطمئنانه فقلما يأبه لذلك ، اللهم إلا إن كان من هؤلاء الذين أصبح لهم التطير ديناً وطبعاً ، وهذا غير السخط الذي أساسه سوء الظن ، وشدة الحذر ، والنعمة على الحياة ، والنظر إليها من جانبها الأسود !

\*  
\*

انظر إلى تطير الأمين — مثلاً — حين حاصره « طاهر » ولم تكن سمعنا بتطيره من قبل — قال « إبراهيم بن المهدي » وكان حينئذ مع الأمين :

« خرج الأمين ذات ليلة يريد أن يتفرج من الضيق الذي هو فيه ، فصار إلى قصر له بناحية « الخلد » ثم أرسل إلى فحشرت عنده ، فقال : « ترى طيب هذه الليلة وحسن القبر في السماء وضوءه في الماء على شاطئ » « دجلة » ... فهل لك في الشرب ؟ » « قلت : « شأنك » فشرب رطلاً وسقاني آخر ، ثم غنيت ما كنت أعلم أنه يحبه ، فقال لي : « ما تقول فيمن يضرب عليك ؟ » « قلت : « ما أحوجنى إليه ! »

فلما بجارية مقبّمة عنده ، اسمها « ضف » فتطيرت من اسمها ونحن في تلك الحال فقال لها : « غني » فغنت بشعر الجعدي :

وَفِي النَّاسِ مَنْ يَظُنُّ أَنَّ الشَّيْءَ - إِذَا قِيلَ - جَازَ أَنْ يَقَعَ !

كليب لعمرى كان أكثر ناصراً وأيسر جرمًا منك ضرج بالدم  
فاشئت ذلك عليه ، وتطير منه ، وقال « غنى غير ذلك » فغنت :

أبكى فراقكم عيني فأرقمها إن التفرق للأجباب بكاء  
ما زال يمدو عليهم ريب دهرهم حتى تفانوا - وريب الدهر عداء .

فقال لها : « لعنك الله ! أما تعرفين من الفناء غير هذا ؟ » فقالت : « ما تغنيت إلا ما ظننت  
أنك تحبه » ثم غنت آخر :

أما ورب السكون والحرك إن المنايا كثيرة الشرك  
ما اختلف الليل والنهار ، وما دارت نجوم السماء في الفلك  
إلا لنقل السلطان عن ملك قد زال سلطانه إلى ملك  
وملك ذى العرش دائم أبدًا ليس بفان ولا بمشرك

فقال لها : « قومي ، غضب الله عليك ولعنك ! » وكان له قدح من بلور حسن الصنعة ،  
وكان موضوعاً بين يديه - فثارت الجارية به فكسرتة ، فقال : « ويحك يا إبراهيم ، أما  
ترى ما جاءت هذه الجارية ، ثم ما كان من كسر القدح ، والله ما أعلن أمرى إلا قد قرب »  
فقلت : « يديم الله ملكك ، ويمز سلطانك ، ويكبت عدوك »

فما استتم الكلام حتى سمعنا صوتاً : « قضى الأمر الذى فيه تستفتيان ! »

فقال : « يا إبراهيم ! أما سمعت ما سمعت ؟ » قلت : « ما سمعت شيئاً » وكنت قد سمعت ،  
قال : « تسمع حساً » فدنوت من الشط فلم أر شيئاً - ثم عاودنا الحديث ، فعاد الصوت  
بمثله ؛ فقام من مجلسه مقمًا إلى مجلسه بالمدينة

قال : « فما مضى إلا ليلة أو ليلتان حتى قتل .... »

✱

فانظر إلى هذه الحكاية المحزنة ، وتأمل قليلاً ، ألسنت ترى أن ضعف نفسيهما وحده هو السبب  
الأكبر في كل هذه الاستنتاجات ؟ ومثل لنفسك أن كل ما حدث في تلك الليلة المروعة قد  
حدث في ليلة أنس وطرب ، بل في ليلة عادية - إن شئت - فهل كانا يهتمان به كل هذا الاهتمام ؟

وهذا الروح الذى أحسه إبراهيم المهدى — حين سمع اسم الجارية « ضعف » هل كان يحس مثله — إذا تبدل الموقف وكان انتصاراً وفوزاً — أو لم تكن هذه الجارية متقدمة عند الأمين ؟ فما له لم يتطير من اسمها قبل هذه المرة ؟

وهل تحسبها غنت إلا ما حسبت أن مولاهما يحبه — وكم غنته — هى أو غيرها — مثل هذه الأبيات ، فطرب واتخى ، ومن يدرى فربما كان الأمين يميل إلى هذا النوع من الشعر المشجى ، وكان هذا الميل مغرياً للجارية على غناء تلك الأبيات ، وتمثل الأمين عاقب مسيئاً بالقتل ، على جرم فرط منه ، فخامره شيء من الندم . وإنه لكذلك — إذ غنته هذه الجارية نفسها هذا البيت بعينه :

كليب لعمري كان أكثر ناصراً وأيسر جرماً منك ضريح بالدم  
ألم يكن فيه حينئذ راحة يثلج لها قوادى ، وتمثل الجارية تغنيها هذا البيت قبل أن يقتل ذلك المسيء وهو يفكر فى ذلك ، أكان يتطير منه — إذ ذاك — وأى أثر يكون له فى نفسه حينئذ من سماعه ؟ ألا يكون فيه إغراء بقتل ذلك المسيء ؟

\* \*

وتمثل البيتين الآخرين قد غنتهما الجارية فى موقف غير هذا ، فى موقف غرام مثلاً ، فى ساعة يفكر فيها الأمين فى معشوق له ، مات ولم ينم به طويلاً ، فكيف يكون أثرها فى نفسه ، وكيف يتمثل قولها : « إن التفرق للأحباب بكاء ؟ » ولكن تغير الموقف ، فتغير المعنى واعكس الآية ، فتمثل الأمين — فى مكان اللأمنون — وأنه قد أوشك أن ينتصر على أخيه ، وأنه قد سمع الأبيات الأخيرة وهو يحاصر مدينته ، فأى أثر يتركه فى نفسه قولها :

« ما اختلف الليل والنهار وما دارت نجوم السماء فى الفلك

الا لنقل السلطان عن ملك قد زال سلطانه الى ملك ! »

وهكذا غير الظروف ، وتمثل آثار تلك الأبيات فى نفسيهما ، تعجدها مختلفة يصل اختلافها إلى مسافة ما بين الضد والضد أحياناً

ثم ماذا في هذه الجملة التي غمت الأمين : « قضى الأمر الذي فيه تستفتيان ؟ » ألم يكن فيها متأول حسن — لو شاء ! ألم يسمعها عقب دعاء له بدوام ملكه ، وإعزاز سلطانه ، وكبت عدوه ، فإذا قضى هذا الأمر ، فقد تم له ما أراد ؟ . .

( ارجع الى كتابنا مصارع الخلفاء ، واقرأ فيه مصرع الأمين )

ولكن إخوان هذه الخليفة — كما يقول أبو العلاء — لا يحصلون الأشياء الواردة على الحقيقة ! ومن أجهل ما رووه عن التطهير والتغافل قول الرسول — عليه الصلاة والسلام — : « ثلاثة لا يسلم منهم أحد — الطيرة ، والظن ، والحسد » ، قيل له : « فما أخرج منهم يا رسول الله ؟ » قال : « إذا تطيرت فلا ترجع ، وإذا غلنت فلا تحقق ، وإذا حسدت فلا تبغ »

\*  
\* \*

إذا أقررنا ذلك ، سهل علينا أن ندرك ، كيف كان أبو العلاء ساخطاً ، ولم يكن متطيراً . أما « ابن الرومي » فقد لا يكون شديد السخط على الحياة ، ولكنه كان — على الرغم من ذلك — إماماً من أئمة التطهيرين ، وإذا أضفت هذا الفصل إلى ما في رسالة ابن القارح ازدادت اقتناعاً بطهرته ، وحسبك أن تعلم أنه كان لا يلبس ثيابه إلا بعد أن يتعوذ ، فإذا وصل الى الباب نظر من خلال ثقب المفتاح ، فإذا رأى ذلك الأحدب الذي تعود مضايقته ، جالساً ؛ جبن فلم يخرج ، وخلع ثيابه ثانية ، وقد عرف « ابن الرومي » كيف ينتقم منه ، ويثأر لنفسه ، ببيتيه اللذين وصمه بهما آخر الأبد ، وهما قوله :

« قَصُرَتْ أَخَادَعُهُ ، وَطَالَ قَدَّالُهُ فَكَأَنَّهُ مَتْرَبَصٌ أَنْ يُصَفَّعَا  
وَكَأَنَّمَا صُفِّعَتْ قَفَاهُ مَرَّةً وَأَحْسَنُ ثَانِيَةً لَهَا فَتَجَمَّعَا »

ولابن الرومي — في تطهيره — أخبار شتى . منها أن أبا الحسن الأخفش ، غلام للمبرد ، كان كثيراً ما يقرع بابه ، فإذا رد عليه ابن الرومي مستفسراً ، أجابه : « مرة بن حفظة » فيطير من ذلك ، ولا يجسر على الخروج بقية يومه ، وقد هجاه في ديوانه مراراً هجاء مؤثلاً مقنظاً

ولما كان هذا المقام أصبغ من أن يحتدل شيئاً من الإسهاب في تفصيل هذه النزعات وتحليلها والموازنة بينها ، فإننا نكتفي بهذا القدر على إيجازه — ونشير إلى رأى أبى العلاء في مذهب المتطيرين والمتفائلين ، وتهكمه اللاذع بأصحابه ، وسخريته الشديدة منهم ، علاوة على ما ترى في هذا الفصل من حججه الباهرة وبراهينه القوية التى دلت بها على فساد ذلك للذهب . ثم تتبعها بنخبة مختارة تبين لك نزعة ابن الرومى إلى التطير . وإليك نخبة من كلام أبى العلاء في ذلك :

### نخبة من شعر أبى العلاء فى الطيرة

تروم قياساً للحوادث ضلة وتلك أصول ليس يجمعها الحصر  
تعرض للطير السواح زاجراً أما لك من عقل — يكفك — زاجر؟  
أغربانك الشخم استقلت مع الضحى سواح؟ أم مرت حائلك الورق؟  
لا تفرحن بفأل — إن سمعت به — ولا تطير ، إذا ما ناعب نعبا  
فانطلب أظف من سراء تأملها والأمر أيسر من أن تضر العبا  
آليت لا يدري بما هو كأن متفائل بالأمر أو متطير  
كالدار صبيها سوى مكانها فتووا بها ، وتحمل للتدبير  
زجر الفراب تطيراً ، وقبضه . ديك لأهل النار أبيض أفرق  
شاهدت قبرة غفت تطيراً ما كل ميت — لا أباك — يقبر  
لا يتطير بناعب أحد فكل ما شاهد الفى طيره  
وما طير اليمين بمهجاتي فأخشى الهم من طير الشمال  
وقد سمى المراء « الهزير » تفاؤلا وليس يباق فى الليالى هزبرها  
وما أسر لتعشير الفراب أسى ولا أبكى خيطا حل نشارا  
ولا توهمت أننى الأنيجم امرأة ولا ظننت سهيلا كان عشارا

أى لا أضمر حزناً إذا سمعت الغراب يصيح عشرة أصوات متتابعة ، ولا أبكى جمعاً ذهب  
إلى ذلك البلد المسمى « نشارا » ولا أتوم أن الزهرة امرأة ، كما يفعل العرب ، ولا أن سهيلاً  
كان عشاراً باليمن

وهل لحق التثريب سكان يثرب من الناس ؟ لا ، بل في الرجال غباء !  
وذونجب - إن كان ما قيل صادقاً - فما فيه إلا معشر نجباء !  
وانظر إلى سخريته الدقيقة في قوله :

رأى - في الكرى - رجل ، كائن - من الذهب - اتخذ غشاء راسي :  
« قلنوسة - خصصت بها - نضارا كهرمزمز ، أو كملك أولى خراس  
قلت - معبراً : - « ذهب ذهابي وتلك نباحة لى - فى اندراسى »

أفت - وكان بعض الحزم يوماً - لركب السفن أن تلقى اللراسى  
نخبة مختارة

من شعر ابن الرومى فى الطيرة والقال

وإلى القارىء نخبة مختارة من شعر ابن الرومى تبين منزعه واعتقاده فى الطيرة والقال :  
لا تهاون بطيرة أيها النظار ، وأعلم بأنها عنوان  
قف - إذا طيرة تلقىك وانظر واستمع - ثم - ما يقول الزمان !  
قلما غاب من أمورك عنوان مبين وللزمان لسان<sup>(١)</sup>

لا تصدق عن النبئين ، إلا بحديث - يلوح فيه البيان

(١) قال ابن رشيقي :

« وكان ابن الرومى كثير الطيرة . ربما أقام المدة الطويلة لا ينصرف - تطيراً بسوء ما يراه ويسمعه -  
حتى إن بعض إخوانه من الأمراء انتقده وأعلم بحاله فى الطيرة ، فبعث إليه خادماً اسمه إقبال ليتفاد به . فلما  
أخذ أهيبه للركوب . قال للخادم : « اصرف إلى مولاك فأنت ناقص ، ومنكوس اسمك » لا بقا  
وابن الرومى القائل : القال لسان الزمان ، والطيرة عنوان الحدثن . وله فى ذلك احتجاجات وشعر كثير »



قد أتى عن نبينا جبه الفأ ل ، مضيقاً بذلك البرهان  
فدع الهزل والتضاحك بالطير رة ، فالنصح مشن عجان  
أترى من يرى البشير بشيراً يقرى في النذير ، يا وسنان<sup>(١)</sup>

✱

خبر الله أن مشامة كا نت لقوم ، وخبر القرآن  
أفروز الحديث تقبل ، أم ما قاله ذو الجلال والفرقان ؟  
وقد تفاعلت له - زاجراً كنيته ، لازاجراً ثعلبا  
إني تأملت له كنية - إذا بدا مقلوبها - أعجبا  
يصوغها المكس « أباسابع » وذاك قال لم يعد معطبا  
بل ذاك قال ضامن سبعة مثل الصقور استشرفت أربنا  
يأتون من صلب فتى ماجد لا كذب الله ولا خيبا  
وقد أتاه منهم واحد فليتنظر ستة غيبا  
في مدة تغمرها نعمة يجعلها الله له ثرباً  
حتى نراه جالساً بينهم أجل من رضوى ومن كبكبا  
كالبر وافي الأرض في نوره بين نجوم سبعة ، فاحتجى  
بمدى على الدهر - إذا ما اعتدى ويؤمن الناس - إذا استرعبا

تفاعلت والفأل لي معجب قلت - وما أنا بالعابث - :  
« أبو حسن وأبو مثله كنيّا أبي حسن ثالث ا »

(١) كان ابن الروي يحنج للطيرة ويقول : « إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الفأل ويكره  
الطيرة . أفتراه كان يضاءل بالغيء ولا يظير من ضده ؟ » ويقول : « إن النبي صلات الله عليه مر  
برجل - وهو يرحل ناقة ويقول : « يا ملعونة » فقال : « لا يصحبنا ملعون » وأن عليا  
- رضي الله عنه - كان لا يمزو غزاة - والفمر في المقرب ا »

أحذر أهل الأرض شؤم ابن طالب  
وقد جربت منه على « آل غلاد »  
أزيرق مشثوم ، أحير قاشر  
وهل أشبه الريح - إلا فعله  
أعوذ بمر الله من أن يضفى  
شبيه « قدار » بل « قدار » شبيهه

وهل يتارى الناس فى شؤم كاتب  
ويدعى أبوه « طالباً » وكفاكم  
ألا فاهروا من « طالب » و « ابن طالب »  
قل لغراب البين - تبأ له -  
أو رفع الصوت - يشدو له  
« اسكت ، لحاك الله - من قائل  
لا تنطقن الدهر فى محفل  
أنت غراب - خير أحواله  
فأترك نفسيا - شؤمه راجع  
يا بين ، أنت البين فى عزة  
ينتقل الناس وأحوالهم  
إذا جلا عن منزل أهله  
أنت أنافيه وآناؤه

لمينه لون السيف - والسيف قاضب  
به طيرة - أنت المنية طالب  
فن طالب مثليها ؛ طار هارب ا  
إذا تماطى القول فى مذهب<sup>(١)</sup>  
مثل سقيط الدمق الأشهب  
أجف عن قصد الهوى أنكب  
واغضض على الكتكث والأثلب  
مازى الصمت - ولم ينضب  
عليك - يحدوك إلى معطب  
بين غراب البين والأخطب<sup>(٢)</sup>  
وأنت فى الدنيا من الرتب<sup>(٣)</sup>  
فأنت فى أوتاده الرتب  
يشعب أهله - ولم تشعب

والقصيدة طويلة يحسن الرجوع إليها فى ديوان ابن الرومى « فى ص ٤٤٧ ج ٣ »

(١) من أبدع ما قرأناه فى إنصاف الغراب ويرتكبه من تهمة الطريق ، قول بعض الشعراء :

والناس يلحون و غرا ب البين « لا جهلوا

وهل « غراب البين » إلا ناقة . أو جل ؟

وما على ظهر « غرا ب البين » تطوى الرجل ا

(٢) الصرد (٣) جم راتب وهو التاب

وَكَذَلِكَ قَالَتِ الْمَأْمَةُ : « الْإِزْجَافُ أَوَّلُ الْكُونِ » (١) ،  
وَيُقَالُ : إِنَّ النَّبِيَّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — تَمَثَّلَ بِهَذَا النِّبْتِ  
— وَلَمْ يُسَمِّهِ — :

تَقَابَلَ بِمَا تَهْوَى يَكُنْ ، فَلَقَلَمًا يُقَالُ لِشَيْءٍ : « كَانَ » ، لَا تَحَقُّقًا (٢)  
وَمِمَّا ذَهَبَ إِلَيْهِ اللَّيْبُ ، فَاتَّخِذُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا قَلِيلًا جِدًّا (٣) وَالشَّرُّ  
يَزِيدُ عَلَيْهِ بِأَجْزَاءِ لَيْسَتْ بِالْمُخَصَّصَةِ ، وَقَالَ عَلَقَمَةُ :  
« وَمَنْ تَعَرَّضَ لِلْفِرْيَانِ يَزْجُرْهَا عَلَى سَلَامَتِهِ ، لَا بُدَّ مَشْنُومٍ »

وَكَانَ « ابْنُ الرُّومِيِّ » مَعْرُوفًا بِالتَّطْيِيرِ ، وَمَنْ ذَا الَّذِي أُجْرِيَ عَلَى التَّخْيِيرِ ؟  
وَقَدْ جَاءَتْ عَنِ النَّبِيِّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ ، تُدَلُّ عَلَى كَرَاهَةِ  
الِاسْمِ الَّذِي لَيْسَ بِحَسَنِ ، مِثْلَ مُرَّةٍ ، وَشِهَابٍ !

\*\*\*

(١) وقريب من ذلك قول ابن الرومي في نونية الجميلة :

وَإِذَا مَا ظَنَنْتَ شَرًّا خَفَفَهُ رَبُّ شَرِّ يَقِينِهِ مَظْنُونِهِ

وكان « ابن الرومي » يقول : « إن الطيرة موجودة في الطباع ، قائمة فيها ، وإنها في  
بعض طباع الناس أظهر منها في بعض ؛ وإن الأكثر في الناس — إذا لقي ما يكرهه —  
قال : « على وجه من أصبحت اليوم ؟ »

(٢) ارجع الى ص « ٢٧٤ » في هذا الجزء (٣) وفي ذلك يقول أبو العلاء :

نعم ثم جزء من ألوف كثيرة من الخير ، والأجزاء — بعد — شرور

على أن هذا الجزء القليل جداً من الخير ، لقد أنكره أبو العلاء في مكان آخر ، فقال :  
لا أزعج الخير مازجاً كدراً بل مزجى أن كله كدر

وَنَحْوُ مِنْ حِكَايَةِ ابْنِ الرُّومِيِّ الَّتِي حَكَاهَا النَّاجِمُ<sup>(١)</sup> مَا حُكِيَ عَنْ امْرَأَةٍ  
مِنْ الْعَرَبِ أَنَّهَا قَالَتْ لِلْأُخْرَى: «سَمَّيْنِي أَبِي «عَاصِيَةَ» وَإِنَّمَا تِلْكَ نَارُ ذَاتِ  
غَضَى، وَتَزَوَّجْتُ مِنْ بَنِي جَمْرَةٍ رَجُلًا كَانَ أُمُّهُ «تَوْرَبًا» وَإِنَّمَا ذَلِكَ تُرَابٌ،  
فَسَمَّيْتُ بِي الْأَتْرَابُ، وَكَانَ اسْمُ أُمِّهِ «سَوَارَةَ» فَلَمْ تَزَلْ تُسَاوِرُنِي فِي الْخِصَامِ.  
فَقَالَتْ الْأُخْرَى: «لَكِنْ سَمَّيْنِي أَبِي «صَافِيَةَ» فَصَفَوْتُ، وَزَوَّجَنِي  
مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرِ، فَبَكَرَ عَلَيَّ السَّعْدُ، وَاسْمُ زَوْجِي «مَحَاسِنُ» — جُزِيَ  
الصَّالِحَةُ — فَقَدْ حَاسَنَ وَمَا لَاسَنَ، وَاسْمُ أَبِيهِ «وَقَافٌ» — رَقَاهُ اللَّهُ — فَقَدْ وَقَفَ  
عَلَيَّ خَيْرُهُ، وَاسْمُ أُمِّهِ «رَاضِيَةُ» رَضِيتُ أَخْلَاقِي، وَلَمْ تَجْنَحْ إِلَى طَلَاقٍ ا»

\* \*

وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ خُتْرًا<sup>(٢)</sup>، لَمْ يَزَلْ فِي الْكُفْكَتِ<sup>(٣)</sup> أَرِمًا، إِنْ رَأَى  
حَمَامَةً فَرَّقَ مِنَ الْحَمَامِ<sup>(٤)</sup> سَمَا قَالَ الطَّائِيُّ:

هُنَّ الْحَمَامُ — فَإِنْ كَسَرْتَ عِيَافَةً<sup>(٥)</sup> مِنْ حَائِنٍ — فَلِئِنَّهُنَّ حِمَامٌ  
وَإِنْ آتَسَ نَعَامَةً فَمَا يَأْخُذُهَا مِنَ النِّعَمِ، وَيُخْلَعُهَا بِالْهَلَكَةِ مِثْلَ الزَّعِيمِ ا  
يَقُولُ مِنَ الْفَنْدِ<sup>(٦)</sup>: «أَوْكُلْهَا نَعِي». وَإِنْ نَظَرَ إِلَى عُصْفُورٍ، قَالَ: «عَصْفُ  
مِنَ الْخَوَادِثِ بُوُفُورٍ» فَهُوَ — طُولُ أَبْدِهِ — فِي عَنَاءِ ا

\* \*

وَلِهَذِهِ الطُّورِيَّةِ جَمَلَ ابْنُ الرُّومِيِّ «جَمْفَرًا» مِنَ الْجُلُوعِ وَالْفِرَارِ، وَلَوْ هُدِيَ

(١) هي الحكاية التي رواها عثمان الناجم عن ابن الرومي، وذكرها ابن القارح في رسالته

(٢) متطيرًا (٣) التراب (٤) الهلاك (٥) العيافة: زجر الطير

(٦) الخطأ في الرأي

صَرَفَهُ إِلَى النَّهْرِ الْجَرَّارِ ، لِأَنَّ الْجَمْفَرَ : النَّهْرُ الْكَثِيرُ الْمَاءِ ، وَلَكِنْ إِخْوَانُ هَذِهِ الْحَلِيقَةِ ، لَا يَحْمِلُونَ الْأَشْيَاءَ الْوَارِدَةَ عَلَى الْحَقِيقَةِ <sup>(١)</sup>

وَأَرَادَ بَعْضُهُمُ السَّقَرِ فِي أَوَّلِ السَّنَةِ ، فَقَالَ : « إِنْ سَافَرْتُ فِي الْمَحْرَمِ ، كُنْتُ جَدِيرًا أَنْ أُحْرَمَ ، وَإِنْ رَحَلْتُ فِي صَفَرٍ ، خَشِيتُ عَلَى يَدَيَّ أَنْ تَصْفَرَ » فَأَخَّرَ سَفَرَهُ إِلَى شَهْرِ رَجَبٍ ، فَلَمَّا سَافَرَ مَرِضَ فَلَمْ يَخْطَ بِطَائِلٍ ، فَقَالَ : « ظَنَنْتُهُ مِنْ رَجَبٍ الرَّاكِبِ ، فَإِذَا هُوَ مِنْ رَجَبٍ الْأَمْرَاضِ »

وَأَمَّا إِعْدَادُهُ الْمَاءَ الْمَسْلُوجَ فَتَمَلَّةٌ ، وَمَا تُنْفَعُ بِالْحِلِّ غَلَّةٌ ، وَتَقْرِيْبُهُ الْخَنْجَرَ تَحْرُزُ مِنْ جَانٍ ، وَتُنْقِضُ الْأَفْضِيَّةُ وَمَا بَنَى الْبَانِي . وَرُبَّ رَجُلٍ يَحْتَفِرُ لَهُ

(١) وما يرويه عن تطير ابن الرومي ما حكاه عنه « علي بن عبد الله بن المسيب » قال : دخل على ، يوم المهرجان ، وقد أهدى إلى عدة من جواري القيان ، وكانت فيهن صبية حولاء ، ومجوز في إحدى حينها نكتة ، فتطير من ذلك ، ولم يظهر لي أمره ؛ وأقام باقي يومه ، فلما كان بعد مدة يسيرة سقطت ابنة لي من بعض السلوح فانت ، وجناه القاسم الوزير ، فجعل سبب ذلك المغنيين ، وكتب إلى :

أيها المتحفي بحول وعور أين كانت عنك الوجوه الحسان ؟  
لقد لعمري ركبت أمراً مهيباً ساءنا فيك أيها الخلفان  
فتحك المهرجان بالحوال والعور ، أرانا ما أعقب المهرجان  
كان من ذاك قدك أبتك الحرّة مصبوعة بها الأكفان  
وتجاف مؤمل لي خليل لج فيه الجفاء والمهران

إلى آخر القصيدة ، وارجع إلى ص « ٢٨٠ » من هذا الجزء ، فلقد أسلفنا نخبة مختارة من شعر ابن الرومي في الطيرة (٢) حتى الربع : تأخذ يوما وتترك يومين ، ثم تجيء في اليوم الرابع . وذلك أنها تأخذ في الأيام الثلاثة ثماني عشرة ساعة - وهي ربع ساعات تلك الأيام الثلاثة - فسميت كذلك باعتبار الساعات .

قَبْرًا بِالشَّامِ ، ثُمَّ يُحْشِيهِ الْقَدَرُ بَعِيدَ الْإِجْشَامِ ، فَيَمُوتُ بِالْيَمَنِ أَوْ بِالْهِنْدِ ،  
وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ .  
وَكَمَا أَنَّ النَّفْسَ جَهَلَتْ مَذْفَنَ عِظَامِهَا ، فَهِيَ الْجَاهِلَةُ بِالتَّاطِلِ لِنِظَامِهَا .  
كَمْ ظَنَّ أَنَّهُ يَهْلِكُ بِسَيْفٍ فَهَلَكَ بِحَجَرٍ <sup>(١)</sup> ، وَمُؤْمِنٍ أَنْ شَجَبَهُ <sup>(٢)</sup> يُقَدِّرُ  
عَلَى مَيَّادٍ ، فَأَلْقَتْهُ الْأَسْلُ <sup>(٣)</sup> بِيَعْضِ الْوَهَّادِ .

\* \*

وَالنِّيتَانِ اللَّذَانِ رَوَاهُمَا النَّاجِمُ عَنِ ابْنِ الرُّومِيِّ مُقَيَّدَانِ ، وَمَا عَلِمْتُ أَنَّهُ جَاءَ عَنِ  
الْفَصَّاحِ هَذَا الْوِزْنَ مُقَيَّدًا ، إِلَّا فِي نَيْتٍ وَاحِدٍ ، يَتَدَاوُلُهُ رِوَاةُ اللَّغَةِ ، وَالنِّيتُ :  
« كَأَنَّ الْقَوْمَ عَشُّوا لَحْمَ ضَائِنٍ فَهُمْ نَعِجُونَ <sup>(٤)</sup> قَدْ مَالَتْ طَلَامٌ »  
وَهَذَا النِّيتُ مُؤَسَّسٌ ، وَالَّذِي قَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ بِغَيْرِ تَأْسِيسٍ ، وَمَا  
يَذَرِي النَّاجِمُ <sup>(٥)</sup> - وَلَعَلَّهُ بِالْفِكْرِ رَاجِحٌ - أَيْ الْجَنَّةِ حَصَلَ ذَلِكَ الشَّيْخُ  
أَمْ فِي السَّيْرِ ؟

### أبو تمام <sup>(٦)</sup>

وَأَمَّا « أَبُو تَمَّامٍ » ، فَمَا أُمْسَكَ مِنَ الدِّينِ بِزِمَامٍ ، فَإِنْ قُذِفَ فِي النَّارِ  
« حَبِيبٌ <sup>(٧)</sup> » ، فَمَا تَنْفِي الْمِدْحَ وَلَا التَّشْيِيبُ ؟

(١) وهذا قريب من قوله :

بيننا امرؤ يتوق الذئب عن عرض أتاه ليث - على العلات - يفتقرس

(٢) هلاكه (٣) أطراف السيوف (٤) الفرد : « نعج » وهو السمين ،

أو الذي أكل لحم الضأن حتى ثقل على قلبه ، وطلام : أعناقهم (٥) يعني : أبا عثمان الناجم

(٦) أرجع إلى ترجمته في ص « ١٤٣ » في الجزء الثاني (٧) هو أبو تمام

مناعة القصائد<sup>(١)</sup>

وَلَوْ أَنَّ الْقَصَائِدَ لَهَا عِلْمٌ؛ لَأَقَامَتْ عَلَيْهِ الْمَمْدُودَاتُ الْلَّتَانِ فِي أَوَّلِ دِيَوَانِهِ  
مَاتِمًا، فَتَاخَتَا عَلَيْهِ كَابْنَتَيْ لَيْدٍ، وَقَالَتَا مَا زَعَمَهُ «الْكَلَابِيُّ» فِي قَوْلِهِ:  
«وَقُولَا: «هُوَ الْمَيْتُ الَّذِي لَا حَرِيمَةَ أَصْنَعُ، وَلَا خَانَ الصَّدِيقَ وَلَا غَدَرَ»  
إِلَى الْحَوْلِ، ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَدَرَ»  
وَكَأَنِّي بِهِمَا - لَوْ قُضِيَ ذَلِكَ - لَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِمَا الْمَمْدُودَاتُ، كَمَا تَجْتَمِعُ  
نِسَاءُ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ، وَلَوْ فَعَلْنَ ذَلِكَ لَبَارَثْنَهُ «الْبَائِيَاتُ» بِمَاتِمٍ أَغْطَمَ  
رَيْنًا. وَإِذَا كَانَ مَاتِمُ الْمَمْدُودَاتِ فِي مِائَةٍ يَمْنُ يُسْعِدُهُنَّ وَيُطَاهِرُهُنَّ، وَجَبَ  
أَنْ يَكُونَ مَاتِمُ الْبَائِيَاتِ فِي آلَافٍ، لِأَنَّ الْبَاءَ طَرِيقُ رُكُوبٍ<sup>(٢)</sup>، وَالْمَدُّ  
- فِي الْقَصَائِدِ - سَبِيلٌ مَنكُوبٌ<sup>(٣)</sup>. وَمَا نَظَّمَهُ عَلَى «النَّاءِ»، فَإِنَّهُ لَا يُعْجِزُ  
عَنِ الْإِيْتَاءِ، وَنَجَّى الثَّائِيَتَانِ فِي حَالِكِ اللَّوْبِ - وَإِنَّ النَّاءَ لَقَلِيلَةٌ فِي  
شِعْرِ الْعَرَبِ - إِلَّا أَنَّهُمَا تَسْتَعِينَانِ كَلِمَةً كَثِيرًا:

«جِبَالُ السَّلَامَةِ أَضَحَّتْ رِثَانًا فَسَقِيًا لَهَا - جُدْدًا أَوْ رِمَانًا»  
وَبَارَاجِيْزُ رُؤْبَةٍ<sup>(٤)</sup> وَمَا كَانَ نَحْوَهَا مِنَ الْقَوَائِي الْمَتَكَلِّفَةِ، وَالْأَشْعَارِ  
الْمُتَعَسِّفَةِ، وَلَهُمَا - فِيمَا نَظَّمَ «ابْنُ دُرَيْدٍ»<sup>(٥)</sup> - «أَغْوَانُ ١

فَأَمَّا الدَّائِيَاتُ وَالرَّائِيَاتُ وَمَا بَيْنَ عَلَى الْحُرُوفِ الذَّلِيلِ، كَالْيَمِّ وَالْعَيْنِ وَاللَّامِ  
وَمَا جَرَى تَحْرَاهُنَّ، فَلَوْ اجْتَمَعَ كُلُّ حَيْزٍ مِنْهُنَّ، لَضَاقَ عَنْهُنَّ الصَّدْرُ وَالْإِيرَادُ،

(١) تمثل أبو العلاء قصائد أبي تمام أحياء تندب صاحبها، كما تمثل من قبل في  
(ص ٨٦ م ٨٧ في الجزء الثاني) أبيات لبيد الثلاثة قصورا في الجنة (٢) طريق  
ركوب، أي مطروق مثل (٣) يتنكبته الناس، أي لا يسلكونه (٤) ارجع الى  
ترجمته في ص ٨٩ في الجزء الثاني (٥) ترجمته في ص ١٦ في الجزء الثاني

وَزِدْنَ عَلَى مَا ذُكِرَ أَنَّهُ اجْتَمَعَ فِي جَنَازَةِ «أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ» (١) مِنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ  
وَيُقَالُ إِنَّهُ لَمْ يَجْتَمِعْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَلَا الْإِسْلَامِ تَجْمَعُ أَكْثَرُ مِمَّا اجْتَمَعَ فِي  
مَوْتِ أَحْمَدَ، حُزِرَ (٢) الرِّجَالُ بِأَلْفِ أَلْفٍ، وَالنِّسَاءُ بِسِتِّ مِائَةِ أَلْفٍ، وَاللَّهُ الْعَالِمُ  
بِيقِينِ الْأَشْيَاءِ ۝

وَأِنْ كَانَ «حَبِيبٌ» ضَيَّعَ صَلَوَاتِهِ، فَإِنَّهُ لَصَالٌ، لَا يَبْلُغُ فِيهِ كَيْدُ الْعُدَاةِ،  
مَا بَلَغَ مِنْ إِهْمَالِ غَدَاةٍ. وَإِنِّي لَأَضُنُّ تِلْكَ الْأَوْصَالَ، أَنْ يُظْلَلَ جَسَدُهَا وَهُوَ  
بِالْمَوْقَدَةِ صَالٍ. لِأَنَّهُ كَانَ صَاحِبَ طَرِيقَةٍ مُبْتَدِعَةٍ، وَمَعَانٍ كَاللُّوْلُو يُسْتَخْرِجُهَا  
مِنْ غَامِضِ بَحَارٍ، وَيَقْضُ عَنْهَا الْمُسْتَغْلِقَ مِنَ الْمَحَارِ، فَلَيْتَهُ كَالْجَعْدِيِّ (٣)  
أَوْ لَيْتَهُ لِحَقِّ زَيْدِ بْنِ مُهَلَّبٍ، فَقَدْ وَفَدَ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -  
وَطَرَحَ عَنْهُ ثَوْبَ الْفَنِيِّ ۝

#### المنازل

وَأَمَّا «الْمَازِيَارُ»، فَحَلَالٌ بِالسَّفَةِ سَيَّارٌ، وَحَسْبُهُ مَا يَتَجَرَّعُ مِنَ الْحَمِيمِ،

(١) أحمد بن حنبل

توفي ٢٤١ هـ

نشأته ببغداد، اشتهر بحفظه وروايته للحديث، وكان من أصحاب الشافعي، صنف كتابه  
«المسند» وجمع فيه من الأحاديث ما لم يتفق لغيره، وكان ورعاً، حسن الوجه، يخضب  
بالحناء خضباً خفيفاً

وحدثت في زمنه المسألة المشهورة، وهي القول بخلق القرآن، فدعى إلى الموافقة عليها،  
فلم يوجب، فغضب وحبس

وروا: أنه لما مات حضر جنازته ثمانمائة ألف رجل، وستون ألف امرأة، وروى غير  
ذلك كما يقول أبو العلاء (٢) أي قدروا (٣) ارجع إلى ترجمته في ص ٣٨ في الجزء الثاني



وَيَحْتَمِلُ مِنَ الْمَقَالِ الذَّمِّ ؛ وَقَدْ خَلَّدَ لَهُ فِي الْكُتُبِ مَا يُوجِبُ لَعْنَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

### أبو مسلم الخراساني

وَالْمَجْبُ لِأَبِي مُسْلِمٍ ، حَطَبَ لِنَارِ أَكَلَتُهُ ، وَقَتَلَ فِي طَاعَةِ وَلاَةٍ قَتَلَتْهُ ،  
وَلَيْسَ بِأَوَّلَ مَنْ دَابَّ لِسِوَاهُ ، وَأَغْوَاهُ الطَّمَعُ فِيمَنْ أَغْوَاهُ ، وَإِنَّمَا سَهَرَ لِأَمِّ  
دَفَرٍ<sup>(١)</sup> ، وَتَبَعَ سَرَابًا فِي قَفَرٍ ، فَوَجَدَ ذَنْبَهُ غَيْرَ الْمُتَقَرِّ ، عِنْدَ صَاحِبِ الدَّوْلَةِ  
« أَبِي جَعْفَرٍ<sup>(٢)</sup> »

وَكُلُّ سَاجٍ لِلْفَانِيَةِ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ النَّدَمِ<sup>\*\*\*</sup> ، فَذَمُّنَا لَهَا يُحْسَبُ مِنَ الضَّلَالِ ،  
كَمَا تَمْنَى الْقَنَعُ أَهْوَاؤُ الْإِقْلَالِ ، وَهَذِهِ زِيَادَةٌ فِي النَّصَبِ ، وَقَارَ بِالسَّبْقِ حَازِرُ  
الْقَصَبِ ، يَذُمُّهَا عَلَى غَيْرِ جَنَائِيَةٍ - وَلَمْ تُخَصَّ أَحَدًا بِالِنِيَاةِ - بَلْ أَبْنَاوَهَا  
فِي الْمِحْنِ سَوَاءً ، لَا تُسَاعِفُهُمُ الْأَهْوَاءُ !

### أعواء الفقير وأُسْجاده الفقى

قَرُبَ حَامِلِ حُزْمَةٍ عَصِيدٍ<sup>(٣)</sup> ، يَعْجِزُ كَمَنْهَا عَنِ الْقُوَّةِ ، وَيُكَابِدُ شَطَفَ

(١) الدنيا - وأبو العلاء يكتبها بهذه الكنية ، ومعناها « أم تن » ، لنقمتها عليها ،  
فهو لا يكاد يذكر الدنيا إلا كناها بها .

(٢) انظر إلى قول أبي العلاء في ذلك في لزومياته :

لَوْ بَعَثَ الْمَنْصُورُ ، نَادَى : « أَبَا مَدِينَةَ التَّسْلِيمِ ؛ لَا تَسْلَى  
« قَدْ سَكَنَ الْفَقْرُ « بَنُو هَاشِمٍ » وَانْتَقَلَ الْمَلِكُ إِلَى الدَّيْلَمِ  
لَوْ كُنْتُ أَدْرَى أَنَّ عِقَابَهُمْ كَذَاكَ ، لَمْ أَقْتُلْ أَبَا مُسْلِمٍ  
وَنَجِبَ أَنْ يَرْجِعَ الْقَارِئُ إِلَى مَصْرَعِ « أَبِي مُسْلِمٍ » فِي كِتَابِنَا « مُصَارِعُ الْأَعْيَانِ »  
(٣) العصيد : الحطب من الشجر اليابس يقطع بالعصيد

عَيْشٍ سَمُوتٍ ، يَلْبِغُ سَلَامٌ <sup>(١)</sup> فِي قَدَمَيْهِ ، وَيَخْضِبُهُ السَّائِكُ بِدَمِهِ ، وَهُوَ أَقْلُ أَشْجَانَا  
مِنَ الْوَائِبِ عَلَى السَّرِيرِ . يَنْعَمُ بِرَشَاءٍ غَرِيرٍ ، يُجْمَعُ لَهُ الذَّهَبُ مِنْ غَيْرِ حِلٍّ بِإِغْنَاتِ  
الْأُتَمِّ ؛ وَإِذَا مَلَأَ بَطْنُهُ مِنْ طَعَامٍ <sup>(٢)</sup> وَسَبَحَ فِي بَحْرِ مِنَ التَّرَفِ ، قَتَلَكَ النَّعَمُ  
وَلَذَائُهُ ، تَحَدَّثُ لَهَا أَذَانُهُ ؛ يَخْتَلِجُهُ الْقَدَرُ عَلَى غُفُولٍ ، وَغَايَةُ السَّفَرِ إِلَى قُفُولٍ .

\* \*  
وَمَا يَدْرِي الْمَاقِلُ - إِذَا افْتَبَكَرَ - أَىَّ الشَّخْصَيْنِ أَفْضَلُ ؟ أَرَيْبُ عُدَدَا  
عَلَيْهِ لِاسْتِكْلِيلٍ ، أَمْ أَرْقَشُ ظِلُّهُ فِي الْمَكِّ ظَلِيلُ ، كِلَاهُمَا بَلَغَ آرَابَا ، وَأَحَدُهُمَا  
يَأْسُكُلُ تَرَابَا ، وَالْآخَرُ يُعَلُّ بِالرَّاحِ ، وَيُجْتَهِدُهُ فِي الْأَفْرَاحِ .

\* \*  
وما علمنا النُّسْكَ مُوَقِّعًا ، وَلَا فِي الْأَسْبَابِ الرَّافِعَةَ مُرَقِّعًا . وَالْعَالَمُ  
بِقَدَرٍ صَامِلُونَ - أَخْطَأَهُمْ مَأَمٌ آمِلُونَ - وَمَا آمَنُ أَنْ تَكُونَ الْآخِرَةُ بِأَرْزَاقٍ <sup>(٣)</sup>

(١) شوك النخل ، واحده سلاة (٢) وفي هذا المعنى يقول أبو العلاء في لزومياته :

ساس الأنام شياطين مسلطة في كل مصر من الوالين شيطان  
من ليس يحفل خص الناس كلهم إن بات يشرب خمرًا - وهو مبطلان

(٣) الجدد

ذكر أبو العلاء هذا المعنى على لسان أوس في (ص ١٦٧ ج ٢) وذكره في مكان  
آخر من لزومياته فقال :

والبخت في الأولى أنال العلاء وليس في آخرة بخت  
كذاك قالوا ، وأحاديثهم يبين فيها الجزل والشخت  
وكرره في قوله :

أأخشى عذاب الله ، والله عادل وقد عشت عيش المستضام المذبذب  
نعم ، إنها الأرزاق ؛ والرء جاهل يهذب من دنياء ما لم يهذب  
ولأبى العلاء أشعار أخرى كثيرة في الجدد ، نجتزئ منها هنا بقوله :

عَلَى أَنْ السَّرُّ مُنْجِبٌ، وَكُنَّا - فِي الْمُنْتَسِ - مُنْجِبٌ، وَالْجَاهِلُ - وَفَوْقَ

والسعد يدرك أقواماً فيرضهم وقد ينال إلى أن يعبد الحجرة  
وشرفت « ذات أنواط » قبائلها ولم تبين - على علاها - الشجرة  
سيطلبني رزقي الذي لو طلبته لما زاد ، والدينيا حظوظ وإقبال  
لا تطلبن بألة لك رتبة قلم الأديب ، بغير حفظ ، مغزّل  
سكن السما كان السماء كلاهما هذا له رمح ، وهذا أمزل  
إذا صدق الجدل افترى الم للفتى مكارم لا تكرر - وإن كذب الخلال  
الجد : الحفظ ، والم : الجماعة ، ولا تكرر : لا تنفذ ، والخلال : الخيلة .

موجز رأى الشعراء في الحظ

ويمكن في هذه المناسبة أن نذكر نخبة من آراء الشعراء في الجدل ، ويمكن القول بأن آراءهم  
جميعاً ، تكاد تجمع على أنه حليف النباوة ، قال المتنبي :

هو الجدل حتى تفضل العين أختها وحتى يصير اليوم لليوم سيدنا  
وما الجمع بين الماء والنار في يد بأصعب من أن أجمع الجدّ والفهما  
وقال أبو تمام :

ينال الفتى من دهره ، وهو جاهل ويكدي الفتى من دهره - وهو عالم  
ولو كانت الأرزاق تأتي على الحجا إذن هلكت من جهلن البهائم  
وقال الضالّي :

إذا جمعت بين امرئين صناعة فأحييت أن تدري الذي هو أحق  
فلا تتفقد منها غير ما جرت به لها الأرزاق حين تفرق  
فحيث يكون الجهل ، فالرزق واسع وحيث يكون العلم ، فالرزق ضيق  
وقال ابن وهبون :

وحيث ترى زند النجاة واريا ثم ترى زند السعادة كايا

## الجاهل — مَنْ ادَّعى الْمَعْرِفَةَ، وَاللَّعْنَةُ عَلَى الْكَاذِبِينَ

وقال ابن الخطيب :

وما زال شؤم الحظ من كل طالب      كفيلا يبعد المطلب التمداني  
وقد يحرم الجلود الحريص مرامه      ويعطى مناه العاجز المتواني

وقال المروزي الضرير :

تنافى العقل والمال      فما بينها شكل  
فعقل حيث لا مال      ومال حيث لا عقل

وقال القاضي الفاضل :

وزيادتي في الحذق، فهُ      وزيادتي في نقص رزقي !

وقال ابن سناء الملك :

هو الجلد خذه إن أردت مسلماً      ولا تطلب التمليل، فالأمر مبهم !

ومما تختاره من شعر ابن الرومي في « الجلد » قوله :

عزت مطالب دنيا كل ذى أدب      وهان مطلب دنيا الأحق الخرق  
وقدر الله فيها أن يذلها      فهاهنا مطلبها للجاهل الحق  
فليس ينفك ذو علم وتجربة      من مأكل جشِب، أو مشرب رنق  
وذو الجهالة منها في بلهنية      من مسمع حسن، أو منظر أنق  
تبارك العدل فيها — حين يقسمها      بين البرية قسماً غير متفق !

وقوله : لا تعجبين لمرزوق أخى هوج

فخالقُ الناس أعراء بلا وبر      كاسى البهائم أو بارأ وأصوافا  
ما زلت أعرف أهل المعجز في دعة      لا يكلفون، وأهل الكيس كلافافا  
أما ترى هذه الأنعام قد كفيت      فما تسام بالأنخاف أخفافافا ؟

وقوله : دنيا علا شأن الوضيع بها

كالبحر يرسب فيه لؤلؤه      وهوى الرفيع — يحطه شرفه  
سبحلا ، وتطفو فوقه جينه

على بن أبى طالب<sup>(١)</sup>

أَمَّا الَّذِينَ يَدْعُونَ فِي «عَلِيٍّ» عَلَيْهِ السَّلَامُ — مَا يَدْعُونَ، فَتِلْكَ صَلَافَةُ

وقوله :

رَأَيْتُ الدَّهْرَ يَرْفَعُ كُلَّ وَغْدٍ وَيُخَفِّضُ كُلَّ ذِي شَيْمٍ شَرِيفٍ  
كَمَثَلِ الْبَحْرِ يَفْرُقُ فِيهِ حَى وَلَا يَنْفَكُ بِطُفُو فِيهِ جَيْفٍ  
أَوْ لِلْبِزَانِ يَخْفِضُ كُلَّ وَافٍ وَيَرْفَعُ كُلَّ ذِي زَنَةِ خَفِيفٍ

ونفتح هذا المختار بتلك القصة الجميلة ، التي يحكيها لنا أحد الشعراء عن نفسه ، وهي :  
ولما لمست الرزق فأنجذ حبله ولم يصف لي من بجرة العذب مشرب  
خطبت إلى الإعدام إحدى بناته فزوجنيها القتر — إذ جئت أخطب  
فأولتها الحزن الشقي ؛ فما له على الأرض غيري والد ، حين ينسب  
فلو تهت في البيداء — والليل مسيل على جناحيه — لما لاح كوكب  
ولو خفت شراً فاستترت بظلمة لأقبل ضوء الشمس من حيث تغرب  
ولو جاد إنسان على بدرم لرحت — إلى رحلي — وفي الكف عقرب  
ولو يطر الناس الدنانير ، لم يكن بشيء سوى الحصباء رأسى يحصب  
وإن يقترب ذنباً يبرقة مذنب فإن برأسى ذلك الذنب يعصب  
وإن أر خيراً في المنام ، فنازع وإن أر شراً ، فهو منى مقرب  
أمامي من الحرمان جيش عرمرم ومنه ورأى جحفل حين أركب  
وسيمر بك قول ابن الراوندى في الجلد في ص «٢٩٦» في هذا الجزء

(١) لبعض الشيعة آراء متطرفة في علي بن أبى طالب — رضى الله عنه — ودعاوى لا تقف عند حد ، وقد ادعى قوم أنه لم يقتل ، وإنما الذى قتله « ابن ملجم » شيطان تصور للناس في صورته ، أما على فقد صعد الى السماء ، وسينزل إلى الدنيا وينقم من أعدائه . وهي دعوى تشبه ما قيل في عيسى .

وادعى قوم أن الله أرسل جبريل إلى على ؛ فذهب إلى محمد خطأ — لشدة الشبه بين

قَدِيمَةً ، وَدِيمَةً مِنَ الْغَوَايَةِ تَنْصِلُ بِهَا دِيمَةً ، وَقَدْ رَوَى أَنَّهُ حُرِّقَ « عَبْدُ اللَّهِ

النبي والإمام علي ، وهذه الفرقة تقول : « انصوا صاحب الريش » أى جبريل  
وادعى آخرون أن الله خلق محمداً ، ثم فوض إليه تدبير العالم وتمييزه ، فهو الذى خلق  
العالم دون الله ، ثم فوض محمد تدبير العالم إلى علي بن أبي طالب ، فهو المدبر الثالث  
وزعم غيرهم أن علياً هو الله ، وشتموا محمداً ، وزعموا أن علياً بعثه ليثنى عليه فادعى  
الأمر لنفسه

ويدعى فيه قوم آخرون أن الرعد والبرق صوته ، ومن سمع منهم صوت الرعد ، قال :  
« عليك السلام يا أمير المؤمنين » وفى هذه الطائفة يقول أبو إسحق ابن سويد العامري :

برئت من الخوارج لست منهم من الحجاج منهم وابن باب  
ومن قوم — إذا ذكروا علياً — يردون السلام على السحاب

ولا يزال كثير من العامة يمتد إلى اليوم أن علياً راكب ناقة يطير بها فوق السحاب ،  
ومما تذكره بهذه المناسبة — على سبيل التندر والفكاهة — أن أحد أشياخنا المغممين ،  
المشتغلين بنظم الكلام ، أراد أن يتكرر . ليقنع الناس بأنه غير عاكف على أساليب التفكير  
القديمة ، ويدفع عن نفسه معرة الجود والجهل بحقيقة الشعر الحى ، الذى يتطلبه هذا العصر  
الملوئ بالحياة والتفكير ، فحسب أن كل ما يتطلبه ذلك التطور الفكرى العظيم — من الشاعر —  
هو أن يستبدل وصف النوق والجياد بوصف قطر البخار والطيارات ، فورط نفسه فى الأخذ  
بتلك الخرافة ، ودعا الله أن يهبه طيارة يسمو بها الى السحاب ، حتى اذا بلغه حظى ببقيا  
على بن أبي طالب ، فقال :

« فهب لى ذات أجنحة ، لملى بها ألقى على السحب الإماما »

فلم يزدنا اقتناعاً بمجموده ، ولكنه وفق إلى اثبات فنده وخرفه بهذا البيت الرائع !

\*  
\*

وقد نسبوا الى « علي بن أبي طالب » علم الجفر ، وهو ما يطلقونه على العلم الاجمالى بلوح  
القضاء والقدر ، المحتوى على ما كان وما يكون كلياً وجزئياً ، وتدعى طائفة أنه وضع الحروف

ابْنُ سَبْلٍ ، لَمَّا جَاهَرَ بِذَلِكَ النَّبَأُ ١ — وَاعْتَقَاذُ «الْكَيْسَانِيَّةِ» فِي «مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ» عَجِيبٌ ، لَا يُصَدَّقُ بِمِثْلِهِ عَجِيبٌ ٢

الهجائية في جلد الجفر ، وأنه يمكن استخراج — ما يأتي به الغيب — منها بطريقة خاصة ، ويدعون أن هذا علم انفرد به آل البيت ومن ينتمى إليهم ، وأنهم يتوارثونه . وادعى آخرون أن فهم أسرار هذا الجفر مقصور على الهدى المنتظر ، وأنه — دون غيره — يستطيع أن يفقه حقيقة ما في هذا الكتاب الذي سموه بهذا الاسم ، لأن علياً كتبه حروفاً متفرقة في ورق مصبوغ من جلد البعير ، وقد اشتهر بين الناس ، لاحتوائه ما حدث للأولين والآخرين ، وفيه يقول أبو العلاء :

يقولون : « مسك الجفر » أودع حكمة إذا كتبت أطراسها ملأت جفرا <sup>(١)</sup> .  
ولا يزال بعض العامة يعنى بهذه الخرافات وأشباهها ، ويأخذها بلا تدبر ولا روية .  
ونحو من هذه الخرافة ما يروونه عن الخضر ، وعن المسيح الدجال ، وغير ذلك من الترهات ؛ وقد وقف أبو العلاء قسماً كبيراً من رسالة الففران والرزوميات ، على محاربة أشباه هذه البدع ، والتشنيع على من يقولون بها . وحسبنا أن نستدل بقوله منندداً بتلك الخرافة التي يشيعونها عن الخضر :

يقول القواة : « الخضر حي » عليهم عفاء ، نعم ليل من الفتن أخضرأ  
ولو صدقوا ما انفك في شر حالة يمانى بها الأسفار ، أشمت متبرأ  
جنى قائل بالمين ، يطلب ثروة ويعذر فيه من تكسب مضطراً  
وقوله منندداً بالهدى المنتظر :

مجوسية وخيفية ونصرانة ويهودية  
تراقب هديها أن يقوم فتلقي الى الحق هدية

وقد ندد بظهوره في مكان آخر — في ( ص ٢٣٥ ) في هذا الجزء — فليرجع من شاء

### دعوى الربوبية

وَقَدْ بَلَّغْنِي أَنَّ رَجُلًا بِالْبَصْرَةِ يُعْرِفُ « بِشَابَّاسَ » تَزْعُمُ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ أَنَّهُ  
رَبُّ الْعِزَّةِ ، وَتُجَنَّبِي إِلَيْهِ الْأَمْوَالُ الْجَمَّةُ ، وَيَحْمِلُ إِلَى السُّلْطَانِ مِنْهَا قَسَمًا وَافِرًا ،  
لِيَكُونَ — بِمَا طَلَبَ — ظَافِرًا .  
وَحَدَّثْتُ عَنِ امْرَأَةٍ بِالْكُوفَةِ يُدْعَى لَهَا مِثْلُ ذَلِكَ .

### ربعة الى ابن الراوندى

وَقَدْ سَمِعْتُ مَنْ يُخْبِرُ أَنَّ لِابْنِ الرَّائِدِيِّ مَعَاشِرَ تَذَكُّرُ أَنَّ اللَّاهُوتَ  
سَكَنَهُ ، وَيَخْتَرِصُونَ لَهُ فَصَائِلَ ، يَشْهَدُ اخْلَاقُ وَأَهْلُ الْمُتَقُولِ ، أَنَّ كَذِبَهَا  
غَيْرُ مُصْقُولٍ ، وَهُوَ — فِي هَذَا — أَحَدُ الْكَفَرَةِ ، وَقَدْ أَنْشَدَ لَهُ مُنْشِدٌ :  
قَسَمْتُ بَيْنَ الْوَرَى مَعِيشَتَهُمْ قِسْمَةَ سَكَرَانَ بَيْنَ الْفَلَطِ  
لَوْ قَسَمَ الرُّزْقَ هَكَذَا رَجُلٌ قُلْنَا لَهُ : « قَدْ جُنِنْتَ ، فَاسْتَعِطِ <sup>(١)</sup> »  
وَلَوْ تَمَثَّلَ هَذَانِ الْبَيْتَانِ ، لَكُنَّا فِي الْأَصْرِ ، يَطُولَانِ أَرَأَيْتَ مِصْرَ <sup>(٢)</sup>

### أبو جوف

وَقَدْ ظَهَرَ فِي الضَّيْعَةِ الْمُتْرُوفَةِ بِالْبَغْدَادِ ، رَجُلٌ يُعْرِفُ بِأَبِي جَوْفٍ ،

(١) أى أدخل السموط في أنفك لتفنيق ، والسموط هو ما يدخل الأنف من مسحوق  
دقيق كالتبغ . ولابن الراوندى في هذا المعنى ، بيتان آخران ، أقل شناعة من هذين البيتين ،  
وما قوله :

كم عاقل عاقل ، أعيت مذاهبه      وجاهل جاهل ، تلقاه مرزوقا  
هذا الذى ترك الأوهام حائرة      وصير العالم التحرير زنديقا ١  
(٢) أى هرى مصر



كَانَ يَدْعِي الثَّبُوءَ، وَيُخْبِرُ بِأَخْبَارِ مُضْحِكَةٍ، وَكَانَ لَهُ قُطْنٌ فِي بَيْتٍ، فَقَالَ  
إِنَّ قُطْنِي لَا يَخْتَرِقُ، وَأَمَرَ ابْنَهُ أَنْ يُدْنِيَ سِرَاجًا إِلَيْهِ، فَأَخَذَ فِي الْقُطْنِ،  
وَصَرَخَتْ النِّسَاءُ، وَاجْتَمَعَتِ الْجِيرَةُ .

\* \*

وَحَدَّثَنِي مَنْ شَاهَدَهُ : أَنَّهُ كَانَ يُكْثِرُ الضَّحِكَ مِنْ غَيْرِ مُوجِبٍ، وَلَا  
عِنْدَ حَادِثٍ مُعْجِبٍ؛ فَقِيلَ لَهُ : « لِمَ تَضْحَكُ ؟ » فَقَالَ كَلَامًا مَعْنَاهُ : « إِنَّ  
الْإِنْسَانَ لَيَفْرَحُ بِهَيِّئٍ قَلِيلٍ، فَكَيْفَ مَنْ وَصَلَ إِلَى الْعَطَاءِ الْجَلِيلِ ! »  
وَكَانَ يَبِينُ الْجُنُونُ، لَيْسَ خَبْلُهُ بِالْمَكْنُونِ، فَاتَّبَعَهُ الْأَعْيَاءُ، وَكَذَّبَ  
مَا تَقُولُهُ الْأَنْبِيَاءُ، حَتَّى قَتَلَهُ وَآلِي حَلَبَ

### عودة الى علي بن أبي طالب

وَبَعْضُ الشَّيْعَةِ يُحَدِّثُ أَنَّ « سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ » كَانَ فِي نَقَرٍ جَاءُوا يَطْلُبُونَهُ  
عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ — سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ — فَلَمْ يَجِدُوهُ فِي مَنْزِلِهِ، فَبَيْنَمَا هُمُ  
كَذَلِكَ، جَاءَتْ بَارِقَةٌ، تَتْبَعُهَا رَاغِدَةٌ، وَإِذَا عَلَى قَدْ نَزَلَ عَلَى إِجَارِ الْبَيْتِ  
فِي يَدِهِ سَيْفٌ مَغْضُوبٌ بِالْدَمِ، فَقَالَ : « وَقَعَ شَجَارَتَيْنِ فِتْنَتَيْنِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ،  
فَصَعِدْتُ لِأُصْلِحَ بَيْنَهُمَا ! »

أَفَلَا يَرَى هَذِهِ الْأُمَّةَ كَيْفَ افْتَنَتْ فِي الضَّلَالَةِ، كَافَتَيْنِ الرِّيْعِ فِي  
إِخْرَاجِ الْأَكْلَاءِ ! وَلِلْكَذِبِ سُوقٌ لَيْسَتْ لِلصِّدْقِ ...

\* \*

وَأَمَّا الَّذِي ذَكَرَهُ مِنْ مُبْلُوغِ السَّنِّ، فَإِنَّ اللَّهَ — سُبْحَانَهُ — خَلَقَ مَقَرًّا وَشُهَدَاءَ،  
وَرَغْبَةً فِي الْعَاجِلَةِ وَزُهْدًا، وَإِذَا اللَّيْبُ أَنْتَمَ النَّظَرُ لَمْ يَرِ الْحَيَاةَ إِلَّا تَجْدُبُهُ

إلى الضنير، صُبْحُ يَتَبَسَّمُ وَإِمْسَاءُ، كَأَنَّهُمَا سَيِّدَا إِضْرَاءَ، وَالْعُمُرُ مُلَّةٌ، وَهُمَا عَلَى السَّارِحِ يُغِيرَانِ، فَيُفْنِيَانِ السَّائِمَةَ<sup>(١)</sup> وَيُبِيرَانِ

## الزواج

وَقَدْ نَحَدَّثَ بَعْضُ طُلَّابِ الْأَدَبِ، أَنَّهُ ذَكَرَ التَّزْوِيجَ - يُرِيدُ الْخِدْمَةَ -  
فَسَرَّنِي ذَلِكَ، لِأَنَّهُ دَلَّ عَلَى إِقَامَةِ بِالْوَطَنِ، وَفِي قُرْبِهِ الْفَرَحَةُ، إِذْ كَانَ كَالشَّجَرَةِ  
الْوَارِفِ ظِلَّالَهَا فِي الْهَوَاجِرِ، وَالطَّيِّبِ نَمْرُهَا لِلذَّائِقِ، وَالْأَرَجِ نَسِيمُهَا لِلنَّاشِقِ .  
وَهُوَ يَعْرِفُ حِكَايَةَ اتِّخْلِيلِ عَنِ الْقَرَبِ: « إِذَا بَلَغَ الرَّجُلُ السُّتَيْنَ فَأَيَّاهُ وَإِيَّاهُ  
الشَّوَابَ، وَلَكِنَّ النِّصْفَ<sup>(٢)</sup> »

(١) وفي هذه المعنى يقول أبو العلاء في لزومياته :

هل الناس إلا نظير السوام وأجالهم أمد تفترس ؟

(٢) كرر أبو العلاء هذه النصيحة أكثر من مرة في لزومياته ، فمن ذلك قوله :

إذا ما ابن ستين ضم الكهاب إليه فقد حلت البهله

هو الشيخ ، لم يرضه أهله ولم يرض في فعله أهله

فلا يتزوج أخو الأربعين إلا مجربة ككهله

رأى الشيب في عارضيه السن ، فنعى القرين له الشله

وقوله : إذا أنت زوجت المعجوز، على العبا فأياها صن عليك وصنبر

وقوله : كأنك - بعد خمسين استقلت لمولك - البناء ، دنا ليهوى

وإنك - إن تزوج بنت عشر - لأخيبت صفقة من شيخ مو

وحكاية « شيخ مو » مشهورة ، لا نطيل بذكرها هنا ، فليرجع إليها من شاء ، في

(ص ٣٥٨ جزء ٢) من اللزوميات

وَلَوْ نَشِطَ لَهُذِهِ النَّارُ بَةِ ، لَتَنَافَسَتْ فِيهِ الْعُجُزُ وَالْمُسْكَنَهَاتُ ، وَهَلْ هُوَ إِلَّا كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

« يَا عَزُّ أَهْلَ لَكَ فِي شَيْخٍ قَتَى أَبَدًا      وَقَدْ يَكُونُ شَبَابُ غَيْرِ فِتْيَانِ »  
 فَلَيْسَ بِأَوَّلٍ مَنْ تَرَوَّجَ - عَلَى السَّنِّ - عَجُوزًا ، كَمَا قَالَ :  
 « إِذَا مَا أَعْرَضَ الْفَتَيَاتُ عَنِّي      فَمَنْ لِي أَنْ تُسَاعِفَنِي عَجُوزُ »  
 كَأَنَّ جَمَاعَةَ اللَّحْيَيْنِ مِنْهَا - إِذَا حَسَرَتْ عَنِ الْعِرْزَيْنِ - كُوزُهُ  
 وَيُرَوَّى لِلْحَارِثِ بْنِ حِلْزَةَ ، وَلَمْ أَجِدْهُ فِي دِيَوَانِهِ :  
 وَقَالُوا مَا نَكَحْتُ ؟ فَقُلْتُ خَيْرًا      عَجُوزًا مِنْ عُرَيْنَةٍ ذَاتَ مَالٍ  
 نَكَحْتُ كَبِيرَةً ، وَغَرَمْتُ مَالًا      كَذَلِكَ التَّبِيعُ مُرْتَحِصٌ وَقَالَ (١)  
 وَأَعُوذُ بِاللَّهِ بِمَا قَالَهُ الْآخَرُ :  
 عَجُوزٌ لَوْ أَنَّ الْمَاءَ يُسْقَى بِكَفِّهَا      لَمَّا تَرَكْنَا بِالْيَمَامِ تَجُوزُ  
 وَمَا زَالَتْ الْعُرْبُ تَحْمَدُ الْحِزْبُونَ وَالشُّهْلَةَ ، وَلَا تَسْكُرُهُ - مَعَ الشَّرِيخِ -  
 الْكَهْلَةُ .

#### زواج النبي محمد بمجة

وَقَدْ تَرَوَّجَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ ، وَهُوَ شَابٌّ ، وَهِيَ طَاعِنَةٌ فِي السَّنِّ ، وَقَالَتْ لَهُ أُمُّ سَلَمَةَ ابْنَةُ أَبِي أُمَيَّةَ : « يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي امْرَأَةٌ قَدْ كَبِرْتُ وَمَا أُطِيقُ الْغَيْرَةَ » فَقَالَ : « أَمَّا قَوْلُكَ قَدْ كَبِرْتُ ،

(١) نذكر بهذه المناسبة قول بعض الشعراء :

لَا تَنكِحْنَ مَجُوزًا ، إِنْ دَعَيْتَ لَهَا      وَإِنْ حَبِيتَ عَلَى تَنكِيحِهَا الذَّهَبَا  
 فَإِنْ أَتَوْكَ ، وَقَالُوا : إِنَّهَا نَعِيفٌ      فَإِنْ أَطِيبَ نَعِيفُهَا الَّذِي ذَهَبَا

فَأَنَا أَكْبَرُ مِنْكَ ، وَأَمَّا النِّيرَةُ فَلَأَيَّ سَوَافٍ أَذْعُو اللَّهَ أَنْ يُزِيلَهَا عَنْكَ»

### عامة الشيخ الى الزواج

وَلَا أَشْكُ أَنَّهُ قَدِ اسْتَعْدَمَ فِي مِصْرَ أَصْنَافَ جَوَارٍ ، وَلَوْلَا أَنَّ أَخَا الْكِبَرَةِ  
يَقْتَرِفُ إِلَى مُعِينٍ ، لَكَانَتْ الْحَزَامَةُ أَنْ يَفْتَنَعَ بِوَرْدِ الْمَعِينِ ، فَهُوَ يَعْرِفُ  
قَوْلَ الْقَائِلِ :

« مَا الْمَيْشُ إِلَّا الْقِفْلُ وَالْمِفْتَاحُ      وَغُرْفَةُ تَحْرِقُهَا الرِّيحُ »  
« لَا صَخَبُ فِيهَا وَلَا صِيَاخُ »

### الخدم

وَحَدَّثَنِي « ابْنُ الْقَنَسَرِيِّ » الْمُتَرِي - : أَنَّهُ سَمِعَهُ يَسْأَلُ عَنْ غُلَامٍ  
لِلْخِدْمَةِ . وَرُبَّمَا كَانَ اسْتِخْدَامُ الْأَحْرَارِ ، يَمْنَعُ مِنَ الْقَرَارِ ، فَقَدْ قَالَ أَبُو عُبَادَةَ :  
أَنَا مِنْ « يَاسِرٍ وَيُسْرِ وَنَجِجٍ »      لَسْتُ مِنْ « حَامِرٍ » وَلَا « حَمَارٍ »  
مَا بَارِضِ الْعِرَاقِ يَا قَوْمَ حُرٍّ      يَفْتَدِينِي مِنْ خِدْمَةِ الْأَحْرَارِ ؟  
وَأَنْ يَخْدُمَ نَفْسَهُ الْوَحِيدُ ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَلِجَ بَيْتَهُ الْقَبِيدُ ، فَطَالَمَا أَخَوْجُوا  
الْمَالِكَ إِلَى ضَرْبٍ .

### لثوم الخدم<sup>(١)</sup>

وَرُبَّ نَازِلٍ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ فِي خَانٍ ، يَخْدُمُهُ صَبِيٌّ هُوَ مِنَ الرِّقِّ حُرٌّ ،  
وَفِي خِدْمَتِهِ السَّرَقُ وَالضَّرُّ ، إِذَا أَرْسَلَهُ بِالْدَّرَاهِمِ لِيَأْتِيَهُ بِالْبِطِّيخَةِ - حِينَ

(١) قال أبو الملاء :

ومن عناء الليالى خادم ضغن      إن يؤمر الأمر بفعل غير ما أمر

يَكْثُرُ الْبَطِيخُ - سَرَقَ فِي السَّبِيلِ الْقِطْعَ ، وَانْتَهَى فِي الْخِيَانَةِ وَتَنَطَّعَ ، ثُمَّ وَقَفَ بِالْبَالِغِ قَبْنَهُ ، فَأَخَذَ صَغِيرَةً مِنْ بَطِيخٍ ، ثُمَّ انْصَرَفَ بِهَا لِأَعْبَا ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَلَقَّفُ بِهَا فِي الطَّرِيقِ حَتَّى كَسَرَهَا ، فَأَخْطَلَطَ حَبَّهَا بِالْحَصْبَاءِ .

وَيَحْوزُ أَنْ يَحْمِلَهَا - فِي حَالِ السَّلَامَةِ - وَيَمْنَعِي لَيْسَبِيحَ مَعَ الْفَتَيَانِ ، فَإِذَا نَزَلَ فِي الْمَاءِ اخْتَلَطَهَا بَعْضُ الْعَرِمَةِ مِنَ الصَّبْيَانِ ، فَأَكَلَهَا وَهُوَ يَرَاهُ ، لَا يَحْفَلُ بِأَدِيمِهَا إِذْ قَرَأَهُ .

وَقَدْ يُرْسِلُهُ بِالْفَضَارَةِ <sup>(١)</sup> يَلْتَمِسُ لَبَنًا ، فَيُقَابِلُ مِنْ سُوءِ الرَّأْيِ غَبْنًا ، فَإِذَا حَصَلَ فِيهَا الْهَدِيدُ <sup>(٢)</sup> ، عَرَّ فَإِذَا هُوَ عَلَى الصَّحْرَاءِ مُتَبَلِّدًا ، وَصَارَتْ الْفَخَّارَةُ خَرْفًا لَا يُرَادُّ .

\* \*

وَأَمَّا أَهْلُ بَلَدِي - حَرَسَهُمُ اللَّهُ - فَإِذَا كَانَ الْخَطُّ قَدْ أَعْطَانِي حُسْنَ ظَنِّ الْقُرْبَاءِ ، فَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يُعْطِيَنِي تِلْكَ الْمَنْزِلَةَ مِنَ الرَّهْطِ الْقُرْبَاءِ ، وَلَكِنَّهُمْ مَعِيَ كَطُلَابِ الْخَطْبَةِ مِنَ الْأَخْرَسِ !

النوع

وَأَمَّا لِشِفَاقِ الشَّيْخِ ، فَتِلْكَ سَجِيَّةُ الْأَنْبَسِ ، لَا يَحْتَصُّ بِهَا أَخُو الْجُنِّ عَنِ الشُّجَاعِ ، وَمِنْ الْقُسُوطِ تَعْرِضُ بِالْقُنُوطِ « قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ » .

\* \*

كَمْ مِنْ أَدِيبٍ شَرِبَ وَطَرِبَ ثُمَّ تَابَ ، فَقَدْ يَضِلُّ الدَّلِيلُ فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ ،

ثُمَّ يَهْدِيهِ اللَّهُ ، وَكَمْ اسْتَنْقَذَ مِنَ النَّارِ غَرِيقٌ فَسَلِمَ .

الفصل بن عياض

وَقَدْ كَانَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ ، يُسَمُّ فِي أَوَّلِ رِيَاضٍ ، ثُمَّ حُسْبٍ فِي الزُّهَادِ ،  
وَجُعِلَ مِنْ أَهْلِ الْإِجْتِهَادِ ، وَرُبَّ خَلِيعٍ وَهُوَ قَتِي ، تَصَدَّرَ - لَمَّا كَبُرَ -  
وَأَفْتَى ، وَمُعْنٍ بِطُبُورٍ أَوْ عُودٍ ، قُدِّرَ لَهُ تَوَلَّى السُّعُودَ ، فَرَقِيَ مِنْبَرًا لِلْمِطَاطِ !

عمر بن عبد العزيز

وَلَمَّا قَدْ نَظَرَ فِي طَبَقَاتِ الْمُتَعَنِّينَ ، فَرَأَى فِيهِمْ مُمَرَّ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ  
وَمَالِكَ بْنَ أَلْسٍ ، هَكَذَا ذَكَرَ « ابْنُ خُرْدَاذَبَةَ » فَإِنَّكَ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ !

أبو حذيفة وحماد عجرد

وَالْحِكَايَةُ مَعْرُوفَةٌ ، أَنَّ أَبَا حُذَيْفَةَ (١) كَانَ يُشَارِبُ حَمَّادُ عَجْرَدُ وَيُنَادِمُهُ ،  
فَلَسَّكَ أَبُو حُذَيْفَةَ ، وَأَقَامَ حَمَّادُ فِي النَّيِّ ، فَبَلَغَهُ أَنَّ أَبَا حُذَيْفَةَ يَذْمُهُ وَيَعِيبُهُ ،  
فَكَتَبَ إِلَيْهِ حَمَّادُ :

إِنْ كَانَ نُسُكَكَ لَا يَتِمُّ بِغَيْرِ شَيْءٍ وَانْتِقَاصِي  
فَأَقْعُدْ وَقُمْ بِي كَيْفَ شِئْتَ مَعَ الْأَدَانِي وَالْأَقَاصِي  
فَلَطَمًا زَكَّيْتَنِي وَأَنَا الْمُقِيمُ عَلَى الْمَعَاصِي  
أَيَّامَ تُعْطِيَنِي وَتَأْخُذُ فِي أَبَارِيقِ الرِّصَاصِ

(١) هو واصل بن عطاء ، تلميذ الحسن البصري ، وصاحب مذهب الواصليّة ، ورئيس تلك البطائفة المعروفة المنسوبة إليه . وكان في زمن عبد الملك وهشام ابنه ، ومذهبه مبين في كتاب الملل والنحل للشهرستاني ، فليرجع إليه من شاء .

## عمر بن الخطاب

الْيَسَّ الصَّحَابَةُ — عَلَيْهِمْ رِضْوَانُ اللَّهِ — كُلُّهُمْ كَانَ عَلَى صَلَالٍ، ثُمَّ تَذَارَكُهُ  
الْمُقْتَدِرُ ذُو الْجَلَالِ ؟

وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ، أَنَّ مُعَرِّبَ بْنِ الْخَطَّابِ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ يُرِيدُ نَجْمًا  
كَأَنَّهُ يَحْتَمِلُونَ فِيهِ لِلْقِمَارِ، فَلَمْ يَحِذْ فِيهِ أَحَدًا، فَقَالَ لَأَذْهَبَنَّ إِلَى الْخَمَارِ لَعَلِّي  
أَجِدُ عِنْدَهُ خَمْرًا، فَلَمْ يَحِذْ عِنْدَهُ شَيْئًا، فَقَالَ لَأَذْهَبَنَّ وَلَأُسْلِمَنَّ ...  
وَالْتَوْفِيقُ يَحْيِي مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ !

## عودة الى النبي

وَفِيمَا خُوِطِبَ بِهِ النَّبِيُّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — : « وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى »  
وَذَكَرَ أَبُو مَعْشَرٍ الْمَدَنِيُّ، فِي كِتَابِ « التَّبَعِثِ » حَدِيثًا مَعْنَاهُ أَنَّ النَّبِيَّ  
— صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — ذَبَحَ ذَبِيحَةً لِلْأَضْنَامِ، فَأَخَذَ شَيْئًا مِنْهَا، فَطَبِخَ لَهُ،  
وَسَمَّاهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، وَمَضَى لِيَا شُكْلَاهُ فِي بَعْضِ الشَّعَابِ، فَلَقِيَهُمَا « زَيْدُ بْنُ  
صَمْرُو بْنِ مُقَيْلٍ » وَكَانَ مِنَ الْمَسَاهِلِينَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَدَعَاهُ النَّبِيُّ — صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — لِيَا شُكْلٍ مِنَ الطَّعَامِ، فَسَأَلَهُ عَنْهُ، فَقَالَ : « هُوَ شَيْءٌ ذَبَحْنَاهُ  
لِالْهَيْتَانِ » فَقَالَ زَيْدُ بْنُ صَمْرُو : « إِنِّي لَا آكُلُ مِنْ شَيْءٍ ذَبَحَ لِلْأَضْنَامِ، وَإِنِّي  
عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فَأَمَرَ النَّبِيُّ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ بِإِلْقَائِهِمَا مَعَهُ.

## نعيم بن أوسى الدار

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ — وَقَدْ تَمَيَّنْتُهُ بِإِسْنَادٍ — أَنَّ نَعِيمَ بْنَ أَوْسٍ الدَّارِيَّ (١)

(١) نسبة إلى « الدار » وقال أبو العلاء : والدار قبيلة من « غلم »

كَانَ يَهْدِي إِلَى النَّبِيِّ — فِي كُلِّ سَنَةٍ — رَاوِيَةً مِنْ تَحْمِيرٍ، سَجَاءَ فِي بَعْضِ  
السِّنِينَ، وَقَدْ حُرِّمَتِ الْخَمْرُ، فَأَرَاهَا.

أحمد بن حنبل والخمر

وَقَدْ ذَكَرَ عِنْدَ ثَعْلَبٍ، أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَإِنْ كَانَ شَرِبَ النَّبِيذَ قَطُّ،  
وَالنَّبِيذُ — عِنْدَ الْفُقَهَاءِ — غَيْرُ الْخَمْرِ، فَقَالَ ثَعْلَبٌ: «أَنَا سَقَيْتُهُ يَدِي أ»

### الخمر

وَلَمَّا لَذَّةُ الشَّرْبِ فِيمَا يَمْرُضُ لَهُمْ مِنَ الشُّكْرِ، وَلَوْ لَا ذَلِكَ، لَكَانَ  
غَيْرُهَا مِنَ الْأَشْرِبَةِ أَعَذَّبَ وَأَذَقًا<sup>(١)</sup>، وَإِنْ كَانَ الشَّيْخُ قَدْ شَرِبَ، فَلَهُ

#### (١) رأى أبي العلاء في الخمر

يعد أبو العلاء الخمر من اللذات، ويعرف لها مزاياها؛ ولا يمتري فيما تحذره في نفس شاربها  
من نشوة الفرح والطرب، ويعلم أن ذلك هو السر في تهافت الناس على شربها — على  
اختلاف المصوّر والأمكنة.

فهو من أعرف الناس بمزايا الخمر، وإن كان لم يذق لها طعماً، وقد قرأ جل ما كتبه عنها  
شعراء العربية — جاهليين وإسلاميين وعباسيين — ودرسها، كما درس غيره — فأصبح من  
أعلم الناس بها — وليس ذلك مستغرباً، فقد أبدع أبو العلاء في أشعاره كثيراً من التشبيهات  
الرائعة التي تعتمد على البصر.

وحسبك ما أتى به من الأوصاف الكثيرة الدقيقة، في وصف اللروع وغيرها. ونكتفي  
من ذلك كله ببيتته المشهور، الذي وصف به سهيلاً فقال:

« وسهيل كوجنة الحب في اللون، وقلب الحب في الخلقان »

ولم يقصر « بشار » في كثير من تشبيهاته عن شأو البصريين، وإجادة الأوصاف



## أُسُوَّةُ بِشَيْخِ الْأَزْدِ « مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ » إِذْ قَالَ :

التي كان من حقهم أن يفردوا بها دون سواهم ، وآية ذلك ، بيته الرائع المشهور :  
« كَأَنَّ مِثَارَ التَّقَعِّفِ فَوْقَ رَمُوسِنَا وَأَسْيَافِنَا - لَيْلَ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ »

\*\*\*

إِذْنٌ فَقَدْ كَانَ أَبُو الْعَلَاءِ يَرْفُ الْخَمْرَ ، وَيَدْرِكُ مَرَايَاهَا حَقًّا ؛ نَعَمْ ، وَقَدْ تَمَنَّى شَرِبَهَا فِي كَثِيرٍ مِنْ أَشْعَارِهِ ، وَوَدَّ لَوْ أَنَّهَا أَصْبَحَتْ طَلْقَةً مَحَلَّةً ، وَلَكِنْ لَمْ يَنْتَهُ أَنْ يَمْقُبَ - فِي كُلِّ مَوْضِعٍ تَمَنَّاها فِيهِ تَقْرِيْبًا - بِالسَّبَبِ الرَّئِيسِ الَّذِي يَدْفَعُهُ إِلَى الْمَرْوَفِ عَنْهَا ، وَالْإِحْجَامِ عَنْ شَرِبِهَا ، وَهُوَ : « إِزْرَاؤُهَا بِاللَّبِّ » وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ أَبَا الْعَلَاءِ كَانَ يَمْتَرُ بِالْعَقْلِ كُلِّ الْإِعْتِرَازِ وَيَجْهَلُهُ ، وَيَقْتَنِ فِي تَقْدِيرِهِ « أَنْظُرْ إِلَى ص ٢٥٦ فِي هَذَا الْجُزْءِ » حَتَّى تَضَادَّ أَمَامَهُ كُلُّ اعْتِبَارٍ قَيْسٍ إِلَيْهِ ، وَقَدْ أَظْهَرْنَا أَنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْأَسْبَابِ الَّتِي أَزْجَعَتْهُ مِنْ لِقَاءِ الْمَوْتِ - رَغْمَ حَنِينِهِ الدَّائِمِ إِلَيْهِ - هُوَ خَوْفُهُ أَنْ يَسْلُبَهُ الرَّدَى ذَلِكَ الْعَقْلَ الَّذِي يَحْرُسُ عَلَيْهِ ، وَيَضُنُّ بِهِ . ( ارجع إلى ص ٢٠٨ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ )

ولهذا السبب نفسه ، ارتاع من الكبر ، فقال :

وَمَا أَتَوَّقِي ، وَالْخَطُوبُ كَثِيرَةٌ مِنْ الدَّهْرِ ، إِلَّا أَنْ يَحِلَّ فِي الْخَمْرِ  
وَيَمَكِّنُنَا أَنْ نَتَخَذَ الْبَيْتَ التَّالِيَ مِفْتَاحَ فِلَسْفَتِهِ فِي الْخَمْرِ ، وَهُوَ :  
وَلَوْلَا أَنَّهَا بِاللَّبِّ تَزْرِي لَكُنْتُ أَخَا النَّدَامَةِ وَالنَّدِيمِ

\*\*\*

وَالْخَمْرُ - بَعْدَ ذَلِكَ - قَدْ حَرَّمَهَا الْإِسْلَامُ ؛ وَلَوْ حَلَلَ شَرِبَهَا ، لَمَا شَرِبَهَا أَبُو الْعَلَاءِ :

أَيَّاتِي نَبِيَّ يَجْعَلُ الْخَمْرَ طَلْقَةً فَتَحُلُّ ثِقْلًا مِنْ هُمُومِي وَأَوْزَارِي ؟  
وَهِيَاتِ الْوَحْلَتِ - لَمَا كُنْتُ شَارِبًا مَخْفَفَةً فِي الْحَلْمِ كَفَّةَ مِيزَانِي

وَلَيْسَ ذَلِكَ يَدْعِي عَلَى مَنْ حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ أَكْلَ اللَّحْمِ ، مَعَ إِبَاحَةِ الشَّرْعِ ذَلِكَ .

فَهُوَ إِذَا كَانَ قَدْ دَفَعَتْهُ الشَّقَقَةُ عَلَى الْحَيَوَانِ ، فَلَمْ يَأْكُلْهُ ، فَقَدْ دَفَعَهُ الْإِشْفَاقُ عَلَى عَقْلِهِ  
أَنْ يَحْرِمَ عَلَى نَفْسِهِ الْخَمْرَ - وَلَوْ حَلَّلَهَا دِينُهُ - وَهُوَ لَمْ يَحْلُلْهَا بَعْدَ !

وَمَنْ ثُمَّ تَدْرِكُ السَّرْفَى رَغْبَتُهُ عَنْهَا ، بِالرَّغْمِ مِنْ تَمَنِّيهِ إِيَّاهَا أَحْيَانًا ، فَقَدْ تَمَنَّاها فِي لَامِيَتِهِ

بَلْ رُبَّ لَيْلٍ جَمَعَتْ قُطْرَيْهِ لِي بِنْتُ ثَمَّارَيْنِ — عَرُوسٌ تُجْتَلَى ١

التي قالها — وهو بالعراق — وأظهر فيها حنينه ووجهه الشديد إلى بلده « المرة » فقال :

« تمنيت أن الحجر حلت لنشوة تبهلني كيف أطأنت بي الحال

فأذهل أُنَى — بالعراق — على شفا ، رزى الأمانى ، لا أنيس ولا مال

مقل من الأهلين يسر وأسرة كفى حزنا يَبِينُ مُشْتَّ وإقلال ١ »

على أنها أمنية اليأس الذى يفضل الموت على الحياة ١

وإليك نخبة مختارة مما قاله فى الحجر ، نستدل بها على ما ذهبنا إليه :

لو كانت الحجر حلا ، ما سمحت بها لنفسى الدهر ، لا سرًّا ولا علنا

ويهجرج طيب الراح خوفا من السكر

هى الراح أهلاً لطول الهجاء وإن خصها معشر بالمَدَح

فلا تمجنك عروس المدام ولا يطربنك مغن صدح

ومن يفتقد لبه ساعة فقد مات فيها بخطب فدح

وقد شرح فى الأبيات التالية ، ما ينجم عن الدهول ، الذى تحدته الحجر فى نفوس شاربها ، فقال :

البابلية باب كل بلية فتوقن هجوم ذاك الباب

جرت ملاحاة الصديق وهجره ، وأذى النديم ، وفرقة الأحباب

هتكت حجاب المحصنات ؛ وجشمت من العميد تهضم الأرباب

وتوهم الشيب المدالف ، أنهم لبسوا — على كبر — برود شباب

وإذا تأملت الحوادث ، ألغيت صهب الدنان أعادى الأبواب

\* \*

وجاع القول أن أبا العلاء أكثر من ذكر الحجر والتشنيع عليها ، فى أشعاره ، وكما تستطيع أن تفرد لبعض الشعراء — كأبى نواس مثلاً — ديواناً فى مدح الحجر ، تستطيع أن تفرد لأبى العلاء كذلك ، ديواناً فى ذمها ١

ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِ الْقَصِيدَةِ <sup>(١)</sup>  
 فَإِنْ أُمْتُ فَقَدْ تَنَامَتْ لَدُنِّي وَكُلُّ شَيْءٍ بَلَغَ الْحَدَّ انْتَهَى  
 وَمَا اخْتَارَ لَهُ أَنْ يَأْخُذَ بِقَوْلِ الْحَكِيمِ :  
 قَالُوا: «كَبُرَتْ» فَقُلْتُ: «مَا كَبُرَتْ يَدِي عَنْ أَنْ تَسِيرَ إِلَى فَيِّ بِالْكَاسِ <sup>(٢)</sup>»  
 وَقَدْ آتَى لِمَوْلَايَ الشَّيْخِ أَنْ يَزْهَدَ فِي شَيْمَةِ مُحَمَّدٍ الْأَعْجَى، قَائِلٌ هَذِهِ الْآيَاتِ:  
 «شَرِبْتُ الْمُدَّامَ فَلَمْ أَقْلِعْ وَغَوَّيْتُ فِيهَا، فَلَمْ أَرْجِعْ  
 «مُحَمَّدُ» الَّذِي أَمِجُّ دَارَهُ أَخُو الْحَرِّ، ذُو الشَّيْبَةِ، الْأَصْلَعُ  
 عَلَاهُ الْمَشِيبُ عَلَى حُبِّهَا وَكَانَ كَرِيماً فَلَمْ يَنْزِعْ أ  
 وَقَالَ آخَرُ :

(١) يعني مقصورة «ابن دريد» المشهورة التي أولها :  
 يا غليظة أشبه شيءاً بالها ترعى الخزامى بين أشجار النقا  
 وقد مر بعض أبياتها في (ج ٢ ص ١٨٩) (١٩٠)  
 (٢) الحكيم : هو أبو نواس ، وقد مرت ترجمته في (ج ٢ ص ١٠١) وهذا البيت  
 من سينيته الجميلة التي يقول فيها :

كيف النزوع عن الصبا والكاس قس ذا لنا ، يا عاذلي بقياس ا  
 وإذا عددتُ سني «كم هي ؟» لم أجد للشيب عذراً في النزول براسي  
 قالوا : «كَبُرَتْ» فقلت : «مَا كَبُرَتْ يَدِي عَنْ أَنْ تَسِيرَ إِلَى فَيِّ بِالْكَاسِ ا»  
 صفراء ، زان رواءها مخبورها فلها للمهذب من ثناء الحامى  
 وكان شاربها - لفرط شعاعها بالليل - يكرع في سنا مقباس  
 فالراح طيبة ، وليس تمامها إلا بطيب خلّاق الجلاس ا

تُعَاتِبُنِي فِي الرَّاحِ أُمُّ كَبِيرَةٍ      وَمَا قَوْلُهَا — فِيمَا أَرَاهُ — مُصِيبُ  
تَقُولُ : « أَلَا تَجْفُو الْمُدَامَ ، فَعِنْدَنَا      مِنْ الرُّزْقِ تَمَرٌ مُكْشَبٌ وَزَيْبٌ ؟ »  
فَقُلْتُ : « رُوَيْدًا ، مَا الزَّيْبُ مُفْرَجِي      وَلَيْسَ لَتَمْرِ فِي الْعِطَامِ دَيْبُ  
فَإِنَّ « حُمَيْدًا » عَلَيْهَا فِي شَبَابِهِ      وَلَمْ يَصْحُ مِنْهَا — حِينَ لَاحَ مَشَيْبُ »

### نوبة ابن الفارح

وَإِذَا تَسَامَعَتِ الْحَافِلُ بِتَوَاتِيهِ ، اجْتَمَعَ عَلَيْهِ الشَّبَانُ الْمُقْتَبِلُونَ ، وَالْأَدْبَاءُ  
الْمُسْكَهْلُونَ ، وَكُلُّ أَشْيَبٍ ؛ فَيَقْتَبِسُونَ مِنْ آدَابِهِ ، وَيُصَوِّغُونَ الْمَسَامِيحَ لِحِطَابِهِ ،  
وَجَلَسَ لَهُمْ فِي بَعْضِ الْمَسَاجِدِ بِحَلَبَ ، حَرَسَهَا اللَّهُ ، فَإِنَّهَا مِنْ بَعْدِ « أَبِي عَبْدِ اللَّهِ  
ابْنِ خَالَوَيْهِ » عَطَلَتْ مِنَ الْأَدَبِ

### حديث طالوت

ذَكَرَ مَنْ نَظَرَ فِي كِتَابِ « الْمُبْتَدَأِ » حَدِيثَ « طَالُوتَ » لَمَّا أَمَرَ ابْنَتَهُ ،  
وَهِيَ امْرَأَةُ « دَاوُدَ » — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — أَنْ تُدْخِلَهُ عَلَيْهِ — وَهُوَ نَائِمٌ —  
لِيَقْتُلَهُ ، بَفَعَلَتْ لَهُ فِي فِرَاشِ « دَاوُدَ » زَقًّا تَحَرَّ ، وَدَسَّتْهُ عَلَيْهِ ، وَضَرَبَتْهُ  
بِالسَّيْفِ ، وَسَأَلَتْ اأَلْهَمُ ؛ فَظَنَّ أَنَّهَا الدَّمُ ، فَأَذْرَكَهُ الْأَسْفُ وَالنَّدَمُ . فَأَوْمَأَ  
بِالسَّيْفِ لِيَقْتُلَ نَفْسَهُ — وَمَعَهُ ابْنَتُهُ — فَأَمْسَكَتْ يَدَهُ ، وَحَدَّثَتْهُ مَا فَعَلَتْهُ ،  
فَشَكَرَهَا عَلَى ذَلِكَ ١

### عودة الى ذكر العور

وَإِذَا صَحَّتِ الْأَخْبَارُ الْمُنْقُولَةُ بِأَنَّ أَهْلَ الْآخِرَةِ يَعْلَمُونَ أَخْبَارَ أَهْلِ  
الْمَاجِلَةِ ؛ فَلَعَلَّ جَوَارِيَهُ الْمُعَدَّاتِ لَهُ فِي الْخُلْدِ ، يَسْأَلُنَّ عَنْ أَخْبَارِهِ مَنْ يَرِدُ

عَلَيْهِمْ مِنَ الصَّالِحَاءِ ، فَيَسْمَعْنَ مَرَّةً أَنَّهُ بِالْفُسْطَاطِ ، وَتَارَةً أَنَّهُ بِالْبَصْرَةِ ، وَتَرَّةً أَنَّهُ يَبْعَدَادَ ، وَخَطَرَةً أَنَّهُ يَحْلَبَ ؛ فَإِذَا شَاحَ أَمْرُ التَّوْبَةِ ، وَمَاتَ نَاسِكٌ مِنْ أَهْلِ حَلَبَ ، أَخْبَرَهُنَّ بِذَلِكَ ، فَسُرِرْنَ وَابْتَهَجْنَ ، وَهَنَّاهُنَّ جَارَاتُهُنَّ !

وَلَا رَيْبَ أَنَّهُ قَدْ سَمِعَ حِكَايَةَ الْبَيْتَيْنِ الثَّابِتَيْنِ فِي كِتَابِ : «الْإِغْبَارِ» :  
أَنْعَمَ اللَّهُ بِالْخِلَائِنِ عَيْنَا وَيَعْسَرَ الْكَرِيْمُ يَا أُمَيْمُ الْيَنَابِ  
هَجَبًا مَا جَرَعْتَ مِنْ وَخْشَةِ اللَّحْدِ ، وَمِنْ ظُلْمَةِ الْقُبُورِ عَلَيْنَا

### رجعة الى الخبر

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ قَوْمٍ يَحْتُمُّهُمُ الْمَشِيبُ عَلَى أَنْ يَسْتَكَثِرُوا مِنْ أُمَّ زَنْبَقٍ<sup>(١)</sup>  
قَالَ حَاتِمٌ :

وَقَدْ عَلِمَ الْأَنْوَامُ لَوْ أَنَّ حَاتِمًا أَرَادَ ثَرَاءَ الْمَالِ كَانَ لَهُ وَفْرٌ  
يُفَكُّ بِهِ الْكَافِيَ وَيُؤْكَلُ طَيِّبًا وَلَيْسَتْ تُعْرِيه الْقِدَاحُ وَلَا الْبَسْرُ  
أُ «مَآوَى» إِنْ بُصِغَ صَدَائِ بِفَقْرِهِ مِنَ الْأَرْضِ - لَا مَالَهُ لَدَى وَلَا خَزْرُ  
تَرَى أَنْ مَا أَهْلَكَتُ لَمْ يَكْ ضَرَّرَنِي وَأَنْ يَدِي - مِمَّا بَحَلْتُ - بِهِ صِفْرُ  
وَقَالَ طَرَفَةُ :

فَإِنْ كُنْتُ لَا تَسْطِيعُ دَفْعَ مَنِيَّتِي فَدَعْنِي أَبَا ذَرَّاهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِي<sup>(٢)</sup>  
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُتَمَرِّ :

لَا تُطِلْ بِالْكُؤُوسِ مَطْلِي وَحَبْسِي لَيْسَ يَوْمِي يَا صَاحِبِي مِثْلُ أَمْسِي

(١) هي الخبر (٢) ترجمة طرفة وحديث معلقته - التي منها هذا البيت - في ج ٢

لَا تَسْلِنِي ، وَتَسَلْ مَشِيئِي عَنِّي مُذْ عَرَفْتُ الْخَمْسِينَ أَنْ كُنْتُ نَفْسِي  
فَهَذَا حَقُّهُ كَثْرَةُ سِنِيهِ عَلَى أَنْ يَسْتَكْبِرَ مِنَ السَّلَافَةِ ، وَمَا حَفِظَ حَقَّ الْخِلَافَةِ !  
وَأَنَا أَصْنُ بِهِ <sup>(١)</sup> أَنْ يَكُونَ كَأَبِي عُثْمَانَ الْمَازِنِي ، عُتِبَ فِي الشَّرَابِ ،  
فَقَالَ : « إِذَا صَارَ أَكْبَرُ ذُنُوبِي تَرَكَتُهُ ! »

### المنعم و ابراهيم المهدي

وَقَدْ رَوَى أَنَّ الْمُتَعَصِمَ دَعَا لِإِبْرَاهِيمَ كَمَا ذَكَرَهُ ، فَنَافَهُ وَبَكَى ، فَقَالَ لَهُ  
الْمُتَعَصِمُ : « مَا يُبْكِيكَ ؟ » فَقَالَ : « كُنْتُ صَاحِدْتُ اللَّهَ إِذَا بَلَغْتُ سِتِينَ سَنَةً أَنْ  
أَتُوبَ ، وَقَدْ بَلَغْتُهَا . . . . » فَأَعْفَاهُ الْمُتَعَصِمُ مِنَ الْفَنَاءِ ، وَحُضُورِ الشَّرَابِ !

### الهيام بالخمير

وَكَانَ فِي بَلَدِنَا رَجُلٌ مُتَعَرِّمٌ بِالْقَهْوَةِ <sup>(٢)</sup> فَلَمَّا كَبِرَ رَغِبَ فِي الْمَطْبُوخِ ، وَكَانَ  
يَحْضُرُ مَعَ نَدَامَاهُ ، وَعِنْدَهُمْ قَدَحٌ وَاحِدٌ ، فَيَشْرَبُ هُوَ مِنَ الْمَطْبُوخِ وَيَشْرَبُ  
أَصْحَابُهُ مِنَ الثِّيِّ ، فَإِذَا جَاءَ الْقَدَحُ إِلَيْهِ لِيَشْرَبَ ، غَسَلَهُ مِنْ أَثَرِ الْخَمْرِ ، وَشَرِبَ  
فِيهِ ، فَإِذَا فَرَغَ الْمَطْبُوخُ ، رَجَعَ فَشَرِبَ مِنْ شَرَابِ إِخْوَانِهِ . . . .

\* \*

وَأَمَّا مُحَاطَبَتُهُ غَيْرُهُ - وَهُوَ يَعْنِي نَفْسَهُ - فَهُوَ كَقَوْلِهِمْ فِي الْمَثَلِ : « إِلَيْكَ  
أَعْنِي وَاسْمِعِي يَا جَارَةَ » وَلَا عُنْدَ <sup>(٣)</sup> عَنِ الْجِبَلَةِ ، يُرِيدُ الْمُتَسَلِّكُ أَنْ يَنْصَرِفَ  
حُبُّهُ عَنِ الْعَاجِلَةِ ، وَلَيْسَ يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ ، كَمَا لَا يَقْدِرُ الطَّبِيبُ أَنْ تَصِيرَ لَبْوَةٌ

(١) أى بابن القارح (٢) الخمير (٣) فى اللغة : مالى عن ذلك عندد ، كجندب ،

وقنفذ ؛ أى مالى عنه بد ، والمعنى : لا سبيل إلى الخلاص من الفطرة التى فطر الناس عليها

وَلَا الْحَصَاةُ أَنْ تُتَّصَرَ لَوْلَا<sup>(١)</sup> « يُوسُفُ : أَعْرِضْ عَنْ هَذَا . وَاسْتَغْفِرِي  
لِذَنبِكَ إِنَّكَ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ »  
لَقَدْ عَلِمْتُ ، وَلَا أَنهَاكَ عَنْ خُلُقٍ إِلَّا يَكُونُ امْرُؤًا إِلَّا كَمَا خُلِقَ<sup>(٢)</sup>

### (١) الجبر

كرر أبو العلاء هذا المعنى في لزومياته ، وهو بلا ريب في مقدمة من يدينون بالجبر ،  
ونجتزئ من أشعاره الكثيرة بالآيات التالية ، للاستدلال بها على يقينه الثابت وإيمانه الذي  
لا يترزعع ، بمذهب الجبر ، وإذعائه للقضاء والقدر ، وهي :

وما فسدت أخلاقنا باختيارنا ولكن بأمر سببته المقادير  
وفي الأصل غش ، والفروع توابع وكيف وفاء النجل ، والأب غادر ؟  
إذا اعتلت الأفعال جاءت علية كالاتها ؛ أفعالها والمصادر  
قلل للغراب الجون - إن كان سامعاً - « أأنت على تغيير لونك قادر ؟ »  
والمقل زين - ولكن فوقه قدر - فإله في ابتغاء الرزق تقدير  
ويجبر قضاء ما لم يسمعه حاجز فآلئوا إلى مولاكم بالمقال<sup>(١)</sup>  
نهاب أموراً - ثم تركب هولها على غنت - من صاغرين فقاء<sup>(٢)</sup>  
ونحادر الأشياء - بعد يقيننا ألا يرد الكائنات حذار  
وجيلة الناس الفساد ، فضل من يسو بمحكته إلى تهذيبها  
يتحارب الطبع - الذي مزجت به هيج الأنام - وعقلهم ، فيفله  
وقيل : نفوس الناس تسطيع فعلها . وقال رجال : « بل تبين جبرها »  
ولا ألوم غيبا في غباوته فبالقضاء أتته قلة الفطن  
لا تمسح ولا تدمن أمراً فيها ، فغير مقصر كقصر  
(٢) هذا يشبه قول ذي الإصبع العدواني :

(١) المقال كالقصيد : الفانيح (٢) أي : يا لنا من صاغرين قاء ، على الخلف .

وَكَثِيرٌ مِّنَ الَّذِينَ يَتْلُونَ آيَاتِهِ : « مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ سَبْعِ سَنَابِلَ، فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ، وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » وَهُمْ بِهَا مُصَدِّقُونَ، وَمِنْ خَشْيَةِ إِبْرَاهِيمَ مُشْفِقُونَ، يَضُنُّونَ بِالْقَلِيلِ النَّافِةَ، وَلَا يَسْمَحُونَ لِلْسَّائِلِ<sup>(١)</sup>؛ فَكَيْفَ تَكُونُ حَالُ مَنْ يُنْكِرُ حَدِيثَ الْجَزَاءِ، وَلَا يَقْبَلُ عَنِ الْفَانِيَةِ حُسْنَ الْعَزَاءِ ؟

### أبو طلحة واليهودي

وَقَدْ رَوَى حَدِيثُ « أَبِي طَلْحَةَ » أَوْ « أَبِي قَتَادَةَ » وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ خَاصِمٌ يَهُودِيًّا إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَكَانَ لِأَبِي طَلْحَةَ حَدِيثَةٌ تَحُلُ، وَيَدْنُهُ وَيَبْنُ الْيَهُودِيُّ خُفَّ فِي تَحْلَةٍ وَاحِدَةٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِلْيَهُودِيِّ : « أَلَسَمَحَ لَهُ بِالنَّحْلَةِ حَتَّى أَضْمَنَ لَكَ تَحْلَةً فِي الْجَنَّةِ » وَنَعَسَهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِنُعُوتِ أَشْجَارِ الْجَنَّةِ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ : « لَا أَيْعُ مَا جِلًّا بِأَجَلٍ ! » فَقَالَ « أَبُو طَلْحَةَ » : « أَتَضْمَنُ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ كَمَا ضَمِنْتَ لَهُ حَتَّى أُعْطِيَهِ الْحَدِيثَةَ ؟ » فَقَالَ : « نَعَمْ » فَرَضَى أَبُو طَلْحَةَ بِذَلِكَ، وَأَخَذَ الْيَهُودِيُّ وَذَهَبَ إِلَى حَدِيقَتِهِ، فَوَجَدَ فِيهَا امْرَأَتَهُ وَأَبْنَاءَهُ، وَهُمْ يَأْكُلُونَ مِنْ جَنَاحِهَا، وَجَعَلَ يُدْخِلُ لَصْبَعَهُ فِي أَفْوَاهِهِمْ فَيُخْرِجُ مَا فِيهَا مِنْ عَمْرِ، فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ : « لِمَ تَفْعَلُ هَذَا بِبَنِيكَ ! »

كل امرئ صائر يوماً لشيعته وإن تخلق أخلاقاً إلى حين  
وقريب منه قول الآخر :

لا ترجع الأنفس عن غيرها ما لم يكن منها لها رادع  
(١) افتن أبو العلاء في نظم هذا المعنى فقال :  
دِتم بأن سيجازيكم إليكم فما لأفالك أمثال إهمال ؟



فَقَالَ: «إِنِّي قَدْ بَعَثْتُ الْحَدِيثَةَ» فَقَالَتْ: «إِنْ كُنْتَ بَعَثْتَهَا بِعَاجِلٍ، فَبَيْسَ مَا فَعَلْتَ!» فَقَصَّ عَلَيْهَا الْحَبْرَ، فَفَرِحَتْ بِذَلِكَ.

### مرض الناس

وَلَوْ قِيلَ لِبَعْضِ عُبَادِ هَذَا الْمَصْرِ: «أَعْطِ لَبْنَةً، لِتُعْطَى فِي الْآخِرَةِ لَبْنَةً مِنْ فِضَّةٍ» لَمَّا أَجَابَ. وَلَوْ سُئِلَ أُمَةٌ عَوْرَاءٌ، يُعَوِّضُ مِنْهَا فِي الْآخِرَةِ بِمَحْوَرَاءٍ، لَمَّا فَعَلَ؛ عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْمُصْذِقِينَ... فَكَيْفَ مَنْ عُذِيَ بِالتَّكْذِيبِ، وَجَحَدَ وَتَوَعَّعَ التَّعْذِيبِ؟

### مبة فاذوه

وَأَمَّا «فَاذُوهُ» فَلَقِيَ طَائِرُ الْحَيْنِ، مُتَكَفِّيًا مِنْ بَيْنِ جَنَاحَيْنِ، فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مَا أَعِدَّ الْمِهْرَاسُ لِيُفْضَخَ<sup>(١)</sup> بِهِ الرَّاسُ وَلَكِنْ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ أَمَّنْتَهُ نَفْسُهُ التَّوْبَةُ، فَكَانَتْ كَمَصَاحِبَةِ أَمْرِ الْقَيْسِ — لَمَّا قَالَ لَهَا: «مَتَيْتَنَّا بَعْدَ، وَبَعْدَ غَدٍ، حَتَّى يَخْلُتَ كَأَسْوَلِ الْبُخْلِ»

### أبو الهذيل العلاف

وَيُحْكِي عَنْ «أَبِي الْهَذِيلِ الْعَلَّافِ» أَنَّهُ كَانَ يَمُرُّ فِي الْأَسْوَاقِ عَلَى حِمَارٍ وَيَقُولُ: «يَا قَوْمُ: اخْذُوا تَوْبَةً غُلَامِي! وَكَانَ لَهُ غُلَامٌ يَعِدُّ نَفْسَهُ التَّوْبَةَ، فَسَقَطَتْ عَلَيْهِ أَجْرَةٌ، فَقَتَلَتْهُ...»

### بدء التعارف بين المعري وابن القارح

وَأَوَّلُ مَا سَمِعْتُ بِأَخْبَارِ الشَّيْخِ، مِنْ رَجُلٍ وَاسِطِيٍّ، يَتَعَرَّضُ لِعِلْمِ الْعَرُوضِ،

(١) الفضخ: الكسر، ولا يكون إلا في شيء أجوف نحو الرأس والبطيخ. ويقال:

فضخ عينه، أي: فقأها

ذَكَرَ أَنَّهُ شَاهَدَهُ بِتَصْيِيْنٍ، وَفِيهَا رَجُلٌ يُعْرَفُ بِأَبِي الْحُسَيْنِ الْبَصْرِيِّ، مُعَلِّمًا لِبَعْضِ الْعُلَمَاءِ، وَكَانَ غُلَامٌ يَخْتَلِفُ إِلَيْهِ يُعْرَفُ «بِابْنِ الدَّانِ» وَقَدْ اجْتَاَزَ الشَّيْخُ بِلَدُنَا - وَالْوَاسِطِيُّ يَوْمَئِذٍ فِيهِ - وَقَدْ شَاهَدْتُ عِنْدَ أَبِي أَحْمَدَ عَبْدِ السَّلَامِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - كُتُبًا عَلَيْهَا مَتَاعٌ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ حَلَبَ، وَمَا أَشْكُ أَنَّهُ الشَّيْخُ، وَهُوَ لَا يَفْتَقِرُ إِلَى تَعْرِيفٍ بِالتَّعْرِيفِ، كَمَا قَالَ الطَّائِيُّ :

تَحْمِيهِ لِلْأَوَّلِ - أَوْ لَوِذِعِيَّتُهُ - مِنْ أَنْ يُذَالَ يَمَنُ، أَوْ يَمَنُ الرَّجُلُ؟

#### أساترة ابن القارح

وَأَمَّا الْمَلَمَاءُ الَّذِينَ لَقِيَهُمْ، فَأُولَئِكَ مَصَابِيحُ النَّاجِيَةِ، وَكَوَاكِبُ الدَّاجِيَةِ، وَإِنَّ فِي النَّظَرِ إِلَيْهِمْ لَشَرَفًا، فَكَيْفَ يَمَنُ اغْتَرَفَ - مِنْ شُكْلِ بَحْرِ وَجَدَ - غُرْفًا؛ وَلَمَّا أَقُولُ ذَلِكَ عَلَى الْإِقْتِصَارِ، وَلَمَّا قَدْ نَزَفَ بِحَارَمُ بِالْقَلَمِ وَالْفَهْمِ، وَسَهَّلُوا لَهُ مَا صَعَبَ مِنْ جِبَالِ الْعَرَبِيَّةِ

#### حجج ابن القارح

وَأَمَّا حَجَجُهُ الْخَمْسُ، فَهُوَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - يَسْتَفْنِي فِي الْخُشْرِ بِالْأَوَّلَى مِنْهُمْ، وَيَنْظُرُ فِي الْمَتَأَخِّرِينَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، فَلَا رَيْبَ أَنَّهُ يَجِدُ فِيهِمْ مَنْ لَمْ يَخْجُبْ، فَيَتَصَدَّقُ عَلَيْهِمْ بِالْأَرْبَعِ وَكَأَنِّي بِهِ، وَهَمَائِمُ الْحَجِيجِ، يَرْفَعُونَ التَّلْبِيَةَ بِالْحَجِيجِ، وَهُوَ يُفَكِّرُ فِي تَلْبِيَاتِ الْعَرَبِ؛ وَأَنَّهُمَا جَاءَتَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ مَسْجُوعٍ لَا وَزْنَ لَهُ، وَمَنْهُوْلٍ، وَمَشْطُورٍ ... ١

وَكَأَنِّي بِهِ لَمَّا اعْتَرَمَ عَلَى اسْتِئْلَامِ الرَّكْنِ، وَقَدْ ذَكَرَ قَوْلَ الْقَائِلِ :

ذَكَرْتُكَ وَالْحَجِيجُ لَهُ صَحِيحٌ بِمَكَّةَ، وَالْقُلُوبُ لَهَا وَجِيبٌ

فَقُلْتُ - وَنَحْنُ فِي بَلَدٍ حَرَامٍ - بِه - اللَّهُ - أَخْلَصَتِ الْقُلُوبُ :  
 « أَتُوبُ إِلَيْكَ يَا رَبَّاهُ - مِمَّا جَنَيْتُ - فَقَدْ تَظَاهَرَتِ الذُّنُوبُ  
 فَأَمَّا مِنْ هَوَى « لَيْلَى » وَحَيِّ زِيَارَتَهَا ، فَإِنِّي لَا أَتُوبُ ! »  
 وَلَسَلَهُ قَدْ ذَكَرَ هَذِهِ الْأَيَّاتِ فِي الطَّوَائِفِ :

أَطُوفُ بِالْبَيْتِ - فِيمَنْ يَطُوفُ وَأَرْفَعُ مِنْ مِثْرَى الْمُسَبِّلِ  
 وَأَسْجُدُ بِاللَّيْلِ حَتَّى الصَّبَاحِ وَأَنْتَلُو مِنَ الْمُخْخَمِ الْمُنْزَلِ  
 عَسَى فَارِجُ الْكَرْبِ عَنْ يُوسُفَ يُسْحَرُ لِي رَبَّةَ الْمُحْصَلِ  
 وَذَكَرَ عِنْدَ تَفَرُّقِ النَّاسِ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

وَدَعَى الْقَلْبَ « يَا قَرِيبُ » وَجُودِي لِحُبِّ فِرَاقِهِ قَدْ أَحْمَا  
 لَيْسَ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ إِلَّا أَنْ يَرُدُّوا جِجَاهَهُمْ فَتَزِمَا  
 وَكَأَنِّي بِهِ وَقَدْ مَرَّ بِأَنْطَاكِيَّةَ ، فَذَكَرَ قَوْلَ امْرِئِ الْقَيْسِ :  
 عَلَوْنَ بِأَنْطَاكِيَّةٍ فَوْقَ عَقْمَةٍ كَجِرْمَةِ نَحْلٍ ، أَوْ كَجَنَّةِ يَثْرِبَ

### أبو الطيب اللغوى

وَأَمَّا أَبُو الطَّيِّبِ اللُّغَوِيُّ ، وَاسْمُهُ « عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ عَلِيٍّ » وَلَا أَشْكُ أَنَّهُ  
 قَدْ صَاحَ كَثِيرٌ مِنْ كُتُبِهِ وَتَصْنِيفَاتِهِ ، لِأَنَّ الرُّومَ قَتَلُوهُ وَأَبَاهُ ، فِي فَتْحِ  
 حَلَبَ . وَكَانَ « ابْنُ خَالَوَيْهِ » يُلقَّبُهُ « دُخْرُوجَةُ الْجَلِيلِ » لِأَنَّهُ كَانَ قَصِيرًا .  
 وَقَدْ كَانَ « أَبُو الطَّيِّبِ اللُّغَوِيُّ » يَنْتَهِي وَيَنْتَ أَيْ الْعَبَّاسِ بْنِ كِلَابٍ « الْبَكْتَمَرِيُّ »  
 مَوَدَّةً وَمُؤَانَسَةً ، وَلَهُ يَقُولُ :

يَا عَبْدَ (١) إِنْكَ عِنْدَ الْقَلْبِ جَنَّتُهُ حُبًّا ، وَإِنْكَ - عِنْدَ الطَّرَفِ - نَازِلُهُ

أَزْمَعْتَ سَيَرًا، فَقُلْ مَا أَنْتَ قَائِلُهُ وَادْكُرْ لِرَايِ الْهَوَى مَا أَنْتَ ذَاكِرُهُ  
لَا أَشْتَكِي سَهْرًا طَالَتْ مَسَافَتُهُ اللَّيْلُ يَعْلَمُ أَنَّ الدَّهْرَ سَاهِرُهُ  
وَقَدْ كَانَ «أَبُو الطَّيِّبِ» يَتَعَاطَى شَيْئًا مِنَ النِّظَمِ .

وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّي لَا فِي الْعَبْرِ وَلَا فِي النَّفِيرِ، كُلَّمَا رَغِبْتُ فِي الْحُمُولِ، قُدِّرَ  
لِي غَيْرُ الْمَتَامُولِ . كَانَ حَقُّ الشَّيْخِ - إِذْ أَقَامَ فِي «مَعْرَةِ الثُّعْمَانِ» سَنَةً - أَلَّا  
يَسْمَعَ لِي بِذِكْرٍ، وَلَا أخطرَ لَهُ عَلَى فِكْرٍ، وَالْآنَ قَدْ غَمَرَ إِفْضَالُهُ . وَأُظْلِمَنِي  
دَوْحُ أَدْبِهِ . وَهُوَ كَرِيمُ الطَّبِيعِ، وَالْكَرِيمُ يُخَدِّعُ، وَمَنْ سَمِعَ جَازَ أَنْ يَخَالَ .

### ابن القارح في مصر

وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ مِنْ مِثْلِهِ فِي مِصْرَ إِلَى بَعْضِ اللَّذَاتِ، فَهُوَ يَعْرِفُ الْحَدِيثَ :  
«أَرِيحُوا الْقُلُوبَ تَبَعَ الذِّكْرُ» وَقَالَ أُحَيْعَةُ بْنُ الْجَلَّاحِ :

صَحَوْتُ عَنِ الصُّبَا، وَاللَّهُوُ غُولُ وَنَفْسُ الْمَرْءِ - آوَنَةٌ - مَلُوكُ  
وَقَدْ حَاشَرَ مَلُوكًا وَوُزَرَءَ، وَقَدْ سَمِعَ أَنْبَاءَ الثُّعْمَانِ الْأَكْبَرِ، إِذْ فَارَقَ مُلْكَهُ،  
وَتَمَوَّضَ مِنَ الْحَرِيرِ الْمُسْوَحِ، وَإِيَّاهُ بَعَثَ الْعَبَادِيُّ<sup>(١)</sup> فِي قَوْلِهِ :

وَتَذَكَّرْتُ رَبَّ الْخَوَزَنْقِ إِذْ فَكَّرَ يَوْمًا ، وَلِلْهُدَى تَفْكِيرُ  
سَرَّهُ مُلْكُهُ وَكَزْرُهُ مَا يَمْلِكُ، وَالْبَحْرُ مَعْرَضًا، وَالسَّيْدُورُ  
فَارْعَوَى جَهْلَهُ، فَقَالَ : «وَمَا غِبْطَةٌ حَتَّى إِلَى الْمَمَاتِ يَصِيرُ» ؟

### الهنود والهنجر

وَالشُّكْرُ<sup>(٢)</sup> مُحَرَّمٌ فِي كُلِّ اللَّيْلِ، وَيُقَالُ : إِنْ الْهِنْدَ لَا يُمْلِكُونَ عَلَيْهِمْ  
رَجُلًا يَشْرِبُ مُسْكِرًا، لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَهُ مُنْكَرًا، وَيَقُولُونَ : يَحْجُوزُ أَنْ يَحْدُثَ فِي

(١) هو عدى بن زيد، وترجمته في ج ٢ ص ٨ و ٩ (٢) ارجع إلى ص ٣٠٤ و ٣٠٥ و ٣٠٦ في هذا الجزء

الْمَمْلُوكَةِ نَبَأًا، وَالْمَلِكُ سَكْرَانٌ « لُمِنْتَ الْقَهْوَةُ !

\*  
\* \*

وَيَنْبَغِي أَنْ يُرْهَدَهُ فِي الصَّبَاءِ، أَنْ نَدَامَاهُ الْأَكْرَبِينَ أَصْبَحُوا فِي الْأَجْدَاثِ الْعَافِيَةِ،  
كَمْ جَلَسَ مَعَ فَيْثَانَ، أَتَى عَلَيْهِمُ الزَّمَنُ مُشْكَلاً الْإِثْيَانِ، فَكَانَ كَمَا قَالَ الْجَعْدِيُّ (١) :  
تَذَكَّرْتُ وَالَّذِي كَرَى تَهِيحَ لِي الْهَوَى وَمِنْ حَاجَةِ الْمُحْزُونِ أَنْ يَتَذَكَّرَا  
نَدَامَايَ عِنْدَ الْمُتَذَكِّرِ بْنِ مُحَرَّرٍ فَأَصْبَحَ مِنْهُمْ ظَاهِرُ الْأَرْضِ مُقْفِرًا  
وَهُوَ يَعْرِفُ الْأَيَّاتَ الَّتِي أَوْلَاهَا :

خَلِيلِي ! هُبَا ، طَالَمَا قَدْ رَقَدْتُمَا أَجِدُكُمْ كَمَا لَا تَقْضِيَانِ كَرَامَا  
وَهَلْ يَعْجِزُ أَنْ يَكُونَ كَمَا قَالَ الْآخَرُ :

أَمَّا الطَّلَاةُ ، فَإِنِّي لَسْتُ ذَاتَ قَهْمَا حَتَّى الْآخِرِ بَعْدَ الْمَوْتِ جَبَّارَا !

### دنانير ابن القارح

وَسَرَّتَنِي فَيْثَةُ (٢) الدَّنَائِيرِ إِلَيْهِ ، فَتِلْكَ أَعْوَانُ ، تَشْتَبِهُ مِنْهَا الْأَلْوَانُ ، وَلَهَا عَلَى  
النَّاسِ حُقُوقٌ ، تَبَرُّ إِنْ خِيفَ عُقُوقٌ - قَالَ صَمْرُؤُ بْنُ الْعَاصِ لِلْمُعَاوِيَةِ :  
« رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ أَنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ قَالَتْ ، وَجِئْتُ بِكَ وَقَدْ أَلْجَمَكَ الْمَرَقُ ! »  
فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : « هَلْ رَأَيْتَ نَمَّ مِنْ دَنَائِيرٍ مِصْرَ شَيْئًا ؟ »

وَعَذِيذُ - لَارِئِبَ - مِنْ دَنَائِيرٍ مِصْرَ ، لَمْ يَجِئْ مِنْ عِنْدِ السُّوقِ ، وَلَكِنْ مِنْ  
عِنْدِ الْمُلُوكِ ، وَلَمْ تَكُنْ مَهْرَ هُلُوكٍ . فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَلَّمَهَا إِلَى هَذَا الْوَقْتِ ،  
وَلَمْ تَكُنْ كَذْهَبٍ مُحْزُونٍ ، صَارَ إِلَى الْخُمَارَةِ مَعَ الْمُوزُونِ ، كَمَا قَالَ :

وَحَمَارَةٍ مِنْ بَنَاتِ الْمُجُوسِ تَرَى الرُّقَّ - فِي يَتِيهَا - سَائِلًا  
وَزَنًا لَهَا ذَهَبًا جَائِدًا ، فَكَالَتْ لَنَا ذَهَبًا سَائِلًا  
أَخَذَتْ مِنْ جَوَازِرِ كِرَامِ صَيْدٍ ، تَارَةً بِالْخِدْمَةِ وَتَارَةً بِالْقَصِيدِ ؛ وَلَمْ تَكُنْ  
فِي الْعِيدِيَّةِ مُرَهَّنَاتٍ ، وَلَا - عِنْدَ الْفَرَضِ - مُوهَنَاتٍ ا وَهِيَ عِنْدَ الْبَلَاءِ  
وَالْكَيْسِ ، أَجُودُ مِنَ الْخَاتِمِ الَّذِي ذَكَرَهُ « ابْنُ قَيْسٍ » ، فَقَالَ :  
إِنْ خُتِمَتْ ، جَارِ طِينُ خَاتِمِهَا كَمَا تَجُوزُ الْعَبْدِيَّةُ الْعُتُقُ (١)

### بائع كينه

وَلَوْ أَخَذَ مِثْلَهَا النَّادِمُ عَلَى بَيْعِ كُيْنَتِهِ ، لَأَسْكَنْتِ الْبَهْجَةَ فِي خَلْدِهِ (٢) وَيَتِيَتِهِ ،  
وَلَمْ يَأْسَفْ أَنْ عُوضَ حِمَارًا مِنْ فَرَسٍ ، وَلَوْ جِدَّ - عَلَى الشُّكُوسَى -  
ذَا خَرَسٍ ، وَلَمْ يَقُلْ :

نَدِمْتُ عَلَى بَيْعِ « الْكُيْنَتِ » وَلَئِنَّمَا  
وَلَمَّا أَنَا فِي الدَّنَائِرِ سَائِلِي  
وَقَالَتْ : « أَيْمُ الْبَيْعِ ، وَاشْتَرِ غَيْرَهُ ،  
فَأَنْفَقْتُ فِيهِمْ مَا أَخَذْتُ - وَلَمْ يَزَلْ  
إِلَى أَنْ تَدَاعَى الْجُنْدُ - بِالْفَرْزِ - وَانْجَلَّتْ  
وَأَعُوزَ فِي مَهْرٍ - يَكُونُ مَكَانَهُ -  
حَيَاةُ الْفَقِي هَمٌّ لَهُ وَخَسَارُ  
أَصَاحَتِ ، وَهَشَّتْ - لِلْبَيْاعِ - « نَوَارُ »  
حَوْلَكَ - فِي الْمَشْتَا - بَنُونَ صِفَارُ  
لَدَى شَرَابٍ رَاهِنٍ (٣) ، وَتُقْتَارُ (٤)  
غُبُومُ شِتَاءٍ - سُحُبُهُنَّ غُضَارُ  
كَأَنَّ كَيْسَ - يَنْعَ الْعَالَمِينَ - مَهَارُ

(١) قال أبو العلاء : « أراد بالعبدية دنائير نسبها إلى عبد الملك بن مروان » وقد ضرب  
دنائير باسمه ، وفي عهده بنى الحاجب داراً للسُّكَّةِ في العراق ، فكانت ترسل منها الدَّنَائِرُ المضروبة إلى  
سائر المملكة الإسلامية (٢) الخلد : القلب (٣) معد حاضر (٤) الدخان من المطبوخ ، فهو دليل عليه

وَسَارَ - عَلَى الْخَيْلِ الْمُغَذَّةِ - صَاحِبِي، وَسِرْتُ، وَتَحَيَّ - لِشَقَاؤِهِ - حَمَارًا

وَلِلَّهِ الْمُنَّةُ كَمَا نَجَّاهَا - بِالْقَدَرِ - مِنْ بُكُورٍ، لَيْسَ مِنْ بَكْرَةٍ بِالشُّكُورِ،  
يَحْمِلُ مَعَهُ دَنَائِيرَ، وَلَا يَصْحَبُ مِنَ الْقَوْمِ صَنَائِيرَ<sup>(١)</sup>، فَيَقِيمُ بِهِمْ فِي الدَّسْكَرِ  
أَيَّامًا، أَيْفَاطًا - فِي الشُّكْرِ - أَوْ نِيَامًا، فَتَفْنِي الذَّهَبَ، قَالَ الْجَعْدِيُّ<sup>(٢)</sup> :  
وَدَسْكَرَةٌ - صَوْتُ أَبْوَابِهَا كَصَوْتِ الْمَوَاتِيحِ فِي الْخَوَابِ<sup>(٣)</sup>  
سَبَقْتُ إِلَيْهَا صِيْحَ الدُّيُوكِ وَصَوْتَ نَوَافِيسَ، لَمْ تُضْرَبِ  
وَقَالَ آخَرُ :

وَقَبْضَةٌ مِنْ دَنَائِيرٍ غَدَوْتُ بِهَا لِلدَّسْكَرِيِّ - وَحَوْلِي فَتِيَّةٌ تُسْمَعُ  
وَلَمْ يَزَلْ - ثُمَّ - يَسْقِينَا، وَيَأْخُذُهَا حَتَّى اسْتَقَلَّ بِمَا فِي الصُّرَّةِ الْقَدَحُ

وَدَنَائِيرُهُ - بِإِذْنِ اللَّهِ - مُقَدَّسَاتٌ، وَإِنْ كَانَتْ زَائِدَةً عَلَى الثَّمَانِينَ، فَقَدْ  
أَوْفَتْ عَلَى عِدَّةِ أَصْحَابِ «مُوسَى» الَّذِينَ جَاءَ فِيهِمْ : «وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ  
سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِقَاتِنَا» وَعَلَى عِدَّةِ الْإِسْتِغْفَارِ فِي قَوْلِهِ : «إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ  
سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ» وَعَلَى عِدَّةِ أَذْرُجِ السُّلْسِلَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :  
«فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا، فَاسْلُكُوهُ» .

وَلَوْ كَانَتْ سِتُّونَ «زُهَيْرٍ» مِثْلَهَا، لَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ بِالسَّامَةِ، وَلَوْ أَذْرَكَةُ  
عُرْوَةُ بْنُ حِزَامٍ، وَهُوَ يَقُولُ :

يُكَلِّفُنِي عَمَى ثَمَانِينَ نَاقَةً وَمَالِي يَا «عَفْرَاءُ» غَيْرُ ثَمَانٍ<sup>(٤)</sup>

(١) الصنائير: البغلاء، جمع صِنَوْر (٢) ارجع الى ترجمته في (ج ٢) ص ٣٨

(٣) الدلو (٤) انظر قصيدته الجميلة التي منها هذا البيت في ذيل الأمالى

لَجَازَ أَنْ يَرْقَ لَهُ، فَيُعِيثُهُ مِنْ هَذِهِ الثَّمَانِينَ بَعْضُهَا، أَوْ يَسْمَحَ لَهُ بِكُلِّهَا،  
لأنه كريم طبع . ولو صارت في يدِ عُرْوَةَ هَذِهِ الثَّمَانُونَ ، لَبَلَغَ بِهَا الْأُمْنِيَّةَ ،  
لأنَّ النَّاقَةَ فِي ذَلِكَ الزَّمانِ كَانَتْ رُبَّمَا اشْتَرَيْتَ بِعَشْرَةِ دَرَاهِمٍ . وَفِي بَعْضِ  
أَخْبَارِ الْفَرَزْدَقِ ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ مُلُوكِ بَنِي أُمَيَّةَ أَعْطَاهُ مِائَةً مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ ،  
فَبَاعَهَا بِأَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةِ دِرْهَمٍ ، بَعْدَ مَا غْنَى بِهِ ، وَزَيْدَ فِي الثَّمَنِ .

### الجمال في زمن المنصور

وَقَدْ مَرَّتْ بِهِ الْحِكَايَةُ الَّتِي يَذْكُرُهَا أَصْحَابُ التَّارِيخِ : « أَنَّ الْجَمَلَ كَانَ يُبَاعُ  
فِي زَمَنِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ بِدِرْهَمٍ ، وَأَنَّهُ صَادَرَ قَوْمًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَكَانَتْ لَهُمْ نِعَاجٌ ،  
فَبَاغَوْهَا ثَمَانِي نِعَاجٍ بِدِرْهَمٍ » هَذَا مَا وَجَدَ بَحْطُ الْمَرْزُبَانِي <sup>(١)</sup> فِي تَارِيخِ ابْنِ شَجَرَةَ .

### فضل الذهب

وَهِيَ أَنْصَرُ <sup>(٢)</sup> مِنَ الثَّمَانِينَ الَّتِي ذَكَرَهَا الْعُلُوِيُّ الْبَصْرِيُّ فِي قَوْلِهِ :  
عَبَرْتُ لِيَنَّهُمْ فِي ثَمَانِينَ فَارِسًا فَأَدْرَكْتُ مِنْهُمْ بُغْيَتِي وَمُرَادِيَا  
لِلَّهِ دَرُّ الذَّهَبِ مِنْ خَلِيلٍ <sup>(٣)</sup> ، فَإِنَّهُ يَنْفِي بِظِلِّ ظَلِيلٍ ، مَا هُوَ - كَغَيْرِهِ - بِالٍ .

(١) ترجمته في ج ٢ ص ١٠٤ (٢) أكثر نصرة (٣) من أجل ما قرأناه في  
وصف الدينار مدحا وذما ، قول « الحريري » في مقامته الثالثة في مدحه :

أكرم به أصفر - راقص صفته جواب آفاق - ترامت سفرته  
مأثورة سمعته وشهرته قد أودعت سر الغنى أسرته  
وقارنت - نهج للساعي - خطوته وحيت - إلى الأنام - غوته  
كأنما - من القلوب تقرته به يصول من حوته صوته

وإن تقات - أو توات - عترته ١



واللَّهُ إِذَا كُسِرَ ذَهَبَتْ قِيَمَتُهُ، وَرُبَّ ذَهَبٍ فِي سِوَارٍ، جُعِلَ فِي خَلْخَالٍ، ثُمَّ نُقِلَ  
إِلَى جَامٍ أَوْ كَابِسٍ، وَهُوَ - بحسنه - ما تغير لبشكار النيرانِ !

### ابنة أخته

وَأَمَّا ابْنَةُ الْأُخْتِ، فَإِنَّهَا أَذَلَّتْ عَلَى الْخَالِ - إِذْ كَانَ أَحَدَ الْوَالِدَيْنِ ! وَلَا تَجْمَعُهَا  
أُخْتًا لِلْهَجْرِ سِ لَأَنَّهُ طَالِبَ خَالِهِ بَارٍ، فَلَمْ يَقْبَحْ مَا فَعَلَ مِنَ الْآثَارِ

يا حبذا نضاره ، ونضرتة وحبذا مغنااته ونصرتة  
كم أمر ، به استتبت إمرته ، ومتوف - لولاه - دامت حسرتة  
وجيش هم - هزمتة كرتة ومستشيط ؛ تتلفى جبرته  
أسر نجواه - فلانت شرته ، وكم أسير أسلمته أسرته  
أنقذه - حتى صفت مسرته

ورحق مولى أبدعته فطرته لولالتقى - لقلت : « جلت قدرته ! »

\* \*

ثم ذمه - بعد ذلك - في القامة نفسها - فقال :

تبأ له ! من خادع مماذق أصفر - ذى وجهين - كالمناقق  
يبدو بوصفين ، لعين الرامق زينة معشوق ، ولون عاشق  
لولاه - لم تقطع بين سارق ولا بدت مظلمة من فاسق  
ولا اشمأز من بخيل طارق ولا شك المطول مطل العائق  
ولا استعيز من حسود راشق وشر ما فيه من الخلائق  
أن ليس ينفي عنك في المضائق ، إلا إذا فر فرار الآبق

\* \*

واهاً لمن ينفذه من حائق ، ومن - إذا ناجاه نجوى الوامق -  
قال له - قول الحب الصادق - : « لا رأى في واصلك لى ، ففارق ! »

« فائل خاله »

ولكن تشبه أن تكون أختاً لابن مضرّس - حين فانتها الأخوة من الهجرس !  
وهو المعروف بالختوت ، واسمه « توبة » وكان له أخ يقال له : « طارق »  
فقتله رَهْطُ خاله ، فرأى أن يقتل خاله ، وقال :

بَكْتُ جَزَعًا أَثْمَى « رُمَيْلَةُ » أَنْ رَأَتْ دَمًا - مِنْ أُخِيهَا - فِي الْمُهَنْدِ بِأَدْيَا  
فَقُلْتُ لَهَا : « لَا تَجْزَعِي ، إِنَّ طَارِقًا حَبِيبِي ، الَّذِي كَانَ الْخَلِيلَ الْمُصَافِيَا »  
« وَمَا كُنْتُ - لَوْ أُعْطِيتُ الْفَنَى نَجِيَّةً وَأَوْلَادَهَا - لَعَوًّا <sup>(١)</sup> تُسَاقُ - وَرَاعِيَا »  
« لِأَرْضِي بَوْتَرٍ مِنْهُمْ - دُونَ أَنْ أَرَى دَمَائِنَ « بَنِي عَوْفٍ » عَلَى السَّيْفِ جَارِيَا »  
« وَمَا كَانَ فِي « عَوْفٍ » دَمٌ لَوْ أَصْبَتْهُ لِيُوْفِيَنِي - مِنْ طَارِقٍ - غَيْرَ خَالِيَا »

أدب الخوالة

ويحوز أن يكون قد وَشَّجَ إلى هذه المرأة شئ من أدب الخوالة ، فليتنق  
مَعْرَةً يَأْنَهَا ، أَكْثَرَ مِنْ اتِّقَائِهِ خُلُوسَةً بَنَانَهَا !

فهو يعلم أن الشعرَ وَرَثَةُ « زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ » مِنْ خَالِهِ « بَشَامَةُ بْنُ  
الْقَدِيرِ » وَلَمْ يَكُنْ فِي « مُزَيْنَةَ » شَعْرٌ يُذْكَرُ . وَحَضَرَهُ « زُهَيْرٌ » عِنْدَ الْوَفَاةِ ،  
فَأَرَادَ أَنْ يُعْطِيَهُ شَيْئًا مِنْ مَالِهِ ، فَقَالَ « بَشَامَةُ » : « أَمَا يَكْفِيكَ أُنَى وَرَثَتِكَ  
غَرَائِبَ الْقَصِيدِ ؟ »

غريزة المرأة

وربما كَانَ فِي نِسَاءِ « حَلَبَ » شَوَاعِرُ ، فَلَا يَأْمَنُ مَنْ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ مِنْهُنَّ ،  
فَطَالَمَا كُنَّ أَجْوَدَ غَرَائِزَ مِنْ رِجَالِهِنَّ !

(١) اللغو : مالا يُبَدَّ فِي الدَّيَّةِ ، قَالَ جَرِيرٌ : « كَمَا أَلْفَيْتُ - فِي الدَّيَّةِ - الْحَوَارَا »  
وَالْحَوَارُ : وَلَدُ النَّاقَةِ مِنْ حِينَ يَرْضَعُ إِلَى أَنْ يَفْطَمَ وَيَفْصَلَ عَنْ أُمِّهِ .

وَحَدَّثَ رَجُلٌ ضَرِيرٌ، مِنْ أَهْلِ «آمِدَ» يَحْفَظُ الْقُرْآنَ، وَيَأْتِسُ بِأَشْيَاءَ مِنْ  
الْعِلْمِ، أَنَّهُ كَانَ - وَهُوَ شَابٌ - لَهُ امْرَأَةٌ مُقَيَّنَةٌ (تُرِيْنُ النِّسَاءَ فِي الْأَعْرَاسِ)  
وَكَانَ يُنْجِمُ عَلَى الطَّرِيقِ، وَكَانَتْ لَهُ قُرْعَةٌ<sup>(١)</sup> فِيهَا أَشْعَارٌ - كَنَحْوِ مَا يَكُونُ  
فِي الْقُرْعِ - وَكَانَ يَعْتَمِدُ خِفْظَ تِلْكَ الْأَشْعَارِ وَيَدْرُسُهَا فِي بَيْتِهِ - وَلَا غَرِيزَةَ لَهُ  
فِي مَعْرِفَةِ الْأَوْزَانِ، فَيَكْسِرُ الْبَيْتَ، فَتَقُولُ لَهُ امْرَأَتُهُ الْمَاشِطَةُ: «وَيْلِي أَمَا هَذَا  
جَيْدٌ!» فَيَلْجَأُهَا - وَيَزْعِمُ أَنَّهَا مَخْطُئَةٌ...!

فَإِذَا أَصْبَحَ مَضَى، فَسَأَلَ مِنْ يَعْرِفُ ذَلِكَ، فَأَخْبَرَهُ بِأَنَّ الصُّوَابَ مَعَهَا،  
وَعَرَفَهُ كَيْفَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ؛ فَإِذَا لَقِنَتْهُ عَنْهُ، عَادَ فِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ، فَذَكَرَهُ  
- وَقَدْ أَصْلَحَ - فَتَقُولُ الْمَاشِطَةُ: «هَذَا السَّاعَةَ جَيْدٌ»

\*

وَكَانَ لِي كَرِيٌّ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ يَعْرِفُ بُلْعَوَانَ، وَلَهُ امْرَأَةٌ، تَزْعِمُ أَنَّهَا مِنْ «طَى»  
فَكَانَ لَا يَعْرِفُ مَوْزُونَ الْأَيَّاتِ مِنْ غَيْرِهِ، وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تُحْسِنُ ذَلِكَ، وَكَانَتْ  
تَتَأَسَّفُ عَلَى طِفْلِ مَاتَ لَهَا، يَقَالُ لَهُ: «لَا حِبَّ» وَكَانَتْ تَنْشُدُ هَذَا الْبَيْتَ:  
«إِذَا كُنْتُ مِنْ جَرَّارِجِيكَ مُوجِعًا      فَلَا بُدَّ - يَوْمًا - مِنْ فِرَاقِ حَبِيبِ  
فَقَالَتْ يَوْمًا: «إِذَا كُنْتُ مِنْ جَرَّارِجِيكَ مُوجِعًا» فَعَلِمْتُ أَنَّ الْوِزْنَ مَخْتَلٌ،  
فَقَالَتْ: «إِذَا كُنْتُ مِنْ جَرَّارِجِيكَ مُوجِعًا»، فَحَرَكْتُ التَّنْوِينَ، وَأَنْكَرْتُ  
تَحْرِيكَهُ بِالطَّبْعِ، فَقَالَتْ: «إِذَا كُنْتُ مِنْ جَرَّارِجِيكَ مُوجِعًا» فَأَضَافْتُهُ إِلَى  
الْكَافِ، فَاسْتَقَامَ الْوِزْنُ وَاللَّفْظُ!

وَفِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ مِنْكُمْ أَزْوَاجُكُمْ وَأُولَادُكُمْ عَدُوًّا  
لَكُمْ فَأَخَذُواكُمْ، وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا، فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»

## أبو بكر الشبلي

وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ الشَّبْلِيُّ — رحمه الله — فَلَا رَيْبَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ ،  
وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ سَالِمًا مِنْ مَذْهَبِ الْمُخْلَوِيَّةِ ، وَأَنْشَدَنِي لَهُ مُنْشَدٌ :  
« بَاحٌ مَجْنُونٌ قَامِرٌ بِهَوَاهُ وَكَتَمْتُ الْهُوَى فَقُزْتُ بِوَجْدِي  
وَإِذَا كَانَ فِي الْقِيَامَةِ نُودَى : أَيْنَ أَهْلُ الْهُوَى ؟ تَقَدَّمْتُ وَخَدِي ! »  
فَإِنْ صَحَّ أَنَّ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لَهُ ، فَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَمْتَرِضَ عَلَيْهِ قَائِلٌ ، فَيَقُولَ :  
« إِنْ ادَّعَاهُ الْإِنْفِرَادُ مِنْ أَعْلَامٍ ، لَا يُسَلِّمُهُ إِلَيْهِ الْبَشَرُ ، إِنْ كَانَ هَوَاهُ لِلْمُخْلَوِيْنَ  
أَوْ الْخَالِقِ فَلَهُ فِي الْأُمَمِ نَظَرَاهُ كَثِيرٌ »

## ختام الرسالة

وَأَنَا أَعْتَذِرُ إِلَى مَوْلَايَ الشَّيْخِ الْجَلِيلِ ، مِنْ تَأْخِيرِ الْإِجَابَةِ ، فَإِنْ عَوَانِقُ الزَّمَنِ  
مَنَعَتْ مِنْ إِمْلَاءِ السُّوَدَاهِ ، وَأَنَا مُسْتَطِيعٌ بِنِيرِي ، فَإِذَا غَابَ الْكَاتِبُ فَلَا إِمْلَاءَ ؛  
وَلَا يَنْكُرُ الْإِطَالَةَ عَلَى ، فَإِنْ الْخَالِصُ مِنَ النَّضَارِ ، طَالَمَا اشْتَرَى بِأَصْعَافِهِ — فِي الزُّنُوقِ —  
مِنَ اللَّجَيْنِ ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ الثَّمَنُ مِنَ الثَّقَيَّاتِ <sup>(١)</sup> اللَّائِي يَوْجِدُنَ فِي الطَّرِيقِ مَرْمِيَّاتٍ ؟  
وَعَلَى حَضْرَتِهِ الْجَلِيلَةِ سَلَامٌ ، يَتَّبِعُ قُرُومَهُ <sup>(٢)</sup> قَالَهُ <sup>(٣)</sup> ، وَتَلْحَقُ بِعُودِهِ <sup>(٤)</sup> أَطْفَالُهُ .

﴿ تَمَّتْ رِسَالَةُ الْغُرَّانِ ، وَاتَّهَى الْجُزْءُ الثَّالِثُ ﴾

---

(١) جمع نفية وهي ما تنفيه الحوافر من حصى وغيره ، ومعناها هنا الأشياء الحقيمة  
التافهة (٢) جمع قروم وهو البعير أو الفحل (٣) جمع أفيل وهو صغير الإبل  
(٤) جمع عائذ وهي الناقة الحديثة العهد بالنتاج .



# مكتبة الأطفال

بقلم كامل كيلاني

## أشهر القصص للأطفال

- ١ - رحلات جلفر . ٢ - دون كيشوت .
- ٣ - الكوميديا الإلهية . ٤ - شمشون الجبار .
- ٥ - رحلات ابن بطوطة .

## قصص علمية للأطفال

- ١ - النحلة العاملة . ٢ - العنكب الحزين .

## قصص عربية للأطفال

- ١ - حتى بن يقظان - عنقرة بن شداد
- ٢ - سيف بن ذي يزن - أبو زيد الهلالي
- ٣ - الأميرة ذات الحمة .

## ألف يوم للأطفال

ألف يوم

ألف ليلة

مطبات

جغرافيا بلاد الجن

جغرافيا وأصحابه

## قصص فطحية للأطفال

- ١ - عمارة . ٢ - الأرنب الذكي .
- ٣ - عفاريت اللصوص . ٤ - نعام .
- ٥ - العرندس . ٦ - أبو الحسن .

## قصص مدبرة للأطفال

- ١ - بابا عبد الله والدرويش .
- ٢ - أبو صير وأبو قير . ٣ - على بابا .
- ٤ - عبد الله البري وعبد الله البحري .
- ٥ - الملك عجيب . ٦ - خسر و شاه .

## قصص للأطفال

- ١ - السندباد البحري . ٢ - علاء الدين .
- ٣ - تاجر بغداد . ٤ - رو بنسن كروزو .

## قصص شكير للأطفال

- ١ - العاصفة . ٢ - تاجر البندقية .
- ٣ - يوليوس قيصر . ٤ - الملك لير .

Bibliotheca Alexandrina



0496509

